

# مَطَالِعُ البُدُورِ فِي مَنْازِلِ السَّرُورِ

تأليف  
الشيخ الأديب والفاضل الأريب  
علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي

المجزء الثاني

الناشر  
مكتبة الثقافة الدينية

جميع الحقوق محفوظة للناشر

طبعة

١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م

الناشر

مكتبة القاطة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة

ت. ٥٩٢٢٦٢٠١ - ٥٩٢٨٤١١ / فاكس. ٥٩٣٦٢٧٧

ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

E-mail: [alsakafa\\_alDinaya@hotmail.com](mailto:alsakafa_alDinaya@hotmail.com)

رقم الإيداع	٩٩/٩٧٥٨
الترقيم الدولي	977-5250-48-X

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الباب السادس والعشرون

### في الحمام وما غزى معناه

الحمام بالتشديد واحد الحمامات المبنية وهو مذكر، قال ابن الخباز في شرح الالفية نادرة عن بعض الكتاب كتب يوما هذه الحمام فقبل له الحمام مذكر فقال أردت حمام النساء وهذا ظريف، وحكى فيه التأنيث أيضا وأنشد.

\* وإذا دخلت سمعت فيها رنة \*

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: الحمام من النعيم الذي أحدثوه، وروى عن أبي الدرداء وأبي ذر أنهما قالوا: نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر بالنار، وقال أبو هريرة يرفعه نعم البيت الحمام يدخله المسلم يسأل الله الجنة ويستعيز به من النار، وأول من دخل الحمام ووصفت له النورة سليمان بن داود عليهما السلام، فلما وجد حرها قال أواه من عذاب النار، قال الغزالي في الاحياء ومن جهة الطب قيل ان الحناء بعد النورة أمان من الجذام وقيل ان النوره في كل شهر تطفى الحرارة وتنقى اللون وتزيد في الجماع، وقيل بولة في الحمام قائما أنفع من شربة دواء وغسل القدمين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس، وذكر السمعاني في كتاب الحمام باسناده الى الفضل بن الفضل الكندي قال ذكر في قوله تعالى ﴿وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾<sup>(١)</sup> انها الحمام وقت الضحى، وبسنده الى يونس بن عبد الاجل أنبأنا وهب قال سمعت مالكا يقول من أدخل رجلا الحمام وجب غذاؤه شاء أو ابى وروى عن مجاهد عن علي أنه كان يفتسل من مس الابط والحجامة، وعن جابر مرفوعا نهى أن يغسل البدن بشيء يؤكل، وبسنده قال الحرث بن كلدة أربعة أشياء تهزم البدن: الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلاء وأكل القديد ومجامعة العجوز، وبسنده الى محمد بن عبد الحكيم قال سمعت الشافعي يقول رأيت في الطب عجبا لمن

(١) الآية: ٢٧ من سورة الدخان.

يدخل الحمام قبل ان يأكل ثم يؤخر الاكل بعدما يخرج كيف يموت وعجبت لمن احتجم ثم بادر الاكل كيف لا يموت وذكر بعض الحكماء ان غسل الوجه بالماء البارد عقيب الخروج من الحمام يبقى طراوته مع كبر السن، قال الشيخ هبة الله أبو المكارم بن جميع الاسرائيلى الطيب فى كتاب الارشاد.

**الفصل: الخمسون فى الاستحمام ومنافع الحمام ومضاره وكيفية استعماله** منافع الحمام كثيرة وذلك لموافقته لسائر الامزجة من الحارة والباردة والرطبة واليابسة اذا استعملت على ما ينبغى وقد أشار جالينوس الى ذلك بقوله ان الحمام نافع فى الشتاء والصيف ولمن مزاجه حار أو بارد أو رطب أو يابس وقال أيضا: ان الحمام علاج البدن من الضدين ان أخذه حار المزاج عدله بترطيبه وان أخذه بارد المزاج أدفاه بحرارته وهى توسع المسام وتستفرغ الفضول وتحلل الرياح وتدر البول وتحبس الطبيعة وتنظف الوسخ والعرق وتذهب الحكمة والجرب والاعياء وتلين بشرة البدن وتجوّد الهضم وتنشط الاعضاء المتشنجة وينضج الزلات والزكام وينفع من حميات يوم ومن الدق والربيع والبلغمية بعد نضجها وينفع من وجع الجنب والصدر وينضج الربو ويسمن المهزول ويهزل السمين ويرقق الدم والفضول الغليظة اللزجة بحرارته ويرطب الابدان اليابسة الخشنة برطوبته وقد قال جالينوس ان الحمام يحلل الكيموس اللذاع ويفيد البدن والاعضاء الاصلجة نداوة ورطوبة صافية كل ذلك اذا استعمل على القانون الطبى ولها أيضا مضار وهى أنها تسهل انصباب الفضول الى الاعضاء الضعيفة وترخى الجسد وتضعف الحرارة الغريزية والاعضاء العصبية وتسقط الشهوة وتضعف الباءة، قال وأفضل الحمام ما كان قديم البناء كثير الاضواء مرتفع السقوف واسع البيوت عذب الماء طيب الرائحة وكانت حرارته بقدر مزاج الداخل اليه وكان وقوده بما ليس له كيفية ردة وقد أحسن الذى قال: خير الحمام ما قدم بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه وقدرّ الاتان وقوده بحسب مزاج من أراد وروده، وقد قسم الحمام الى ثلاث بيوت كل بيت أسخن من الذى قبله لثلا يكون الانتقال من البرد الى الحرّ أو من الحر الى البرد فجأة: فالبيت الاول مبرد مرطب والثانى مسخن مرطب والثالث مسخن مجفف وكذلك ينبغى أن يكون الانتقال فى بيوتها على تدرّج، قال بختيشوع اياك أن تدخل الحمام أو تخرج بغتة بل البث فى كل بيت هنيئة واغسل رأسك بالسدر والطخه بقليل ملح وادخل الحمام كل جمعة مرة فانك تأمن انتشار الشعر واستعمل المشط فانه

يقوى البصر ويحدث أريحة وزهوا واخرج الى المسلخ متدرجا ثم صب عليك ثوبا نظيفا طيب الرائحة وتجنب النساء يوما وليلة، وقال ابن جميع فأما أصحاب الامزجة الحارة فينبغى ان يقعدوا فى البيت الاول قليلا وفى الثانى دون الاول وفى الثالث دون الثانى وأصحاب البلغم والسوداء بالضد فان قصد بالحمام الترطيب أطيل المقام فى الحوض ويكثر من رش الماء على أرض الحمام ليكثر البخار فيترطب الهواء وليتمرخ بالدهن ليزيد فى الترطيب ويكون الخروج من الحمام قبل أن تلحقه منه مشقة مثل ضعف أو غشيان أو غشى أو شذر أو دوار أو سكتة أو صرع أو ما شابهها مثل هذه الاعراض الردئة فان كان القصد بالحمام التجفيف أطيل المقام فى البيت الحار ويقتصر على هوائه دون مائه ولا استعمال الماء البارد عقيب الحار منافع عظيمة وقال جالينوس: الاغتسال بالماء البارد عقيب الحار يقوى الاعضاء حتى القوى الجوهرية التى فى الاعضاء لكن ينبغى ان لا يكون استعمال الماء البارد عقيب الحار بغتة بل بتدرج يستعمل الماء أولا ممزوجا بالبارد ثم ينتقل بعده الى البارد ومن قصد تسمين بدنه فيدخل الحمام بعد تناوله الطعام ومن قصد تهزيه يدخل الحمام على خلو المعدة وبطيل اللبث فيه ومن قصد حفظ صحته فيدخل الحمام عند آخر الهضم بحيث أنه اذا خرج منها يكون محتاجا الى الغذاء ويجب أن يجتنب الجماع فى الحمام والنوم والقصد والحجامة فان فى ذلك خطرا بينا وكذلك ينبغى أن يجتنب فى الحمام ويعدده استعمال الاشياء الباردة بالفعل لان المسام حيثئذ تكون مفتوحة فلا يلبث يندفع البرد الى جوهر الاعضاء الرئيسية فيفسد قواها وكذلك ينبغى اجتناب استعمال الاشياء الحارة الشديدة الحرارة بالفعل أيضا وخصوصا الماء فان ذلك يورث السل والدق وأما الدلك فى الحمام فان الضعيف منه يحلل ويوسع المسام ويذوب الاخلاط والقوى يصلب الاعضاء ويحلل الرطوبات والمعتدل يجلب الدم الى ظاهر الجلد وأما التمريخ بالدهن بغير ذلك فيسد المسام ويمنع ما يتحلل وبعد الماء الحار يحفظ الحرارة من التحلل ويسخن ويرطب وبعد الماء يبرد ويرطب، وقال مهذب الدين بن هبل فى كتاب المختار: خير الحمام ما كان قديم البناء فان الحمام قريب العهد بالبناء تكون حيطانه ندية فتكون أراييح صهاريجه مضره، قال بعض الشراح لهذا الفصل الحمام الجديد البناء يتحلل من حيطانه رطوبات ممتزجة بجوهر الكلس والجص والقار ويتبخر بحرارة الحمام فيضر استنشاقها بالروح والنفس لانها كفيات رديئة خانقة يستصحب النفس ويهجم

به على القلب فيغير قوام صحته بسبب رداءة الهواء الواصل به بهذه الكيفيات الرديئة الجوهر فأما اذا عتقت الحمام قبل تحليل الابخرة الرديئة منها ومن حيطانها فيؤمن الضرر الحاصل منها ومن الواجب أيضا أن يكون الفناء متسعا لان أبخرة الحمام رديئة وكثيرة ومحبتبة لانها تتحلل من أبخرة أبدان الناس ومن أنفاسهم ومن مجارى الحمام النافذة الى فضاء الحمام فيكثر ويتراكم ويختلط بهواء الحمام فيزيده رداءة الى رداءته المكتسبة بحرارة الحمام فاذا استنشقه الانسان أضمر بحرارته الغريزية وأنهكها بسبب خروجه لها عن الاعتدال فى كমে وكيفيته أما كমে فهو كثرة الابخرة المخالطة له وأما كيفيته فرداءات الابخرة مع سخونة هواء الحمام فاذا كانت الحمام واسعة الفضاء تعلقت الابخرة باعالى الحمام وتبددت وتفرقت فتلطف الهواء المستنشق فيها فيكون أقل ضرراً من الحمام الصغير ويجب أيضا أن تكون الحمام عالية البناء فان ذلك معين على تقليل ضرر أبخرتها المستنشقة قال: وأما عذوبة مائها فلا تحتاج الى تعليل لظهوره لان المياه اذا كانت عذبة طيبة ليس فيها شيء من الكيفيات الغريبة عدت غالب الامزجة وصحتها فان كانت كيفية غريبة مثل أن تكون مالحة أو كبريتية أو نحاسية أو حديدية أو لها مرور على معادن رديئة الجوهر أو على منابت أشجار خبيثة أو على مطابخ وأجام مبنية كثيرة الحيوانات الرديئة كأنواع الدود والضفادع والحيات وما أشبه ذلك أخرجت المزاج عن اعتداله الى حكم هذه الكيفيات الرديئة قال الشارح ومنافع الحمام كثيرة وأعظمها منفعة هو أنها اذا كانت معتدلة الهواء والماء فانها تفتح مسام البدن فيسهل بذلك خروج الفضل منه ويكسبه رطوبة عذبة يصير بها البدن الى نشاط وقوة وتفريح، وقال الرئيس أبو على الحسين بن سينا رحمه الله فى كتاب سماه حفظ الصحة لم يذكر فيه سوى أحكام الاسباب الستة الضرورية لا غير وينبغى ان يكون للحمام ثلاثة بيوت بيت معتدل وهو الذى لا يحس فيه بحر ولا برد وبيت يحس فيه بحرارة معتدلة وبيت يحس فيه بحرارة زائدة عن الثانية بشرط أن يكون النفس فيه مستقيما غير متواتر فالبيت الاول لا يضر كبير مضرة والثانى والثالث فلا يمكث فيهما الا بقدر ما يتحلل من الرطوبة ما من شأنه أن يتحلل فان طال المكث بها أكثر من المقدار المعتدل وخصوصا ان اقترن معه حركات قوية فانه يوقع فى الدق لأشداد سخونة القلب أو الاستسقاء لتحلل الحار الغريزى فيبرد مزاج الاحشاء قال وينبغى أن يجتنب الحمام على الامتلاء من الطعام فانه يولد سدا فى الكبد والعروق لانجذاب المواد الغذائية غير

منهضمة الى ظاهر البدن فيكون ذلك سببا لحدوث أنواع الحميات العفينة والاسهال الكائن بأدوار ويجتنب فيه الاشياء الباردة مثل الفقاع والماء البارد لان فيه خطرا عظيما جدا لان الشيء البارد السيل اذا حصل في المعدة هجم دفعة على الكبد والقلب فبردهما وأنهك حرارتهما الغريزية وأضعف الاحشاء وهياها للاستسقاء ويجتنب فيه الجماع أيضا فانه يسقط القوة ويوقع في أمراض خطيرة واعلم ان الحمام الحار جدا يسيل الاخلاط الجامدة الى أعماق الاعضاء فيحدث اما سددا واما اوراما ويصعدها الى الدماغ ويحدث اما صداعا شديدا أو برساما، والحمام البارد يحرك المادة التي تحركت بالعرق حركة ناقصة فتجذب المواد الى جهة سطح البدن فرمما أحدثت شبيها بالورم والحكة وربما أحدث الزكام والمغص، ورش الماء البارد أو بله بعد الحمام فانه ينعش القوة المسترخية من الكرب ومن لهيب الحميات وعند المغشى وخصوصا بماء الورد والخل وربما صحح الشهوة وآثارها ونصر أصحاب النوازل والصداع وأما سكب الماء البارد على الرجلين فأحكامه أحكام ما تقدم في الرش على الوجه والحمام النافع على سبيل الاجمال وهو الحمام المعتدل في حره ويرده الطيب الرائحة العذب الماء والتي أضواؤه كثيرة مشرقة وفناؤه واسع وفيه تصاوير بديعة الصنعة بيته الحسن مثل عاشق ومعشوق ومثل رياض ويسانين وطررد خيل ووحوش فان في تصوير مثل هذه تقوية قوية بليغة لجميع قوى البدن الحيوانية والطبيعية والنفسانية وقال الحكيم بدر الدين بن مظفر قاضى بعلبك فى كتاب مفرح النفس قد أجمع الأطباء والحكماء والألباء قاطبة على أن النظر إلى الصور الجميلة البديعة الجمال يفرح النفس وينشطها ويزيل عنها الافكار والوساوس السوداء ويقوى القلب قوة لا مزيد عليها بسبب ازالة الافكار الرديئة عنه ثم قالوا فان تعذر حصول النظر الى الصور الجميلة فليكن النظر الى صور جميلة متقنة الصنعة مصورة فى الكتب أو فى الهياكل أو فى القصور الشريفة وهذا المعنى قد ذكره الحكيم محمد بن زكريا الرازى رحمه الله وبالغ فى ملازمة فعله لمن يجد فى نفسه أفكاراً رديئة ووساوس فاسدة غير موافقة للنظام الطبيعى وقال فان الصور الجميلة اذا جمعت الى صورتها حسن الاصباغ المألوفة من الاصفر والاحمر والاخضر والابيض مع ضبط نسبة المقادير فى أشكالها فانها تشفى الاخلاط السوداء وتزيل الهموم الملازمة لنفس الانسان وتزيل الكدورة عن الارواح لان النفس تلتطف وتشرق بالنظر الى مثل هذه الصور فيتحلل ما فيها من الكدورة قال وتفكر فى الحكماء المتقدمين الذين

استنبطوا الحمام فى مدد من السنين كيف علموا بدقة فكرهم وصائب عقلهم ان الحمام اذا دخله الانسان يتحلل من قواه شىء كثير فأفيضت حكمتهم أن استخرجوا بعقولهم ما يجبر ذلك سريعا فرسموا فى الحمام صوراً بديعة الصنعة بأصباغ حسنة مفرحة وقسموا ذلك الى ثلاثة أقسام ولم يجعلوه قسما واحدا لانهم علموا أن أرواح البدن ثلاثة أصناف: حيوانية ونفسانية وطبيعية فجعلوا كل قسم من التصوير سببا لتقوية قوة من القوى المذكورة والزيادة فيها وصوروا للقوة الحيوانية القتال والحرب وطرده الخيل واقتناص الوحوش وصوروا للقوة النفسانية العشق والتفكر فى العاشق والمعشوق وتصوير معاتبه بينهما أو معانقة وما أشبه ذلك وصوروا للقوة الطبيعية البساتين وصور الأشجار البهية المنظر مع كثرة تصوير الأزهار والألوان المشوقة فهذه التصاوير وأمثالها هى جزء من أجزاء الحمام الفاضل ولو سألت المصور المصير عن خصوصية أن الحمام لم لا يصور المصورون فيها الا هذه الاقسام الثلاثة لما علم لها تعليلا لكن بذكر هذه الصفات الثلاثة لا تعلل وسبب ذلك تقادم السنين على تحليل مبادئ الأشياء فما خلوا شيئا سدا ولا يجعل شىء هدرا، وقال الحسن المتطبب ورأيت ببغداد فى دار الملك شرف الدين هرون بن الوزير صاحب شمس الدين محمد بن محمد الجوينى حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الانهار والأشجار فأدخلنى اليه سائسه وذلك بشفاعه صاحب بهاء الدين على بن الفجر عيسى المنشى الاربلى وكان سائس هذه الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر ففرجنى فى مياثه وشبابيكه وأنايبه المتخذة بعضها من الفضة المطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوت بأصوات طيبة ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الانايب الى الاحواض ومن الاحواض ترمى جميعها الى بركة حسنة الاتقان ثم منها يخرج الى البستان ثم فرجنى فى خلوة نحو عشر خلوات كل خلوة صنعتها أحسن من أختها ثم انتهى بى الى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد ففتحه ودخل بى الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض السادج وفى صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب نحو أربعة أنفوس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانا جالسين أو نائمين ورأيت من العجيب فى هذه الخلوة أن حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرأة يرى الانسان سائر بشرته فى أى حائط شاء منها ورأيت أعضها مصورة بفصوص حمراء وخضراء ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه أصفر وبعضه أحمر فاما الاخضر

فقيل انه حجارة تأتي من الروم والمذهب فهو زجاج ملبس بالذهب صوراً فى غاية الحسن والجمال وهم على هياث مختلفة فى نومهم وهم بين فاعل ومفعول به اذا نظر اليهم الانسان تتحرك شهوته قال الخادم هذا صنعوه هكذا المخدومى حتى اذا نظر الى ما يفعله هولاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع أيدى بعضهم على أعجاز بعض تتحرك شهوته سريعاً فيبادر الى مجامعة من يحب قال وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التى رأيت هى مخصوصة بهذا الفعل اذا أراد الملك هرون أن يجتمع بأحد من مماليكه أو خدمه الحسن أو جواريه أو نسائه فى الحمام ما يجتمع به الا فى هذه الخلوة فانه لما يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة فى الحائط ومجسمة بين يديه يرى كل واحد منهما صاحبه على هذه الصفة ورأيت فى صدر الخلوة حوضاً رخاماً مزلماً وعليه مركب فى صدره أنبوب من ذهب يفتح ويغلق بلولب يدار وفوقه أنبوب آخر مثله برسم الماء الحار وفوقه أنبوب آخر برسم الماء البارد والأنبوب الاول برسم الماء الفاتر وعن يمين الحوض ويساره عمودان صغيران منحوتان من البلور يوضع عليهما مباحر الند والعود ورأيتها خلوة شديدة الاضاءة مفرحة بديعة قد أنفق عليها أموال كثيرة وسألت الخادم عن هذه الحيطان المشرقة المضبئة من أى شىء صنعت فقال ما أعلم فما رأيت فى عمري ولا سمعت بأحسن من هذه الخلوة ولا أحسن من هذه الحمام مع أننى ما أحسن أصفها كما رأيتها فانه لم تتكرر رؤيتى لها ولا اتفق لى الظفر بصناعتها ومباشرتها وفى الذى ذكرت كفاية. انتهى كلام الحكيم بدر الدين حسن بن زفر الاربلى ومن خطه نقلت هذه الفوائد:

وقال بعضهم فيه ملغزا:

ومنزّل أقوام اذا ما تقابلوا	تشابه فيه وغده ورئيسه
تنفس كبرى اذ تنفس كربه	ويعظم أنسى اذ يقل أنيسه
اذا ما أعرت الجوّ طرفنا تكاثرت	على من به أقماره وشموسه

وقال العفيف التلمسانى:

ممرنا بحمام كأننا نحجه	وقد عمدت منا المآزر نحرم
فلما حللنا منه صدرا كأنما	غدت فيه نيران الصبابة تضرم
بكت منه أجفان الاناييب بيننا	كأننا له اللوام وهو المتبم

وقال محاسن الشواء الحلبي:

شدوا المآزر فوق كشبان النقا  
وتجرّدوا فرأيت بان معاطف  
ويدوا فأطلع كل وجه منهم  
وتضوّع الحمام مسكا عندما  
من كل أهيف حل عقدة بنده

وقال جمال الدين يوسف الصوفي فى ملبح تركى دخل الحمام ويخ ماء ورد:

ولم أنسه لما تعرّى ثيابه  
ولما أفاض الماء فوق قوامه  
رأيت هلالا تحته غصن فضة  
أنا بما ورد ذكى فببخه  
فقلت أظى الترك قد فاح مسكه

دخل ابن بقى الحمام وفيه الطليطلى الاعمى فقال له ابن بقى أجز:

حمامنا كزمان القيط محترم  
فأجازه بقوله:

ضدان نعم جسم المرء بينهما  
وقال ابن رشيق:

ولم أدخل الحمام ساعة بينهم  
ولكن لتجرى عبرتى مطمئنة  
أخذه صدر الدين بن الوكيل فقال:

ولم أدخل الحمام من أجل لذة  
ولكننى لم يكفى فيض مقلتى

وأشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الورع الزاهد الثقة شمس الدين محمد بن سمنديار

الذهبي مضمنا:

لم أبغ بالحمام طيب تنعم  
نبيكيت فيه أسى بجسمى كله  
أفنى البكاء دموع عيني أجمعا  
حتى كأن لكل عرق مدمعا

وأشدنى سيدى ومولاي القاضى صدر الدين بن الآدمى فسح الله فى أجله:  
 ان حمامنا التى نحن فيها      أى مـاء بها وأية نار  
 قد نزلنا بها على ابن معين      وروينا عنه صحيح البخارى  
 كتب الشيخ صلاح الدين الصفدى فى حواشى المقامات عند ذكر ابن سكرة وذكر  
 كافاته هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمى من ولد على بن المهدي قال  
 دخلت يوما إلى حمام وخرجت وقد سرق مداسى فعدت إلى دارى حافيا وأنا أقول:  
 اليك أذم حمام ابن موسى      وان فاق المنا طببا وحرأ  
 تكاثرت اللصوص عليه حتى      ليحفى من يطيف به ويعمرى  
 ولم أفقد به ثوبا ولكن      دخلت محمدا وخرجت بشرا  
 نادرة: اتفق ان اثنين سبحا فى نهر فلما خرجا صفع أحدهما صاحبه فقال له بعض  
 الحاضرين اين فلوس الحمام فقال أنزلتها فى القرعة.

وقال النصير الحمامى:

لى منزل معروفه      ينهل جودا كالسحب  
 أقبل ذا العذرة به      وأكرم الجار الجنب  
 ووعده السراج الوراق وتأخر فقال:

وكدرت حمامى بغيبتك التى      تكدر من لذتها صفو مشربى  
 فما كان صدر الحوش منسرحا به      ولا كان قلب الماء فيه بطيب  
 وقال:

ومذ لزم الحمام صرت فتى      لطف يدارى من لا يداريه  
 أعرف حر الاشيا وباردها      وأخذ الماء من مجاربه  
 وقال يستدعى:

من الرأى عندى أن تواصل خلوة      لها كبد حرا وفيض عيون  
 تراعى نجوما فيك من نار قلبها      وتبكى بدمع فائض كحزين  
 غدا قلبها صبا عليك وانت ان      تأخرت أضحى فى حياض منون

وقال صدر الدين بن عبد الحق الحنفى رحمه الله تعالى:

وجنة لا تنطفى نارها      ندخلها وهى لنا مقصيه  
 نعيمنا فيها بلا طاعة      عذابنا فيها بلا معصيه

وقال أيضا:

تقطع أكبادنا بالظما  
وان يستغيثوا يغاثوا بما

جهنم حمامكم نارها  
وفيهما عصاة لهم ضجة

وقال شهاب الدين بن فضل الله:

دحج اليها حفاة عراه  
كتاب الطهارة باب المياه

وحمامنا كعبة للوفو  
يكرر صوت أنابيسبه

وقال الشهاب محمود مضمنا:

يا مالكي لتسر خلا مشفقا  
شدوا المآزر فوق كشبان النقا

قل لى عن الحمام كيف دخلته  
أدخلته وأولئك الاقوام قد

وقال محيى الدين بن تميم مضمنا:

أعطافه ولجسمه لالأ  
سال النضار بها وقام الماء

لو كنت فى الحمام والحننا على  
لرأيت ما يسببك منه بقامة

وقال مضمنا:

من فوق أبيض كالهلال المسفر  
قد أثقلته حمولة من عنبر

عاينت فى الحمام أسود واثبا  
فكأنما هو زورق من فضة

وقال جمال الدين بن نباتة مضمنا:

روادف غييد ما سناها بغائب  
بياض العطايا فى سواد المطالب

تأملت فى الحمام تحت مآزر  
كأنى من هذى وهاذيك ناظر

وقال آخر فى تعجيل الخروج منها:

قبل ان يأخذ منك  
حدت الحمام عنك

خذ من الحمام واخرج  
حدثن عنه والا

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة فى المفاضلة بين حمامات مصر وحمامات الشام:

تسمى لى كلمتين  
فأنت دون القلتين

أحواض حمامات شام  
لا تذكرى أحواض مصر

وأشدنى من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلى معاكسا للشيخ جمال الدين:

ولا تتكبرى عندى بمين  
وأطهر وهى دون القلتين

إليك حياض حمامات مصر  
حياض الشام احلى منك ماء

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

ولم أنسه كالغصن بمطره الحيا  
ويلثم بالمنديل أبيض سادجا  
وله:

دعاني صديق لحمامه  
فشر مزيد وماء قليل

وقال زين الدين بن الوردي:

وما أشبه الحمام بالموت لامرء  
يجرد من أهل ومال وملبس  
وقال ابن وزير يشبه الماء على الرخام:

لله يوم بحمام نعمت به  
كأنه فوق شقات الرخام ضحى

فقال ابن الوردي يهجو:

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له  
أقام يجهد أياما قريحته

وقال المعمار أيضا:

فى صاحب الحمام ابرى قال لى  
لا يشتفى ابر عليه طهارة

قال ابن وزير مثل قول الآخر:

كأننا والماء من حولنا

وقال إبراهيم المعمار فى المجون:

عابت ابرى اذ جاء ملتثما  
بل قال لى حين نكته قسما

كيف وفبه طهارتى وبه

وقال شيخ الشيوخ بحماه:

وقيم كلمت جسمى أنامله  
ان أمسك اليد منى كاد يخلعها

فليس يمسك امساكا بمعرفة

على اثر حمام ويعطفه الصبا  
فصار بضوء الخد أحمر مذهبا

فأوقمنى فى العذاب الاليم  
فبئس الصديق وبئس الحميم

يذكر لكن أين من يتذكر  
ويصحبه من كل ذلك منزر

والماء من حوضه ما بيننا جارى  
ماء يسيل على أبواب قصار

فكاد يحرقه من فرط اذكاء  
وفسر الماء بعد الجهد بالماء

أيلوم فى حبى له وملاى  
الابقلب الماء فى الحمام

قوم جلوس حولهم ماء

من عقله بالخرا فما اكثرنا  
ما جزت حمام قعره عبثا

أقلب مائى وأرفع الحدثا

من غير السنة تكليم خرصان  
أو سرح الشعر أنكانى وأبكانى

ولا يسرح تسريحها باحسان

وأششدنى الجناب المخدومى بن مكانس للشيخ بدر الدين بن الصاحب:

وقيم قسيم فى حسن صنعته      حاز الجمال على لطف من الترف  
لو يخدم البدر أنقى البدر من كلف      لكنه لم يزل ما بى من الكلف

وقال شهاب الدين بن العطار فى بلان يدعى موسى:

هيماً بالان موسى      خلوة تحيى النفوسا  
قلت ما أصنع فيها      قال تستعمل موسى

وعلى ذكر موسى ذكرت واقعة لطيفة اتفقت لركن الدين الوهرانى وهى أنه لما قدم إلى القاهرة المعزية مدح الامير عز الدين موسك بن حكو الهدبانى خال صلاح الدين يوسف بن أيوب فأمر له بشيء لم يرضه فحضر مجلسه يوماً وفيه حفل كثير من الناس فقالوا يا مولانا احتجت إلى أن أحلق رأسى هذه الساعة وأنه الأمر إلى بعض الجمدارية أن يحضر الساعة ليحلقه لى بحضرتك فكاد الامير أن يأذن له فى ذلك ثم فهم مقصده فقال لبعض مماليكه أعطه مائة دينار وقل له خذ هذه واحلق رأسك فى الحمام فأخذها ومضى شاكرًا فقال له بعض الحاضرين يا مولانا ما معنى هذه الحركة فقال أنه أراد إذا حلقه يقول يا مهتار موسك ردىء فيثمتنا فى وجوهنا.

ولا بأس بايراد نبذة مما قيل فى المشط إذا كان من لوازم الحمام وقال شرف الدين بن الحلوى وقد طلب منه ثلاث أبيات تكتب على مشط برسم سلطان حلب الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى:

حللت من الملك العزيز براحة      غدا لثمها عندى أجل الفرائض  
وأصبحت مفتر الثايبا لانى      حللت بكف بحرهما غير غائض  
وقبلت سامى خده بعد كفه      فلم أخل فى الحالين من لثم عارض

وللشيخ بهاء الدين الموصلى ولد الشيخ عز الدين ملغزا فيه من أبيات

ظننتم تصحيح مقلوبه يخ      فى وليس الظن بالكاذب

قلت: ورد على من سيدنا ومولانا أفضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى رحمه الله كتاب من مكة المعظمة المشرفة بتاريخ تاسع عشر المحرم سنة احدى وثمان مائة وفيه أنه اجتمع بمكة بالقاضى شهاب الدين بن حجر رحمه الله

ووجد صحبته شخصا يقال له ابن المرجاني وذكر القاضي شهاب الدين ان المشار إليه كان رفيقا له من اليمن إلى مكة المشرفة وأنشدنا له:

يا اماما سألته حل لغز  
شاطط عن مزار أهل الذكاء  
اهمل الثلث باعتناء وقلب  
تره جاء قائب الشعمراء  
وذكر لي القاضي بدر الدين في مشرفته أنه من الالغاز الصعبة فينبغي أن تقع الفكرة في حله.

قلت: اشتغلت الفكرة في حله فاذا هو لغز في مشط فتأمله ولقد أجاد قائله.  
قال السراج الوراق ملغزا:

وبيضاء قد عانقتها وضممتها  
ولا قبح في جهري بهذا واسراري  
على أنه لا عار فيها محقق  
وما سلمت والله قط من العاري  
وقال بعض المتأخرين:

الارب حمام بدا لي حميمه  
فظاهره ماء وباطنه نار  
كاخوان هذا العصر من تلق منهم  
فللوّد اعلان وللحقد اسرار

وكتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يستدعي إلى حمام هل لك أطال الله بقاءك في المشاركة في جمع بين ماء ونار وأنواء وأنوار وزهر وأزهار قد زال فيه الاحتشام فكل عار ولا عار نجم سمائه لا يعتره أقول وناجم رخامه لا يعتره ذبول تتنافس العناصر على بلوغ مآريه فأرسل البحر ماء جسده من زبده لتقيل أخمصه اذ قصرت همته عن تقبيل يده ولم ير التراب له في هذه الخدمة مدخلا فتطفل وجاء وما علم أن التسريح لمن جاء متطفلا وأعلمت النار ضدها الماء فدخّل وهو حر الانفاس وغلت من أجله فلاجل ذلك داخله من صوب تشاكله الوسواس ورأى الهواء أنه قصر عن مطاولة هذه النار فأمسك متهيا ينظر من وراء زجاجة إلى تلك الدار ثم إن الأشجار رأت أن لا شائبة لها في هذه الخطوة ولا مساهمة في تلك الخطوة فارسلت من الأمشاط أكفا أحست بما يدعو اليه الفرق ومرّت في سواد العذار الفاحم كما يمر البرق وذلك بيد قيم قيم بحقوق الخدمة عارف بما يعامل به أهل النعيم أهل النعمة خفيف اليد مع الأمانة موصوف بالمهابة عند أهل تلك المهانة لطف أخلاقا حتى كأنها أعنان بين جحظة والرمان وحسن صنعة فلايمسك يدا الا بمعروف ولا يسرح تسريحا الا باحسان أبدا يرى مع طهارته وهو ذو صلف ويشاهد مزيفا لكل أذى حتى

لو خدم البدر لأزال ما بوجهه من الكلف بيده موسى كأنها صباح تنسخ ظلاما أو نسيم ينفض عن الزهر كما ما إذا أخذ صابونة أفهم من يخدمه ما يمر على جسده أنه بحر عجاج وأنه يبدو منه زيد الاعكان التى هى أحسن من الأمواج فهلم إلى هذه اللذة ولا تعد الحمام دعوة أهل الحراف فربما كانت هذه بين تلك الدعوات فذة.

وكتب فى محضر قيم حمام الصوفية يقول العبد الفقير إلى الله تعالى فلان أن أبا الحجاج يوسف ما زال لاهل الصلاح حميماً وله جودة ذهن يستحق بها أن يدعى قيما كم له عند كل جسد من صباح من جسيم وكم أقبل مستعملوه ﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾<sup>(١)</sup> كم تجرد مع شيخ صالح فى خلوة وكم قال ولى الله يا بشرى لأنه يوسف حين أدلى فى حوضه دلوه كم خدم من الصلحاء والعلماء انسانا وكم أذخر ببركتهم لنديا وأخرى فحصل من كل منهم شفيعين عريانا ومؤتزا كم حرمة خدمة له عند أكابر الناس وكم له يد عند جسد ومنه على رأس كم شكرته أبشار البشر وكم حك رجل رجل صالح فحقق أن السعادة لتلحظ الحجر قد ميز بخدمة الفضلاء أهله وقبيله وشكر على ما يعاب به غيره من طول الفتيلة تمتع الاجساد من تنظفه لحمامه بظل ممدود وماء مسكوب ويكاد كثرة ما يخرج من المياه أن يكون كالرمح أنبوا على أنبوب كم رأس أنشدت موساه:

ولو أن لى فى كل منبت شعرة لسانا يث الشوق كنت مقصرا  
وكتب الشيخ جمال الدين بن نباتة إلى ابن معبد وكان متولى دمشق يشكو من حمام سرق فيها شاشه يقبل الأرض مستجيرا بهذا البيت الذى لا يذل جاره مستغنيا بكرمه الذى ملأت الاقطار أخباره فما عبر المملوك فى عمره أحر من هذه الحمام ولا نكس فى رأسه العلية مثل هذه الأيام فياللعواطف العربية وياللمراحم النفوس الابية فوالله لقد خف رأس المملوك من الجهتين عقله وشاشه ولقد تعوض من تاج عمته العربية مخدة فراشه ولقد أخذت منه هذه الحمام المتلفة ولقد نشفته بالمناشف فبئس الحمام والمنشفة وهذا وقت اغائة الملهوف والرغبة فى اسداء المعروف لا قطع الله عن أرواح المضطرين ترويح هباته ولا عطل من منته المتظمة أجياد صفاته بمنه وكرمه \* وكتب الشيخ برهان الدين القيراطى وقد استدعى إلى الحمام:

قد أجبنا وأنت أيضا فصحت      بتلافيك سالف وسلاف  
ويساق نسي العقول بساق      وقوام وفق العناق خلاف

يقبل الأرض وينهى ان المملوك ما خرج عن الاهتمام لدخول الحمام فإنه متشوق لما لمولانا تشوق إليه وموجه وجه فكرته عليه وكيف يمكن الوقوع فى الخلاف والميل إلى الاخلاف:

وحمامكم كعربة للوفود      تحج إليها حفاة عراه  
يكرر صوت أنايبها      كتاب الطهارة باب المياه

فلا عدت التنبيه من مولانا على هذا المنهاج ولا فقدت آداب ألفاظه الممدوحة التى ما لها منهاج ولا حرمت عند الحمام هذا النصير ولا عاقنى عند ارادة التخليق بمطالها تقصير ولا زلت أمحو بها أية ليل الشعر وأخلع بها بعد ثياب البدن ثياب الوضر وأتعمم بها حسنا لها من جامها فى كل ناحية من وجهها قمر ولا يخفى أن الرأس تروى الآن عن الاشعث بن أبى الشعثاء أخباره والجسد كأنما كانت على أب وزير المعتصم أظماره فالأولى أن يلتقى ويعتاض عنها بما هو أبقى ومولانا أجل ساع فى إسداء المعروف وأفعال بر أعيذها بالاسماء الحسنى ما اشتملت عليه من الحروف لا زال بحر احسانه الطهور سالما من الخوض وخزائن فضائل الجملة محروسة الجناب بجاه صاحب الحوض.

فصل: فيما ورد فى ذمها قال الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بشس البيت الحمام تكشف فيه العورات وترتفع فيه الأصوات ولا يقرأ فيه آية من كتاب الله، ودخل بعض الامراء مع الرقاشى الحمام فقال ذمه فقال يهتك الاسرار ويؤلف الاقدار ويذهب الوقار، فقال امدحه فقال يذهب القشافة ويعقب النظافة ويفش التخمة ويطيب النغمة.

قيل ويكره الحمام بين العشاءين وقريب من المغرب قال الزمخشري ويكره أن يعطى الرجل امرأته أجره الحمام لأنه يكون معينا لها على المكروه وقال أيضا الحزم ترك الحمام اذ لا يخلو من عورة مكشوفة ولا سيما من تحت السرة إلى العانة.

ومن آدابه أنه إذا دخله رفع رجله اليسرى عند الدخول وقال **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** أعوذ بالله من الرجس والنجس والخبيث المخبث من الشيطان الرجيم وذكر السمعانى فى كتاب الحمام عن مجاهد عن على أنه كان يغتسل من مس الابط والحجامة وماء الحمام، ويسنده إلى فرقد السبخى أنه قال ما دخل نبي حماما قط ولا أكل ثوما ولا بصلا ولا كراثا.

الوصف قال بعضهم:

وحمام سوء وخيم الهواء      قليل المياه كثير الزحام  
فما للقيام به من قعود      ولا للعود به من قيام  
حنياته عطفات القسى      وقطراته صائبات السهام

وقال شعرا:

حماننا من ضيقها تشتكى  
فهي لظى نزاعة للشوا

وقال ابن شرف القرواني:

كأنما حمامكم فقحة الند  
كأنني في وسطها فيثمة

وقال ابن رشيق:

وأنت أيضا أعور أصلع

كأنها صدر وقد أخرجوه  
وماؤها كالمهل يشوى الوجوه

تن والظلمة والضيق  
ألوطها والعرق الريق

فصادف التشبيه تحقيق

## الباب السابع والعشرون في النار والطباخ والقدر

النار مؤنثة من ذوات الواو لأن تصغيرها نويرة والجمع نور وانوار ونيران انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وليس في الأرض شجرة إلا وتقدح منها النار إلا العناب، وهي على أنواع عند العرب نار القرى وهي أعظم النيران ونار السلامة توقد للمسافر إذا قدم سالما غانما، ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم إذا لم يجبوا الزائر والمسافر أن يرجع أوقدوا خلفه نارا وقالوا أبعد الله وأسحقه ونار الحرب يوقدونها على مكان عال لمن بعد عنهم ونار الصيد يوقدونها للطبائخ فتغشى أبصارهم ونار الاسد كانوا يوقدونها إذا خافوه لأنه إذا رآها حدق إليها وتأملها ولم يستطع الهجوم على ما حولها ونار الحلف لا يعقدون إلا عليها يطرحون فيها الملح والكبريت فإذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك ونار الغدر كانوا إذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له نارا بمنى أيام الحج وقالوا هذه غدرة فلان ونار الفداء كانت ملوكهم إذا سبوا قبيلة وطلب منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا لثلا يفتضحن ونار الوسم التي يسمون بها الابل لتعرف ابل الملوك فترد الماء أولا ونار الحرثين كانت ببلاد عبس تسطع من الحمرة بالليل فبعث الله خالد بن سنان وهو أول نبي بعث من ولد إسماعيل وقد قدمت ابنته على النبي ﷺ فبسط لها رداءه وقال بنت نبي ضيعه قومه فحفر لتلك النار بثرا فأدخلها فيها والناس ينظرون ثم اقتحم فيها حتى غيبها وخرج منها، وقد بالغ مهيار الديلمي في وصف نار القرى:

ضربوا بمدرجة الطريق خيامهم  
يتقارعون على قرى الضيفان  
ويكاد موقدهم بجود بنفسه  
حب القرى حطبا على النيران

وقال أبو طاهر البغدادي:

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها  
من معشر نشروا على هام الربا  
للطارقين ذوائب النيران

وقال صردر:

قوم إذا حى الضيوف جفانهم  
ردت عليهم ألسن النيران

وقال ابن سنا الملك:

لنيرانه فى الحى أى تحرق على الضيف ان أبطأ وأى تلهب

وأين هؤلاء القوم الكرام من الذين يقول فيهم الاخطل:

قوم إذا استبح الاضياف كلبهم قالوا لامهم بولى على النار

فتحبس البول شحا أن تجود به فما تبول لهم إلا بمقدار

لا يخفى ما فى هذا البيت الأول من المعائب وقد ولع الادباء بحلها وما فيها من

المعاني وقال مجير الدين بن تميم:

وكانما النار التى قد أوقدت ما بيننا ولهيبها يتضرم

سوداء أحرق قلبها ولسانها بشفاة للحاضرين تكلم

وقال آخر:

انظر إلى النار وهى مضرمة وجمرها بالرماد مستور

شبه دم من فواخت ذبحت وفوقه ريشهن مشور

وقال آخر:

كانون يطفى برده كانونا ما بين سادات كرام حذق

بأراقم حمر البطون ظهورها سود ينضض باللسان الأزرق

وقال ظافر الحداد:

تأمل نفسى الكانون أعجب منظر إذا سرحت فى فحمة جمرة النار

كما ميل الزق المروق ساكب فدب احمرار الخمر فى قلى القار

وقال آخر:

كان كانونا سماء والجمر فى وسطه نجوم

ونحن جن بجانبيه والشرر الطائر الرجوم

وقال آخر:

كانما دخاننا اذ بدا لعين من ينظره من قريب

ذوائب من غادة سرحت وقد بدا فيها بياض المشيب

وقال آخر:

كانما النار فى تلهبها والفحم من فوقها يلظيها

زنجبية شبكت أصابعها من فوق نارنجة تغطيها

وقال آخر:

إذا النار مست جلده فتلوتنا  
بمنيته لما تأود أغصنا  
وأثمر عنابا وأورق سوسنا

كان نضيد الفحم فوق شراره  
يذكر أيام السحاب التى جرت  
فأنبت منها الأبنوس بنفسجا

وقال الشيخ صفى الدين الحلى:

يحشو التراب على كانونه الخرب  
جاءت بفالكم حمالة الحطب

البحترى منذ ما فارقتموه غدا  
لو شئتم أنه يضحى أبا لهب

وقال ظافر الحداد:

وقد جمعا فاستحسن الضدّ بالضدّ  
على خفر من تحتها حمرة الخد  
فصوص عقيق أو جنى زهر الورد  
غبارا من الكافور فى قطع الند

كان سواد الفحم من فوق جمره  
غدائر خود فرقتها وقد غدت  
فلما تناهى صبغه خلت أنه  
إلى أن حكى بعد الخمود رماده

كتب النصير الحمامى ملغزا إلى السراج الوراق:

له طلعة تغنى عن الشمس والقمر  
وليس له سبم و ليس له بصر  
ويسخر يوم الحرب بالصارم الذكر  
وأعجب من ذا أن ذاك من الشجر  
وإلا فتم عنها ونبه لها عمر

وما اسم ثلاثى به النفع والضرر  
وليس له وجه وليس له قفا  
يمد لسانا يخشى الرمح بأسه  
يموت إذا ما قمت تسقيه قاصدا  
أيا سامع الايبات دونك حلها

ومن التغزلات اللطيفة بذكر النار قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ:

فظل فى الليل مثل النجم حيرانا  
فقال انى استعرت اليوم نيرانا

قد أودعوا القلب لما ودّعوا حرقا  
راودته يستعير الصبر بعدهم

قال علاء الدين الوداعى:

نارا تؤججها يد التذكار  
وكذا يكون بكاء أهل النار

يا مودعا بوداعه فى مهجتي  
أبكيت طرفى بعد ادمعه دما

قال صفى الدين الحلى:

نارا تؤججها يد التذكار  
ففيه وكل مصوّر فى النار

لا غرو أن يصلى الفؤاد ببعديكم  
قلبي إذا غبتم يصوّر شخصيكم

وأشددنى الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه:

يا مقلة الحب مهلا      فـقـد أخذت بـشـارك  
وأنت يا وجتـيـه      لا تحسرقـسـينى بـنـارك

وكتب الشيخ جمال الدين بن نباتة مع منقل أهدها ونهى أنه تهجم ونقل منقلا لطيف الصنعة جليلا إذا تأمل نفعه إذا هبت الشرر فى ليل فحمه ولعبت يد الرياح بأزاهر ضمره فكأنه معدن ياقوت أحمر أو نبت جلنار بزهر يروق البصائر والابصار والا يكن فيه على الحقيقة جلنار ففيه جلنار طالما جدت معاشرته ولذت فى الليالى الشتوية مسامرته وأطلع من أفقه نجوما سعيدة القران وتلا على الريح والثلج يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران<sup>(١)</sup> والرأى أعلا فى قبول اهدائه والله يجعل ما فى قلبه فى قلوب أعدائه، قرأت فى كتاب روضة المجلس ونزهة الانيس تأليف الفاضل بدر الدين حسن بن زفر المتطبب الاربلى حكى عن سليمان بن محمد المهدي الصقلى قال كان بسوسة افريقية رجل نبه شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها وقد اشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فبينما هو ذات ليلة منفرد بشرب الخمر وحده غلب عليه السكر وذكر معشوقه وأجرى بخاطره ما كان يفعله به من التجنى فقام من حينه فأخذ قيس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق عليه داره فلما دارت النار بالباب بادر باطفائها وقبضوا عليه واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به إلى القاضى وأعملوه بفعله فقال له القاضى لاي شىء احرقت باب هذا الغلام فأنشأ يقول:

لما تمادى على بعادى      وأضرم النار فى فؤادى  
ولم أجـد من هواه بدا      ولا معينا على السهاد  
حملت نفسى على وقوفى      ببابه حملة الجواد  
قطار من بعض نار قلبى      أقل فى الوصف من رقادى  
فأحرق الباب دون علمى      ولم يكن ذاك من مرادى

قال فاستظرف القاضى واقعته وشعره ورحمه وتحمل عنه ما أفسده من باب الغلام وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة فى وصف حصار بالنار فما كان إلا ريشما ابتسمت لهم النار عن الموت العابس وعاملتهم من اعجال وقودها باليابس وجاءت بما ينضج ملابس الجلود وجلود الملابس وعاجلتهم من منفعة الغوث قبل العطب وأصلتهم نارا تبت بها

(١) الآية: ٣٥ من سورة الرحمن.

أيدى الابراج حمالة الحطب وإذا بأبدان البدنات القائمة قد قعدت والابراج لتلاوة الحرب قد سجدت فهناك هجمها المسلمون هجوم الليث الكرار وقطعت السنة السيوف المجادلة حجج رقاب الكفار وقال القاضى الفاضل فى مثله فولجت النار موالح تضيق عنها الفكر ويعجز عنها الابر وخولف المثل فى أن السعادة لتلحظ الحجر وأغنى ضوء نهارها سؤال كل أمة أن تسأل هذا وذاك ما الخبر إلى أن بدا ضوء الصباح وكأنه منها امتاز وانشق الشرق فكأنه من عصفرها صبغ الازار إلى أن سرى ذا النقوب إلى المقاتل ودب سكرها بين المفاصل وغدت الجدران قائمة والبلا سار فى أعقابها متجلدة والنار تحت ثيابها وقال أيضا وقد أحتمته إلى أن أحرقتة وصرح الشرك وقد خاضته إلى أن أغرقته وأن الخندق بركة والبرج لها فؤارة وأن الله أعد للعدو نارا فى الآخرة وأحرقهم فى الدنيا بشراره وأن العدو تحصن من البرج بكثيب بنفسج أحرقه الله بجلنار وقال سيدى تقى الدين بن حجة فى حريق دمشق هذا وكم مؤمن قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلمما دعاه قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاضطبار ﴿ويا قوم ما لى ادعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار﴾<sup>(١)</sup> وقال ابن سناء الملك:

يا فالق الصبح من لالاء غرته وجاعل الليل من أصداغه سكنا

لا غرو ان أحرقت نار الهوى كبدى فالنار حقا على من يعبد الوثنا

القول على الطباخ وينبغى أن يكون عند الرئيس والملك طباخ حاذق إذا لم يشته طعاما صنع له ما يشتهيه وقيل كل طعام أعيد إلى القدر فهو فاسد وكل غناء خرج من تحت السبال فهو بارد قال بعضهم كنت جالسا عند بعض ولاية الطوف وقد جاءه الغلمان برجلين فقال لاحدهما من أبوك فقال:

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره وان نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا إلى باب داره فهم قيام حولها وقعود

فقال ما كان أبو هذا إلا كريما ثم قال للأخر من أبوك فقال:

أنا ابن من ذلت الرقاب له ما بين مخزومها وهاشمها

خاضعة أذعنت لطاعته يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما كان أبو هذا إلا شجاعا وأطلقهما فلما انصرفا قلت للوالى أما الأول

فكان أبوه يبيع الباقلى المصلوقة وأما الثانى فكان أبوه حجاما فقال الوالى:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا  
يغنيك مضمونه عن النسب  
ان الفتى من يقول ها أنا ذا  
ليس الفتى من يقول كان أبى

قلت: وأنشدنى سيدنا ومولانا القاضى شهاب الدين بن حجر رحمه الله للشيخ بدر  
الدين بن الصاحب فى مליح يطوف بالقول:

أنا ابن الذى فى الليل تسطع ناره  
يدور بأقداح العوافى على الورى  
قال محمد بن العفيف فى مليح طباخ:

رب طبـاخ مـليـح  
مـالكـى أصـبـح لـكن  
وقال الصفدى:

كفى بطباخ تملك مهجتي  
وكأنما أنا منصب قدامه  
وقال المعمار

كفى بطباخ تنوع حسنه  
لكن مخافى من جفاه وكم غدت  
وقال أيضا مواليا:

هويت طباخًا بالصباحة أخدميه  
ولو أطراف نواعم بيض زبديه

وقال بعضهم ما على الشيخ المسن أضر من أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء  
لأنه يكثر من الطعام فيسقم ومن النكاح فيهرم وقال إبراهيم المعمار:

وطباخ بمنصبه افتخار  
أياديه على الاخوان مدت  
وكم آمنوا به من خوف جوع  
وقدر قد علا فى الناس وانى  
وكم قلب له بالود صافى  
سيعطى الامن فى يوم المخاف

دخل ابن الفضل الشاعر يوما على الوزير ابن هبيرة وكان عنده نقيب الاشراف وكان  
مبجلا وكان ذلك فى يوم شديد الحر من شهر رمضان فقال له الوزير أين كنت فقال فى

مطبخ سيدى النقيب فقال له ويحك ايش عملت فى شهر رمضان فى المطبخ فقال كسرت  
الحر فيه يا مولانا فتبسم وخجل النقيب الفرزدق:

وقد علم الجيران أن قدورنا  
ترى حولهن المعتقين كأنهم  
وقال أمية بن أبى الصلت:

وكأنهن بما سافنائه  
وكأنهن بما ساجن  
وقال الفرزدق يهجو:

لو أن قدرا بكت من طول ما حبست  
ما مسها دسم مذ نض مدمعها  
على الجفون بكت قدر ابن عمار  
ولا رأت بعد نار القين من نار



## الباب الثامن والعشرون في الأسماك واللحوم والجزور

كتب الوزير المرحوم فخر الدين عبد الرحمن بن مكناس إلى الشيخ بدر الدين البشتكي رحمه الله وقد كانوا بمجلس أنس بشاطئ الروضة في أيام وفاء النيل السعيد فاتفق أن الشيخ بدر الدين صاد حوتا عظيما بالصنارة يداعبه بلغنى رفع الله قدرك على السماك وأعلى محللك وأسماك وأجرى بسعدك وأمرك في نهر السماء وبحور الأرض الافلاك ولا زالت هم نظمك البدرية ونترك تعلق على النثرة وفتكات عزماتك الماركية تسمو إلى صيد نسر السماء من وكره وحوتها من المجرة ولا برحت تصرف حروف المحاسن فتخدمك من كل محجر عين ومن كل جانب نون ولا فتت تجمع شمل المعالي إلى أن يفترق الفرقدان ويلتقى الضب والنون ويغدو سهيل في السماء مصادف الثريا ويصبو الحوت للسرطان أن مولانا مع جماله خلافا للمعز ألقى السابح في لجه وراع كل حوت حتى حوت الأرض في تخومه وحوت السماء في برجه وجاور ذوات البحر فكان لها بنس الجار يطعمه الذي أقامه عليهم في الحيلة مقام بنجه وأنه شد وسطه للصيد وكان من الحزم وأرسل آلة صيده إلى الاسود والاحمر من أمم البحار فعادت عود أولى العزم فعد بعد ذلك مولانا للصيد بالمرصاد واطاعته حروف النص فكلما تلا لسان البحر نونا تلا لسان العزم صاد (مفرد).

وهي السعادة في السماء فلو تشا لظعننت منها رامحا بالاعزل

فمن ذلك صيد الحوت الذي قدم من أقصى النيل فيا له من سفر بعيد وفارق وطنه وورد مع التيار السريع في البحر المديد فأوى إلى الشط طالبا غداه اذ لقي من سفره هذا نصبا وركن إلى البر فليته لو عقل «فاتخذ سبيله في البحر سربا»<sup>(١)</sup> ولم يعلم أن سيدنا وضع الحبل وجعله لصيده معنى وصورة سببا فاخترمته يد المنية باعوجاج الصنارة التي نصبها لدواب البحر فحا للقهر والضعيفة التي تعامل أقوياء الاسماك في أعظم البحور السائلة بالنهر كأن هذا المسكين من صالح الاسماك الذي أفنى الايام سبحا طويلا نساح

(١) الآية: ٦١ من سورة الكهف.

وأتى يقبل جدارا حل فيه قدم مولانا وبركته مجازاة فجازاه التمساح أو كأنه لجأ إلى البر هربا من عوارض الامواج وآمن بمجاورته فأخذ من مأمته وخاب أمله من لاج فسيح بعد بحار الامن من بحار المنون في لجاج وقالت له الحيتان إذا أعماك القضاء عن رشك حدث عن البحر ولا حرج وكان ظنه أن عومه في الشط ينجيه فكان حثفه في ذلك العوم وعلى الجملة فقد آن أجله ولو آوى إلى جبل لقليل لا عاصم اليوم فأتت به حوتا يلوح بياضه بين هضباب الموج كالبدر من سحج الغمام وتبدو عليه مهابة تشعر أنه من نسل حوت يونس عليه السلام فأعبد هذا الحوت بالنون وصائده الكاتب الاديب بالقلم وما يسطرون فلقد ظفر بما لا ظفر به الحواريون في شباكهم المشبكة ووقع له ما لو وقع لابن صياد لتناول عجا وانتفخ حتى ملأ الشبكة وحصل به للجماعة من السرور ما يحصل بوفاء النيل وشاهدوا من جزله العظيمة كل خير جزيل ومنحوا من سنه وعظمه بالجواهر النقى وأنياب الفيل وأرخصوه للقرى بعد أن أمسى في القدر يغلى وقلوه فطاب مأكلا وان كان مما لا يقلى ونوعوه محلى وحامضا فالمحلى جعلوه نقلا على الكتوس حين تجلى وفازوا على رأى ابن حزم وان لم يكن من أصحاب الراى بالمحلى والمجلى والحامض فقطعوا عند أكله بالذوق أن ذلك الحوت مر لا محالة وقال آخرون بل هو هالة لتناسب البدور والهالة وحملوا به الموائد وحكموا لصائده بالتقدم على الضفدع الاديب فى مصائد الشوارد وقدموه على ما عندهم من طرى وبيات وأكلوه من ساعته كيلا يندموا على فائت قائلين لا تؤخروه فللتأخير آفات ولا تبيتوه فكلما بات فات وبادروا طراوته لعلمهم أنه أطيّب ما يؤكل من السمك البورى الطرى واستطابوه ضرورة ولا خلاف أن صائد الحوت أكثر تلذذا بأكله من المشتري هذا وأما الاسماك بذلك الشاطى فقد نادى مناديهم بالرحيل وقال أديبهم للبنية مصحفا يا بنية ليس المقام هنا جميل فكم فرخ حوّل وكر أمه من هناك وشال وكم عصبية من السمك صرخت قاقا وقطعت الجبال وكم طائفة من رشادها فرت إلى البرور الخالية من العباد وكم طائفة تخلفت ووقعت فى الشباك فقيل ضلت عن سبيل الرشاد وكم طائفة أسرع إلى رءوس الجبال الحركية وكذبت العروضيين فى قولهم لم أر على ظهر جبل سمكة وكم سمكة قالت لفراخها امجروا ماءكم ومأواكم كما هجرت مأوى واخلوا هذه الديار وان أعشبت وابتغوا صائب الراى ومنهم من عمد إلى عمق البحر نجاه وسارت به سفينة عزمه فى موج كالجبال وكان سبب النجاة وتواصوا لما رأوا طفيان الماء أن لا يأووا

إلى البرور وتحققوا أنه الطوفان لما فار على أخيه المصاب التور وكم قاتل الحمد لله الذي قطع عنا أثر هذا النون العظيم وأزال عينه وقائلة سبحان من أراح ضعفاء السمك من هذا الجبار وفرق بينهم وبينه فشكرا إذا غدا مولانا شيخ البر والبحر وأضحى في نسكه ابن السمك وفي صدق حديثه أبا ذر وأمسى ضرع البلاغة مسخر له فإن جمع لغيره أو أبادر أحياء الله بدرا يشرق في سماء المعالي وتحلى أجياد الفصاحة من بحور نظمه ونشره بالجواهر والآلى وجمل به السماء كما جمل به الأرض ولا جعله كأدباء أهل هذا الزمان الذين هم كالأسماك يأكل بعضهم بالغيبة لحم بعض بمنه وكرمه والسمك بارد رطب يولد البلغم وينفع المحرورين ويضر بالمشايخ ودفع مضرته بالافواه الحارة والصعر والملح وصغاره بالخل نافع لأصحاب الامزجة الحارة ومن به يرقان وكبده حار والمالح منه حار يابس يولد السوداء ويضر بالمحرورين

**فصل في اللحوم:** عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد طعام أهل الدنيا والآخرة اللحم، وفي حديث آخر سيد الآدم في الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب في الدنيا والآخرة الماء، وقال صلى الله عليه وسلم اللحم يطيب النفس ويفرح القلب ويحسن الوجه ويشد العصب، وكان محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه عبلا رخص الأنامل يكاد الماء يجري بين جلده ولحمه فقال له أبو حنيفة ما غذاؤك قال ما أزيد على الخبز واللحم شيئا قال هذه الشحمة منهما تتعقد، ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء، وقالت الاطباء أحمد اللحمان ما خصى من الضأن وكان فتيا ولا خير فيما أسن ولحم الضأن نافع من المرة السوداء إلا أن الممرودين الذين يصرعون إذا أكلوه اشتد بهم ذلك ولحم المعز يورث الهم ويفسد ويحرك السوداء ويحدث النسيان ويحيل الاولاد، ولحم الدجاج الهرم أضر اللحمان وأغلظها وقال أبو حاتم قال خالد بن يزيد أطيب ابل لحوما الورق وأطيب البقر لحوما الصفر وأطيب الشياه لحوما الحمر وأطيب الدجاج لحوما السرد وأطيب الفراخ لحوما البيض، وقال عبد الله بن جعفر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أطيب اللحم لحم الظهر، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يقل غيظه فليأكل لحم الدراج، ولما حضرت الوفاة للحارث بن كلدة قيل له أوصنا بما نتفع به بعدك فقال لا تزوجوا من النساء إلا الشباب ولا تأكلوا من اللحم إلا الفتى ولا من الفواكه إلا ما نضج ولا يتداوين أحدكم بدواء ما احتمل بدنه الدواء وإذا تغذيتم فناموا قليلا وإذا تعشيتم فامشوا خطوات، وقال نعتيشوع للمأمون

أوصيك يا أمير المؤمنين أربعة أشياء: لا تأكل طعاما بين نبذين ولا تجامع على شبع إلى أن يخلو جوفك من الرياح والنجو ولا تأكل من لحم البقر فوالله إنى أمرُّ به فى الطريق فأعطى عيني وعين برذونى من شدة مضرته.

**نادوة:** قرأت فى كتاب ملح الكنايات ولمح التعريض والاشارات تأليف جمال الدين يوسف بن مرتفع بن الفقيه فتح الدين مجلد الكتب المعروف بنقائق ووجد الشريف محاسن عريف سوق الكتبيين فى دكانه يتغذى فدعاه للاكل فقال من أى شىء تأكل فقال شىء من لحم جمل صغير رأيت فاشتيت أن آكل منه فجلس وأكل معه فنظر إليهما الضياء موسى الناسخ فقال يا محاسن احذر أن يراك المحتسب فيؤذيك قال على م قال لأنك تحشى النقائق بلحم الجمل فاستحسن ذلك منه، وفى الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسى قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه.

**فصل:** كتب الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن مكناس سامحه الله تعالى إلى فتح الدين صدقة بن سعيد الكاتب بديوان الخاص وكان المذكور أسود ينحرف من ذكر العبيد والسواد يقبل اليد الكريمة السديدة الفتحية لا زال فتحها رشيدا وفعالها سديدا وسعدا جديدا وقولها مفيدا ومطلعها صبيحا ومفلح مقاصدها نجيجا واقبال سرورها مستمرا ورافق العز عليها مسبطرا كثر الله عبيدها وألحق مقترها بسعيدها ويصف ولاءه الذى تشهد به ذاته الكريمة بل السواد الاعظم واخلاصه الذى صفا وده إلى أن عاد كغرة البدر فى الليل الادهم ويبدى ما يجده إلى مولانا فى نفسه من الميل ويذكر محبته التى لا تتغير ما ولج الليل فى النهار والنهار فى الليل وينهى أنه يسط عذر مولانا فى تأخير أبقار الاضحية بهذا العبد جعله الله عليك أبرك الاعياد ويتشكر من انعامه بكل كبش ينزل فى سواد وينظر فى سواد ويمشى فى سواد وكيف لا ومولانا انسان عين الزمان والمفدا بسويداء القلوب من طوارق الحدثان فأبقاه الله يجزر فى ميادين الكرم الذيل ويستتر بحلمه سقطات الجهال ستر الليل وعلم المملوك أن المقر الاشرف المالك قد اقتدى فى اضحية المملوك خاصة برأى الامام مالك إذ يرى الاضحية بالغنم أفضل وأن القربى بذبحها أكمل وأن الله جعل الابقار لحرث الاراضى ذات الطول والعرض وأنه خصها من اضحية المملوك بكل ذلول تشير الأرض فإذا عوتب على ذلك قال نعم أحلينا بأضحيته فى هذا العيد وقابلناه عن محبته لنا من الحرمان بما لا عنه مزيد وقطعنا مرتبه من الديوان إذ كان عندنا المخلص ﴿وما ريك

بظلام للعبيد<sup>(١)</sup> ثم تأخذه العزة لانفه المناصب ويتذكر عن المطلوب وذل الطالب فيقول قد منعنا ما سقنا من هدى انعامه إليه وان هو إلا عبد أنعمنا عليه فلو كان الامر لمولانا مستبدا به لبدل البقر بكرائم الخيل وأوضح من فخر الانعام الخيط الابيض من الخيط الاسود ومحا من ظلمة المنع آية الليل وساق أيده الله ما شاء من البقر إلينا وأنعم علينا غير معتذر ولا متعنت يقول ﴿إن البقر تشابه علينا﴾<sup>(٢)</sup> على أن مولانا إذا لاحظ أنعم لك صفراء فاقع لونها لكن من الذهب العين وإذا نأى نعق بفراق البقر غراب البين وإذا شاء أتحف من ضياء انعامه بكل در نفيس وإذا أتى بقلع من بحر الظلمات في الريح المريس فطالما أمست شآبيب انعامه مسكويه وحر كات فضله محبوبه والسنة الخواص قائلة الحمد لله الذي كف عنا النوب بأكف النوبة والمملوك ما يرح كثير المحبة لمولانا من حين شمله بجزيل الاحسان هاجر مسموع الطير بجملته كرها للقاتل منها ما دق قفا السودان، وقال الشيخ زين الدين بن الوردي مضمنا:

بتنا ضيونا لغادة قصدت      ذبح خروف قد طاب واعتدلا  
حلت رياط الخروف منشدة      أما ترى الشمس حلت الحملا

وممن ولع بذكر الجزارة والجزور الاديب الفاضل أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار فمن ذلك قوله:

إنى لمن معشر سفك الدما لهم دأب      وسل عنهم إن رمت تصديقى  
تضىء بالدم اشراقا عراضهم      فكل أيامهم أيام تشريق

وقوله:

حسن التانى مما يعين على      رزق الفتى والخطوب تختلف  
والعبد مذ كان فى جزارته      يعلم من أين يؤكل الكتف

أهدى بعضهم إلى صديق له كبشا فى يوم أضحية وكتب معه رقعة يصف سمنه فأجاب المهدي إليه وصلت رعتك ففضضتها عن خط مشرق ولفظ موتق وعبارة مضبثة ومعان غريبة وتصرف بين نجد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر وتنقلت فى وجوه الخطاب الجامع للصواب إلا أن الفعل قصر عنه القول لا بل ذكرت جملا جعلته بصفتك

(١) الآية: ٤٦ من سورة فصلت.

(٢) الآية: ٧٠ من سورة البقرة.

جملا واتساع فى البلاغة يعجز عنها عبد الحميد فى كتابته وسحبان فى خطابه وكان المعيدى يسمع به لا أن يراه وحضر فرأيت كبشا متقادم الميلاد من نتاج قوم عاد قد أفنته الدهور وتعاقبت عليه العصور وظنته أحد الزوجين الذى جعلهما نوح فى سفينته ليحفظ بهما جنس الغنم لذريته صفر من الكبر ولطف من القدم فبانت زمانته وتقاصرت قامته وعادنا حلا ضئلا باليا هزيلا بادي السقام عارى العظام جامعا للمعائب مشتملا على المثالب يعجب العاقل من حلول الحياة فيه لأنه عظم مخلد وصوف ملبد لا يوجد فوق عظامه سلب ولا تقع اليد منه إلا على خشب لو مر به الكلب لاستجافه أو اطرح للذئب عند الخوى لعافه قد طال فقده الكلاء وبعد عهده بالامتلاء لم ير الغناء الا نائما ولا الشعير إلا حالما وقد تحيرت بين إن اقتنيتة فيكون فيه عنا الدهر أو أذبحه فيكون جيفة على وجه النهر فملت إلى استبقائه لما تعرفه من محبتي التوقير ورغبتى فى التمييز وجمعى للولد وادخارى للعدد فلم أجد فيه مستمتعا للبقاء ولا مرفقا للعناء لأنه ليس بانثى فيحمل ولا يثنى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا سليم فيبقى فملت إلى الثانى من رأيك وعملت على الأخرى من قولك فقلت أذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال فأنشدنى وقد أضمرت النار وحدث الشفار وشمر الجزار:

أعيدها نظرات منك صادقة أن نحسب الشحم فى من سمته وربما

ثم قال وما الفائدة لك فى ذبحى وأنا لم يبق فى الأنافس خافت ومقلة أنسانها باهت لست بذى لحم فأصلح للأكل لأن الدهر قد أكل لحمى ولا جلدى يصلح للدباغ لأن الايام قد مزقت أدمى ولا صوفى يصلح للغزل لأن الحوادث قد خصت وبرى وإن أردتني للوقود فكف بمر أفتى من نارى ولن تفى حرارة جمرى بريح تتارى ولم يبق إلا أن تطالبنى بدحل أو بينى وبينك دم رجل فوجدته صادقا فى مقالته ناصحا فى مشورته ولم أعلم من أى حالة أعجب أم من مماطلته للدهر من أجل البقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع اعواز مثله أم من تأهيلك الصديق مع ما به خساسة قدره.

## الباب التاسع والعشرون

### فيما تحتاج إليه الأطعمة من البقول في السفرة

البقول على القرع ويسمى الدباء قال ابن جزلة في المنهاج أجوده الرطب الاخضر الحلو وهو بارد رطب في الثانية وقال رومس إنه حار رطب ويتولد منه غذاء شبيه بما يصحبه فإن أكل بالخردل ولد خلطا حريفا وإن أكل بالملح ولد خلطا ملحا ومسلوقة يغذو غذاء يسيرا وينحدر سريعا وهو جيد للصفراء وبين وعصارتها تسكن وجع الأذان مع دهن ورد وينفع من أورام الدماغ وسويقه ينفع من السعال ووجع الصدر من حره وهو لقطع العطش جيد ويلين البطن وإذا دفن في الخمر وشرب مع السكر نفع من الحميات وهو يفسد في المعدة لمخالطة خلط رديء ويضر باصحاب السوداء والبلغم. انتهى. رافع الاندلسي.

وقرع تبدي للعيون كأنه خراطيم أقبال لطخن بزنجار  
الباذنجان: قال ابن القيس في الموجز قيل بارد وقيل حار يابس في الثانية وهو أصح  
يولد السوداء والسدد والسرطان والجرب السوداءى والبواسير والصلابة والجدام ويفسد  
اللون ويصفر ويثر الفم انتهى كلامه.

الوصف: قال ابن المعتز فيه:

وابذنج بستان أنيق رأيتـه  
على طبق تحكيه مقلـة رامق  
قلوب ظبا أفردت من كبودها  
على كل قلب منه مخلب عاشق  
وقال ابن رشيق القيروانى

وإذا صنعت غذاءنا  
فاجعله غير منبذج  
إياك هامسة أسود  
عريان أضلع كسوسج

وقال صاحب كتاب ملح الممالحة وكان شيخنا الاسدى يعجبه الباذنجان ويقول في تفضيله إن الناس يأكلونه ثمانية أشهر من السنة وهم أصحابا ولو أكلوا الرمان ثمانية أشهر قلعوا وقيل لرجل ما تقول في الباذنجان فقال أنوف الزنج وأذنان المحاجم وبطنون

العقارب ويزر الرقوم فقيل إنه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح وقال صاحب المنهاج أجوده الحلو الأوساط والعتيق ردىء والحديث أسلم ولا يبين ضرره كثيرا إلا أنه غذاء مألوف وهو حار يابس فى الثانية وفيه غلظ والمر منه حار يابس بلا خلاف والحديث أقل حرارة وأردؤه ما أكل مشوياً وهو ينفع من عرق الدم لشدة رفته وليس له نسبة إلى إطلاق ولا عقل إليه إن طبخ فى دهن أطلق وإن طبخ فى خل أو سماق عقل وهو يحدث وجع الخواصر والمعدة والعتيق يبثر الفم ويولد السوداء والسدد ويسود البشرة ويولد البواسير وينبغى أن يتقع فى الماء والملح ويسكن فيه ثم يعمل بالدمس الكثير والخل والكرويا .

القلقاس: قال ابن جزلة فى المنهاج حار رطب فى الأولى وقيل إنه معتدل الحرارة رطب فى الثانية يزيد فى الباءة انتهى. وللشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى رسالة السجع الجليل فيما جرى من النيل عند ذكر الجزيرة الوسطى وقد أخلق ديباج روضها لانف وترك قلقاسها بمده وجزره على شفى جرف.

بعينى رأيت الماء فيها وقد جرى على رأسه من شاهق فتكسرا

غيره:

طالما تضرع بأصابعه إلى ربه

ولطم برءوسه الحيطان مما جرى على قلبه

وتمثل بقول الأول:

وإن سألك يوم البـيـس من عن قلبى وما قاسى

فقل قاسى وقل قاسى وقلقاسى وقل قاسى

لم يفد تحصينه من ورقه بالدرق والستائر ولا حن عليه حين تضرع بأصابعه فصح أن

الماء سلطان جائر:

يا ويح قلقاس بمصر يقول لى لما اغتدى فى غيظه غرقانا

النيل مثل دم لفرط زيادة فلذا برأسى يلطم الحيطانانا

السلمج: وبالشين أيضا قال ابن جزلة وهو اللقت وهو برى وبستانى وهو حار فى

الدرجة الثانية رطب فى الدرجة الأولى يغذو كثيرا ويولد منيا يدر البول ولا يسهل ويشهى

الطعام إذا سلق دفعتين وطيب بالخل والخردل وماؤه ينفع من الحصر وفيه غلظ وتنفخ وان

عرض منه ذلك فليتناول بعده أحد الجوارشانات.

الجزر: فى المنهاج أجوده الاحمر الشتوى وغذاؤه أقل من السلجم وهو حار فى آخر  
الدرجة الثانية رطب فى الأولى يحرك الباءة ويسهل ويلطف ويدر البول وهو عسر الهضم  
منفخ يولد ماء ردينا وينبغى أن يكثر انضاجه ويصلح بالمرى والخل والخردل وقال بعضهم:

انظر إلى الجـزر الذى يحكى لنا لهب الحـريق  
كـمـدية من سندس فيها نصاب من عـقيق

الاسفناخ: قال ابن جزلة أجوده فى المنهاج الممطور وهو رطب بارد فى آخر الدرجة  
الأولى وقيل معتدل من الحرارة والبرودة فهو ملين ينفع السعال والصدر وفيه قوة التحليل  
وهو سريع الانحدار عن المعدة يلين الطبع وينفع من أوجاع الظهر الدموية وهو يسىء  
الهضم ويضر أصحاب الامزجة الباردة.

السلق: قال ابن جزلة هو صنفان أسود لشدة خضرته وأقل لونا منه وأجوده العذب  
الطعم وهو حار يابس فى الدرجة الأولى وقيل هو مركب القوة وقيل رطب فى الأولى فيه  
بورقه ملطفة وتحليل وتفتيح وفى الاسود قبض وينفع من داء الثعلب والكلف والخزرة  
والتآليل إذا طلى بمائه ويقتل القمل وتطلى به القوبا مع العسل ويفتح سدد الكبد والطحال  
والاسود منه يعقل وخصوصا مع العدس والصنف الآخر المهرا ويحقن بمائه لاجراج  
الشقل وهو ينفع من القولنج مع المرى والتوابل وهو يمغص ويولد النفخ وهو ردىء  
الكيموس قليل الغذاء يحرق الدم ويصلحه الخل والخردل وأصله ردىء المعدة انتهى.

وقال ابن زهر فى خواصه عن هرمس ورق السلق وورق العاقر قرحا من كل واحد  
دائق إذا جعل فى طعام باسم انسان وأطعم عمل فيه روحانية المحبة عملا عجيبا وقال ابن  
زهران رض السلق وعاقر قرحا وذر فى مجرى ماء الحمام برد وسكن حره وقال أيضا وإن  
رض ورقه بدم الحمام ودفن فى إناء رصاص أربعين يوما تولد منه دود أخضر طوال فإذا  
طبخت بماء السلق وطفى به رأس الأقرع أثبت فيه الشعر وإن شدخت الدودة التى تكون فى  
السلق ودفنت فى برج حمام أو علقته عليه لم يقرب البرج شىء من الحيوان الضارى  
انتهى.

فصل البصل: فى المنهاج فيه مع الحرافة المقطعة مرارة وقبض وما كان منه أطول  
فهو أحرف والاحمر أحرف من الابيض وأجوده الابيض الريان وهو حار يابس فى الثالثة  
وهو ملطف يقطع ويجذب الدم إلى خارج البدن ويزيد فى الباءة وينفع من تغير المياه ويفتح

الشهوة ويلين الطبيعة وإذا قطر ماؤه فى الاذن ينفع من الطنين وهو يجلو البصر وينفع من ابتداء الماء والبياض اكتحالا بعصارته ويهيج خروج الشعر وإذا دق وعجن بعسل ووضع على الظفر الغليظ والقواىى والبهق قلع ذلك ويطلبى به داء الثعلب وينفع من عضه الكلب الكلب<sup>(١)</sup> سقيا بشراب ومن نهش الحيات وهو يصدع للرأس والاكثر منه يشيب ويضر بالعقل ويكثر اللعاب ويفتح أفواه البواسير ويصلحه الخل واللبن الحامض أو مع الهندبا، وقال نصر بن سيار يوما وحوله بنون له هؤلاء بنو البصل لأنه كان يأكل كثيرا منه فيحتاج وقال ابن وكيع يحكى لعينيك احمرار قشره إذا رآه ناظر غلا نلا حمرا على جسم بيض رطاب من جسم الروم.

الثوم: كذا ذكره صاحب المنهاج بالشاء المثلثة منه بستانى ومنه برى ومنه كراثى والكراثى مركب القوة من الثوم والكراث وهو حار يابس فى الدرجة الرابعة وقيل فى الثالثة وهو أقوى حرارة ويسا من البصل وهو يحل النفخ وينفع من تغيير المبهاء وطبخ الجبلى منه إذا شرب قتل القمل ورماده يطلبى به البهق مع العسل وكذا الثعلب والجرب والقواىى ويصفى الخلق مطبوخا ويخرج العلق من الحلق وإذا حشى فى طبيخ ورقه وساقه أدر الحيض والبول وأخرج المشيمة وأكله يخرج الديدان ويطلق الطبع وهو نافع من لسع الهوام ونهش الحيات وعضه الكلب الكلب سقيا بشراب وينفع السعال من برد ويصفى الخلق وهو مقرح للجلد مصدع لمضعف للبصر جالب يثور العين وإذا طبخ قلت حرارته وحرارته وتصلحه الحوامض والادهان واللحوم السمان والثوم دواء لمن أصابه وجع السعى فى بطنه وإذا شوى ووضع على الضرس المأكول سكنه، وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه أمرنا النبى ﷺ بأكل الثوم وقال لولا أن الملك ينزل على لأكلته.

وقال بعض الشعراء فيه:

يا حبذا ثومة فى كف ضاهية      بدیعة الحسن تسمى كل من نظرا  
أبصرتها وهى من عجب تقلبها      كصرة من ديبقى حوت دررا

الكزبرة: ويقال كسبرة منها رطبة ومنها يابسة وقوتها مركبة والغالب فيها أرضية وأجودها البستانى وهى باردة فى آخر الأولى واليابسة منها فى الثانية وأبقراط يقول فيها حرارة وبرودة وعند جالينوس إنها تميل إلى التسخين وفيها قبض وتخدير وهى تزيل روائح

البصل والثوم إذا مضغت رطبة أو يابسة وعصارتها مع اللبن تسكن كل ضربان شديد وتنفع من الأورام الحارة مع الخل والاسفيداج ودهن الورد ومعه العسل للبشرى والنار الفارسي وينفع من الجمرة ومن الدوار عن بخار المرار والبلغم وخاصيته أن يمنع البخار من الرأس وكذلك يجعل في الطعام ورطبه ينفع الرعاف ودرور يابسه والمضمضة بعصارته رطبة تنفع من القلاع وهو ينفع الخفقان عن حرارة ودرهمان منها مع لسان الجمل ينفع نفث الدم وهو يمنع من القيء والجشاء الحامض بعد الطعام والاكثار منه يخلط الدهن ويظلم البصر ويخفف المنى ويكسر الباءة ويصلحه سكنجبين السقرجلي.

وأما البقل فما ورد عن النبي ﷺ أنه قال البقل حلية الموائد وفيما رواه مكحول عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال أحضروا موائدكم البقل فإنها مطردة للشياطين وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال دخلت مع النبي ﷺ إلى حذيفة بن اليمان فتلقانا بنبات يقال له البادروج فنظر إليه وقال أهلا بك من بقلة ما أطيب ريحك وأحسن منظره فإنك لمن رياض الجنة ثم نظر إلى الهندباء فقال يا لك من بقلة تهضم الطعام وتحبى الفؤاد وتجلو عن الناظر.

**قائدة:** منقولة من خط القاضي أمين الدين بن الانفى المالكي رحمه الله تعالى قال ذكر السويدي صاحب التذكرة أن الإمام فخر الدين الرازي ذكر أنه من رأى الهلال أول ليلة وكان موجوع الضرس فقال نذرت لله أن لا أكل الهندباء ولا لحم الفرس سكن وجع ضرسه ذلك الشهر وقال ابن زهر في خواصه قال يوحنا بن ماسويه إن دق أصل الهندباء وضمد به لسعة العقرب سكن الوجع والبرى منه إذا شرب ماؤه مع الشراب نفع من لدغ الافاعي وقال ابن النفيس في الموجز يابسه يابس في الأولى ورطبه رطب في الأولى يفتح سداد الاحشاء والعروق وفيه قبض صالح يقوى المعدة والكبد أما الحارة فشديد الموافقة لها وأما الباردة فللخاصية وتنفع مع الخيار شنب لاورام الحلق وتنفع الرمد وبياض العين.

الكرفس: حار يابس يفتح السدد ويندر البول وهو نافع للمعدة ويبطئ بالهضم ولذلك يجب أن يقدم قبله طعاما يختلط به وهو يطيب النكهة ويحتاج إلى أكله من يداخل السلطان ومن كان خدمته السر وقال ابن النفيس في الموجز حار في الأولى يابس في الثانية يحلل النفع ويفتح السدد ويسكن الوجع ويطيب النكهة جدا رديء للمصرع تهيجه في المصروعين وينفع السعال والكبد والطحال والكلبي والمثانة وينفع الاستسقاء وعسر البول وتفتت الحصىة وتضر الحبالى الادارة ويهيج الباءة.

النعناع حار يابس وهو نافع من الفواق قال ابن زهر فى الخواص ان جعل من ورق النعنع الثلث ومن ورق النمام السدس ومن حب القرع النصف وجعل فى طعام واحد باسم آخر عمل فيه روحانية المحبة.

الطرخون: فى المنهاج قيل إن عاقر قرحا هو أصل الطرخون وهو جبلى وبستاني وأجوده البستاني وهو حار يابس فى الثانية وفيه قوة مخدرة وقيل إنه بارد وهو مجفف الرطوبات فإذا مضغ نفع من القلاع ويمضغ قبل شرب الادوية الكريهة وهو يقوى المعدة ويحدث وجع الحلق وهو عسر الهضم ويقطع شهوة الباءة ويعطش ويصلحه الكرفس.

الفجل: من كتاب هاضم الطعام ويزره نافع من الفواق إذا أكل بالعسل وإذا شدخ على عقرب ماتت وإن شرب ماء ورقه نفع من اليرقان الحادث من الطحال.

قلت: ومن منافعه ما تجربته وصح أنه إذا مضغ ووضع على العين المحمرة من لطم وكرر ذلك فإنه يزيل الحمرة فى الحال وقال ابن زهر فى خواصه ورق الفجل معصورا يؤخذ ماؤه وشيء من نشادر فيلطح به سلة الحاوى فتموت الحيات كلها وورقه يحد البصر وإن سحق بزره مع كندس متساويين وطفى به البهق الاسود فى الحمام بالماء الحار والنخل أذهب وإن أخذ ماؤه وخلط بالخل والطين وطفى على لسعة الزنبور أبراهها وقال جالينوس عصابة الفجل إذا اكتحل بها جلت البياض من العين وإذا خلط ماء الفجل بماء الورد وسخن وقطر فى الأذن أذهب عسر السمع والطين منها وإن دق ورقه وصفى ماؤه وأسعط به صاحب اليرقان رأيت عجبا وقال ارسطاطاليس مما يبيض الشعر مثقال من ورق الملوخيا والفجل ويعجن بمرارة الثور ويضمده به الشعر بالليل ويغسل بالنهار فإنه يصير الأسود أبيض وإن طلى الوجه بماء الفجل أذهب عنه النمش والكلف وإن دخن بورقه فى بيت هربت منه الهوام (قال) النور الاسمردى يهجو:

ايا مطعمما أصحابه إذ دعاهم من الفجل فى أوراقه غير ما يمرى  
وحقك ما أكرمتهم مذ لقبتهم بجيش ضراط تحت راياته الخضرى

نادوة: كان أبو نواس يوما عند بعض اخوانه فخرجت عليه جارية بيضاء عليها ثياب خضر فلما رآها مسح عينيه وقال خيرا رأيتك إن شاء الله قالت ما رأيتك؟ قال: رأيت كأنى راكب أشهب عليه ثياب خضر قالت له إن صدقت رؤياك استدخلت فجلة.

الرشاد قال ابن البيطار إذا شرب بالماء الحار حل القولنج وأخرج الديدان وحب القرع





## الباب الثالثون

### في الخوان والمائدة وما فيهما من كلام مقبول

كنية الخوان أبو جامع لاجتماع الناس حوله قال الحريري في درة الغواص ويقولون لما يتخذ لتقديم الطعام عليه مائدة والصحيح أن يقال خوان إلى أن يحضر الطعام عليه يسمى حينئذ مائدة يدل على ذلك أن الحواريين حين سألوا عيسى عليه السلام بأن يستنزل لهم طعاما من السماء قالوا هل يستطيع ربك أن ينزل مائدة من السماء بينوا معنى اسم المائدة بقولهم نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا قال الاصمعي غدوت ذات يوم إلى زيارة صديق لي فاستشرت بعض الاخلاء فقال إن كان لفائدة أو عائدة أو لمائدة والا فلا وقد اختلف في تسميتها بذلك فقيل سميت به لانها تميد بما عليها أى تتحرك مأخوذ من قوله تعالى ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾<sup>(١)</sup> وقيل بل هي من ماد أى أعطى ومنه قول رؤبة بن العجاج إلى أمير المؤمنين الممتاد أى المستعطى وكأنها تميد من حواليتها مما أحضر عليها وقد أجاز بعضهم أن يقال فيها ميدة واستشهد عليه بقول الراجز:

وميدة كثيرة الالوان      تصلح للجيران والاخوان

وقال الكواشى فى تفسير سورة المائدة ولما سأل الحواريون المائدة لعيسى عليه السلام لبس صوفا وبكى وقال ﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء﴾<sup>(٢)</sup> الآية، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين من فوقها وتحتها وهم ينظرون وهى تهوى متقطعة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة ثم قال ليقيم أحسنكم عملا فليكشف عنها وليذكر اسم الله تعالى فقال له شمعون أنت أولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا وكشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين وإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك بها يسلم منها الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد زيتون وعلي الثاني غسل وعلى الثالث

(١) الآية: ٣١ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية: ١١٤ من سورة المائدة.

سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتكم الله ويرزقكم من فضله فقالوا يا روح الله كن أول من أكل منها فقال معاذ الله أن أكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرضى وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا وصدروا وكانوا ألفا وثلاثمائة ما بين رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وإذا السمكة كهيتها حين نزلت ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون إليها حتى توارت وما أكل منها مريض الا عوفى ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها فلبث أربعين صباحا تنزل ضحى فياكل منها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء حتى إذا فاء الفىء طارت وهم ينظرون فى ظلها وكانت تنزل كناقاة صالح فى الحلب فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتى ورزقى فى الفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكى الناس فقال أتريدون المائدة حقا تنزل من السماء فأوحى الله تعالى أنى شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ (١) الآية، فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا أصبحوا خنازير فلما رأى الناس ذلك بكوا ورجبوا إلى عيسى فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف بعيسى وعيسى يدعوهم بأسمائهم يشيرون براء وسهم ويكى ويكون وهم لا يقدرين على الكلام ثم هلكوا أجمعين وما أظرف قول ابن حجاج:

يا ذاهبا فى داره جائيا      بغير لا معنى ولا فائده

قد جن أضيافك من جوعهم      فأقرأ عليهم سورة المائدة

قلت: الشيء بالشيء يذكر أنشدنى الشيخ المحدث الرحلة الفاضل المفسن الرحال صلاح الدين خليل الاقهي نزيل دمشق المحروسة قال أنشدنى الشيخ العارف المحقق المسلك الحكيم برهان الدين إبراهيم الغرى الشهير بابن رفاعة أعاد الله من بركاته من لفظه لنفسه:

لما مرضت أرسلت      لى صلة وعوائده

لعلمها أنى فتى      أهوى النساء والمائده

جارية وسكرا      للاكل والمشاهد

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى:

أميل لأغصان القدود صبابة  
ويعجبني بين الانام تطفلى  
وإن هي زادتنى جفا وتباعدنا  
عليها إذا شاهدتهن موائدا

رجع: قال حاتم الطائى لغلामه قدم الينا مائدة تتباعد ما بين أنفاسنا قال هدبة بن خالد حضرت أمير المؤمنين فلما رفعت المائدة جعلت ألتقط ما فى الأرض فنظر إلى المأمون وقال أما شبعت يا شيخ قلت بلى يا أمير المؤمنين إنما شبعت فى فئائك وفى كتفك ولكن حدثنى حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من أكل من تحت مائدته أمن من الفقر فنظر المأمون إلى خادم واقف بين يديه فأشار إليه فما شعرت حتى جاءنى ومعه منديل فيه ألف دينار فتناولنى فقلت يا أمير المؤمنين وهذا من ذاك، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه من أكل ما سقط من الخوان رزق أولادا كانوا صباحا وينبغى أن يصرف عن المائدة السنور والكلب وذو العيون الرديئة من الغلمان ومن يعلم منه الشره أو يشبعوا قبل احضارهم الطعام قال النبى ﷺ من أكل وذو عينين ينظر إليه ولم يواسه ابتلى بداء لا دواء له، قال النيفاشى فى سرور النفس حدثنى من حدثه بعض التجار الذين كانوا يردون إلى خدام القصر فأضافنى فى حجرة له متصلة بالقصر فلما حضرت المائدة كان بين أيدينا سنانير كثيرة فعندما شاهدوا المائدة وضعت لم يبق عندنا منها واحد ومرّت كلها خارجة عن المجلس دون طارد يطردها فعجبت من ذلك كل العجب فلما انقضى الطعام أحبيت أن أعرف العلة فى ذلك فسألت الخادم فأخذ بيدي وأدخلنى إلى بيت صغير فيه عدة أوانى فيها طعام والسنانير مجتمعة عليه تأكله فقال عودناها إذا حضر الطعام أن تطرد إلى هذا البيت ويعد لها طعام فيه فصارت عادة لها، واتفق فى أمر الكلب وحضوره بالمغرب واقعة عجيبة وذلك أنه كان بمدينة من بلاد المغرب حمال يحمل فى السوق فأتى من حملة ذات يوم فاشترى زلاية وهريسة فى صحفة وصعد بها إلى سطح السوق يأكلها فتبعه كلب فجلس ازاءه وهو يأكل فجعل كلما شال لقمة إلى فيه يشيعها الكلب يبصره حتى يتلعهما الرجل ثم صار يرفع اللقمة ويومى بها إلى الكلب على سبيل العبث به فيقرب الكلب منه فيأكل اللقمة ويزجره فلم يزل دأبه ذلك حتى بقيت لقمة واحدة فروغها فى الدهن وأومى بها نحو الكلب ثم ألقاها فى فمه فمضغها وابتلعها والكلب محقق نحوه فلما صارت

اللقمة فى حلقومه وثب عليه الكلب فاستل الحلقوم واللقمة فأكلهما وخرّ الرجل ميتا (عبد العزيز بن المهذب):

له در غلام جناء يخدمنا      بسفرة من رفيع القطن فوراء  
بدائر أزرق من حول دارتها      تحار فيه وفيها مقلة الرائي  
كأنها روضة خضراء مزهرة      وحولها جدول من أزرق الماء

ومن التحف النفيسة: ما ذكره القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والظرف أنه أصاب عطية بن مرداس العلوى لما ملك الرحبة فى سنة اثنين وخمسين وأربعمائة وحازما كان أذخره أبو الحرث رسلان اليساسيرى من مال وغيره ومما كان وجده ببغداد من الخليفة إلى جعفر عبد الله القائم ومن ذخائر بنى العباس حين خلعه ونهب داره فى سنة خمسين وأربعمائة وجد فيها مائدة فيروزج بحوافى مكالة بالجواهر لا قيمة لها ولا قدرا يعرف مما انتقل إلى بنى العباس من ذخائر الاكاسرة كتب البرهان الغزولى النحوى السكندرى سحبة ملاعق أهداها للصاحب زين الدين بن الزبير:

لما بعدتم وكاد اليأس يقصينا      من نيلكم ودنت منا أماتينا  
بتنا على سغب الآمال فى ظمأ      والشوق ينشرنا طورا ويطوينا  
ثم استتبنا تحيات السلام عسى      تعود منكم تحيات فتحسينا  
وقد بعثنا لكم مملوءة قبلا      مثل الايادى التى أعيت أيادينا  
مستطعمات طعاما من مطاعمنا      وافنكم بلسان الحال تحكينا  
ومما يكتب على سفرة الأكل:

ألا كل هنيئا ولا تحتشم      فما الاحتشام فعال الكرم  
فما الجود والفضل الا لمن      تفضل الينا بتقل القدم

الخبز وما ورد فيه: قال ابن عباس رضي الله عنه أكرموا الخبز قيل وما أكرام الخبز قال لا تنتظروا به الاדם إذا وجدتم الخبز كلوه حتى تؤتوا بغيره قال أبو محمد بن خلاد كان الحسن ابن رجاء يقول السميد طعام الملوك والحوارى طعام الخواص والخشكار طعام العامة والشعير طعام الزهاد وكان حميد لا تخلو مائدته من مائة رغيف سميد فى كل رغيف رطلان وكان خبزه موصوفا ببغداد كأنه المرأة المجلوة بياضا وحسنا وربما يرى فيه شعر اللحية لشدة بياضه قال أحمد بن أبى داود قال لى الواثق يوما ما جمال الموائد فقلت يا أمير

المؤمنين كان يقال جمالها كثرة الخبز عليها فقال أصبت وأحسنت فإذا اختلفت الألوان وكان الخبز كثيرا شهد لصاحبها بالشرف.

قال الاصمعى كان الرشيد يأكل يومين متواليين خبز السميد والثالث الحوارى والرابع الخشكار والخامس والسادس خبز الارز النقى من خبز التنور وكان يقول الارز غذاء صحيح قال بعض الاطباء الخشكار فيه بعض الحرارة وهو أسرع انحدارا من المعدة لأجل النخالة التى فيه لأن فيه جلى للمعى وهو يولد الحكمة وأكله بالادام الدهن يدفع ضرره والخبز الخمير أحمد الخبز وأوفقه وأمرأه والفتير بطيء الانهضام يولد الرياح وخبز التنور أغذا وأنفع والخبز المملوك وخبز الطابق ثقيلان ضاران والخبز السميد المعتدل الخبز يخصب الجسم ويجدد السدد وأكله بالاسفندباجات والطباهجات المالحة يصلحه وكان جبريل بن بختيشوع لا يؤثر على الحوارى شيئا ويقول هو الواسطة وروى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم»<sup>(١)</sup> قال هو خبز البرّ وماء القراح والظل قال العنبي عن أبيه قال خرج أبو سفيان فى جماعة من قريش وثقيف يريدون بلاد كسرى بتجارة لهم فلما ساروا قال أبو سفيان إنا لعلى خطر من قدومنا على ملك لم يأذن لنا بالقدوم عليه فأيكم يذهب بالعيير فإن أصيب فعلينا دمه وإن يغنم فله نصف الريح فقال غيلان بن سلمة الشقى أنا أمضى فى العير وكان أبيض طويلا جعدا فلما وصل ديار الملك لبس ثوبين أصفرين وشهر نفسه وقعد بالباب حتى أذن له فدخل على الملك وهو جالس فى شباك ذهب فقال له الترجمان يقول لك الملك ما أدخلك بلادى بغير اذنى فقال لست من أهل عداوة الملك ولم أك جاسوساً وإنما حملت تجارة فإن أرادها فهى له قال فبينا هو يكلمه اذ سمع صوتا فخر ساجدا فقال له الترجمان يقول لك الملك ما أسجدك فقال سمعت صوتا مرتفعا حيث لا ترتفع الاصوات فظننته صوت الملك فسجدت قال فشكر الملك ذلك له وأمر له بمرقعة توضع تحته فرأى فيها صورة الملك فوضعها على رأسه فقال الحاجب الملك يقول لك إنما بعثناها لك لتجلس عليها فقال قد علمت ولكن رأيتها وعليها صورة الملك فوضعتها على أعظم أعضائى فقال له الملك ما طعامك فى بلادك قال خبز البر قال هذا عقل الخبز ثم اشترى منه التجارة باضعاف ثمنها ورجع فى أمن وسلامة.

أبو الحسين الجزار في الخبز:

قسما يلوح الخبز عند خروجه  
ورغائف منه تروك وهى فى  
من كل مصقول السوائف أحمر الـ  
وكأن باضه بكفك درهم،  
كالفضة البيضاء لكن يغتدى

وقال ابن الرومى في الرقاق:

لا أنسى حسنا مررت به  
ما بين رؤسها فى كفه كرة  
الاستقار ما تنداح دائرة  
وله فى الزلاية:

يلقى العجين حيناً من أصابعه  
المأمونى فى الكماج:

عندى للاكلى اذا ما  
ملتونة بسسمنها  
مثل البدور الطالعسا  
أوجسه التبرك إذا  
وقال بعضهم وأجاد:

خبز شعير بغير ادم  
ألد عندى من ألف لون

وقال مجير الدين بن تميم:

وكان أرغفة الخوان وحولها  
وجنات غيد صفقت وجميعها

من فرنه وله الفداة تجار  
سجف التفال كأنها أقمار  
عخدين للشونير فيه عذار  
وكأن ظاهر لونه دينار  
ذهباً إذا قويت عليه النار

يدحر الرقاقة مثل الملح بالبص  
وبين رؤسها قوراء كالقمر  
فى صفحة الما تلتقى فيه بالحجر

فتستحيل شبابيكاً من الذهب

قمت للتسحمر  
وسمسم مقشـر  
ت فى شطور الانهـر  
أثر فيسها الجدر

عند فقير من الكرام  
عند غنى من اللثام

بقل تهش إليه نفس الأكل  
يبدو بها خط العذار البائل

نحويبة: ذكرها الحافظ العلامة المؤرخ عماد الدين بن كثير فى تاريخه فى ترجمة

الوليد ابن عبد الملك ورواها الحافظ ابن عساكر باسناد رجاله كلهم ثقاة عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر عن أبيه قال خرج الوليد بن عبد الملك يوماً من الباب الأصغر فرأى رجلاً عند المأذنة الشرقية يأكل فوقف عليه فإذا هو يأكل خبزاً وتراباً فقال له ما يحملك على هذا

قال القنوع يا أمير المؤمنين فذهب إلى مجلسه ثم استدعى به فقال إن لك لساناً فأخبرني به  
والا ضربت الذي فيه عينك فقال نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلاً حمالاً فبينما أنا أسير من  
مرج الصفر قاصداً الكسوة إذا رزمني البول فعدلت إلى خربة لابلول فإذا سرب فحفرته فإذا  
مال صبيب فملأت منه غرائري ثم انطلقت أقود برواحلي وإذا بمخللة فيها طعام فألقيته منها  
وقلت إنى سأتى الكسوة ورجعت لاملأ تلك المخللة فلم أهتد إلى المكان بعد الجهد في  
الطلب ثم رجعت إلى الرواحل فلم أجدها ولم أجدها الطعام فأليت على نفسي ان لا أكل الا  
خبزاً وتراباً قال فهل لك عيال قلت نعم ففرض لهم في بيت المال قال ابن جابر وبلغنا أن  
الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها خازنه فوضعها في بيت المال.



## الباب الحادى والثلاثون في الوكيرة والأطعمة المشتهاة

الوكيرة طعام البناء كان الرجل إذا فرغ من بنائه يطعم أصحابه يتبرك بذلك قال النبي ﷺ الوليمة في أربع في عرس أو خرس أو اعذار أو توكير، قال الشاعر:

خير طعام تشهد العشيره الخرس والاعذار والوكيره

قال الشيخ محبى الدين التواوى رحمه الله في شرح مسلم في كتاب النكاح قال أصحابنا وغيرهم الضيافات ثمانية أنواع الوليمة للعرس والخرس بضم الخاء المعجمة للولادة وقيل فيه الخرس بالصاد المهملة أيضاً والاعذار بكسر الهمزة والعين المهملة والذال المعجمة للختان والوكيرة للبناء والنقبة لقدم المسافر يصنع الطعام وقيل يصنعه غيره والعقيقة يوم سابع الولادة والوضيمة بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة الطعام عند المصيبة والأدبة بضم الدال المهملة الطعام المتخذ ضيافة بلا سبب، قال صاحب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ولما تكامل بناء القصر الابلق الذى أنشأه السلطان الملك الناصر لسكانه بقلعة الجبل المحروسة عمل وليمة عظيمة حضرها الغنى والفقير من كبير وصغير وخلع على الامراء التشاريف على قدر مراتبهم وأنعم عليهم بالبذل من الاموال وكانت عدة الخلع التى خلعت ألفى خلعة وخمسائة والمال المطلق مائة الف دينار من العين المصرى وذلك سنة أربع عشرة وسبعمائة، قرأت في بعض المجاميع الادبية أن الفتح بن أبى حصينة المغربى رحمه الله امتدح نصر بن صالح بحلب فقال له تمن فقال أتمنى أن أكون أميراً فجعله بحلب مع الامراء ويخاطب بالامير وقربه وصار يحضر فى مجلسه فى جملة الامراء ثم وهبه أرضاً بحلب قبلى حمام الواسانى فعمرها داراً وزخرفها وقرنصها وتمم بنائها وكمل زخارفها ونقش على دائر الدرايزين:

دار بنيانها وعشنا بها	فى نعمة من آل مرداس
قوم مسحوا بؤسى ولم يتركوا	على لايام من باس
قل لبنى الدينيا ألا هكذا	فليصنع الناس مع الناس

قال فلما انتهى العمل بالدار عمل دعوة وأحضر نصر بن صالح بن مرداس فلما أكل الطعام رأى الدار وحسناها وحسن بنيانها ونقوشها ورأى الايات وقرأها قال يا أمير كم خسرت على هذه الدار فقال والله يا مولاي ما للملوك علم بل هذا الرجل ولىّ عمارتها فلما حضر المعمار قال كم لحقكم غرامة على بناء هذه الدار فقال المعمار غرمتنا ألفى دينار مصرية فأحضر من ساعته ألفى دينار مصرية وثوبا أطلس وعمامة مذهبة وحصانا بطوق ذهب وسرج ذهب ودفع ذلك جميعه إلى الامير أبى الفتح وقال له:

قل لبنى الدنيا ألا هكذا فليصنع الناس مع الناس

قلت: وما أحسن ما ضمن هذا البيت سيدى القاضى شهاب الدين بن حجر يمدح

سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن الدمامينى المالكى رحمهما الله:

نسيت أن أمدح بدر العلى فلم يدع برى وأيناس

قل لبنى الدنيا ألا هكذا فليصنع الناس مع الناس

حكى أن ابن البطريق واسمه على حضر عند ابن السراج بن البجلي ناظر دار الضرب

والجيش فى بغداد فى وليمة عملها لاجل دار عمرها فلما خرج من عنده اجتمع بالوزير

نصير الدين أحمد بن الناقدى فسأله أين كنت قال فى وليمة ابن البجلي فقال الوزير قيل لى

إن داره مليحة فقال نعم وقد عملت فيها:

دار السنراج مليحه فيها تصاوير يمكنه

تحكى كتاب كليله فمستى أراها وهى دمنه

الدعوات المشهورة دخول عبد الله بن المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وكانت

النفقة فى يوم ملاكها وعرسها، قال ابن عبدوس فى سنة عشرة وما بين ثمانية وثلاثين ألف

ألف درهم وقيل خمسين ألف ألف درهم وكان يجرى فى كل يوم فى جملة الجرايات على

سته وثلاثين ألف ملاح ووصل المأمون فى قواده وحشمه ووهب لآخيها ألف ألف درهم

وكساه وأقطعهم فم الصلح وكانت عليه ثمانين ألف دينار فى السنة وبلغت نفقة أبيها فى هذه

الوليمة أربعين ألف ألف درهم وبلغت نفقة الحسن بن سهل على قواد المأمون وحملتهم

فأوصلهم وخلع على الخاصة خلعا قيمتها سبعون ألف ألف درهم وجلت بوران على

المأمون وقد فرش لها حصير من الذهب وجاءت جدة بوران بمكيل من الذهب مرصع

بالدر والجوهر فيه در كبار فثر على من حضر من النساء وفيهن أم جعفر وحمدونة بنت

الرشيد وغيرهما فلم يمسسن منه شيئا فقال المأمون شرفن أم محمد وأكرمها فمدت كل

واحدة يدها وأخذت حبة وبقي سائر الدر يتدحرج على حصير الذهب فقال المأمون قاتل الله ابن هاني كأنه رأى ما نحن فيه حيث قال:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها      حصباء در على أرض من الذهب

ونشرت أم الفضل بن سهل جدة مروان عليها يوم دخل بها المأمون ألف درهم في صينية ذهب وأوقد في تلك الليلة على المأمون شمعة عنبر وزنها أربعون منا ونثر في ملاكها كل شيء له قدر من الكراع والرقيق والكسي والصابغات والطيب والضياع والعقار والجواهر والدنانير والدراهم وكانت أسماء كل هذا مثبتة في رقاع وتلقى فمن التقط رقعة مضى إلى الخازن الذي لذلك الصنف فأخذه منه وكان للحسن بن سهل أربعون بغلا مرتبة لحمل الحطب تصرف كل يوم عدة دفعات أقامت تنقل سنة كاملة ولم يكفهم حتى قطعوا سعف النخل رطبا وصبوا عليه الدهن والزيت وأوقدوه.

وحكى: القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري في كتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار في ترجمة الأمر بأحكام الله أبي على المنصور في المجلد الرابع والعشرين منه أن الأمر بالله بينا هو في موكبه قبلي بركة الحبش اذ تقدمهم فمر برجل على باب بستان له وحوله عبيد وموال له فاستسقاها ماء فسقاها فلما شرب قال يا أمير المؤمنين قد أطمعتني في السؤال فإن رأى أن يكرمني بنزوله لاضيفه فقال ويحك معي الموكب فقال وأولئك يا أمير المؤمنين فنزل فأخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية أشربة سكرية كلها فبهت الأمر وقال أيها الرجل خبرك عجيب فهل علمت بهذا فأعددت له فقال لا والله يا أمير المؤمنين وإنما أنا رجل تاجر من رعيتك لى مائة خطية فلما أكرمني أمير المؤمنين بنزوله عندي أخذت من كل واحدة شيئا من فرشها وبعض أكلها وشربها ولكل واحدة في كل يوم طبق فاكهة وطبق طعام وطبق بوارد وجام حلوى وزبدية شراب فسجد الأمر شكرا لله وقال الحمد لله الذي جعل في رعايانا من يسع حاله هذا ثم أمر له بما في بيت المال من الدراهم ضرب تلك السنة فكان ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف ثم لم يركب حتى أحضرها وأعطاهما للرجل وقال استعن بهذه على حالك ومرء وتك ثم ركب وانصرف، ولما زوج الحجاج محمد بن الحجاج قال لأصنعن طعاما لم يسبقني اليه الأولون ولا يدركه الآخرون فقبل له لو بعثت إلى المدائن فسالت كيف صنع كسرى فتعمل على مثال ذلك فأرسل إلى بعض من أدرك ذلك فقال أخبرني عن الطعام الذي

صنعه كسرى فقال ما أكثر ما كان يصنعه من الطيبات قال أطيعه قال حين تزوج هند ابنة بهرام كتب إلى عماله فى الآفاق ليقدم على كل رجل منكم ويخلف والى شرطته على بلده فرأى عنده اثني عشر الفا فاطعمهم فى ثلاثة أيام كل يوم ألف خوان يقعدون على بسط الديباج المنسوجة بالذهب وكلما أكلوا أتى كل واحد منهم بمثقال مسك فيفسل يده به فلما قاموا بعث بتلك الآتية والبسط فقسمت عليهم فقال الحجاج أفسدت على لعنك الله اذهبوا فاشترؤا الجزر فانحروها فى مربعات واسط وكان قد أمر بالنداء بالحضور فحضرها الناس وذلك فى أشد الحر وكثرة الذباب فاستغنى أهل الدعوة عن المراوح ولم يجدوا ذبابة واحدة وكان قد عمد إلى المرافق التى فى المجالس فنصب فيها أحجار الثلج وكانت الرياح تفضى إليها من بأذهنجات فيخرج نسيمها إلى المجالس والصحون وسئل عن عدم الذباب فقيل إنه اشترى قبل الدعوة من دور الجيران ما يمكن شراؤه واستعار الباقي وطفى حيطانها بعسل قصب السكر فاشتغل الذباب به وانقطع عن داره فلما انقضت أيام الدعوة ردت جميع الدور الى أربابها.

وعلى ذكر الذباب فلا بأس بإيراد نكتة غريبة وموعظة عجيبة وهى أن الحاكم الذى كان خليفة بمصر وادعى أنه من ولد فاطمة عليها السلام وبنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح فنسد حاله فى آخر أمره وادعى الالهية وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم وجمع الناس للإيمان به وبذل لهم نفائس الاموال وان ذلك كان فى فصل الصيف والذباب يتراكم على الحاكم والخدام تدفع الذباب ولا يندفع فقرا بعض القراء وكان حسن الصوت ﴿ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب \* ما قدروا الله حق قدره﴾<sup>(١)</sup> فاضطرب الحاضرون بسماع هذه الآية حتى كأن الله تعالى أنزلها تكذيبا للحاكم فى دعوى الالهية وسقط الحاكم من على سريره خوفا من أن يقتل وولى هاربا وأخذ فى استجلاب ذلك الرجل إلى أن طمنه وسيره فى صورة رسول إلى بعض الجزائر وأمر الربان أن لا يسير به غير ثلاثة أيام ويغرقه فلما غرق رُئى فى المنام فقيل له ما وجدت فقال ما قصر معى الربان أرسى بى على باب الجنة.

رجوع: ومن الهمم الملوكية والنخوة العربية والنفس الادبية ما ذكره الثعالبي فى كتابه

(١) الآيتان: ٧٣، ٧٤ من سورة الحج.

لطائف المعارف عن جميلة بنت ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان أنها حجت سنة ست وستين وثلاثمائة فصار عام حجها مثلاً وتاريخاً وذلك أنها أقامت من المروءة وفرقت الأموال وأظهرت من المحاسن ونشرت من المكارم ما لا يوصف بعضه عن زبيدة وغيرها من حاجات بيت الخلافة والملك ولا عن الخلفاء والملوك والحاجين وهو ما ذكره الثقات أنها سقت جميع أهل الموسم السوق بالسكر الطبرزد والثلج وكانت استصبحت البقول المزروعة في مراكز الخزف على الجمال فضلاً عما سواها وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين من رجالة الحاج ونشرت على الكعبة عشرة آلاف دينار واستصجت فيها شموع العنبر في مدة إقامتها بمكة وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي أمة وأغنت المجاورين بالصلوات الجزيلة وخلعت على طبقات الناس خمسين ألف ثوب وكان معها أربعمائة عمارية لا يدرى في أيها هي ومن قصتها أنها لما رجعت إلى بلدها الموصل وضرب الدهر ضرباته فكان من استيلاء عضد الدولة فناخسرو على أموالها وحصونها وممالك أهل بيتها ما كان حتى أفضت بها الحال إلى كل قلة وذل وتكشفت عن فقر مدقع وكان فناخسرو خطبها لنفسه فامتعت من اجابته ترفعاً عنه فاحتقدها عليها وحين وقعت في يده تشفى بها وما زال يعسف بها في المطالبة حتى عراها وهتكها ثم ألزمها أحد أمرين إما أن تصحح ما بقتة ووقف عليها من المال وإما أن تختلف إلى دار القحاب فتكتسب فيها ما تؤدبه من مال مصادرتها فلما ضاق بها الأمر وأشرفت على الفضيحة انتهزت فرصة من غفلة المتوكلين بها وغرقت نفسها في دجلة رحمة الله تعالى ولا آخذها.

ومن ظريف الاخبار ان زوجة المحسن بن الفرات أرادت اعدار ابنها بعد قتل أبيه فتعذرت عليها النفقة فرأت المحسن في منامها فذكرت له ذلك فقال ان لي وديعة عند فلان الدين عشرة آلاف دينار فانتبهت وأخبرت بالقصة فسألوا الرجل فاعترف بها وحمل المال اليها، اتخذ الحجاج وليمة اجتهد فيها واحتشد ثم قال لراذان فروخ هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عبد كسرى فأقام على رءوس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها شرفاً.

قلت: ذكرت بقوله أولم ما أنشدني من لفظه لنفسه سيدي المقر المجدي ابن مكناس:

قال خلى لحبيبي صل فتى      فيك قد أضحي مغرماً

قال هل يولم ان واصلته      قال ان فاز بشغري أولماً

وأول من ضيف الضيف وأطعم المسكين وقص شاربه وقلم أظفاره واستحدّ واستاك ورأى الشيب وفرق شعره وتمضمض واستنثر واستجى بالماء واختن بالقدوم ولبس السراويل وأمس المحجوج أى بنى أساس البيت الحرام خليل الله ونبيه ورسوله أبونا إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام قيل ما خلا مضيفه إلى يومنا هذا من ضيف قط وقيل له عليه السلام بما اتخذك الله خليلاً قال بثلاث: ما خيرت بين شيبين الا اخترت الذى لله على غيره وما اهتممت بما تكفل الله لى به ولا تعشيت الا مع ضيف، ما أحسن قول صفوان بن ادريس فيمن اسمه ابراهيم:

اسمى من سن القرى رفقا بمن	بغنى عليك صبابة وغراما
أنا ضيف حبك فاصطنعنى انه	ضيف الهوى يستوجب الاكراما
أفنت جسم الصب شوقا مثل ما	أفنى سميك قبلك الاصناما
يا زهرة سكنت بقلبي غضة	إنى تبوأت الجحيم كاما
حتى كأن الحب قال لاضلعي	يا نار كن بردا له وسلاما

وكان الحسن بن قحطبة مضيفا له مطبخان فى كل مطبخ سبعمائة تنور هكذا نقل عنه الزمخشري ، وحدث عمر بن شيبه قال كان الحجاج يطعم فى كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة سمكة مشوية سمينه وجنب مشوى وساقيان يسقى أحدهما اللبن والأخر العسل وكان يطاف به على كرمى فيقول يا أهل الشام مزقوا الخبز الرقيق كيلا يعاد عليكم، وقال الجاحظ كان كسرى ينصب فى كل يوم ألف مائدة على كل مائدة فخذ حمار وحش وبيضة نعامة ومن سائر الاصناف التى توجد فى البر والبحر والسهل والجبل حتى لا تخلو الموايد من سائر الاطعمة.

وكان النبى عليه السلام يجيب الوليمة ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ولا يتأنق فى مأكلا ويعصب على بطنه الحجر من الجوع وآتاه الله مفاتيح كنوز الارض فلم يقبلها واختار الآخرة وأكل الخبز بالخل وقال نعم الادم الخل وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى وكان يأكل ما وجدته ولا يرد ما حضر ولا يتكلف ما لم يحضر ولا يتورع من مطعم حلال إن وجد تمرا دون خبز أكله وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله ولا يأكل متكئا ولا على خوان لم يشبع من خبز بر ثلاثا اتباعا قط حتى لقي الله عز وجل ايشارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا وكان يحب الذراع من الشاة والدباء وأكل خبز الشعير بالتمر والبطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد وكان

يحب الحلوى والعسل وكان يشرب قاعدا وربما شرب قائما وتنفس ثلاثا مثنيا للإناء ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه ويشرب لبنا وقال من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وإذا رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن قال بعض الكرماء من اللطاف الله تعالى بالكريم أنه يسامح المسافر بالفطر فى رمضان فلولا ذلك لخجل الكريم إذ يمر عليه ضيف فيعتذر من أكل طعامه بالصوم وأين هذا من قول بعض البخلاء وقد سئل ما الفرج بعد الشدة فقال أن تدعو الضيف فيعتذر بالصوم، وكان معن بن زائدة إذا أراد أحد من غلمانه أن يرضى عليه بعد الغضب الشديد يادر إلى شىء من طعامه فوضعه فى فيه بحضوره، ووقفت فى أخبار عمارة الشاعر اليمنى قال كنت هجوت ابن دخان وهو يومئذ صاحب ديوان الدست فشكاني إلى السلطان شاور فأعرض عنه ثم شكاني ثانية فأعرض عنه ثم شكاني ثالثة فالتفت إليه وهو معرج وقال له ما تستحى من أن تشكى إلى رجلا يأكل معى على طعامى فى يوم وليلة قال عمارة فلم أشعر الا وقد حضر ابن دخان إلى دارى ليلا وحمل إلى دابتي إلى آخر السنة، وحكى بعضهم قال كنا عند الشيخ الزاهد الورع أبى العباس بن تاميت نفع الله به فقدم لنا طعاما فأكلنا فقال بعض الجماعة يا سيدى قد أسأنا الادب وأكلنا بغير اذن فقال الشيخ فاذن لا ترفع يدك الا باذن.

**نادوة:** قبل نزل ضيف على بخيل فى ليلة وكان جائعا فقدم له طعاما فأتى على آخره ولم يغادر منه شيئا فحلف البخيل أن لا يبيت الضيف عنده فقال الضيف يا أخى اصبر على إلى الفجر فقال لا وليال عشر فقال أما سمعت أن الضيافة ثلاث فقال البخيل لا وحق الواحد لا يبيت عندى ثلاثا من يأكل بالخمس ولو كان له فضل من أوتى تسع آيات بينات وحسن من سجد له أحد عشر كوكبا فخرج الضيف وقال كيف جمع زوج الثكلى هذه الافراد على الترتيب، كان لعبد الله بن جذعان جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب فوقع صبي فيها فغرق فمات، وذكر أن عطية بن صالح بن مرداس طبخ فى بعض ولائمه تسعمائة خروف مصرية سوى ما طبخ من اللوان، قال على بن الاعرابى قال الحجاج لرجل يوما وهو على خوانه وكان عليلا ارفق بيدك فأجابه على الفور وأنت يا حجاج فاغضض بصرك فقال له إن هذا الجواب المسكت، اعرابى مما يزيد فى طيب الطعام مؤاكلة الكريم الودود حث رجل رجلا على الأكل من طعامه فقال عليك بتقريب الطعام وعلينا تأديب الأجسام، وقال

على كرم الله وجهه إذا طرقت اخوانك فلا تدخر عنهم ما فى المنزل ولا تكلف ما وراء الباب وإذا طرقت فما حضر وإذا دعوت فلا تذر.

قيل لحكيم أى الأوقات أحمد للاكل قال أما من قدر فإذا اشتهى وأما من لم يقدر فإذا وجد، وقال جعفر بن محمد تبين محبة الرجل لآخيه بجودة أكله فى منزله.

نزل الشافعى بمالك رضي الله عنه فصب بنفسه الماء على يده وقال لا يرعك منى ما رأيت فإن خدمة الضيف فرض ، وكان الشافعى رضي الله عنه نازلا بالزعفرانى ببغداد فكان يرقم كل يوم فى رقعة ما يطبخ من الألوان ويدفعها إلى الجارية فأخذها الشافعى يوماً وألحق لونا آخر فعرف ذلك الزعفرانى فأعتق الجارية سرورا بذلك.

**نادوة:** روى عن أبى العباس المبرد فقال ضاف رجل قوما فكرهوه فقال الرجل لامرأته كيف لنا أن يعلم مقدار مقامه عندنا فقالت التى بيتنا شرا حتى نتحاكم إليه ففعلا وقالت المرأة بالذى يبارك لك فى غدوك غدا أننا أضلم فقال والذى يبارك لى فى مقامى عندكم شهرا ما أعلم، قيل ويقبح على الكريم أن يغتاظ على غلمانه بحضور ضيوفه وكذلك إذا أبطأ طبأخه بالطعام.

حكى أن بعض قواد طولون حضر سماطه يوماً وعليه قباء منزل بفضة فجاء بعض غلمانه عجلا فانكب على القباء من الطعام فما ظن أحد منا أنه يجيبه ففهم تخوف الغلام وانقباض الجماعة فرفع طرفه إلى الغلام وقال يا شيطان قد فهمت غرضك لا شك أنك استحسنست القباء اذهب به فهو لك فسر الغلام وجميع من حضر.

**نادوة:** قيل لبلان الطفيلى كم عدد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال ثلثمائة وثلاثة عشر رغيفا وكان نقش خاتمه ما لكم لا تأكلون، ونظر طفيلى إلى قوم ذاهبين فلم يشك أنهم يذهبون إلى وليمة فقام وتبعهم وإذا هم شعراء قد قصدوا دار السلطان بمدايح لهم فلما أنشد كل واحد منهم شعره وأخذ جائزته لم يبق إلا الطفيلى وهو جالس ساكت فقيل له انشد أنت فقال لست شاعرا قيل فمن أنت قال من الغاوين الذين قال الله تعالى فيهم ﴿والشعراء يتبعهم الغاوين﴾<sup>(١)</sup> فضحك السلطان وأمر له بمثل جائزة الشعراء، كان مسلم بن قتيبة لا يجلس لحوايج الناس حتى يشبع من الطيب من الطعام ويروى من بارد الماء ويقول إن الجائع ضيق الصدر فقير النفس والشبعان متسع الصدر غنى النفس، وقال ابن

(١) الآية: ٢٢٤ من سورة الشعراء.

الاعرابي كان المحسن الضبي في الشرف من العطاء وكان ذميما فقال له زياد ذات يوم كم عيالك قال تسع بنات قال فأين هن منك قال أنا أحسن منهن وهن آكل مني فضحك وأمر له بأربعة آلاف دينار، وكتب كسرى أنوشروان باللؤلؤ على مائدة من الذهب ليهنه طعام من أكله من حله وجاد على ذوى الحاجة من فضله ما أكلته وأنت تشتبهه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتبهه فقد أكلك.

**نادوة:** حكى الهيثم بن عدي قال ماشيت أبا حنيفة في نفر من أصحابه إلى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان مبخلا وتواصينا على أنا نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال أحدنا ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾<sup>(١)</sup> وقال آخر ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾<sup>(٢)</sup> وقال آخر ﴿أتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾<sup>(٣)</sup> قال فتمطى المريض وقال ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾<sup>(٤)</sup> فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فما لكم هنا من فرج.

كان بعض مفاليس الكتاب في دعوة فلما أخذت الكأس منه قال لهم أنتم عندي غدا فلما أصبح حدثه غلامه ما بدا منه فسقط في يده وأخذ يعنف غلامه كيف لم ينبههم على افلاسه وسوء حاله والغلام يعتذر عن ذلك باشفاقه من عريده لو اطلعهم على ذلك اذق القوم الباب فقال لغلامه على بالدواة والقرطاس وكتب إليهم ﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي﴾<sup>(٥)</sup> فلما قرءوا رقعته عرفوا عذره وتفرقوا عنه.

**نادوة أيضا:** قيل تغدى رجل مع بعض الرؤساء فقدم إليه جديا فجعل يمعن فيه فقال له الرئيس إنك لتمزقه حتى كأن أباه نطحك فقال له وأنت تشفق عليه حتى كأن أمه قد أرضعتك فخرج وانقطع، عمر بن هبيرة عليكم بمباكرة الغداء فإن في مباكرته ثلاث خصال بطيب النكهة ويطفى المرة ويعين على المروءة قيل ما اعانته على المروءة قال أن لا تتوق النفس إلى طعام غيرك.

(١) الآية: ١٥٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية: ٨ من سورة الأنبياء.

(٣) الآية: ٦٢ من سورة الكهف.

(٤) الآية: ٩١ من سورة التوبة.

(٥) الآية: ٢٢ من سورة إبراهيم.

فصل: فى الأطعمة المشهورة ومضارها ومنافعها:

السكباج: حارة معتدلة الرطوبة تنفع الكبد الصفراوية وتولد دما صالحا وتقوى الشهوة وتحبس البطن وهى بلحم البقر نافعة لمن يتحدر إلى معدته مرارة كثيرة وقال بعضهم السكباج فى البطيخ بمنزلة الفالوذج فى الحلوى وقال الصولى كان بعض الصوفية يقول أول من عمل السكباج آدم ولذلك استوى فى استطابتها ملوك ولده وسوقتهم وكتبها أم القرى لأن طعامها من أجل الأطعمة وأم الشىء معظمة وجليلة وأم القرآن الحمد وأم القرى مكة وأم الشىء أجله.

المدققات: حارة رطبة مخصبة للبدن تولد دما معتدلا يحتاج لمن ضاق عليه الاستفراق بالجماع وعرض له من الاحداث النفسانية ما بلبل الهضم عليه كالهم والفزع والغم لأن جوهر اللحم انحل أكثره فى المرق ولهذا الحال يخف على الهضم وهى من أطعمة المنخمور صالحة لهم جدا.

الرخية: حارة رطبة تزيد فى الباءة تولد غداء كثيرا وهى مضرة بالصفراء مكروهة لمن يعتاده الغشيان ولاصحاب المعدة الحارة لتعطينها وأكلها مع الحوامض صالح وهو غداء شهى موافق لأهل الرياضة والقوة وكثرة البيض فيها صالحة وهى من الألوان الماثورة الموصوفة.

الجزورية: حارة رطبة تحرك الباءة وتدر البول وأصلح ما كانت باللحم السمين والخل والمرى والخردل.

ابن سكرة الهاشمى فى جزورية:

أكلت بالامس جزورية      تخبر عن خسة أربابها  
اللحم فيها أثر دارس      كأنما سرّ على بابها

الحصرمية: باردة يابسة وأجودها ما عمل بالماء العتيق العذب والذى يعمل بالحصرم الطرى يولد رياحا بالمعدة لأنه ثمرة فجة لم تنضج ويختار فيها استعمال اللون المر لتعديل يسها وتحسين منظرها.

السماقية: باردة يابسة أيضا.

الرمانية: كذلك ولها فعل فى تقوية المعدة وينفعان من نزف الدم ومن أحب تعديل الطبع فيهما الاسفاناخ والسلق.

التفاحية والريباسية: أيضا متناسبان فى البارد واليبس نافعان لاصحاب المزاج الصفراوى والاكباد الحارة والمعدة الضعيفة يكرهان لاصحاب القولنج وهما مضرتان بالعصب والمفاصل والمنى والباءة.

الزيرياج: معتدلة الحرارة نافعة الكبد تولد دما معتدلا وهى مسكنة لحدّة الاخلات مفرحة للقلب وللتناس فيها مذاهب وأحمدها السهلة المائعة الوردية وبعضهم يختارها ردعية بالزعفران خثرة جدا وبعضهم يتخيرها سادجة بيضاء وهذه أقل حرارة.

المضيرة: باردة معتدلة الرطوبة قامعة للصفراء تولد غداء بلغميا واستعمال حلوى العسل بعدها صالح وهى من الالوان المستحبة الماثورة ويختار عملها بالفراخ الجليلة فإنها أوفق لها من سائر اللحمان وللبلص فيها معنى خلاف سائر الطبخ و كان بشار بن برد الاعمى يقول فيها: ما أظن فى الطعام أطيب من بصلّة مضيرة لاني ما سبقت البصر إليها قط ولا هم يؤثرونى بها ويستحب تقديمها فى الصحون الزرق أو ما شاكلها وتكره لها الصحون البيض ويراه بعضهم قبيحا ويعدّه من سوء الاختيار وكان أبو هريرة رضي الله عنه تعجبه المضيرة جدا فيأكلها مع معاوية فإذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه فإذا قيل له فى ذلك شىء قال مضيرة معاوية أدمم والصلاة خلف على أفضل فقيل له شيخ المضيرة.

حكى ابن شكلة الكاتب صردر امتنع من حمل ما طلب منه وأحتمل غليظ المكروه وكان يؤتى بطبق فيه طعام فرأى يوما مضيرة فى صحن أبيض هذا ما لا يكون أبدا.

القلايا: حارة معتدلة اليبس تختار للذين تجتمع فى معدتهم البلاغم لتقطعها لا سيما إذا عملت بالابازير الحارة وهى باعثة للشهوة مهيجة لذوى النهمة.

المهلبية: أول من اتخذها بنو المهلب فنسبت إليهم وهى من الالوان المستحسنة المستلذة تنفع لحفظ الصحة وأحمدها منفعة السلسلة والانعقاد بالدجاج الحديث السمان والعسل الخالص الذهبى والسكر النقى وهى معتدلة الحرارة والرطوبة تغدو غداء صالحا إلا أنها مضرّة بالصفراء وتدفع مضرتها بالحصرمية منه قبلها.

الارز باللبن: قال محمد بن خلاد كان كثير من رؤساء العراق يقدمون فى أول الطعام الارز باللبن والسكر المنخول ثم يتبعونه ما شاءوا ايثارا له على غيره وكان الحسن ابن سهل يفضلّه على كثير من المطاعم ميلا إلى رأى المأمون فيه وقال له إنه يزيد فى العمر يا أمير المؤمنين قال من أين قلت هذا قلت لان الاطباء زعموا أن الارز يولد

أحلاما صحيحة فإذا صحت الأحلام فهى من زيادة النوم على اليقظة لأن النوم موت واليقظة حياة.

الشوى: قال أبو عبيد العرب تقول الشوى رئيس الطعام قال ومر الفرزدق بالاحوص فقال له اقترح يا أبا فراس فقال شوى وطلى وغنا فقال ادخل فقد أعد لك، والشوى حار رطب وأجوده المشوى على اسهل مثل شى الرءوس فإن ذلك يكسبه فضل ترطيب ونضاج ويلطفه.

الكباب: بفتح الكاف وهو اللحم المشروح وأجوده ما شرح اللحم شريحا خفيفا ونثر عليه الملح ونصب له مقلى على النار بلا دسم وطرح عليه وقلب من جنب إلى جنب حتى ينضج ويحمر هذا هو الكباب الخالص بعينه وهو الذى كان يعمل ليحى بن خالد ولولده وفيه يقول أبو الفتح البستي:

عليك إذا أنجاب الدجى بكباب وعقبه مرتاحا بكأس شراب

فلم يفتح الاقوام بابا إلى المنى كباب شراب أو كباب كباب

الخطيبة: تخبب الجسم وتغذوه وتزيد فى الباءة.

الكشك: قال جالينوس أبوان كريمان انتجا لثيما.

الططمناج: عسر الهضم من أجل أنه من خبز فطير فهو يزلق فى المعدة واصلاحه بالثوم ويؤكل معه النعنع ويشرب نبيدا صرفا قويا وعسلا مطبوخا بأفواه إلا أن يكون محرورا فلا يحتاج إلى ذلك.

الملوخيا: غليظة لزجة باردة كثيرا، الاكثار منها يضر بالمرطوبين والمبلغمين واصلاح ضررها أن تطبخ بلحوم الغزلان لخفته وحرارته أو مع الحجل أو مع الفراخ النواهض أو الفراريج السرخسية فإن لم يتفق فتلقى فيها الشرايح الجافة المدخنة أو التنورية عند خروجها من التنور وكذلك الباذنجان المقلى يلقي عليها ويكمر ساعة ثم تؤكل وماء الليمون يلطف غلظها ويقطع لزوجتها ولا يصلحها اصلاحا تاما إلا هو وإذا قطع ورقها الاخضر ووضع على لسعة الزنبور نفعها وطبيخ ورقه يتفع حرق النار وفيه أكثر منافع الخطمى وهى فرع منه وذكر أنها قديما لم يكن لها ذكر ولا قدر ولا تصريح فى مدينة ولا فى اقليم إلا بعد ثلثمائة وستين سنة مضت من الهجرة النبوية بمصر خاصة وكان السبب فى ذلك أن المعز بنى القاهرة لما دخل مصر استوبها واختلف عليه الهواء الذى كان يعهده

بافريقية ورطوبته لمجاورته البحر فأصابه ييس واستولت عليه أمراض حارة فتدبر له أطباء مصر قانونا من العلاج من جعلته الغذاء بالملوخيا فوجد لها نفعا بينا في التبريد والترطيب وأقلع عنه معظم ما كان يجده من الاعراض الرديئة التي سببها الييس والحرارة وأدمن أكلها فأبلى من مرضه ووقعت منه بموقع عظيم وأمر باصلاحها له ولخواصه حتى سميت الملوكية ويلغ من اعتنائهم بها أنهم كانوا يجففونها ويطبخونها مجففة السنة كلها وكان باكورها إذا دخل القصر يكون ذلك اليوم موسما عظيما ويعطى مهديها عطاء جزيلا.

ما ورد من المنظوم والمنثور في هذا الباب: كتب الشيخ جمال الدين بن نباتة يتشكر من بعض الرؤساء وقد أهدى له خروفا مشويا شكر الله احسان مولانا الذي وصل فأوصل إلى القلب جبره وإلى الكف بره وإلى الفم كل شحمة كاهداب الدمقس المقتل وكل فلذة صفراء تسر ناظر المتأمل فما أحسن ما ملأ ذلك الجود فمه وعينه وتلقاه المملوك قائلا هذا الشرف الذي ينطح النجوم برفقه لقد أرى تواتر هذا البر على ما في النفس ولقد جدت هذه الهدية فخرا حتى كأنما أهدى له حمل البروج على طبق الشمس ولقد آن أن ينثر من الدهر وتتصف ولقد عرف رجاء من أين يؤكل الكتف فإنه الكرم الذي لا يحيل الآمال على سوف والفضل الذي أضاف المملوك وآواه فأطعمه من جوع وآمنه من خوف لا برح مولانا يحيى مآثر آبائه الالى ويقيم سنن قراهم التي هي على الدهر كالحلى ولا زال يفتخر فيقول عزمه أنا طلاع الثنايا ويقول بشره أنا ابن جلا، وقال ابن وكيع فيه:

خروف لو أشار إليه وهم      تقطر جلده بالشحم يجرى  
لباطنه قميص من لجين      تسربل فوقه بقميص تبر

وما أحسن ما كتب به ابن خروف النجوى إلى ابن اللهب وكان قد دعاه

دعاني ابن لهيب      دعاء غير نبيه  
إن سرت يوما إليه      فوالدى في أبيه

**نادوة:** قدم إلى أبي على الفارسي النجوى شوى غير نضيج فقال هذا لم تعمل فيه العوامل، قدم إلى الفاضل في دعوة خروف شوى فقال هذا من البهائم التي علمت يريد قوله عليه السلام لو تعلم البهائم ما تعلمون من أمر الموت ما أكلتم منها سمينا، قيل عن سليمان بن عبد الملك أنه كان نهما على طعامه وأنه كان يلف على يده بفاضل كمه ليتناول به الكلى من بطون الحملان وهي في شدة الحرارة ولا يمهل حتى تبرد وقد ذكر ذلك الاصمعي في أيام

الرشيد لما وجد سفظ عليه ثياب مذهبة ثمينة وأكمامه مبتلة بالدهن فى ذخائر بنى أمية والقصة مشهورة ، وصف جحظة دعوة حضر بها فقال أتينا برغفان كالبدر المنقطعة بالنجوم وملح كالكافور السحيق وخل كذوب العقيق وبقل كاخضرار العذار وحمل من الفضة جسمه ومن الذهب قشره وجوفه وأرز مدفون فى السكر ثم جاءنا غلام بشراب الذ من ذكره وأطيب من روحه وأصفى من وده وأرق من لطفه وأذكى من عرفه وأعذب من خلقه وأشهى من قربه.

سيف الدين المشد فى دجاجة مشوية:

حمراء كالورد من الوهج  
أترجسة من فوق نارنج

دجاجة صفراء من شيها  
كأنها والجمر من تحتها

وما أظرف قول الشيخ زين الدين بن الوردى:

لو كانت الشهوات مضمونه  
ومفاصل الرقباء مدفونه

لى شهوتان أحب أجمعهما  
أكباد عذالى مدققة

نادوة: مرض ابن تقيية المغنى وأشرف على الموت فجاء إليه ابن الصاحب يعوده

فقال له أيش حال التقيية فقال ما أخوفنى تبقى مدفونة، وقال كشاجم يصف مائدة وما عليها:

تصلح للمحموم أو للمحتمى  
فهى كمثل نرجس بروض  
كأنه العقيق ما لم يكسر  
أبرز من تحت العقيق الدررا  
أعاره تلوينه قوس قزح  
كأن قطنا بين جنبيه ندف  
مثل قدود اكر الميدان  
تقارن الكراة بالصوالجيه

ومن فراريج بماء الحصرم  
قد شويت أكبادها ببيض  
وجاءنا فيها ببيض أحمر  
حتى إذا أتى به مقشرا  
كأنه اذ حاز أصناف الملح  
وجاءنا براضع لم يعتلف  
وجاءنا فيه يياذنجان  
قد قارن الهليون بالممازجه

وقال ابن القطاع فى البيض:

بالوصف ماضى الجنان نحرير  
أو مشمش فى صحاف كافور

اسمع عن البيض وصف مضطلع  
بنادق التبسر غشيت ورقا

الرداعى:

ومن حسنهما يلتذ تكرارها التارى  
وشوقا إلى لقياك ظلت على النار

تفضل فرسانية العبد آيه  
فقد ذاب من طول انتظارك لحمها

ابن تميم:

ولم أنس إذ بيت ليلا هريسة  
فلما دنا الاصبح بادرت مسرعا  
فصادفتها في حاجم النار قد عصت  
وما أنا في شك بان لو بدلا بها

السراج الوراق:

وأحمق أضيفنا بيقله  
فمن أقل أدبا من سقله

وله أيضا:

ومغمومات رءوس باكرتنا  
ونبهنا لها الظامى بليل  
فقمنا مائلين له وقلنا

وله:

أتيت أرجيه في حاجة  
وفتل في ذقنه والنفوس

وقال ابن نباتة:

يا سيدى عطفنا على عصابة  
قد طبخت بالسوق أحشاؤهم

كتب الصلاح الصفدى إلى ابن نباتة وقد كان أهدى له ابن نباتة بسلا:

ظننت العبد عن مصر تسلا  
نعم قد أذكرتنى عيش مصر  
طعاما فوقه لحم شهى  
ودهن فوقه قد صار صبا

المعمار فى المجون:

وصاحب جئت إلى داره  
دخلت للدار على غفلة  
فقال ما تبغى فقلت القسرا  
فجاد لى بالدهن من رأسه

وبت لخوف النار أحمل همها  
لا كشف من غمى واكشف غمها  
على فلم أسطع من الحر شمها  
فتور لغىظى كنت أكل لحمها

لنسبة بينهما ووصله  
قدم فى وجه الضيوف رجله

تطيب شدى ولا طيب العروس  
حكى لون المسوح على القسوس  
يقل لكم القيام على الرءوس

فلم تنبعث نفسه الجامده  
تعاف المفتلة الباردة

أفكارهم للقمح محميه  
فيا لها طبخة قمحيه

فأهدى جودك الوافى بسلا  
واقببالا من الدنيا تولى  
إلى كل النفوس فكيف يقلى  
تلظت ناره حتى تسلا

فلم أجد بالباب من يحرس  
وجسده مستكثا ينعس  
منكم فانى جائع مفلس  
وجادات المرأة بالكسكس

مطاعم شهية وملاذ ملوكية سأل الوزير أبو نصر بن أبى زيد أبا منصور بن سعيد بن أحمد البريدى وكان من أبناء الامراء والسادة بالبصرة عما يحبه ويشتهيه ويختاره من أطايب الاطعمة الملوكية فقال قشور الدجاج الفتية المسمنة المشوية والسكباجة التمامة التى يجمع فيها بين لحم البقر والغنم ثم ينقى عنها لحم البقر وتحلى بالطبرزد وتطيب بالعنبر والهريسة بلحوم الحملان التى رضعت شهرين وربعت شهرين ومن اللحم المجذع والملبقة بالارز المدقوق والدهن بالسكر المسحوق المبخر بالنند المشرب بالجلاب وماء الورد فقال يا أبا المنصور قد تجلب فمى من هذا الوصف أشهد أنك من أبناء النعم والمروات وأمر أن يليق عليه على طباخه، ولما دخل الرشيد البصرة فى سنة ست وتسعين ومائة زار جعفر بن سلمان بن على الهاشمى وكان يومئذ واليها فأحضر له جعفر بن سليمان على مائدته كل حار وبارد وأحضر البان الطباء وزبدها فاستطاب الرشيد طعومها فسأله عن ذلك فأمر بعض الغلمان فأطلق الطباء فتبعها أخشافها وعليها سملها حتى وقفت فى عرصة الدار تجاه عين الرشيد فلما رآها مفرطة مخضبة استفرزه الفرح لذلك والتعجب حتى قال له جعفر يا أمير المؤمنين هذه الالبان واللأ ورائب الزيد الذى بين أيدينا من هذه الظبية الفيتها وهى خشفان فتلاحقت وتلاحت.

نادوة: حضر الغاضرى عند بعض الرؤساء فقدم صحفة فيها أرز مطبوخ وقد قعر وسط الصحفة جلاب فأخذ الغاضرى الملعقة وخرق التقعير إلى ما يليه حتى اختلط بالارز فقال له صاحب المنزل «أخرقتها لتغرق أهلها»<sup>(١)</sup> فقال بل «سقتاه لبلد ميت»<sup>(٢)</sup> وقال ابن الجصاص الصوفى دخلت على أحمد بن روح الاهوازى فقال ما تقول فى صحفة أرز مطبوخ فيها نهر من سمن على حافتيها كئبان من السكر المنخول فدمعت عيناي فقال ما لك قلت أبكى شوقا إليه جعلنا الله وإياك من الواردين عليه بالغواصة والردادتين فقال يا غلام قدمها فجاء بها تفور فقال لى ما الغواصة والردادتين فقلت الغواصة الابهام والردادتان السبابة والوسطى فقال أحسنت بارك الله فيك.

وكيفية الاكل عند الظرفاء والادباء هو أن يقبض الانسان الخنصر والبصر ويأكل باصابعه الثلاث وفى مذهب الظرفاء أن البصر إذا أصابه الزفر فليس بطريف فى الأكل

(١) الآية: ٧١ من سورة الكهف.

(٢) الآية: ٥٧ من سورة الأعراف.

اللهم إلا في الشريد فإن أكلها باربعة أصابع سوى الخنصر وقالوا الاكل على أربعة انحاء  
باصبع من المقت وباصبعين من المكر وبثلاث من السنة وبخمس من الشره.

فصل: فيما يشهى المآكل قال بعضهم يصف سكردانا:

وانى السكردان وفى  
كأنه بدر قد رصعت  
وقال آخر فى عجة:

وجاءتنا بعجتها عجوز  
فلم أر قبل رؤيتها عجوزا  
وقال ابن تميم فى لبأ وتمر:

يا حباذا لبأ أئانا بكرة  
فكأنما أهدى سماء فضة  
وقال صفى الدين الحلى يطلب جينا:

خفت عنكم فلم أطلب لمجلسنا  
لكن أقصى مرادى من هديتكم  
يريد قول الطغراى:

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها  
وقال صلاح الصفدى ملغزا فى قريشة:

أى شىء يروق للنفس أكلا  
خمسه أثقل الجمادات وزنا  
وقال أبو الفرج الاصفهانى يصف بيضة:

فها بدائع صنعة ولطائف  
خلطان ماويان ما اختلطا على  
صنع تدل على حقيقة صانع  
فبياضها ورق وتبر مخها

وقال الشيخ جمال بن نباتة مقاضى ملوحة بدرج الحجاز يا مولانا ما كأن الملوحة إلا  
قد اتخذت سبيلها فى بحار السراب سربا أو تعلمت من تلك الهمة فاتخذت إلى نهر

المجرة سببا وجعل فضلها مقصورا على الاسماع وخلفت من الملائكة فلا يمكن على صورها الاطلاع ولا غرو فانها ذات أجنحة منى وثلاث ورباع وتوقفت من المنع والعطاء بين أمرين وحظيت من مولانا ومن الجناح الفخرى بمجمع البحرين وما أظن الظن أن يتفق هذا الظن هذا ولو انها من نسل حوت يونس عليه الصلاة والتسليم وأن عظمها مما يسبح فى بطن آكله إلى يوم يحىى العظام وهى رميم وأن بينها الذ من القرب بعد البين الطويل ورأيها أحسن من رأى عمرو بن العاص فى الامر الجليل وأن قمصها اللؤلؤة مما تنظم فى السلوك وأذيالها المرجانية مما ترصعه فى تيجانها الملوك وعيونها الدرية هى التى دلت الخضر على عين الحياة فوردها وأن بطونها الذهبية غنى من قصدها وعلى الجملة فقد سطر المملوك هذه الورقة ولقم الانتظار تراحم القلم فى يده وأنامله المستعدة كالصنائير فى تصديه لها وتصيده فمولانا يتدارك هذا الامر قبل أن يفوت ويأمر بانفاذها ولو انها بين السماء والأرض عند الحوت ومكارمه المشهورة لا تقف فى البذل مع احتياط ولا يغير عاداتها طريق الحجاز ولولا الغلو لقال ولا طريق الصراط.

**نوادير فى هذا الباب:** ذكر الشيخ علاء الدين الوداعى فى تذكرته أن صاحب تاج

الدين محمد بن حبا رحمه الله كانت له أخت ذات مال وكان كلما اجتمع بها حضها على طعام الفقراء والمساكين والصدقة وفعل الخير ويقول لها لا تتباخلى فقالت له يوما وقد قال لها لا تكونى بخيلة فقالت له ما تستحى كم تقول أنت بخيلة وأنا كريمتك، قال عبد الملك ابن مروان لبعض الشعراء هل اصابتك تخمة قال أما من طعام الامير فلا، وقال بعضهم أربعة ممسوخة البركة أكل الارز البارد والغناء من وراء الستارة والقبلة فوق النقاب والجماع فى الماء، وقال بعض الصوفية من جلس على مائدة فأكثر الحديث فقد غش بطنه، قيل لطفيلى لم أنت حائل اللون قال للفترة بين الطعامين مخافة أن يكون قد فنى الطعام، أولم طفيلي على ابنته فأتاه كل طفيلي فلما رأهم رحب بهم ثم رقامهم إلى غرفة بسلم وأخذ السلم حتى فرغ من طعام الناس أنزلهم وأخرجهم.

دعا يحيى بن أكرم عدوله فقدم إليهم مائدة صغيرة فتضاموا عليها حتى كان أحدهم يتقدم فىأخذ اللقمة ثم يتأخر حتى يتقدم الآخر فلما خرجوا قيل لهم أين كنتم قالوا كنا فى صلاة الخوف، الحصارث بن كلدة إذا تغدى أحدكم فليمن على غدائه وإذا تعشى فليخط

أربعين خطوة، وفى قوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ (١) أفاد الجناب المجدى رحمه الله أن قوله تعالى ﴿على حبه﴾ مما يستشهد به فى البديع، قدم رجل كذاب من سفره وقد أفاد من سفره ما لا كثيرا فدعا قومه إلى الطعام وجعل يحدثهم ويكذب فقال أحد القوم نحن كما قال الله تعالى ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ (٢) عبر بعض الطفيلية على قوم وهم يأكلون فقال السلام عليكم أيها القوم اللثام فقالوا لا والله الا الكرام فقال اللهم اجعلهم صادقين واجلبنى كاذبا وقعد يأكل، وعبر طفيلى أيضا على قوم وهم يأكلون فقال هل تحتاجون إلى مساعدة فقالوا بالدعاء فقال لا هناكم الله إن لم تأذنوا لى بالاكل معكم، وما أحسن قول ابن دانيال فى شخص يدعى على شير:

إذا ما كنت متخوما فكن ضيف على شير فما يخرج منه الخبز إلا بالمناشير

**فائدة جلييلة:** ذكر التوحيد فى كتاب الامتناع والموانسة من أدمن الاكل والشرب فى أوانى النحاس أفسدت مزاجه وعرضت له أمراض صعبة وإن أذنت أوانى النحاس من السمك شممت لها رائحة كريهة وإن كبت آنية النحاس على سمك مشوى أو مطبوخ بحرارتها ما حدث منه سم قاتل، ومنه قيل لصوفى ما حد الشبع قال لا حد له ولو أراد الله تعالى أن يؤكل بحدّ لبين كما بين جميع الحدود وكيف يكون للاكل حد والأكلة مختلفون بالطباع والمزاج والعارض والعادة وحكمة الله تعالى ظاهرة فى إخفاء حد الشبع حتى يأكل من شاء على ما شاء كما شاء، وقيل لفقيه ما حدّ الشبع قال ما نشط على اداء الفرائض وثبط عن اقامة النوافل، وقيل لمتكلم ما حدّ الشبع قال حده ما يجلب النوم ويضجر القوم ويبعث على البكوم، وقيل لاعرابى ما حدّ الشبع قال أما عندكم يا حاضرة فلا أدري وأما عندنا فى البادية فما وجدت العين وامتدت إليه اليد ودار عليه الضرس وطلبت له اللهاة وأسأغه الحلق وانتفخ له البطن واستدارت عليه الحوايا واستغاثت منه المعدة وتقوّست منه الاضلاع والتوت منه المصارين وخشيت منه الموت، وقيل لملاح ما حدّ الشبع قال حد السكر قيل فما حد السكر قال أن لا تعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض، وقيل لمدينى ما حدّ الشبع فقال لا عهد لى به فأحده فكيف أصف ما لا أعرف، وقيل لسمرقندى ما حدّ الشبع فقال إذا جحظت عينك ويكم لسانك وثقلت حركتك وازجحن بدنك وزال

(١) الآية: ٨ من سورة الإنسان.

(٢) الآية: ٤٢ من سورة المائدة.

عقلك فأنت في أوائل الشبع قيل إذا كان هذا أوله فما آخره قال أن تنشق نصفين، قيل لحمال ما حد الشبع قال إني أوصل فما أعرف الحد ولو كنت أنتهى لوصفت الحال فيه أعنى ساعة أعجن الدقيق وساعة أمل الملة وساعة أترد وساعة أكل وساعة أشرب لبن اللقاح فليس لى قرار فأدرى أنى بلغت الشبع إلا أنى أعلم فى الجملة أن الجوع عذاب وأن الاكل رحمة وأن الرحمة كلما كانت أكثر كان العبد إلى الله أقرب والله عن العبد أرضى، قال إسحاق كنت يوما عند أحمد بن يوسف فدخل علينا أحمد بن أبى خالد فجرى ذكر الغناء فقال لا والله لا أجد شيئا مما أنتم فيه فهان علىّ وخف فى عيني فقلت له كالمستهزئ به جعلت فداك قصدت إلى أرق شيء خلقه الله وألبنه على القلب والاذن وأظهره للسرور والفرح وأنفاه للهم والحزن وما ليس للجوارح منه مؤنة إنما يقرع السمع وهو منه على مسافة فتطرب له النفس فذمته ولكنه كان يقال لا يجتمع فى كل رجل شهوة كل لذة وبعد فإن شهوة كل رجل على قدر تركيبه ومزاجه قال أجل أما أنا فالطعام الرقيق أعجب إلىّ من الغناء فقلت أى والله ولحم البقر والجواميس والتبوس الجبلية بالباذنجان المبرز أيضا تقدمه فقال الغناء مختلف فيه قد كرهه قوم قلت فالاختلاف فيه من أطلقه لنا حتى يجتمعوا على تحريمه أعلمت جعلت فداك أن الأوائل كانت تقول من سمع الغناء على حقيقة مات فقال اللهم لا تسمعناه على حقيقته إذن فموت فاستظرفته فى هذه اللفظة وقدموا إليه الطعام فشغله عن ذم الغناء.

نظر بعضهم إلى مائدة بخيل يوضع عليها دجاجة فلا تمس ثم تردّ من الغد فلما مضت عليها أيام قال يا أخى هذه الدجاجة عمرها بعد موتها أطول من عمرها حال حياتها، ولقى رجل أبا الحرث جمين وقد تعلق به غلام فقال يا أبا الحرث من هذا فقال غلام الفضل بن يحيى كنت عند مولى هذا بالامس فقدم إلينا مائدة عليها رغيفان قد عملا من نصف خشخاشة وثريدة فى سكرجة وخبيص فى مسعط فتنفست الصعداء فدخل الخوان وما علق منه فى أنفى فمولاه بطالبنى بالقيمة قال الرجل أستغفر الله مما تقول فأومى إلى غلام كان معه فقال غلامى هذا حرّان لم يكن ما قلته صحيحا ولو أن عصفورا وقع على بعض قشور ذلك الخشخاش الذى عمل منه ذلك لما رضى مولى هذا حتى يؤتى بالعصفور مشويا بين رغيفين والرغيفان من عند العصفور ثم قال وعليه المشى إلى بيت الله الحرام إن لم يكن إذا عطش بالفرعاء رجع إلى دجلاء العوراء حتى يشرب منها صحيحا ولو أن مولى هذا كلف

فى يوم قانظ أن يصعد على سلم من رمل حتى يبلغ كواكب بنات نعش فيلقطها كوكبا كوكبا لكان ذا أسهل عليه من أن يشم شام تلك الثريدة أو يذوق ذائق تلك الخبيصة فقال الرجل عليك لعنة الله وعليه إن كان سمع بمثل هذا.

**فصل:** فى الطست والابريق والخلال والمحلب والاشنان والمنشفة وآداب غسل اليد وكيفية الاستعمال ولا بأس بغسل اليد فى الطست وإن ندب إلى ذلك فليقبل الكرامة ولا يردّها، قال دفترخوان:

والطست إن رام إليك المقصدا      فلا تخالف من يقول اغسل يدا  
وصاحب المرش دعه ساكبا      ولا تقل بس اكتفيت كاذبا

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: اجتمعوا على غسل الايدي فى طست واحد ولا تسنوا بسنة الاعاجم، وقالوا غسل اليد فى الطست فى حالة واحدة أدخل فى التواضع ويقتضى أن يجتمع الماء فيها، وقال قال عليه السلام اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام من بات وفى يده غمر لم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه وفى حديث آخر: الوضوء قبل الطعام ينقى الفم ويغسله وينقى اللسان واللمس من الشيطان والطست الطس بلغة طىء أبدل من أحد السنين تاء للاستثقال فإذا جمعت وصغرت رددت السين لأنك فصلت بينهما بالتاء فقلت طساس وطسيس وهو أعجمى معرب أصله طشت بالشين المعجمة فلما عرب قيل بالسين المهملة، الابريق عربى صحيح وهو افعيل من البريق وقال الحريرى فى المقامات إياك واستدعاء المرجفين قبل استدعاء حلول البين أراد بالمرجفين الطست والابريق لأن الاتيان بهما يؤذن بالقيام وفراغ الطعام وما أحسن قول القاضى الفاضل فى المقامة العسقلانية يصف المائدة:

وتناوتبتهما الالوان      صنوان وغـيـر صنوان  
وأبطأ القوم بالمرجف      سين فما يرجفان ولا يوجفان

وأتبنا بغاسول تحظى به الافواه والانوف ولا يوجد بعده بقم الصائم خلوف، وقيل إن كنية الاشنان أبو إياس وكنية الملح أبو عون وسمعت بعضهم يسميهما البداية والنهاية، ولهذا حكى أن بوران بنت الحسن بن سهل لما تزوجها المأمون وأراد أن يدخل بها جعل الناس يهدون لابيها الاشياء النفيسة وكان بالقرب منهم رجل من الادباء فأهدى إليه مزودا فيه ملح مطيب ومزودا فيه اشنان وكتب إليه معهما أنى كرهت أن تطوى صحيفة أهل البر

ولا ذكر لى فيها فوجهت اليك بالمبدأ به ليمنه وبركته وبالمختوم به لطيبه ونظافته ومع ذلك:

بضاعتى تقصر عن همتى      وهمتى تقصر عن مالى  
فالمالح والاشنان يا سيدى      أحسن ما يهديه أمشالى

وذكر القاضى الرشيد بن الزهر فى كتابه العجائب والظرف أن سيد الوزراء أبا محمد اليازورى وجد فى موجوداته طستا وابريقا من البلور فأفرط فى استحسانه لهما ولعظيم قدرهما أن المستنصر وهبهما له ووجد أيضا مدهن ياقوت أحمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا أخذه سرا من السلطان فى خزانته حين قبض عليه فى سنة خمسين وأربعمائة ولما أخرج السلطان الذخائر المصرية عند أيام فتنة ناصر الدولة وجد فيما أخرج من دار ناصر الدولة تسعين طستا وتسعين ابريقا من صافى البلور وجيده كبارا وصغارا.

وقال ابن معقل فيما يكتب على سفرة الطست:

لم أصحب الطست من شوق إليه ولا      جعلت خدى له أرضا وما شعرا  
لولا وصولى به يوما إلى ملك      يصيبنى فضل ما ينفى به الغمرا  
وغيره أن يمس الترب مبتدلا      ما مس كفيه من ماء إذا قطرا

وقال جلال الدين بن المكرم فى الطست والابريق والمنشفة:

ولى صاحب ينفى الأذى عن جوارحى      فيخرجنى منه نقيا مطهرا  
وآخر يحويه فيجعل الذى      كان لى منه إليه مصيرا  
وثالثة غارت لفعلهما فلا      تزال تعفى ما لجسمى أثرا  
وقال أبو طالب المأمونى:

منشفة حملها تخال بها      قد فت كافورة على طبق  
كأنما أنبتت خمائلها      ما ارتشفت من لآلى العرق

الاشنان: عمل لهارون الرشيد يؤخذ من القرنفل والسليخة والقرفة والقاقلى والفلنجة من كل واحد جزء ومن المصطكى والأذخر والسعد والميعة اليباسة جزء ومن الموزجسوس ثلاثة أجزاء ومن الطين الأبيض المكى خمسة ومن الاشنان البارد ضعف ذلك أو ثلاثة أضعافه ومن الارز الأبيض المبلول المجفف المنخول مثل الاشنان يدق كل واحد على حدته ويخلط، صفة بنك محمص يؤخذ من البنك الأصفر المخمر وزن ثلاثين درهما ومن القرنفل عشرين درهما ومن الزعفران خمسة دراهم ومن الورد خمسة عشر

درهما ومن السليخة الحمراء الرقاق والسنبل من كل واحد ستة دراهم يدق الجميع بأسره ويطحن ويحمص بماء الورد ويبخر بالعود الند والكافور والزعفران تبخيرا جيدا فانه يجيء غاية من الغايات:

كيفية تناول الاثنان: أثنان الملوك والرؤساء هو طيب من جملة الطيوب وهو يجعل في اثنان دان له غطاء يحفظ رائحته ويكون له ملعقة يناول بها الغلام الاثنان ولا يلمس باليد البتة ولا سيما يد الغاسل فانه ان أدخل يده فيه زفرة فسد جميعه لسرعة قبول الطيب الفساد بدخول أدنى سبب من الرائحة الكريهة عليه للطف جوهره، كان بعض الظرفاء اذا قدم اليه الطعام تناول بعض الادهان العطرة الطيبة فمسح به يديه فلا يتمكن الزفر من مسامها ولا يعلق بهما طائل منه والذي يعلق يسهل زواله بأدنى غسل، وقالوا كان كسرى في زمن السفرجل يتناول قطعة سرجل وفي غير زمانه يتناول مرباه فيأكلها عندما يقدم اليه الطعام فينسد خلل ما بين أسنانه وعموره بالسفرجل فلا يعلق بهما من مضغ اللحم طائل وكان يستعمل على مائده بين كل لونين ملعقة رمان ليغسل فمه من الطعام الاول فيذوق الطعام الثاني خالص الطعم من شوب الطعام الأول فيدرك فرق ما بين الطعامين ويلتذ بكل واحد بمفرده ومن آداب الملوك ان لا يغسل الانسان يديه في مجلس الملك أو بحضرة الرئيس ولا بحيث يراه الا ياذنه وكذلك يصنع في الخلال فانه من أسوء أدب المجلس وان أذن الرئيس لجليسه في الغسل في مجلسه وأحب ان يتخلل فلينعزل بحيث لا يراه ولا يقع نظر الرئيس عليه.

وحكى ان أول غضب المعتصم على الافشين وكان حظيا عنده انه أكل عنده ثم دعا بالطست فغسل يده بحيث يراه المعتصم فقال المعتصم هذا التيس الطويل اللحية يدعو بالطست حيث أراه ثم من آدابه لمن يؤذن له به ان يستقضى ازالة لزفر ولا يقصر في غسل يده.

ويحكى ان رجلا قصر في غسل يده في دعوة بعض الظرفاء فقال له رب الدعوة اتق يدك والا دنست منديلنا، وكان عبد الله بن سليمان يبطئ في غسل يده ويقول من حكم اليد ان يكون زمان غسلها بمقدار زمان أكلها، وسأل المأمون اليزيدي معلم ولده العباس عن أخلاقه فأخبره انه لا يفلح ولا همة له قال كيف علمت ذلك قال رأيت قد ناوله الغلام اثنانا فاستكشر ما وقع في يده منه فرده في الاثنان دان ولم يلقه في الطست فعلمت انه بخيل

والبخيل لا يصلح للملك فكان الامر كما قال وليحترز عند غسل اليدين من الرشش على من يليه أو نفص يديه بالماء اذا فرغ أو التنخع في الطست أو المخاط فيه

الخلال: روى عن رسول الله ﷺ انه قال تخللوا فانه نظافة والنظافة من الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة، وفي حديث عمر رضي الله عنه عليكم بالخشنين يعني الخلال والسواك، وقال أبو هريرة رضي الله عنه السواك بعد الطعام يذهب وصر الطعام، وفي حديث آخر انه عليه السلام أمر بالخلال ونهى عن ان يتخلل بالرمان والقصب وقال انهما يحركان عرق الآكلة وفي رواية يحرك عرق الجذام، وفي كتاب طب أهل البيت عليهم السلام عنه عليه السلام الخلال يجلب الرزق، وفيه من تخلل بالقصب لم تقض له حاجة سبعة أيام، وعن أيوب الانصاري عن رسول الله ﷺ قال حبذا المتخللون قالوا يا رسول الله ما المتخللون قال التخلل من الطعام فانه ليس شيء أشد على الملك الذي على العبد ان يجد من أحدكم ربح الطعام، والخلال عمله من الصفصاف وعيدان الخلاف وطبع الصفصاف بارد يابس قليل الاضرار بالاسنان كثير النفع لها وهو أجود ما استعمل وخللت به الاسنان من الزهومات مأمون عليها.

ومن مستظرف المعانى وان لم يكن من غرض هذا الفصل لكن الحديث شجون ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ونقلته من خطه بالقاهرة المحروسة سيدنا أفضى القضاة بدر الدين محمد المخزومي المالكي الشهير بالدماميني رحمه الله:

أفنديه من ظبي غزالى	بلوا حظ تبغى قتالى
ورآه يضمر بالجفا	فى خاطر منه وبال
مالمذول اذا أبحد	ت لحسنه روى ومالى
والجسم من عشق لذا	ك الثغر أصبح كالخلال

رجع الى ما كنا فيه والخلال المأمون هو زهر قضيب نبت فى الصحراء يقال انه الجزر البرى وهو حار يابس بزره اذا استف ألقى الدود من الجوف وانما سمي المأمون لقله أذاه للاسنان واللثة للينه وهو خلال تستعملها العوام من الناس.

الادب فى الخلال: قال صاحب سرور النفس ورأيت فى زماننا من يغلف فى تناول الخلال فانى رأيت فى بعض مجالس الوزراء من الطستدارية من يضع الخلال خلف أذنه ويقدم الطست ثم يناوله مخدومه من ذلك الموضع وهو موضع قذر

لا يخلو غالباً من أذى ولو كان حامله أنظف الناس وأظرفهم وأما تناوله فانى رأيت كثيراً بعد الفراغ من الغسل ليده وفمه ورفع الطست يتناول الخلال وذلك خطأ من وجهين: أحدهما انه اذا تخلل وهو مغسول الفم خرج اللحم من عموره وأسنانه الى فمه فعاد الزفر وبطلت فائدة الغسل، والاخرى انه يلقى ما خرج بالخلال على البساط وحيث اتفق من مواضع مجالسه وتلك قذارة وان كانت محقرة المقدار فالتنزه عنها أشبه بدوى الاقدار.

وأداب المناولة فى الخلال ان يكون مع الطستدار ملفوفاً فى ورقة بيضاء فاذا اخرجته وضع احدى رأسيه بين أصبعيه السبابة والوسطى ومد به يده للرئيس وهو قائم فيتناوله الرئيس وهو على الطست فيتخلل ويلقى ما يخرج بالخلال فى الطست أيضاً ويلقى الخلال فى الطست ثم يغسل يده وفمه، وقال: ومن أقبح ما رأيت فى أخذ الخلال ان بعض الرؤساء يتناول الخلال بيده وهى زفرة فيرشقه فى شعر لحيته ويغسل يديه ويتحدث طويلاً والخلال مغروز فى لحيته وذلك أقبح ما يكون ورأيت هذا الرئيس الذى أشرت اليه يأخذ الخلال بعد غسل يده وتنظيفها ومسحها بالمنشفة فيستعمل الخلال ويضعه فى شعر لحيته نظراً منه، قال كناجم وأخذ الخلال من المروءة لتتظيف الاسنان وتنقيتها من زفر اللحم لان اللحم اذا بات فى الاسنان أنتن لا سيما اذا كان فيه صلابة والخبز أيضاً اذا بات فى الاسنان أنتن الفم وصفر الاسنان.

استشارت امرأة امرأة فى رجل تزوجه فقالت لا تفعلنى فانه وكلة تكلة يأكل خلله ووكلة وتكلة بمعنى واحد كرر للمبالغة وهو الذى يتكل فى الامور على غيره ولا يياشرها بنفسه والثناء فى تكلة واو كما قالوا فى تراث وهو من وراث والخلل ما يخرج من بين الاسنان عند التخلل قال أبو هلال العسكري وليس فى اللوم شىء من الكلام أبلغ من هذا. ولبعضهم فيه:

وناولنى من كفه شبه خصره      وشبه محب ذاب من طول هجره  
وقال خلالى قلت كل حميدة      سوى قتل صب حار فيك بأسره

وقال الفقيه أبو الحسن بن عبد الكريم الانصارى:

وخلال صنع السقم به      من نحولى فى الهوى ما قد وجب  
اذهب الجسم وأبقى رأسه      وكأن الرأس كالجسم ذهب  
مغرم بالبيض يسعى نحوها      لارتشاف الثغر أو ورد الشنب

فى الاحتياط باعتبار الاسباب المتعلقة بغسل اليد المؤدية الى الهلاك ذكر جماعة من المصنفين وفى كتاب شاناق وزنطاح الهنديين صفات مياه تمتزج بماء القراح وتخفى فيه فمن اغتسل بها أو تمضمض منها اتصل به بمسام جلده ولهواته داء مهلك ومنها ما تحمر به الاسنان ومنها ما ينفع فيه الخلال ومنها ما يجعل فى الثياب والمناشف والمناديل ومنها ما يسقى به موضع الفصد ويفعل ذلك وأوصوا واحترزوا وأكثروا فى الاحتراز من ذلك لما يجب من حفظ مهج الملوك ومهيج مدبرى دولهم والذى يجب الاحتياط فيه أربعة: الاثنان والماء والمنشفة والخلال ولكل واحد منها نوع من الاحتياط يخصه أما الاثنان والماء فوجه الاحتياط فيهما هو ان الغلام اذا قدم الطست جئا على ركبتيه ثم قدم قدح الاثنان والمحلب أو البنك ففتحه ثم أخذ الملعقة فحرك بها الاثنان جميعه حتى يقبله ظهر البطن ثم يتناول برأس الملعقة منه يسيرا قدر الدرهم أو ما يقاربه فيجعله فى كفه ثم يستفه ميعمد الى الابريق فيمسكه بيده اليسرى ويسط يده اليمنى ويجمعها قليلا ويصب فيها الماء من الابريق ويشربه على أثر سف الاثنان ثم يوضع الابريق ويتناول الرئيس الاثنان بالملعقة ويسكب عليه الماء وأما المنشفة فانه يكون مع الغلام منشفتان احدهما يتناولها للرئيس عندما يقدم الطست يضعها مبسوطة على حجره تقى ثيابه رش الماء الزفر والاخرى تكون مطوية معلقة فى وسطه على طيها وهى التى يجفف يده بها فهذه اذا وضع الطست بين يدي الرئيس أو الملك وقبل ان يتناول الاثنان يقوم قائما ويأخذها ويجعلها فى يده اليسرى ثم يجمع حواشيها باليمنى إلى آخرها ثم يقيمها قائمة ويقبض عليها بيده اليسرى من تحت اليمنى ويسلتها بيده اليسرى سلتا قويا ثم يمسكها باليسرى من وسطها ويثنيها ويقبض عليها باليمنى من تحت يده اليسرى وهى مثنية كما فعل باليسرى وهى غير مثنية ثم يسلتها باليمنى الى آخرها ثم يجمعها بين يديه ويفركها ثم يقبض عليها من حاشيتها الاخرى ويقيمها قائمة كما جعلها فى المرة الاولى ويسلتها بيده حتى يستوى تجعيدها ثم يعلقها فى وسطه وحيثئذ يجشو لمناولة الاثنان وأما الخلال فقد ذكرنا انه يجب ان ينقع ليلة او ليلتين ويعوج عند التخلل لثلا يتشظا بين الاسنان فيكون له قدح صغير من زجاج طول الاصبع بحيث تدخله الاصبع يجعل فيها ماء ورد أو ماء قراح وماء الورد أنفع لان فيه قبضا تنتفع به الاسنان ويشد اللثة ثم يترك فيه الخلال قبل الحاجة اليه فاذا احتيج اليد أخرج الغلام قدح الخلال مغطى بغطاء محكم مغلفا بغلاف من أديم معدود له يعلقه الغلام فى وسطه فيعمد الى ماء الورد

أو الماء الذى يكون فىه الخلال واليسير منه يجرى فىصبه فى راحتة ويشربه جميعه ثم يناول الرئيس حيثئذ الخلال على الصورة السابقة فى مناولته تم ذلك.

وفى ربيع الابرار للزمخشرى: أول من عمل الصابون سليمان عليه السلام، ولبعض

الادباء فى رئيس بيده صابونة:

قد أضحت السحب لها حسدا

صابونة فى راحتى ماجد

فرزصبح الموج بها مزبدا

تلاطم البحران من حولها



## الباب الثاني والثلاثون في الماء وما جرى مجراه

قالوا وينبغي ان لا يشرب الماء على المائدة ولا بعد الاكل الى ان يجف أعالي البطن الا بمقدار ما يسكن بعض العطش ولا يروى منه ربا واسعا حتى اذا جف البطن وانحدر الطعام استوفى منه ومن المشروب وفي آداب شرب الماء أحاديث نبوية ومنها أدبية حض عليها العلماء في مراعاتها أما الشرعية فلا يشرب قائما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لو يعلم أحدكم ما في بطنه اذا شرب قائما لاستقى، ومنها ان تمز الماء مزا ولا تعبها وروى عن النبي ﷺ انه قال الكياد من العب والكياداء الكيد، ومنها ان لا يستوفى الماء الى آخره ومنها ان يناول من على يمينه ومنها ان لا يشرب من ثلثة الاناء هذه كلها من احياء علوم الدين ومن آداب الماء ان يجلس ويتناول الكوز بيمينه ويسمى الله عز وجل وينظر في الاناء قبل الشرب ويضع يده اليسرى من تحته لعله يكون قد وضع على موضع يقطر منه على ثيابه قطرة غير نظيفة ثم يشرب ثلاثة أنفاس ولا يتنفس في الكوز ويحمد الله تعالى بعد الشرب وان يسر ان كان معه غيره.

آداب شرب الماء في مجالس الملوك اتفق أكابر العلماء بالادب ان استدعاء الكوز في مجلس الملك والرئيس وشرب الماء في مواجهته من سوء الادب وأما مجلس الملك خاصة فلا سبيل الى شرب الماء فيه البتة، ذكر في سيرة كافور الاخشيدى حكاية يتفجع بسماعها من يلزم مجالس الملوك قالوا كان أبو جعفر مسلم وأبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير عند كافور عشية صيف ولم يكن عنده غيرهما فقال لهما قد اشتد الحر وللثلج أيام ما جاءنا من الشام وما كان كافور يذوق الثلج وانما كانت الكيزان توضع عليه فيشرب منها وبهذا سلم من ضرر الثلج فبينما هم كذلك اذا خبر بمجيء الثلج فقال هاتوا ثلاث كيزان فجاءوا بها فأخذ كافور كوزا فشربه وأخذ أبو الفضل كوزا وشربه وأخذ أبو جعفر كوزا وقام فخرج من المجلس وشربه ثم عاد وأكب على يد كافور ثم قعد أبو جعفر ساعة وانصرف وأراد أبو الفضل ان ينصرف فشاغله كافور ثم قال هاتوا أبا اليمن فجاء فقال زد

فى جزاءة الشريف أبى جعفر ألف دينار فى كل عام وانما أجلس أبى الفضل ليريه مكافأته  
لابى جعفر عن حسن أدبه معه فى شرب الماء.

كتب أبو الخطاب الصابى الى عمه أبى اسحق الصابى مع كوز ما بعث به اليه شرط  
المودة أطال الله بقاء سيدى أن لا أنفرد دونه بلذة ولا اختص قبله بعطية اذ كان لا فرق بين  
محبتى ومحبه ولا فصل بين مبرتى ومبرته وقد شربت الساعة فى هذا الكوز فوجدته أعذب  
ارتشافنا من الافواه وأحلى مصا من الشفاء وأصفى جوهرها من فاخر الدر وأنقى من الثنايا  
الغر وأرق طبعها من الهوى وأخف وزنا من الهبا وأعبق طيبا من نسيم العنبر وأذكى رائحة  
من المسك الأذفر:

رقت حواشيه فخ      ف على الانامل والقلوب  
فكانه مستعمل      من طيب أنفاس الحبيب

يتم على القداً ولا يحول بين الماء والهوى يلفظ عن صفاء الزجاج ولا يحوج الغلام الى  
الثلاج ان أفرغ شف وان أترع رف تساوى المياه فيه عذوبة وتعجب العيون قبل النفوس رؤيه:

اشهى الى الابصار من      وجه الحبيب بلا رقيب  
تهدى لنا أنفاسه      ما فيك من كرم وطيب

حتى كأن طينته من طبتك وعذوبته مشتقة من عذوبتك وقد أنفدته مملوءا اليك لتعلم  
ان قلبى مملوء من المعبة عليك والسلام.

وقال صالح بن يونس فى كوز ومرفع:

أم الحياة على سرير من نحاس      عريانة أبدا بغير لباس  
هى فى الممات لدى الورى معدودة      لكنها ضمنت حياة الناس  
وأهدى رجل لرئيس كيزانا وكتب إليه:

ما بعثت الكيزان إلا احتيالا      جعلت مهجتي وروحي فداكا  
منعتنى الأيام تقبيل كفي      لك فارسلتها تقبل فاكا

ولا يسمى الكوز كوزا الا اذا كان له عروة والا فهو كوب وعلى ذلك فسر قوله عز  
وجل ﴿بأكواب وأباريق﴾<sup>(١)</sup> ولذلك نظائر فى اللغة وهو ان المائدة لا يقال لها مائدة الا اذا  
كان عليها الطعام والا فهى خوان كما تقدم ولا يسمى الكأس كأسا الا وفيه شراب والا فهو

قدح والى ذلك أشار العلامة ذو الوزارتين وامام العروتين لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب وزير صاحب الاندلس وكاتم سره في قوله لما وقف على كتاب ديوان الصبابة تأليف الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة مخاطبا له على قوله في الكتاب المذكور:

كتاب حوى أخبار من قتل الهوى      وسار بهم في كل شرق ومغرب  
مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل      يشبب فيها بالرباب وزينب

قوله هذه الايات:

يا من ادار من الصبابة بيننا      قدحنا ينم المسك من رياه  
وأتى بريحان الحديث فكلمنا      صبح النسيم براحة حياه  
انا لا أهيم بذكر من قتل الهوى      لكن أهيم بذكر من أحياه

أنشدنى هذه الايات المرحوم فخر الدين بن مكاس و ذكر ان شهاب الدين بن أبى حجلة أنشده اياها وانه تبجح بكونه مدح كتابه قال فقلت له يا شيخ شهاب الدين خثر عليك لسان الدين وذكر ان كتابك فارغ من المحاسن قال وكيف ذا قلت لقوله:

يا من أدار من الصبابة بيننا      قدحنا ينم المسك من رياه  
أما علمت أن الكأس لا يقال له كأس الا اذا كان فيه شراب والا فهو قدح فامتغص له شهاب الدين وأخبرنى ان لسان الدين عارضه بكتاب سماه روضة التعريف بالحب الشريف فى التصوف انتهى.

رجع الى ما كنا فيه سأل رجل الشيخ أبا الفرج بن الجوزى رحمه الله ما لنا ترى الكوز الجديد اذا صب فيه الماء نش وخرج منه صوت فما معناه قال له يا ولدى ذاك صوت شكواه يشكو الى برد الماء ما لقيه من حر النار فقال السائل فما لنا نراه اذا ملأناه لا يبرد فاذا نقص برد فقال الشيخ حتى تعلموا أن الهوى لا يدخل الا على ناقص، وذكر الوداعى فى تذكرته قال حدثنى جماعة من أهل عانة وهيت بالعراق انه اذا كان أوان الاربعينيات ملئت فاذا انقضت رفعوها الى زمان الصيف وشربوا فيها الماء فانها تبرده بردا كثيرا يقوم مقام الثلج انتهى.

قلت: وذكر لى الوزير فخر الدين بن مكاس رحمه الله ان ماء طويا اذا شيل الى الصيف وسكب منه فى آنية الماء برده الى الغاية وان ماء هذا الفصل لا يفسد اذا شيل بخلاف غيره من الفصول، وما أحسن قول ابن عبد الظاهر ملغزا فى شربة:

وذى أذن بلا سمع      له قلب بلا قلب  
اذا استولى على حب      فقل ما شئت فى الصب

قال وأهل مصر تقول للزير الحب واليه أشار المرحوم فخر الدين بن مكانس فى السبيل الذى أنشأه الوزير الملكى الشهير بالنشو بجامع عمرو بن العاص رضي الله عنه أمين:

أنشى القطيم النشو لما ارتقى      وزارة زادتته فسى وزره  
بالجامع العمرى سبيلا وقد      قالت لنا عنه بنو مصره  
هذا سبيل حاله فاسد      وزيره يرشح من قسعره  
أنشدنى الشيخ شمس الدين الرئيس لنفسه وكتبها على الخوايى:

ترفق أيها الساقى      وزد فى اللطف بالصب  
وداو القلب لى واعلم      بأنى منزل الحب

**فصل:** فى المحمود من المياه قال ابن النفيس فى الموجز أفضل المياه مياه الانهار وخصوصا الجارية على تربة نقية فيتخلص الماء من الشوائب أو على حجارة فيكون أبعد عن قبول العفونة وخصوصا الجارية إلى الشمال المشرق وخصوصا المنحدرة إلى أسفل وخصوصا اذا بعد المنبع فان كان مع هذا خفيف الوزن يخيل لشاربه انه حلو ولا يحتمل الشراب منه الا قليلا فذلك هو البالغ وماء النيل قد جمع أكثر هذه المحامد وماء العين لا يخلو من الغلظ وأردأ منه ماء البئر وماء النز أردأ وأما الشرب على الريق وعقيب الحركة وخصوصا الجماع وعلى الفاكهة وخصوصا البطيخ فردىء جدا سواء كان المشروب ماء أو شرابا فان لم يكن بد فقليل من كوز ضيق الرأس امتصاصا وكثيرا ما يكون عطش عن بلغم لزج أو مايح وكلما روعى بالشرب حركه فان صبر عليه انضجت الطبيعة المادة المعطشة واذابتها فيسكن من ذاته وفى مثل هذا كثيرا ما يسكن بالأشياء الحارة كالعسل.

قلت وعلى ذكر النيل فلا بأس بإيراد نبذة مما قيل فيه، قال الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى كتابه السكردان ذكر المهدوى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر يجرى على وجه الارض فى المشرق والمغرب وذلك له فاذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر ان يمدّه فاذا انتهى جريه الى ما قدره الله تعالى أمر كل نهر أن يرجع الى عنصره ومصداق هذا الا ترى ان النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت وينقص اذا زادت لانها والله أعلم تمدّه بمائها، وفى أصل النيل أقول للناس حتى ذهب بعضهم الى أن مجراه من جبال الثلج وهى بجبل قاف وانه يخترق البحر الاخضر بقدرة الله تعالى ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد فيسير ما شاء الله تعالى الى أن يأتى بحيرة الريح قال الحاكى لهذا القول ولولا ذلك يعنى دخوله فى البحر المالح

وما يختلط به منه لما كان يستطيع ان يشرب منه لشدة حلاوته وقال قوم مبدأه من جبل القمر وأنه ينبع من اثني عشر عينا واختلف في سبب زيادته ونقصانه فقال قوم لا يعلم ذلك الا الله تعالى وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب يشتهد أن يعرف أصل هذا النيل فرسم أن تشتري عبيد صغار زنوج وما شاكلهم جلب لم يستعربوا وسلمهم لصيادي السمك والبحارة ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك وأن يكون قوتهم من السمك لا غير فاذا مهروا في ذلك تصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها ويأتوه بخبز النيل وكان فرعون يجبي خراج مصر في كل سنة ألف ألف دينار فيأخذ الربع من ذلك لنفسه وأهل بيته وبيت ماله والربع الثاني لوزرائه وأمرائه وكتابه وجنده ويكتز الربع الثالث ذخيرة ويصرف الربع الرابع في حفر الخلجان وسد الترع وعمل الجسور ومصالح الارض وكان في كل سنة اذا كمل التخضير ينفذ مع قائدين من قواده أردبين من قمح فيذهب أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائد كل ناحية وأرض كل قرية فان وجد موضعا باثرا عطلا قد أعفل بذره كتب الى فرعون بذلك وأعلمه اسم العامل وأخذ ماله وولده فربما عاد القائدان ولم يجد أحد منهما موضعا لبذر الارذب لتكامل العمارة واستظهار الزرع وجباها عمرو بن العاص اثني عشر ألف ألف دينار وكان ذلك أول دخوله اياها والكلام على ذلك طويل (ومما) قالت الفضلاء في النيل المبارك فمن ذلك قول علاء الدين الوداعي:

روَّ بمصر وبسكانها  
وصف لي القمطر وشتف به  
وارو لنا يا سعد عن نيلها  
وقال الشيخ زين الدين بن الوردي:

هم الانام فقابلها بتقبيل  
مصر مقدمة والشرح للنيل  
وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي:

رأيت في أرض مصر مذ حللت بها  
تسود عيني في الدنيا فلم أرها  
وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

زادت أصابع نيلنا  
وأنت بكل جميلة  
وطمت فأكدت الأمدى  
ما ذى أصابع ذى أيادي

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى:

لنيل مصر كمال فى زيادته  
إذا بدت لك من تياره شميم  
وقال الشيخ شمس الدين بن الصائغ رحمه الله:

سما النيل اذ يحكى السما فى انبساطه  
تسير به الافلاك شرقا ومغربا  
وقال الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة:

نشروا القلوع ويشروا بوفائته  
وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب:

لله يوم الوفا والخلق قد أجسموا  
وللوفاء عمود من أصابعه  
وقال الشيخ سيد الدين بن كاتب المرج:

يا نيل يا ملك الانهار قد سقيت  
وقد دخلت القرى بنى منافعها  
فقال تذكر عنى اتنى ملك  
وقال ابراهيم المعمار:

سمعت يوما سم مصر بقل  
فكان هذا خببر صادق

وفى هذه النبذة كفاية وعلى الجملة فمحاسن النيل مستكثرة ولو استوعبنا ما للفضلاء  
فى ذلك من النظم والنثر لحفيت من تسطيرها الاقلام وضاق صدور الاوراق وما أحق  
هذه المقاطيع ان تسمى مقاطيع النيل.

رجع الى ما كنا فيه أنشدنى من لفظه لنفسه ونقلته من خطه الشيخ الفاضل زين الدين  
ابن العجمى رحمه الله ملغزا سألتك أعزك الله عن سائل لا حظ له فى الصدقة وان لم يكن  
متصل النسب بالاشراف كثير الرجفان من غير أن يخاف كم رد سائله نهرا وعفر وجه فاقده  
بالتراب قمرا مذكر كثير الحيض لطيف الانبساط سريع الغييض مطلق التصرف وعليه  
الحجر وطالما قبل العشاء أبدى لنا الفجر يتشعب ويتكسر ويتعوج ويتدور وله خمسون  
عينا وأكثر يحمل القناطير المقنطرة ويعجز عن حمل ابرة سريع الاستحالة قل ما يثبت على

حاله بعيد الغوص ليس له قرار يعاجل صفاء ورأده بالاكدار يسكن في تخوم الغبرا وينم على أحوال أهل السما رقيق القلب على كل عديم وكيف لا وهو الولي الحميم بوجود بأفخر الحلى ولا يرد من نداءه مؤملا كم عمر سبيلا وقطع طريقا وأخاف سبيلا كم طفا واحترق وأظهر الحقائق وهو كثير الملق كم علا درجا وحط قدر الدقائق وقلع بأصابعه عين كل مارق وكم طهر أمما من أرجاسها وأماط عن أرض رديء أدناسها وكم درأ عن شيخ خبثا ورفع كهلا وحدثا صقيل يجلو الصدا ويظهر على شدة البرد تجلدا يبلغ فيه بشيء يسير مقاما لا ترقى اليه همة الملك الكبير كم أباح محرما للعباد واكثر الفساد في البلاد وكم رأينا شموسا تجرى لمستقرها فيه وتجنح وتلوح في فلكه وتسبح كم خاض في ذاته خائض مع كثرة سياحته وربما وجد في الجبال رابض قد جمع فيه الخوف والرجا والكدر والصفاء ومن العجائب انه كافر وكم أعان على العبادة أهل الصلاح وأضاف نزيله بالميتة ولم يخش في ذلك من جناح فسبحان من جمع فيه الاضداد وأرسله رحمة للعباد.

وقال أبو الفضل أحمد بن محمد الخازن فيه:

وخل صفاء زرته بعد هجره	فألقيت شخصى في حشاه مصورا
وأودعته مرافئشاه للورى	فيا حسن ما أفشى الغداة وأظهرا
أبو حليف للثريا وأمه	به حامل في بطن منخفض الثرى
سطح له جسم بغير جوارح	يبارى الرياح الجاريات اذا جرى
نصافح كفى منه كفا رطيبة	يخادع عيني كالخيال اذا سرى
تزر عليه الريح ثوبا مفرگا	ويكسوه شهب الليل ثوبا مدثرا

وقال أبو الحسين الباخريزى ملفزا:

لا أحساجى في زمرة الفضلاء	غير خل خصصته بأخائى
في شبيهه البلور رد إلى الماء	وقد كان قبل عين الماء
ينذر الحمر بالهزيمة بردا	فهو المنذر بن ماء السماء

وأنشدنى المقر الاشرف المرحوم أبو عبد الله محمد بن الانصارى صاحب ديوان

الانشاء بالشام لنفسه حكاية حال:

ضلوا عن الورد لما أنهم رحلوا	قومي فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أكرم منى بالورد دونهم	فقلت يا ليت قومي يعلمون بما

وعلى ذكر الماء ذكرت ما أنشدني من لفظه لنفسه شيخنا العلامة أفضى القضاة بدر

الدين أبو عبد الله محمد المخزومي المالكي الشهير بالداميني ملغزا فى قرية وكتب به إلى  
المرحوم الاميني صاحب ديوان الانشاء على يد مسطرها:

أكاتب سر الملك والفاضل الذى  
ومن فاه فى فن البديع بمنطق  
تحدثت عن سهل رواة كلامه  
فديتك ما ذات أظالعكم بها  
تشد وكم فى الارض قارا ما لها  
وما هى فى التحقيق رواية وكم  
مليحة شكل يالف الحب صبها  
ويبلغ منها للحياض حقيقة  
يزيد مريدوها اذا ما تصوفت  
لها أربع لكن بساق رأيتها  
وترضع أحيانا وما حان وضعها  
وتحمل ما فيه الحياة لريها  
وترسله فاعجب له من مسلسل  
وكم من خليع سمته اذ تعنتت  
وما نال اثما فى تعاطيه بعدما  
وسم فمها المفتوح كم راح سائلا  
وكم قد تعبدنا بتحريف لفظها  
وتصحيفها يا بهجة الدهر بلدة  
وتوجد فى الافلاك عالية بها  
فيا من لرق الفضل أصبح مالكا  
تلفت للغز نحو بابك قد أتى  
وقال بعضهم ملغزا فى قرية السباحة:  
وذاًت فم يوماً تسبح ربها  
معانقة الصبيان مضمرة الهوى  
ثناه على الافكار فرض مرتب  
فأمت غويضات المعانى تهذب  
اذا ما أتاه اللغز يرويه مصعب  
ويبحث فى الاسفار عنها ويطلب  
فصدق اذا ما قيل تملى وتكتب  
لها خبر فى الذوق يحلو ويعذب  
زمانا وفى وقت لها يتجنب  
ولكن رأينا قلبه وهو طيب  
ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا  
على السعى فى الاجاء بالنقع تدأب  
وكم من فتى فى حملها راح يرغب  
فيا حبذا منها البسيط المركب  
غدا مرسلا عنه الروية تعجب  
يمد اليها الراح لهوا ويطرب  
رأبناه من تلك العتيقة يشرب  
وما نظقت حرفا عن القصد يعرب  
ولم أر بالتحريف من يتقرب  
حواها من الاقطار شرق ومغرب  
ويألفها بعض الحوارى ويصحب  
فما لى الانحو عليه مذهب  
وكل غدا من ظرفه يتعجب  
ولم تكتسب أجرا بتسييحها قط  
كأن بقايا قوم لوط لها رهط

## الباب الثالث والثلاثون

### في المشروب والحلواء

قال أبو عبيد معمر العرب تقول كل طعام لا حلواء فيه فهو خداج أى ناقص غير تام وقال الزمخشري عن بعضهم انه قال اللوذنج قاضى قضاة الحلواء والخبيص خاتمة الخير وقيل لبعضهم التمر يسبح فى البطن فقال على هذا التقدير اللوذنج يصلى التراويح، دخل الحمل البصرى على قادم وعنده قوم بين أيديهم طباق حلواء ولا يمدون أيديهم فقال لقد أذكرتمونى ضيف ابراهيم وتلا الآية ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾<sup>(١)</sup> ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا، وكان أبو هريرة يقول أكل تمره أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب الوصب والنصب، قيل: لاعرابى على مائدة بعض الملوك وهو يأكل الفالوذج لم يشبع منه أحد الا مات فأمسك وفكر ثم ضرب بالخمس وقال: استوصوا بعيالى خيرا، وكان: عبد الله ابن جذعان سيدا شريفا فى قرينش فوفد على كسرى وأكل عنده الفالوذج فسأل عنه فقيل له الفالوذج قيل وما هو قيل لباب البر يلبك مع العسل النحل فابتاع من عنده غلاما يصنعه وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج فوضع موائده بالباطح الى باب المسجد ثم نادى من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر فكان ممن حضر أمية بن الصلت وكان يمدحه كثيرا فقال:

لكل قسب سبيلة رأس وهاد	وأنت الرأس تقدم كل هاد
له داع بمكة مشمعل	وأخسر فوق دارته يناد
الى درج من الشير املاى	لباب البر يلبك بالشهاد

حدث المحسن عن ابن خلاد باسناده فى كتاب الموائد ان الرشيد وأم جعفر اختلفا فى الفالوذج واللوذنج فحضر أبو يوسف القاضى فسأله الرشيد فقال اذا حضر الخصمان حكمت بينهما فقدا اليه فأكل منهما حتى انتهى فقال له الرشيد احكم فقال كلما أردت أن أفضى على أحدهما أدلى الآخر بحجته فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار وبلغ زبيدة فأمرت له بألف دينار الا واحدا.

(١) الآية: ٧٠ من سورة هود.

حدث حماد بن سلمة قال دخلت على اياس بن معاوية وهو يأكل فالودجا فقال ادن دخل فان كان شيء يزيد في العقل فهذا، وأتى اعرابي بفالودج فأكل منه فقبل له تعرف ما هذا فقال هذا وجدك الصراط المستقيم.

ومن نوادر الصوفية انهم اذا اكلوا طعاما عند أحد فقالوا أكل طعامك الابرار وأفطر عندك الصائمون ولا يقولون وصلت عليك الملائكة الا بعد الحلواء، قيل لابي الحارث جمين ما تقول في الفالودج قال وددت انها ومالك الموت اختلجا في صدري والله لو ان موسى لقي فرعون بفالودج لامن ولكن لقيه بعضا، وقال أنس يرفعه: من لقم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة الموقف، اشترى رجل احمالا من السكر وأمر باتخاذ مسجد من السكر ذى شرف ومحاريب وأعمدة منقوشة ثم دعا الفقراء فهدموه ونهبوه ذكر ذلك الزمخشري في ربيع الابرار، قدم فالودج حار الى مائدة عليها أبو هفان وأبو العيناء فقال له أبو هفان هذا آخر مكانك من جهنم فقال أبو العيناء ان كانت حارة فبردها بشعرك، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لعق العسل ثلاثا في كل شهر لم يصبه عظيم البلاء أبدا، وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال شفاء أمتي في ثلاث: لعقة من عسل أو شرطة من حجام أو آية من كتاب الله، ونقلت من خط القاضي الفاضل واقعة غريبة اتفقت بالديار المصرية وهي انه لما أحرق شاور مصر أيام دخول الفرنج اليها كان بها رجل صالح وله ابنة مليحة احترقت دكانه في جملة ما احترق فرحل الى البر الغربي وسكن في بعض القرى وجلس في حانوت سمان يرتفق به وانفق ان مقطوع القرية رأى ابنته فهوئها وجعل يروم افسادها فلم يتيسر له فخطبها من أبيها فما رضىه كفؤا لها فشرع فى أذيته وتسخيره وطرح عليه غرامة لا تلزمه وعزم على جسسه فسأل امهاله مدة معينة فقال اكتب لى بها حجة علما منه انه فقير ومتى حلت الحجة أخذ ابنته بتلك الحجة فكتب وأشهد عليه فلما انقضت الحجة جاء شاب واشترى منه عسلا فأخذه فى جرّة ومضى فسقطت منه صرة مشدودة فأخذها الرجل وفتحها فوجد فيها عشرة دنانير فأخذها فلما جاءه المقطع طالبه ورفعته الى القاضي فقال له احضر الحجة فأحضرها فدفع اليه العشرة دنانير واخذ الحجة وتخلص من الظالم فلما عاد الى حانوته جاء الشاب الذى اشترى منه العسل وسقط منه الذهب وقال اجعلنى فى حل وابرى ذمتى فانى لما اشتريت منك العسل ذلك اليوم وقعت منى صرة فيها عشرة دنانير فاتهمتك بها وظننت انك أخذتها فلما حضرت اليوم وجدتها مرمية فى طريقى فتعجب الرجل من

ذلك وقال اشكر الله الذي ردّ عليك فأنت في حل من جهتي فلما كان ثاني يوم جاءه الظالم وقال اجعلني في حل فإنني رأيت البارحة مناما أزعجني بسبيك وأما الذهب فإنه وقع مني وذلك لاني قد أخذته حراما وقد ثبت الى الله تعالى مما جرى مني فشكر الله تعالى وتفرقا.

كتب الشيخ شرف الدين عيسى العالبة الى سيدنا ومولانا الشيخ بدر الدين محمد

الداميني ملغزا في عسل:

ألفت مدحا كالجواهر نظمه  
يمضي على الالغاز جميعا حكمه  
أكرم به أصلا يروكك طعمه  
ريشا وأجنحة ولست أذمه  
لحما ويعجب من يراه جسمه  
لم يدر ما هي من تبدل فهمه  
كالمسك حين يفيض عنه ختمه  
ما أصل هذا في الطيور وما اسمه  
قد غره فيما ادعاه وهمه  
أكلته في وقت المجاعة أمه

يأيها المولى الرئيس ومن له  
اسمع سمعت الخير لغزا محكما  
قالوا من الاطيار حقا أصله  
لكنه ما حاز منقارا ولا  
والجسم منه ما حوى عظما ولا  
ويفرد عين كم بدا لمعان  
يا من له ذكر يفوح لناشقا  
قل للذي يبدى الدعاوى قل لنا  
ان قال هذا واضح فهو الذي  
من أين يعرف اسم شيء ربما

فأجابه:

ولعزه قد ذل عجزا خصمه  
منه علا بين الافاضل رسمه  
ومن الفضائل قد توفر سهمه  
بنفيس در صبح فينا يتمه  
قلنا بهذا الفعل قد وضع اسمه  
أعربت لحنا ليس يجهل حكمه  
فحوت به شهدا لذيدا طعمه  
فقضى بتفطير المرارة همه  
عذب المذاق فحار فيه وهمه  
أضحى عليا في افصاحة نظمه  
يا من تحلى بالنباهة فهمه  
يا طالعا في خير أفق نجمه

يا فاضلا بين المحاسن نظمه  
وطرّزت حلال البديع بمنطق  
شرف لاغراض البلاغة سابق  
ألغزت في اسم عاطل حليته  
فاذا أضفت القلب منه لاسمه  
وإذا عكست الاصل منه فهو ان  
قد كانت الاذهان منه خلية  
وروى ابن سكرة حلوة نظمه  
ورأى بعين لغزك الحلو الجني  
وأعاده بحلى أمير النحل اذ  
فاسلم وصغ البيان لفهمنا  
واصفح بفضل عن جواب سافل

ومن تذكرة الوداعى قال الصاحب فخر الدين بن الشيرجى أهدي الامير بدر الدين  
لوسو المسعودى قصب سكر من الغور فأرسلت اليه مع الرسول أبلوجة سكر مكرر وكتب  
فيها رقعة فيها:

كالبحر يطره السحاب وما له  
أبو الحسين الجزار ملغزا:

أتعرف لى حبلى اذا ما تنفست  
ويرضع منها الندى ساعة حملها  
تريك جنينا وهو من غير جنسها  
عليه به ستر دقيق وانما  
اذا كسرت فى القوم تجبر كسرها  
تروق عيون الناظرين جلالة  
وقال الشيخ زين الدين بن الوردى:

بعثت قطائفها روى  
فسكرها أبو ذر

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة يستهدى قطرا:

لجود قاضى القضاة أشكو  
والقطر ارجو ولا عجيب  
وقال الشيخ العلامة أبو محمد بن جابر الاندلسى نزيل حلب:

وقفت للوداع زينب لما  
مسحت بالبنان دمعى وحلو  
وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة ملغزا:

احاجيك ما حلو اللسان وانه  
يرى جالسا فى الصدر ما كان كاملا  
وله يستهدى قطرا

مولاي عندى للبنات قصائد  
وتشاق من احسانك الحلو رسمها

ابن نباتة:

أقول وقد جاء الغلام بصحنه  
بعيشك قل لى جاء صحن قطائف

عقيب طعام الفطر يا غاية المنى  
ويح باسم من أهوى ودعنى من الكنى

## الصلاح الصفدى:

أناى صحن من قطائفك التى  
غدت وهى روض قد تثبت بالقطر  
ولا غرو ان صدقت حلو حديشها  
وسكرها يرويه لى عن أبى ذر  
وما أحسن قول القاضى محى الدين بن عبد الظاهر فى منزلة القطيفة:

هذى القطيفة التى  
لا تشتهى عقلا ونقلا  
حشيت ببسرد يابس  
فلاجل ذاك الحشسو يقلى

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى وكتب بها إلى القاضى نور الدين بن حجر والد  
سيدنا القاضى شهاب الدين رحمهم الله:

مولاي نور الدين ضيفك لم يزل  
يروى مكارمك الصحيحة عن عطا  
صدقت قطائفك الكبار حلاوة  
بفمى وليس بمنكر صدق القطا

وأشدنى القاضى بدر الدين بن الدمامينى قال أنشدنى شرف الدين عيسى بن حجاج  
العالية لنفسه:

تهن بنصف كم به من حلاوة  
وجد لى بفضل لا يضيع ثوابه  
فإن لسانى صارم وفمى له  
قرباب وارجو أن يحل قرابه

وأشدنى من لفظه لنفسه شيخنا زين الدين بن العجمى أحد فضلاء الديار المصرية  
وقد أهدى له حلواء سكب:

لفضلك يا قاضى القضاة مزية  
فأول جود الغيث قطر مبدد  
ابن المنشد:

وقطائف مثل البودور  
أنت لنا من غير وعد  
فحسبتها لما بدت  
فى صحنها اقراص شهد

## السراج الوراق:

قطائفك التى رقت جسوما  
كفيم رق لكن فيه قطر  
لماضفها كما كتفت قلوبا  
غدا المرعى الجديب به خصييا

وقال أبو الحسين الجزار يستهدى قطرا:

أيا علم الدين الذى جود كفه  
لئن أمحلت أرض الكنافة اننى  
براحة قد أخجل الغيث والبحرا  
لأرجو لها من سحب راحتك القطرا

وليه:

وجاد عليها سكر دائم الدر  
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى  
أقول لها ما القاهرية فى مصر

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر  
وتبا لاوقات المخلل إنها  
ولى زوجة إن تشتهى قاهرية  
المعلم المرصص:

الذ وأحلى من وصال القطائف  
ألم ترها ملفوفة كالصحائف

وحقك ما أوليتى من قطائف  
وقد ضمنت مثل العتاب حلاوة  
ابن نباتة:

قطائف من قطر النبات لها قطر  
كما انتفض العصفور بلله القطر

رعى الله نعماك التى من أقلها  
أمد لها كفى فأهتز فرحة  
وليه:

زالت مدائحك العلياء تنتخب  
وأول الغيث قطر ثم ينسكب

شكرا لبرك يا غيث العفاة ولا  
قد جدت بالقطر حتى زدت فى طمع  
سعد الدين بن عربى:

بالى أراك رقيقة الجسد  
فتقطعى من كثرة الحسد

قال القطائف للكنافة ما  
أنا بالقلوب حلاوتى حشيت  
ولآخر فى أقرصة البسندود:

كأنها فى النقا كافور  
دراهم فوقها دنائير

أقرصة هشة مدورة  
كأنها فى الصحف مطبقة

كتب سيدنا القاضى صدر الدين بن الادمى إلى سيدنا ومولانا أفضى القضاة بدر الدين  
محمد بن الدمامينى ملغزا فى لودنج يقبل الارض وينهى أنه أصدرها عن صدر محرور  
وقلب لانقطاعه عن الباب الكريم مكسور فاسبل عليها من فضلك ستور وأعذر فإنها نفثة  
مصدور:

فاق الخليل بها فضلا وتمكينا  
والثلم فى صدرها مستعمل حيننا  
هذا ويقطع مطويا ومخبونا  
يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا  
لا زال سعدك بالاقبال مقرونا

يا من له فى عروض الشعر ايد  
ما اسم دوائره فى نظمه اتلقت  
أجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت  
تصحيف معكومه لفظ يرادفه  
والعبد منتظر من خله فرجا

وقد جهزها لتنوب عنه في تقبيل اليد الكريمة وتستمطر من سحائب جوابه الصيب ديمه، فكتب إليه الجواب يقبل الأرض وينهى ورود المشرفة التي عذب معناها وشهد أهل الذوق بحلاوة مجتاتها وحاول العبد حل لغزها الاسير فأذن دون شهده ابن النحل وقرنه بالغاز المتأدين فإذا هو مخصب النبات بتوال القطر وإذا تلك مطروقة المحل بالمحل وكادت مرارة الفقير تنفطر لعجزه عن هذه الحلاوة وجرى على عادته في الاسف المكرر حيث فقد هذا الرونق وتلك الطلاوة لكنه عقد الفضيحة على نفسه بعد أن استقال وتجاسر بعد الخوف على نظم الجواب فقال:

يا مرسلا من شهى النظم لى كلما	منها ابن سكرة قد راح مغبوننا
لله درك صدرا من حللواته	وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
جليت لغزك إذ أبهمته فلذا	يا فائتي رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره	للکف قبضا يزيد العقل تمکينا
وليس اضماره مستحسنا فادم	بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم	فينا أمينا رشيد الرأي مأمونا

والله تعالى يحلى أفواه ذاكريه بما هو أشهى من اللوذنج وأحلى وأعناق المتأدين من كلمه بما هو أنفـس من الدر وأغلى ويكلؤه فى الإقامة والارتحال ويقى عيشه كل مرّ ويحفظه على كل حال، وقال الشيخ برهان الدين القيراطى ملغزا:

هذان لغزان قد حلا بيبابك يا	قاضى البرية ما هذان خصمان
اسمان كل خماسى إذا كتبت	حروفه وهما لاشك خدانان
تباينا فى الورى شكلا إذا نظرا	وصورة وهما فى الاصل مثلان
يرى بكانون اصلاحاك أنهما	كما لاصلهما نفع بنسيان
فى مصر والشأم منسوب لاصلهما	يضاف يا خير بستان لبستان
لكن إلى الصين منسوب مقرهما	إن أحضرا فى مكان بين اخوان
لذا كنا وهو بين الناس ليس له	من كنية ما انتحى فى ذاك اثنان
فى البر يلقى وان فتشت عنه تجد	فى لجة البحر يلقى خمسه الثانى
نبت أرى النار قد أبدت له ورقا	فاعجب له ورقا ينمو بنيران
يحى إذا ما سقاه القطر وابله	وجاده بسحاب منه بمنان
كبيقة هو لكن لا يشم ولا	يضاف يوما إلى أزهار بستان

ذو رقة فإذا صحفته ظهرت  
 وكم له من بدور كمل طلعت  
 فقدمها خيط فجر أبيض عجل  
 واللغز الآخر اسم ذات السنة  
 يا حسنها السنأ أضحت حلاوتها  
 تطوى على الحشو أحشاء وليس لها  
 بالطى والنشر فى حال قد اتصفت  
 كم سكرت ففتحنا للدخول بها  
 حسناء أجمع أهل الحل أجمعهم  
 وصالها حل بالاجماع فى زمن  
 ثلثا ثلاثة أخماس لها وجدا  
 وما ذكرت من الاخماس كم نطقت  
 وخمسها جبل لكن بقيتها  
 تقلى ولكن لها قلب تقربه  
 ما مل ذا من القالى أماليه  
 فى الجوف منها قلوب جمعت  
 كم ظل يطرحها من ليس ذا شرف  
 جميلة الوصف طابت عنصرا وزكت  
 بالحل أنعم سقى القطر المواطئ من

كنافة منه فاستره بكتمان  
 فى سائر الشهر لم تمحق بنقصان  
 بالبرق يسطو عليها سطوة الجانى  
 لم يسد منها لنا بالنطق حرفان  
 يحلو المديح لها من كل ملسان  
 فى الاشعرية من رام بنكران  
 والطى والنشر فيما قيل ضدان  
 أبوابها فتلقنا باحسان  
 والعقد منا عليها بعد عرفان  
 فيه الوصال حرام بعد اعيان  
 شيئا يجيء بإيضاح وتبيان  
 صدقا بذكر اسمها من غير بهتان  
 فى مكة ترتجى فوزا بففران  
 ممن قلاها من الاقوام عينان  
 عنها وما خطر القالى لها شانى  
 ولا يكون لجوف الشخص قلبان  
 جهرا ويوصف مع هذا باتقان  
 أصلا وما سلمت من ظعن ظعان  
 اقدام سعيك فى ارواء ظمآن

وكتب الشيخ جمال الدين بن نباتة إلى بعض أصحابه وقد أرسل قطرا ردينا وينهى أن  
 الذى أرسل إليه مولانا الوصول وأحال عليه بالبر المحصول أرسل قطرا ولكن بزيادة حرفين  
 فإذا هو قطران وبكسر أوله فإذا هو لسد الامل الواحد قطران عندما شمه المملوك أنكره  
 وعندما عاينه استغرب كدره حتى حلف بالسجدة ما هو الادخان وقالت عينه المتظرة خير  
 من هذا القطر قطر الاجفان وقال الفكر ما هذه إلا فعلة الواسطة التى فعلها وهو من  
 الظالمين وهمته التى بعثها وهو من الأثمين ورد المملوك ذلك المرسل بالعيب لوقته  
 وعجبت من الايادى كيف نقض عليها سواد بخته وعلى كرم مولانا تديبير هذه القضية والله  
 تعالى لا يخل الأمل من وجود سنته الشمسية بمنه وكرمه، وكتب إلى الجناب العالى العلائى

ابن القلانسى وقد ارسل إليه سكرًا يقبل الارض وينهى وصول البر الذى حلت مواقعه وجلت صنائعه وحلت عن أبهى وأبهر من بدر التمام مطالعه وابيضت به أيادى الكرم وشب شخصه الجميل وإن كان أشبه شىء بالهرم فضمه المملوك كنهده الحبيب وقبله أحلى وأزهر من الثغر الشنيب وابتهج به نظرا وفكرا ونقطه بدمع السرور حتى عاد السكر بالتنقيط شكرا وكرر حديثه فقال هكذا يكون المكرر وهكذا يبعث قطعة من سحابه المسخر وهذا والله البر الذى لا يستبطنى لديه القصد منجحا والفضل الذى هو أحق بقول الأول لنا الجففات الغر يلمعن فى الضحى أمتع الله العفاة بيمين مولانا التى أعادت من العيش حلواء وعتب الدهر خلواء وشكر عوارفه التى ما فتح على مثلها الطالب جفنه وأياديه التى حسنت المدح حتى نسى الناس ما قال حسان فى أهل جفنه.

**فصل فى الأثربة:** عن ابن عباس رضي الله عنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم أى الشراب أفضل فقال الحلو البارد قالوا أراد العسل، وقال صلى الله عليه وسلم سيد شراب الدنيا والآخرة الماء، وقيل لبعضهم أى الشراب أحب إليك فقال أعز مفقود وأهون موجود وكان المأمون يقول شراب الماء بالثلج أدعى إلى اخلاص الحمد، قال الحسن لفرقد بلغنى أنك لا تأكل الخبيص قال إنى لا أقوم بشكره قال وهل تقوم بشكر الماء البارد، صفة شراب ينفع من العطش والخمار ولهب المعدة يؤخذ من ماء الرمانين ومن ماء حماض الاترج من كل واحد نصف رطل ومن ماء الاجاص وماء نقيع التمرهندي من كل واحد رطل يطبخ بنار لينة حتى يغلظ ويصير فى قوام الاثربة ويسقى منه أوقيتين بماء بارد وثلج وبماء ورد وماء خلاف.

**الفقاع:** يتخذ من أصناف من الحلاوات يتخذ من السكر البياض النقى بأن يحل بالماء والماء ورد ويطيب بالمسك ويوعى ويبرد بالثلج ويستعمل ويتخذ من العسل ويتخذ من ماء الزبيب الحلو السمين ويتخذ من الدبس وغير ذلك ومن الناس من يطيبه بالزنجبيل أو الفلفل أو القرنفل مع المسك والماء ورد وهذا يضر المحرورين ومن الناس من يحل شراب التفاح ويصبه فى كيزان الفقاع ويبرده ويستعمله وجميع أنواع الفقاع شربها الواجب النافع أن يكون قبل الطعام ويصبر عليها حتى ينحدر فأما بعده فلا فائدة فيه غير تجشيات يسيرة يلتذ الانسان بخروجها.

فقاع يتفع المحرورين: يؤخذ من الخبز الحوارى مثل ما يؤخذ من الشعير ويصنع منه فقاع ويضاف كرفس ونعنع وماء الرمان المز ويحلى بسكر بياض ويستعمل، وأهل دمشق

يأخذون الفقاع الخرجى ويسمونه المسدب لأنه يعمل فى كيزان محشوة بالسداب البرى فينفضونه فى الاوانى النظيفة ويرمون فيه قطعة سكر بياض ويعصرون عليه ليمونا أخضر قدر ما يطيب لهم حمضه ويحركونه بعبدان نعنح بحيث يظهر طعمه فيه ظهورا يسيرا ثم يبردونه بالثلج ويرش عليه الماء ورد وماء الخلاف ويستعملونه وهذه الصفة تنفع أصحاب الخمار وتشهى وتطيب النفس وتصرف، واعلم أن جميع أنواع الفقاع تطيب بالاشياء المناسبة لمزاج شاربه إن كان المزاج حارا كانت المطيبات باردة وإن كان المزاج باردا كانت المطيبات حارة.

أنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين يوسف الزعيفرانى رحمه الله:

وكيزان من الفقاع جاءت      زكت طعما على الشهد المذاب  
هدايا من أحببتنا ولكن      كما قالوا على ورق السداب

صفة أقسما ملوكية: يؤخذ سكر أبيض يعقد جلابا رقيقا أرق ما يكون ويؤخذ دقيق أبيض مثلث يطبخ مثل العصيدة القوية بغير ملح ويبرد ويجعل فى طست وتضرب باليد ويقلب عليها الجلاب مغرفة بعد مغرفة وكلما زدت ضربها باليد زادت رغوتها إلى أن يصير لها قوام الحريرة الشديدة الثخينة ثم يقلب عليها فقاع خرجى وفى مصر عوض الفقاع أقسما فإذا صارت رقيقة اجعلها فى وعاء نظيف ويكون فيه أثر دبس أو أثر عسل واجعل معها قبضة سداب مربوطة وقبضة نعنح كذلك وأظرف طيب مثل القرنفل والباسل والزنجبيل وجوز الطيب وماء ورد ومسك ويكثر فيها من أظرف الطيب ويجعل فى مكان داف ويغطى بغطاء كبير فإنها تبقى جميعها كالرغوة ثم إنها تطلع فإذا طلعت خذ لها اناء زجاج أو حقا يمينا وبخره بالعنبر واجعله فيها واستعمله وعند استعمالها انفض عليها فقاعا خرجيا فهذا النوع من الاقسما وهو أطيب من المشروبات.

صفة نقوع مشمش يؤخذ المشمش اللوزى أو غيره يغسل من التراب والغبار غسلا مستقصى ثم يصب عليه ماء اللينوفر وماء لسان الثور وماء ورد ويعصر عليه ماء رمان طرى حامض ويرمى فيه طاقات نعنح ثم يحلى بسكر بياض ويترك حتى ينتقع المشمش فى هذه المياه المذكورة نقعا معتدلا لا يبلغ أن يتهرى فى اناء مبخر بالعنبر فإنه يجىء فى غاية الطيبة واللذة، ومن أراد أن يتنقل بالمشمش اليابس الطيب فيأخذ ماء ورد ومسكا يحلان فى

سكر فائق وقليل ماء ثم ينقع المشمش فيه بعد غسله بحيث لا يتهرى في نغعه بل يكون فيه قوة ظاهرة ثم يخرج المشمش من الماء المنقوع فيه ويجفف تجفيفا معتدلا في مكان نظيف ثم ينتقل به فإنه يكون في غاية الطيبة، ومن الادعية المستعملة بين الناس قولهم هنيئا مريئا فالهنيء الطعام الذي لا يحصل عقيب أكله أو هضمه ضرر والمرىء السريع الهضم.



## الباب الرابع والثلاثون في بيت الخلاء المطلوب

قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله الخلاء بالمد في الاصل هو المكان الخالي كانوا يقصدونه لقضاء الحاجة ثم كثر حتى تجوز به عن غير ذلك قال أنس بن مالك رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث بضم الخاء والباء جمع خبيث والخبائث جمع خبيثة استعاذ من ذكور الشياطين وإناثهم قال بعضهم إذا كمل للانسان في داره حسن ثلاثة مواضع لم ييال فيما فاته منها وهي: مجلس السكن والدھليز والكنيف.  
وفيه يقول المأموني:

بيت إذا ——— زاره زائر	فقد قضى أعظم أوطاره
يدخله المولى يبرز كما	يدخله العبد باطماره
وهو إذا ما كان مستصفا	مرورة الانسان في داره

وكان جعفر الصادق يقول من سعادة المرء سعة داره وحسن مجلسه ونظافة متوضاه.  
حكى عن بعض الحمقى أنه استدان سبعمائة درهم وأنفقها على كنيف داره فبلغ ذلك بعض أصحابه الظرفاء فقال ليت شعري ما الذي يريد يخري فيه وحكى أبو الفرج الاصبهاني في أخبار العرجي عن الاصمعي قال مررت بكناس يكنس كنيفا وهو يغني:  
أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريبهة وسداد ثغر  
فقلت أما سداد الكنيف فمعلوم وأما سداد الثغر فلا علم لنا بك كيف أنت فيه وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عني مليا ثم أقبل على وأنشد:

وأكرم نفسي اننى إن أهتها وحقق لم تكرم على أحد بعدى  
فقلت له والله ما أكرمتها وما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فبأى شيء أكرمتها فقال بلى والله إن من الهوان لشر ما أنا فيه فقلت وما هو قال الحاجة إليك وإلى أمثالك فانصرفت وأنا أخزي الناس.

ومن أداب المضيف أنه يرى الضيف بيت الخلاء، قال ملك الهند إذا أضافك أحد فأره الكنيف فإنى قد ابتليت فوضعت فى قلنسوتى.

نادرة: قيل إن رجلا حكى قال كنت بائنا فى بيت بين جماعة وكنت ضيفا فتحررت بطنى فى اثناء الليل فقممت فلم أجد موضعا فطفت فى البيت فإذا أنا بمهد فيه طفل فأخذت الطفل فى حجرى ثم خريت فى المهد ثم رجعت لارد الطفل فى المهد فإذا به قد خرى فى حجرى أضعاف ما خربت فى مهده فما جرى على كاتبه أعظم منها.  
قلت: الطبيعة مكافئة.

ومثلها حكى أن دعبل بن على الخزاعى دعا أبا هفان فأطعمه ألوانا كثيرة الحبوب وسقاه نبيذا حلوا وغمز الجوارى أن لا يلدوه على بيت الخلاء ثم تركه ونام فلما أجهده الامر قال لبعض الجوارى أين الخلاء فقالت لها الأخرى ما يقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت:  
خلا من آل عالية الديار فمشوى أهلها منها قفار  
فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا وسقوه فقال قد أحستتم وجددتم غير انكم لم تأتوا على ما فى نفسى وسكت فلما أجهده الامر قال لعل الجارية بغدادية لم تفهم ما قلت لها ثم التفت إلى أخرى وقال لها فذاك أبوك أين المستراح فقال الأخرى ما يقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت:

واستريح إلى ليلى فاذكرها كما استراح عليل من شكيه  
فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا وسقوه فقال أحستتم وجددتم غير انكم لم تأتوا على ما فى غرضى ثم قال لعلها ما فهمت ثم قال لاحداهن فذاك أبوك أين الحش فقالت الأخرى ما يقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت:

وحاشاك أن ادعو عليك وإنما أردت بهذا القول أن تقبلى عذرى  
فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا فقال أحستتم وجددتم غير أنكم لم تأتونى على مقصودى ثم أجهده الامر فقال لعلها كوفية ثم قال للاخرى فذاك أبوك أين الكنيف فقالت الأخرى ما يقول سيدى قالت يقول غنونى:

تكنفى الواشون من كل جانب ولو كان واش واحد لكفانى  
فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا فما تمالك حتى وثب وحل سراويله وذرق فى وجوههن فتصارخن فانتبه دعبل فقال ما شأنك يا أبا هفان فقال:  
تكنفى السلاح فأضجرونى على ما بى بنيات الزوانى  
فلما قل عن حالى اصطبارى رميت به على وجه الغوانى

فقام دعبيل فدله على الخلاء فدخل واغتسل وخلع عليه بعد أن ضحك منه ضحكا عظيما، وما أظرف قول الشيخ جمال الدين بن نباتة:

أمط بالدوا ثياب الأذى وطب في الرواح به والفسدو  
وكرر احاديث بيت الخلاء ولكن على رغم أنف العمدو  
ولبعضهم يستحث:

يا قاعدا متفكرا لمن الولاية بالمسبراق  
ارحم فديتك مدنفا قد لف ساقا فوق ساق

**نادوة:** قال رجل لآخر يمدحه أنت من بيت الطهارة فقال الرجل دعنى من هذا المدح فقال صدقت الشكر في الوجه ذم ولكن أنا أذكرك في الخلاء.

حكى أن بعض الكتاب كان يلقب بجميصة فلقبه بعض حرفائه فقال له أوحشتنى يا جميصة وأين كنت فانشدته:

وحيث ما كنت من بلاد فلى إلى وجهك التفات  
قلت: وضمن هذا الشيخ بدر الدين بن الصاحب فقال:

يا كمبة الله إن رحلنا وطال ما بيننا الشتات  
فحيث ما كنت من بلاد فلى إلى وجهك التفات

(رجع) كان لبعض المغفلين دار فقال له الساكن إن الكنيف قد انفتح فقال له صاحب الدار نظرت إليه من أيام وأردت أن أتفدى به قبل أن يتعشى بى فسبقنى، قلت الشيء يذكر بلوازمه نقلت من خط الفاضل المؤرخ الناظم الناصر الرحال صاحب المؤلفات المبدعة نور الدين على بن سعيد من كتابه الذى سماه بالمغرب فى أجلاء المغرب قال فى ترجمة أبى العباس أحمد بن القاسم وهو الذى يقول فيه ابن تقي فى موشحته المشهورة التى منها أما ترى أحمد فى مجده العالى لا يلحق أطلعه الغرب فأرنا مثله يا مشرق وجرت له معنى حكايات أكرمها حكايته وقد وفد عليه مرة فوجده قد عجز عن لارتياح وأقلع عن شرب الراح وكانت له عادة باحضاره المجلس راحته عندما يصل فخطب ذلك منه فأعلمه بتوبته وتكلف له مجلسا فيه أصحابه ومن يشرب من أقاربه وحضر هو فيه عازما على المؤانسة دون المشاركة فى شراب فقال ابن تقي موشحته المشهورة:

نسديمنا قـــــــد طا ب غن له وأنشـــــــد  
وأردد عليـــــــه الكأ من عـــــــسناه يرتد

فارتد عن تويته وشرب كأسه من نويته وأتى من المطايبية والطرب ما قر به عين الظرف والادب ولما أخذ السكر من ابن تقى قام إلى المستراح وفى وسطه كيس فيه جملة من الذهب الذى جرت عادة أبى العباس أن يصله به فى كل سفرة وما اجتمع له من غيره فحله وخطه فى كوة المستراح حتى يقضى شغله ثم فرغ ومضى ونسى الكيس لما كان فيه من السكر ونام فلما أصبح وصحا قلب وسطه ليطلب الكيس فلم يجد شيئا ونظر إليه أبو العباس فقال له ما لك فأخبره فقال أنا أخذته منك البارحة لثلاث يضيع منك وإذا احتجت إليه دفعته لك واستفهمه عن عدد ما فيه فأخبره فلما دخل إلى منزله جعل فى كيس من عنده ذلك العدد ودفعه إليه وابن تقى لا يشك أنه ذهبه ثم ودعه وانصرف ولما اجتاز عليه فى سفرة ثانية حضر فى ذلك المجلس ليلة على مثل تلك الحالة فلما سكر قام إلى المستراح ثم تفكر فى حالة السكر أنه كان قد حل هناك سراويله ووضع الكيس فى الكوة فمد يده إلى الكوة فوجد كيسه بعينه فأخذه وجعله فى وسطه ثم عاد لشربه والمجلس غاص محتفل بالاعيان فبكى ابن تقى وكدر المجلس فظن أبو العباس أنه جرى عليه ما أوجب ذلك فقال له ما يبكيك هل نابتك أمر أكشفه عنك فقال والله ما أبكى إلا حسرة على العالم أنه لا يخلد مثلك فيه وحكى الحكاية فقال أبو العباس ما كان يسعنى فى ذلك الوقت إلا ما فعلته لاني خفت أن يكون ضاع لك فتتهم به أحد ندمائى ويشيع ذلك ولا بد من غرمه لك لثلاث تنصرف خائبا فكان الأولى غرمه دون أن يفتضح أحد من أصحابنا فقبل الأرض ودعى له وهذه احدى مكارمه جدد الله عليه الرحمة وجازاه بما هو أهله فى جنة الفردوس من النعمة أمين أمين .

سألنى بعض المخاديم أن أنظم له أبياتا تكتب على الخريشت الذى جرده بعد حريقه وانهدامه فى الواقعة المشهورة الخواجا بدر الدين محمد بن الخواجا شمس الدين محمد ابن المزلق أدام الله سعدهما بباب البريد بالجامع الاموى وكان والده قد بيضه:

يا بقعة لقضا الحوايج أسست	لا زال سعادك دائما يتزايد
لمحتك من بدر وشمس نظرة	فغدا قرانا سعده لك يرصد
جددت فعل الخير يا بن مزلق	لا زال فعل الخير منك يجدد
عشرون بيتا قد قصدت رويها	يا خير من يروى ومن يتقصده
كانت مسودة وقد بيضتها	فالماء للابيات منها ينشد
وإذا نظرت إلى البقاع وجدتها	تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

## الباب الخامس والثلاثون

### في نبلاء الأطباء

قال الحكيم الفاضل الفيلسوف العارف ابقرات ينبغى أن يكون الطبيب حرا في جنسه جيدا في طبعه حديث السن معتدل القامة متناسب الاعضاء جيد الفهم حسن الحديث صحيح الرأي عند المشورة عفيفا شجاعا غير محب للفضة مالكا لنفسه عند الغضب ولا يكون تاركا له في الغاية ولا يكون بليدا وينبغى أن يكون مشاركا للعليل مشفقا عليه حافظا للاسرار لأن كثيرا من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم وينبغى أن يكون محتملا للشتيمة لأن قوما من المبرسمين وأصحاب الوسواس السوداوى يقابلونا بذلك وينبغى لنا أن نتحملهم عليه ونعلم أنه ليس منهم ذلك وان سببه المرض - الخارج عن الطبيعة وينبغى أن يكون حلق رأسه معتدلا مستويا لا يحلقه ولا يدعه كالجمرة ولا يستقصى قص أظافير يديه ولا يتركها تعلق على اطراف أصابعه وينبغى أن تكون ثيابه نظيفة بيضاء نقية لينة ولا يكون في مثيه مستعجلا لأن ذلك دليل الطيش ولا متباطئا لأنه يدل على فتور النفس وإذا دعى إلى المريض فليقعد مترعا ويختبر منه حاله بسكون وتأن لا يقلق واضطراب فإن هذا الشكل والزى والترتيب عندى أفضل من غيره وابقراط هذا أول من برهن كيف يكون المريض والصحة في جميع الحيوان وفي النبات وهو الذى استنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها وكانت لها العناية في نفع المرضى ومداواتهم ويقال له أول من جدد البيمارستان واخترعه وأوجده وذلك أنه عمل بالقرب من داره موضعا من بستان له مفردا للمرضى وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم وسماه أخشندوكين أى مجمع المرضى ولذلك أيضا يقع لفظه البيمارستان وهو فارسى وذلك أن البيمار بالفارسى هو المرضى وستان هو الموضع أى موضع المرضى ولم يكن له دأب في مدة حياته وطول بقائه إلا النظر في صنعة الطب واتخاذ قوانينها ومداواة المرضى واتصال الراحة إليهم وانقاذهم من عللهم ولم يكن لابقراط رغبة في خدمة أحد من الملوك لطلب الغنى ولا في زيادة مال وكان ابقرات في زمن بهمن بن اسفنديار بن بستاسب وظهر ابقرات سنة ست

وتسعين لبختنصر وهى سنة أربع عشرة لملك بهمن وأما تفسير اسمه فإن معناه ضابط  
الحيل وقيل معناه ماسك الأرواح وقيل ماسك الصحة وأصل اسمه باليونانية ابوقرطيس  
ويقال هو بقراطيس وإنما العرب عادتوا أن تخفف الاسماء فحفف هذا الاسم فقالوا ابقرات  
وبقرات أيضا وقد جرى ذلك كثيرا فى الشعر ويقال أيضا بالتاء ابقرات وبقرات ومات  
مفلوجا ومن ألفاظه الحكيمية ونوادره المفردة فى الطب قال الطب قياس وتجربة وقال العادة  
إذا قدمت صارت طبيعة ثانية والزجر والفأل حبس نفسانى وقال كل مرض معروف السبب  
موجود الشفاء وقال لا تأكل حتى تجوع وقال يتداوى كل عليل بعقاير أرضه فإن الطبيعة  
تفرغ إلى عاداتها وقيل له لم يكون البدن أثور ما يكون إذا شرب الانسان الدواء قال لأن أشد  
ما يكون البيت غبارا إذا كنس وقال مثل المنى فى الظهر كمثل الماء فى البئر إن نزفته فار  
وإن تركته غار وقال إن المجامع يقتلع من ماء الحياة وسئل فى كم ينبغي للانسان أن يجامع  
قال فى كل سنة مرة قيل فإن لم يقدر قال فى كل شهر مرة قيل فإن لم يقدر قال فى كل  
أسبوع مرة قيل له فإن لم يقدر قال هى روحه أى وقت شاء يخرجها وقال العافية ملك خفى  
لا يعرف قدرها إلا من عدمها وقيل له أى العيش خير فقال الأمن مع الفقر خير من الغنى  
مع الخوف ودخل على عليل فقال له أنا وأنت والعلّة ثلاثة فإن أعتنى عليها بالقبول لما  
تسمع منى صرنا اثنين وانفردت العلّة فقويتنا عليها والاثنان إذا اجتمعا على واحد غلباه وقال  
للقلب آفتان وهما الغم والهّم فالغم يعرض منه النوم والهّم يعرض منه السهر وذلك أن  
الهّم فيه فكر فى الخوف بما سيكون فمنه يكون السهر والغم لا فكر فيه لأنه إنما يكون بما  
قد مضى وانقضى ومن كلامه فى العشق العشق طمع يتولد فى القلب وتجتمع فيه مواد من  
الحرص وكلمة قوى ازداد صاحبه فى الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر وعند  
ذلك يكون احتراق الدم واستحالتة إلى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها إلى السوداء  
ومن طغيان السوداء فساد الفكر ومع فساد الفكر تكون الندامة ونقصان العقل ورجاء ما لم  
يكن وتمنى ما لم يتم حتى يؤدى ذلك إلى الجنون فحيثئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات  
غما وربما وصل إلى معشوقه فيموت فرحا وأسفا وربما شهق شهقة فتخفى فيها روحه  
أربعا وعشرين ساعة فيظن أنه قد مات فيقبر وهو حى وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه  
فى تامور قلبه فينضم عليها القلب فلا تنفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوق للنظر أو رأى  
من يحب فيموت فجأة دفعة واحدة وأنت ترى العاشق إذا سمع بذكر من يحب كيف

يهرب دمه ويستحيل لونه وزوال ذلك عن هذه حاله بلطف رب العالمين لا بتدبير من الآدميين وذلك أن المكروه العارض من سبب قائم بمفرده بنفسه بتهىء التلطف فى إزالته بإزالة سببه فإذا وقع السببان وكل واحد منهما علة لصاحبه لم يكن إلى زوال واحد منهما سبيل كما إذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر وكان اتصال الفكر سببا لاحتراق الدم والصفراء وميلهما إلى السوداء فالسوداء كلما قويت قويت قوة الفكر والفكر كلما قوى قويت السوداء فهذا الداء العياء الذى تعجز عن معالجته الاطباء ومن كلامه الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع وقال أما العقلاء فيجب أن يسقوا الخمر وأما الحمقاء فيجب أن يسقوا الحريف وقال ليس معى من فضيلة العلم إلا علمى بأنى لست بعالم وقال المالك للشئىء هو المسلط عليه فمن أحب أن يكون حرا فلا يهوى ما ليس له وليهرب منه وإلا صار له عبدا وقال لتلميذ له إن أحببت أن لا تفوتك شهوة فاشته ما يمكنك وقال الدنيا غير باقية فإذا أمكن الخير فاصطنعوه وإذا عدتم ذلك فتحمدوا واتخذ من الذكر أحسنه. انتهى. ما لخصته من ترجمة ابقرات من طبقات الاطباء للعلامة موفق الدين أبى العباس أحمد بن أبى القاسم الخزرجى المعروف بابن أبى أصبيعة رحمه الله.

وذكر الشيخ جمال الدين بن نباتة فى شرح العيون ومن ظرائف حكايات أبقرات أن ولد أحد الملوك عشق جارية من حظايا أبيه فحلل بدنه واشتدت علته وهو كاتم خبره فأحضر ابقرات فجس نبضه ونظر إلى بشرته فلم ير علة فذاكره حديث العشق فرآه يهتز لذلك ويضطرب فاستخبر الحال من حاضنته فلم يكن عندها خبر فقال هل خرج من الدار فقالت لا فقال لآبيه مر رئيس الخصيان بطاعتي فأمره فقال أخرج على النساء فخرجن وابقرات أصبعه على نبض الصبى فلما خرجت الجارية اضطرب عرقه وحار طبعه فعلم ابقرات أنها المعينة فصار إلى الملك فقال إن ابن الملك عاشق لمن الوصول إليها صععب قال الملك من هى قال زوجتى فقال انزل عنها ولك عنها بدل فتمنع ابقرات وقال هل رأيت أحدا كلف أحدا إلى طلاق زوجته ولا سيما الملك فى عدله ونصفته يأمرنى بمفارقة زوجتى وهى عديلة روى فقال الملك إنى أوثر عليك وأعوض لك أحسن منها فامتنع حتى بلغ الأمر إلى التهديد والسيوف فقال إن الملك لا يسمى عادلا حتى ينصف من نفسه رأيت لو كانت العشيقة حظية الملك ففهم الملك المراد وقال يا ابقرات عقلك أتم من معرفتك ونزل عن الحظية لابنه وشفى الفتى.

فيثاغورس: قال القاضى صاعد فى طبقات الامم ان فيثاغورس كان بعد بندقليس بزمان وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود عليها السلام بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام ومن كلامه وآدابه وحكمه قال كما أن بدء وجودنا وخلقنا من الله سبحانه هكذا ينبغي أن تكون نفوسنا منصرفة إلى الله تعالى وقال الفكرة لله خاصة فمحبته متصلة بمحبة الله ومن أحب الله سبحانه وتعالى عمل بمحابه ومن عمل بمحابه قرب منه ومن قرب منه نجا وقال الاقوال الكثيرة فى الله تعالى علامة تقصير الانسان عن معرفته وقال ما لا ينبغي أن تفعله احذر أن تخطره ببالك وقال الاشكال المزخرفة والامور المموهة فى أقصر الازمان تتبهرج وقال الاخلاق بالانسان أن يفعل ما ينبغي لا ما يشتهى وقال الدنيا دول مرة لك وأخرى عليك فإن توليت فاحسن وان تولوك فألن وكان يقول إن أكثر الآفات إنما تعرض للحيوانات من عدمها الكلام وتعرض للانسان من قبل الكلام وكان يقول من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به مكروه كما ينزل بغيره: العجلة واللجاجة والعجب والتوانى فثمرة العجلة الندامة وثمرة اللجاجة الحيرة وثمرة العجب البغضاء وثمرة التوانى الزلة ونظر إلى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلم فيلحن فى كلامه فقال له اما أن تتكلم بكلام يشبه ثيابك أو تلبس لباسا يشبه كلامك وقال استعمل الفكر قبل العمل وقال كثرة العدو تقل الهدو وحضرت امرأته الوفاة فى أرض غربة فجعل أصحابه يتحرقون على موتها فى أرض الغربة فقال يا معشر الاخوان ليس بين الموت فى الغربة والوطن فرق وذلك أن الطريق إلى الآخرة واحدة من جميع النواحي وقيل ما أحلى الاشياء فقال الذى يشتهى الانسان وقال أنكى لعدوك أن لا تربه أنك تتخذة عدوا. انتهى كلامه.

سقراط: كان من تلاميذ فيثاغورس واقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية واعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها وأعلن بمخالفة اليونانيين فى عبادتهم الاصنام وقابل رؤساءهم بالحجاج والادلة فثوروا العامة عليه واضطروا ملكهم إلى قتله فأودعه الملك الحبس تحمدا إليهم ثم سقاه السم تفسادا من شرهم مع مناظرات جرت له مع الملك محفوظة وله وصايا شريفة وآداب فاضلة وحكم مشهور ومعنى سقراطيس باليونانية المعتصم بالعدل وبلغ من تعظيمه الحكمة مبلغا أضر بمن بعده من محبى الحكمة لأنه كان من رأيه أن لا يستودع الحكمة الصحف ولا القراطيس تنزيها لها عن ذلك ويقول إن الحكمة ظاهرة مقدسة فلا ينبغي أن تستودعها إلا الانفس الحية وتنزهها عن الجلود الميتة ولم يصنف

كتابا ولا أملى على أحد من تلاميذه ما أثبتته فى قرطاس وإنما كان يلقنهم علمه تلقينا لا غير وتعلم ذلك من أستاذه طيماموس فإنه قال فى صباه لا تدعنى أدون ما أسمع منك من الحكمة فقال له ما أوثقتك بجلود البهائم الميتة وأزهدك فى الخواطر الحية هب انسانا لقيقك فى طريق فسألك عن شىء من العلم هل كان يحسن أن تحيله على الرجوع إلى منزلك والنظر فى كتبك فإن كان لا يحسن فالزم الحفظ فلزمه سقراط ومن آداب سقراط وحكمه ونوادره ما ذكره الامير المبشر بن فاتك فى كتابه قال سقراط عجبا لمن عرف فناء الدنيا كيف تلهيه عما ليس له فناء وقال النفس جامعة لكل شىء فمن عرف نفسه عرف كل شىء وقال ما ضاع من عرف نفسه وما أضيع من جهل نفسه وقال ستة لا تفارقهم الكآبة: الحقدود والحسود وحديث عهد بغنى وغنى يخاف الفقر وطالب رتبة يقصر قدره عنها وجليس أهل الادب وليس منهم وقال خير من الخير وشر من الشر من عمل به وقال اتقوا ما تبغضنه قلوبكم وقال من اهتم بالدنيا ضيع نفسه ومن اهتم بنفسه زهد فى الدنيا وقال طالب الدنيا إن نال ما أمل تركه لغيره وإن لم ينل ما أمل مات بغصة وقال من أحب أن لا تفوته شهوة فليشته ما يمكنه وقال له رجل شريف الجنس وضيع الخلائق أما تأنف نفسك يا سقراط من خساسة جنسك فأجابه جنسك عندك انتهى وجنسى منى ابتدئ وقال لا يكون الحكيم حكيما حتى يغلب شهوات الجسم وكان يقول القينة مخدومة ومن نخدم غير ذاته فليس بحر وقال إنما جعل للانسان لسان واحدا وأذنان ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلم به وقال أنفع ما اقتناه الانسان الصديق المخلص وقال الصامت ينسب إلى العى والمتكلم ينسب إلى الفضول ويندم وقال إذا ضاق صدرك بسرك فصدر غيرك به أضيق وقال من أراد النجاة من مكائد الشيطان فلا يطيعن امرأة فإن النساء سلم منصوب ليس للشيطان حيلة إلا بالصعود عليه وقال لتمليذ له يا بنى إن كان لا بد لك من النساء فاجعل لقاءك لهن كأكل الميتة ولا تأكلها إلا عند الضرورة فتأخذ منها بقدر ما يقيم الرمق فإن أخذ أخذ منها فوق الحاجة أسقمته وقتلته وقيل له ما تقول فى النساء فقال هن كشجر الدفلى له رونق وبهاء فإذا أكله الفرقتله وقال من قل همه على ما فاته استراحت نفسه وصفا ذهنه وقال أفضل السيرة طيب المكسب وتقدير الانفاق وقال من يجرب يزدد علما ومن يؤمن يزدد يقينا ومن يستيقن يعمل جاهدا ومن يحرص على العمل يزدد قسوة ومن يكسل يزدد فترة وقال القينة ينبوع الاحزان فلا تقنوا الاحزان وقال لولا أن فى قولى اننى لا أعلم اخبارا أننى أعلم لقلت إنى لا أعلم.

افلاطون: فيلسوفى يونانى طبي عالم بالهندسة وطبائع الاعداد ومعنى اسمه العميم  
الواسع لزم سقراط وسمع منه خمس سنين ثم مات سقراط فبلغه أن بمصر قوما من  
أصحاب فيثاغورس فسار إليهم حتى أخذ عنهم وبلغ من العمر احدى وثمانين سنة وكان  
حسن الاخلاق كريم الافعال كثير الاحسان إلى كل أحد غريبا وقريبا مبتدأ حكيما صبورا  
ومن كلامه ومواعظه العادة على كل شىء سلطان وقال من لم يواس الاخوان عند دولته  
خذلوه عند فاقته وقيل له لم لا تجتمع الحكمة والملك فقال لعز الكمال وقال إذا أردت أن  
تدوم لك اللذة فلا تستوفى الملتذ أبدا بل دع فيه فضلة تدوم لك اللذة وقال غاية الادب أن  
يستحى المرء من نفسه وقال ما أمت نفسى إلا من ثلاث من غنى افتقر وعزيز ذل وحكيم  
تلاعبت به الجهال وقال لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فإن الناس ليس يسألون فى  
كم فرغ من هذا العمل وإنما يسألون عن جودة صنعته وقال اطلب فى الحياة العلم والمال  
تحز الرياسة على الناس لأنهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بما تحسن والعامه  
تفضلك بما تملك وقال عين المحب عمياء عن عيب المحبوب وقال الحلم لا ينسب إلا  
إلى من قدر على السطوة والزهد لا ينسب إلا إلى من ترك بعد المقدرة وقال الحسن الخلق  
من صبر على السىء الخلق وقال أشرف الناس من شرفته الفضائل لا من يشرف بالفضائل  
وذلك أن من كانت الفضائل فيه جوهرية نهى تشرفه ومن كانت فيه عرضية تشرف بها ولم  
تشرفه وقال الحياء إذا توسط وقف الانسان عما عابه وإذا أفرطه وقفه عما يحتاج إليه وإذا  
قصر خلع عنه ثوب التجمل فى كثير من احواله وقال لا تصحب الشرير فإن طبعك يسرق  
من طبعه شرا وأنت لا تدري وقال من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك  
ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك وقال رب مغبوط بنعمة هى بلاؤه ورب  
محسود على حال هى دواؤه وقال الامل خداع النفوس لا تستكثرن من عشرة حملة عيوب  
الناس فإنهم يلتقطون ما غفلت عنه وينقلونه إلى غيرك كما يتقلون عنهم إليك وقال الافراط  
فى النصيحة يوهم بصاحبها كثيرا من المظنة وقال ليس ينبغى للرجل أن يشغل قلبه بما ذهب  
منه ولكن يعنى بحفظ ما بقى عليه وستل عند موته عن الدنيا فقال خرجت إليها مضطرا  
وعشت فيها متحيرا وها أنا أخرج منها كارها ولم أعلم فيها اننى لا أعلم.

ارسطاطاليس: وتفسيره تام الفضيلة قال سليمان بن حسان المعروف بابن حلجل فى  
كتابه عن ارسطاطاليس أنه كان فيلسوف اليونان وعالمها ونحريها وخطيبها وطبيبها وكان

أوحدا فى الطب وغلب عليه علم الفلسفة قال المسعودى وكان افلاطون يجلس فىستدعى من الكلام فىقول حتى يحضر الناس وربما قال حتى يحضر العقل فإذا حضر قال تكلموا فقد حضر العقل ومن كلامه وحكمه رغبتك فىمن زهد فىك ذل نفس وزهدك فىمن يرغب فىك قصر همة وقال الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره وقال الحاجة تفتح أبواب الحيلة ونظر إلى حديث بنهاون بالعلم فقال له إنك لم تصبر على تعب العلم وصبرت على شقاء الجهل وقال كفى بالتجارب تأديبا وبالأيام عظة وقال خير الاشياء أجدها إلا المودآت وقال كلام العجلة موكل بالزلزل وأعاد على تلميذ له مسألة فقال له أفهمت فقال التلميذ نعم فقال لا أرى آثار الفهم عليك قال وكيف ذلك قال لا أراك مسرورا والدليل على الفهم السرور.

جالينوس: وكان مولده من بعد زمان المسيح بتسعة وخمسين سنة على ما أرخه إسحاق ابن حنين وأما قول من زعم أنه كان معاصره وأنه توجه ليراه ويؤمن به فغير صحيح وقد أورد جالينوس فى مواضع متفرقة من كتبه ذكر موسى وعيسى وتبين من قوله أنه كان من بعد المسيح بهذه المدة التى تقدم ذكرها ومن ألفاظ جالينوس وحكمه ونوادره ما ذكره حنين بن إسحاق فى كتاب نوادير الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء قال اللهم فناء القلب والغم مرض القلب ثم بين ذلك فقال الغم بما كان والهم بما يكون وفى مواضع آخر الغم بما فات والهم بما هو آت.

ومن كلامه فى العشق قال العشق استحسان يضاف إليه طمع وقال لن واحكم تبيل تنل ولا تكن معجبا فتمتهن وقال الحياء خوف المستحى من نقص يقع به عند من هو افضل منه وقال يتهى للانسان أن يصلح أخلاقه إذا عرف نفسه فإن معرفة الانسان هى الحكمة العظمى وذلك أن الانسان لافراط محبته لنفسه بالطبع يظن بها من الجميل ما ليست عليه حتى أن قوما يظنون بأنفسهم أنهم شجعان وكرماء وليسوا كذلك وأما العقل فىكاد ان يكون الناس كلهم يظنون بأنفسهم التقدم فيه وأقرب الناس إلى الذى يظن ذلك بنفسه أقلهم عقلا ورأى رجلا تعظمه الملوك لشدة جسمه فسأل عن أعظم ما فعله فقالوا أنه حمل ثورا مذبوحا من وسط الهيكل حتى أخرجه خارجا فقال لهم فقد كانت نفس الثور تحمله ولم يكن لها فى حمله فضيلة وقال إن العليل يتروح بنسيم أرضه كما تتروح الأرض الجذبة ببل القطر وقيل له متى ينبغى للانسان أن يموت قال إذا جهل ما يضره مما ينفعه ومن كلامه أنه سئل عن

الاخلاق الاربعة فقيل له ما قولك فى الدموى فقال عبد مملوك وربما قتل العبد مولاه قيل له فما قولك فى الصفراء قال كلب عقور فى حديقة قيل له فما قولك فى البلغم قال ذلك الملك الرئيس كلما أغلقت عليه بابا فتح لنفسه بابا قيل له فما قولك فى السوداء قال هيهات تلك الأرض إذا تحركت تحرك ما عليها ومن ذلك قال أنا ممثل لك مثالا فى الاخلاق الاربعة فأقول إن مثال الصفراء وهى المرة الحمراء كممثل امرأة سليطة صالحة تقية فهى تؤذى بطول لسانها وسرعة غضبها إلا أنها ترجع سريعا بلا غائلة ومثل الدموى كممثل الكلب الكلب فإذا دخل دارك فعاجله إما باخراجه أو قتله ومثل البلغم فى البدن إذا تحرك مثل ملك دخل بيتك وأنت تخاف ظلمه وجوره وليس يمكن أن تحرق به وتؤذيه بل يجب أن ترفق به وتخرجه ومثل السوداء فى الجسد مثل الانسان الحقود الذى لا يتوهم فيه بما فى نفسه ثم يشب وثبة فلا يبقى مكروها إلا يفعله ولا يرجع إلا بعد الجهد الجهد.

ومن تمثيلاته الظريفة قال الطبيعة كالمدعى والعلة كالخصم والعلامات كالشهود والقارورة والنبض كالبيتة ويوم البحران كفصل القضاء والفضل والمرض كالمتوكل والطبيب كالقاضى.

ابن كلدة الشقى لما وفد على كسرى أنوشروان أذن له بالدخول فلما وقف بين يديه منتصبا قال له من أنت قال أنا الحرث بن كلدة قال فما صناعتك قال الطب اعرابى أنت قال نعم من صميمها ويحبوحة دارها قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء أغذيتها قال أيها الملك إنه إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى ما يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس أبدانها ويعدل أمشاجها فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه ويميز موضع دائه ويحترز عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه قال كسرى فكيف تعرف ما تورده عليها ولو عرفت الحكم لم تنسب إلى الجهل قال الطفل يناغى فيداوى والحية ترقى فتحاوى ثم قال أيها الملك العقل من قسم الله تعالى قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم فكل من قسمته أصاب وخص بها قوم وزاد فمنهم مشر ومعدوم وجاهل وعالم وعاجز وحازم ذلك تقدير العزيز العليم قال كسرى فما الداء الدوى قال ادخال الطعام على الطعام وهو الذى يفنى البرية ويهلك السباع فى البرية قال أصبت قال فما العلة التى تظلم منها الادواء قال هى التخمة إن بقيت فى الجوف قتلت وإن تخللت أسقمت قال صدقت قال فما تقول فى الحجامة قال فى نقصان الهلال فى صحو لا غيم فيه والنفس طيبة والعروق ساكنة

لسرور يفاجتلك وهم يساعذك قال فما تقول فى الحمام قال لا تدخله شبعانا ولا تغش أهلك  
سكرانا ولا تقم بالليل عريانا ولا تقعد على الطعام غضبانا وارفق بنفسك تكن رضى البال  
وقل من طعامك يكن أهنى لنومك قال فما تقول فى الدواء قال ما لزمك الصحة فاجتنبه  
فإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه فإن البدن بمنزلة الأرض إن أصلحتها  
عمرت وإن تركتها خربت قال فما تقول فى الشراب قال أطيبه أهناه وأرقه أمرأه وأعذبه  
أشهاه تشربه صرفا فيورثك صداعا ويثير عليك من الادواء أنواعا قال فإى اللحمان أفضل  
قال الضأن الفسى والجدى الرضيع والقديد المالح مهلك للأكل واجتنب لحم الجزور  
والبقر قال فما تقول فى الفواكه قال كلها فى اقبالها وحين أوانها وأتركها إذا أدبرت وانقضى  
زمانها وأفضل الفاكهة الرمان والاترج وأفضل الرياحين الورد والبنفسج وأفضل البقول  
الهندباء والخس قال فما تقول فى شرب الماء قال هو حياة البدن وبه قوامه ينفع ما شرب  
منه بقدر وشربه بعد النوم ضرر وأفضله أمرأه وأرقه أصفاه قال فاخبرنى عن اصل الانسان  
ما هو قال أصله من حيث شرب الماء يعنى رأسه قال فما هذا النور الذى فى العينين قال  
مركب من ثلاثة أشياء فالبياض شحمة والسواد ماء والناظر ريح قال فعلى كم شىء جبل  
وطبع هذا البدن قال على أربع طبائع المرة السوداء وهى باردة يابسة والدم حار رطب  
والبلغم بارد رطب والصفراء حارة يابسة قال فلم لم يكن من طبع واحد قال لو خلق من  
طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك قال فمن طبيعتين لو كان اقتصر  
عليهما قال لم يجز لانهما ضدان مختلفان يقتتلان قال فمن ثلاثة قال لم يصلح موافقان  
ومخالف فالأربع هو الاعتدال والقيام قال فاجمل لى الحار والبارد فى أحرف جامعة قال كل  
حلو جار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مرّ معتدل وفى المر حار وبارد قال فما  
أفضل ما عولج به المرة الصفراء قال كل بارد لين قال فالمرة السوداء قال كل حار لين قال  
فالبلغم قال كل حار يابس قال فالدم قال أخرجه إذا زاد.

الشىء بالشىء يذكر كنت أنشدت سيدى القاضى صدر الدين على بن القاضى أمين

محمد بن الادمى قول بعض الفضلاء وهو:

من دار اكسرام لدار هوان

أصبحت تخرجنى بغير جريمة

أبدا ويخرج من أعز مكان

كدم الفصاء يراق أرذل موضع

فأنشدنى لنفسه بعد أيام:

وأعزّه لابان عن جثمانى

قد كنت مثل دمى صدقت أجله

روحى فصلت عليك بالهجران

لما فسدت وزدت لم آمن على

رجع: قال فالرياح قال بالحقن اللينة والادهان الحارة اللينة قال أفتأمر بالحقنة قال نعم قرأت فى بعض الكتب للحكماء أن الحقنة تنقى الجوف وتكسح الادواء عنه والعجب ممن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد وأن الجاهل كل الجاهل من يأكل ما عرف مضرته ويؤثر شهوته على راحة بدنه قال فما الحمية قال الاقتصاد فى كل شىء فإن الاكل فوق المقدار يضيق على الروح مساحتها ويسد مسامها قال فما تقول فى النساء واتيانهن قال كثرة غشيانهن رديئة وإياك واتيان المرأة المسنة فإنها كالشن البالى تجذب قوتك وتسقم بدنك وماؤها سم قاتل ونفسها موت عاجل تأخذ منك الكل ولا تعطيك البعض والشابة ماؤها عذب زلال وعناقها غنج ودلال فوها بارد وريحها طيب وهنها ضيق تزيدك قوة إلى قوتك ونشاطا إلى نشاطك قال فايهن القلب إليها أميل والعين برؤيتها أسر قال إذا أصبتها المديدة القامة العظيمة الهامة واسعة الجبين قناة العينين كحلاء لعساء صافية الخد عريضة الصدر مليحة النحر فى خدها رقة وفى شفتيها لعس مقرونة الحاجبين ناهدة الشدين لطيفة الخصر والقدمين بيضاء فرعاء جعدة غضة بضة تخالها فى الظلمة بدرا زاهرا تبسم عن أقحوان وعن مبسم كالارجوان كأنها بيضاء مكنونة ألين من الزبد وأحلى من الشهد وأزهى من الفردوس والخلد وأذكى ريحا من الياسمين والورد تفرح بقربها وتسرك الخلوة بها قال فضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه قال فى أى الأوقات آتيانها أفضل قال عند ادبار الليل يكون الجوف أخلى والنفس أهدى والقلب أشهى والرحم أدنى فإن أردت الاستمتاع بها نهارا لتسرح عينيك فى جمال وجهها ويجتنى فوك من ثمرات حسننها ويعى سمعك من حلاوة لفظها وتسكن الجوارح كلها إليها فتجنب الشيع ووقت القيلولة وهيجان الدم قال كسرى لله درك من اعرابى لقد أعطيت علما وخصصت فطنة وفهما وأحسن صلته وأمر بتدوين ما نطق به.

تياذوق: كان فى دولة بنى أمية وصحب الحجاج بن يوسف الثقفى وخدمه بصناعة الطب ومن وصيته له لا تأكل حتى تجوع ولا تكرهن على الجماع ولا تعبس البول وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك وقال له أربعة تهدم العمر وربما قتلن دخول الحمام على البطنة والمجامعة على الامتلاء وأكل القديد الجاف وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المعجوز يبعيد منهن وقيل إن بعض الملوك لما رأى تياذوق شاخ وكبر خشى أن يموت ولا يعترض عنه لأنه كان أحذق الأمة فى وقته بالطب فقال له صف لى ما أعتمد عليه فأوسس به

نفسى وأعمل به أيام حياتى فلست آمن من أن يحدث عليك حادث الموت ولا أجد مثلك فقال تياذوق أيها الملك أقول لك عشرة أبواب إن عملت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك وهى: لا تأكل طعاما وفى معدتك طعام ولا تأكل ما ضعف اسنانك عن مضغه فتضعف معدتك عن هضمه ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين فإن أصل الداء التخمة وأصل التخمة الماء على الطعام وعليك بدخول الحمام فى كل يوم مرة واحدة فإنه يخرج من جسدك ما لا يصل إليه الدواء وأكثر الدم فى بدنك تحرس به نفسك وعليك فى كل فصل بقبية ومسهلة ولا تجس البول وإن كنت راكبا وأعرض نفسك الخلاء قبل نومك ولا تكثر الجماع فإنه يقتبس منك ماء الحياة فلتكثر أو تقل ولا تجامع العجوز فإنه يورث موت الفجأة فلما سمع ذلك أمر كاتبه أن يكتب هذه الالفاظ بالذهب الاحمر ويضعه فى صندوق من ذهب مرصع بالجوهر وبقى ينظر إليه فى كل يوم يعمل به فلم يعتل مدة حياته حتى جاءه الموت الذى لا بد منه ولا محيص عنه.

بخيتشوع: طبيب الرشيد من كلامه أربعة تهدم العمر ادخال الطعام على الطعام والشرب على الريق ونكاح العجوز والتمتع فى الحمام.

يوحنا: ابن ماسويه ومن كلامه وقد سئل عن الخير الذى لا شر معه فقال شرب القليل من الشراب الصافى ثم سئل عن الشر الذى لا خير معه فقال نكاح العجوز.

يعقوب: ابن إسحاق الكندى فيلسوف العرب ومن كلامه ما أوصى به لولده أبى العباس قال الكندى يا بنى الاب رب والاخ فخ والعم غم والخال وبال والولد كمد والاقارب عقارب وقول لا تصرف البلاء وقول نعم تزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب وينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت والدينار محموم فإن صرفته مات والدرهم محبوس فإن أخرجه فر والناس سحرة فخذ شيشهم واحفظ شيتك ولا تقبل ممن قال إن اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع.

أوحد الزمان هبة الله أبو البركات ابن على كان يهوديا وأسلم ومن حذقه أن مريضا كان يبغداد قد عرضت له علة المالىخولياء وكان يعتقد أن على رأسه دنا وأنه لا يفارقه أبدا فكان كلما مشى يتخايل أن المواضع سقونها قصيرة ويمشى برفق ولا يترك أحدا يدنو منه حتى لا يميل الدن عن رأسه أو يقع وبقى هذا المرض مدة وهو فى شدة منه وعالجه جماعة من الاطباء ولم يحصل من معالجتهم تأثير يتشفع به وأنهى أمره إلى أوحد الزمان ففكر أنه ما بقى

شئء يمكن أن يبرأ به إلا بالامور الوهمية فقال لاهله إذا كنت في الدار فأتوني به ثم إن أوحده الزمان أمر أحد غلمانه بأن ذلك المريض إذا دخل إليه وشرع في الكلام معه وأشار إلى الغلام بعلامة بينهما أن يسرع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الدن الذي يزعم أنه على رأسه وأوصى غلاما آخر وكان قد أعد معه دنا في أعلى السطح أنه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأسه أن يرمى الدن الذي عنده بسرعة إلى الأرض ولما كان أوحده الزمان في بيته وأتاه المريض فأقبل إليه وقال له والله لا بد لي أن اكسر الدن وأريحك منه ثم أدار تلك الخشبة التي معه وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدن من أعلى السطح فكانت له ويحة عظيمة وتكسر قطعاً كبيرة فلما عاين المريض ما فعل به ورأى الدن المنكسر تأوه لكسرهم إياه ولم يشك فيه أنه الذي كان على رأسه بزعمه وأثر فيه الوهم أثراً أبرأ عنته من تلك وهذا باب عظيم في المداواة.

العتري صاحب النور المجتبي: كان طبيبا ممارسا مشهورا وعالما مذكورا وافر الفضل فيلسوفيا متبصرا في علم الادب ومن كلامه الجاهل عبد لا يعتق رقه إلا بالمعرفة وقال الحكمة سراج النفس فمتى عدمتها عميت النفس عن الحق وقال الادب أزين للمؤمن من نسبه وأولى للمرء من حسبه وأدفع عن عرضه من ماله وأرفع لذكركه من جماله وقال من أحب أن ينوه باسمه فليكثر من العناية بعلمه وقال الجاهل يطلب المال والعالم يطلب الكمال وقال الغم ليل القلب والسرور نهاره وشرب السم أهون من معاناة الهم ومن شعره:

لو كنت تعلم كل ما علم الوري      جمعا لكنت صديق كل العالم  
لكن جهلت فصرت تحسب كل من      يهوى خلاف هواك ليس بعالم

يحيى بن إسحاق: كان طبيبا ذكيا وعالما بصيرا بالعلاج صانعا بيده وكان في دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزره نقل عنه من حدقه أنه أتى إليه بدوى على حمار وهو يصيح على باب داره أدركوني وكلموا الوزير بخبري فلما خرج إليه قال ما بالك فقال له ورم في احليلي تمنعني النوم منذ أيام كثيرة وأنا في الموت فقال له اكشف عنه فإذا هو ورم فقال لرجل كان قد أقبل مع العليل اطلب لي حجرا أملس فطلبه فوجده فقال ضعه على كفك وضع عليه الاحليل فلما مكن احليل الرجل على الحجر جمع الوزير يده وضرب على الاحليل ضربة غشى الرجل منها ثم اندفع الصيديد يجرى فلما استوفى الرجل صديد

الورم فتح عينيه ثم بال البول فى أثر ذلك فقال له اذهب فقد برئت علتك وأنت رجل عاث واقعت بهيمة فى دبرها فصادفت شعيرة من علقها فى عين الاحليل فورم لها وقد خرجت فى الصديد فقال له الرجل قد فعلت هذا وأقر بذلك وهذا يدل على حدس صحيح وقريحة صادقة.

ابن جميع الاسرائيلى: من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين خدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظى فى أيامه وكان رفيع المنزلة نافذ الامر ونقل عنه من حدقه أنه كان جالسا فى دكانه وقد مرت عليه جنازة فلما نظر إليها صاح يا أهل الميت وذكر لهم أن صاحبهم لم يموت وأنهم إن دفنوه فإنما يدفنونه حيا فصاروا ناظرين إليه كالمتعجبين من قوله ولم يصدقوه فيما قال ثم إنهم قال بعضهم هذا الذى يقوله ما يضرنا إنا نمتحنه فإن كان حيا فهو الذى نريده وإن لم يكن حيا فما يتغير علينا شئ فاستدعوه إليهم وقالوا بين الذى قلت لنا فأمرهم بالمصير الى البيت وأن يتزعموا عنه أكفانه وقال لهم احمولوه إلى الحمام وسكب عليه الماء الحار فاحمى بدنه ونظله نظولا وغطسه فرأى فيه أدنى حس وتحرك حركة خفية فقال أبشروا بعافيته ثم تمم علاجه إلى أن أفاق وصلح فكان ذلك مبدأ شهرته بجودة الصنعة والعلم وظهرت عنه ثم إنه سئل بعد ذلك من أين علمت حال ذلك الميت وهو محمول وعليه الاكفان أن فيه روحا فقال إنى نظرت إلى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الذين قد ماتوا تكون منبسطة فحدست أنه حى وكان حدسى صائبا والله أعلم.

الحكيم صدقة السامرى: هو الفاضل صدقة بن منجا بن صدقة ويعرف بابن الشاعر من الاكابر فى صناعة الطب والمتميزين من أهلها والامائل من أربابها خدم الملك الاشرف موسى بن العادل بن أيوب إلى أن توفى فى خدمته وكان يحترمه غاية الاحترام ويكرمه غاية الاكرام وخلف من الكتب عشرة آلاف مجلدة غير كراريس وأوراق مفردة تقدير ألف مجلد ومن كلامه انظر السموت بعين عقلك تره قريبا ولا تره بعين أملك تلحظه بعيدا وقال العلم شجرة فى القلب تزرع ومن الستتنا تظهر ثمارها وقال أنت بنفسك قريب من موجدك ومكونك وبشهوأتك وعصياتك أنت بعيد من ربك ومن نظمه:

يا بن قسيم أصبحت تتحل النح	و ودعواك فيه منحوله
أمك ما بالها قل وأجب	مرفوعة الساق وهى مفعوله
فاعلها الاير وهو متعصب	مسائل قد أتتك مجهوله
والعين عطل وعين عصعصها	بنقطة الخصيتين مشكوله

وله:

شبخ لنا من عظمه داهيه      ما مثله فى الامم الخاليه  
مهندس فى طول أيامه      مع قصره يتلع الساقيه  
مثلث بدعمه قائم      لأنه منفرج الزاويه

نقلت من خط المرحوم فخر الدين بن مكائس كتب صاحبنا فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرجة الشريفة رحمه الله الى ابن صفيير المتطبب وقد دعاه فى مرضه ودخل الى الطهارة فعر فى طست الحقنة فاخضبت رجله رقة يداعبه بها أولها، الشىء بالشىء يذكر، توجه سيدى بالامس مخضب القدم من هيولاه ذا مأمن محلله المعمور لما منه تولاه وما كان من حقه فى أمسه تكدير نفسه ولكل شىء آفة من جنسه هذه مسألة عركها أكبر منه لجبين واشتغل بها اشتغال ذى النحيين وأظنه قبل قدمه فخرج على تلك الصورة أو بعض أجزاءه خلع صورة ولبس صورته.

مفرد:

فتى غير محجوب الندى عن صديقه      ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت  
على أنه أكثر محافظة وودا وأرعى ذمة وعهدا كم أحرقت نار وجد الى أوطانه وأزعجته  
من مكانه وهو لا يظهر الاحبا ولا يطلب منه الا قريبا:  
لا شك اذ لونكما واحد      انكما من طينة واحده  
وبالجملة فانا أسأل الله ان يكفيه سوء هذه المحنة كما كفى شمائله اللطيفة شر الابنة انه  
مجيب الدعاء ولى المنة.

حكى ان بعض الاطباء كان فى بعض خدمة الملوك فى غزوة ولم يكن معه وقت  
النصرة كاتب يرسل فتقدم الى الطبيب ان يكتب الى الوزير يعلمه بذلك فكتب الطبيب أما  
بعد فانا كنا مع العدو فى حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لم يكن الا على  
قيفال فلم يكن الا كنبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع بسعادتك  
يا معتدل المزاج.

قلت ما رأيت أحسن من هذا ولا أوجز ووجدت بخط طبيب على بعض الكتب  
طالعت هذه النسخة فوجدتها تأن سقما فعالجتها بالمقابلة الى ان تمايلت للصحة،  
ولبعضهم يهجو طبييا يهوديا:

قالوا اليهودى أخو حكمة لا زالت الامراض فى كأسه  
لو كان ذا النحس أخا حكمة أزال دا الصفراء من رأسه  
وما أظف قول الشيخ زين الدين بن لوردى مضمنا:

يا من يطيب قوما ثم يهملهم يوما بماذا عداك الشر تعتذر  
اذكر فلانا الذى أسهلته سحرا ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا  
ولآخر مفرد:

حكيم لطيف من لطافة وصفه يودُ المعافى السقم حتى يعود  
كتب المرحوم الوزير فخر الدين بن مكانس الى ابن صفير فى بعض مرضاته يسرع  
المولى عند الوقوف اليها نقل الخطوة ولا يتأخر فان القوة على الضعيف ضعف فى القوة  
فجاءنى على عاداته:

تغدو المنايا فما تنفك واقفة حتى تراه على عزم فتتبعه

فحين رآنى من الهريرة كالرعيد وشاهد ما بى من البرد قال ما أراك الا جليدا فقلت له  
معالجة أم محاجة ومناصحة أم ممازجة ومطايبة أم مداعبة واستوصفته فجرى على  
المعهود منه فى الجهل بما يقول وعدم التمييز بين المعقول والمنقول ولكنى الظالم على  
نفسى والمشكك فى حسى فانى أعهد له لم يزل مميت الأحياء ومقفر الأحياء فكم له بالديار  
المصرية من قتلى وأوراقه للمرضى أشرُّ من أوراق الدفلى كم شاب عالجه فأكسبه الصرع  
الفالج ولان يسمى مصارعا أليق به من معالج ثلاثة تدخل فى دفعه طلعتة والنعش والغاسل  
لكنه مع ذلك ممن يجمع بين الاقران ويعمل المحرم فى رمضان قد ملك قياد القيادة على  
الفئين وطالت فيها مدته فاستحق ان يدعى بنى القرنين فاستعدت بالله من الشيطان وسرحته  
باحسان، كتب) القاضى الفاضل فى الكحالين يياكرنى كل عبرى العناصر يعزىنى بالرحمة  
على بخت ناصر كأنه غاسل يدخل الى انسان العين بحنوطه من كحله الملعون ويدرجه فى  
كفن من الخرقه السوداء التى يلبسها سواد العيون مردودة عصبية ولديها عصى العمى ينقل  
العين الى بياض الشغور ويسلبها اللعى قد انتهى الى فوق ما ضرب به المثل اذ قيل يسرق  
الكحل من العين وهذا يسرق العين من الكحل فهذا وأمثاله لص من اللصوص وسموا  
كحالين وهم صاغة لما يصوغون ويركبون فوق العون من الفصوص بل دباغون يدبغون  
الجفن أبيضاً وما يعدوهم مهك الدباغ بل صباغون يصبغون الأسود أبيض وليس ذلك

الصباغ قد اودعوا حزن يعقوب فى كحلهم مكاحلهم فمن كحل به ابيضت عيناه وجحدوا  
معجز القميص اليوسفى فلو مروا به على ناظر ما انفجرت جفناه واذا رفعوا اقبالهم فانما  
هى لشمس العيون مزولة واذا اولج احدهم الميل فى المكحلة فهو اولى بالرحم ممن اولج  
الميل فى المكحلة وما يؤم اهل الكتاب فى التبديل بواحد ولا خطاهم طريق الى الغى غير  
راشد فيوما محوا آية النبى ﷺ من التوراة وهى مسفرة ويوما محوا آية النور من الابصار  
وهى مسفرة ولا خير فيهم حاربوا فمحوا بالامس الخطوط من الأوراق واستداموا الى اليوم  
فمحوا الخطوط من الاحداق.

كتب الحكيم شمس الدين بن دانيال الى السراج الوراق قطعة كحل اصفهانى:

قل لعين الامائل الاعيان	ومحل الانسان للانسان
خذه كحلا مثل السيوف جلاء	وصقالا يروق فى الاجفان
حجر كسره اجل من الاكسبر	فعلا فى العين او فى العيان
الف عين تقيمها حبة منه	قياسا يصح بالبرهان
ان تعظم مثاله فى حجاز	فلهذا التعظيم فى اصبهان

## الباب السادس والثلاثون فى الحساب والوزراء

اعلم ان الوزير مشتق اسمه من حمل الوزر عنمن خدمه وحمل الوزير لا يكون الا بسلامة من الوزير فى خلقته وخلاتقه أما فى خلقته فانه يكون تام الصورة حسن الهيئة متناسب الاعضاء صحيح الحواس وأما فى خلاتقه فهو ان يكون بعيد الهمة سامى الرأى ذكى الذهن جيد الحدس صادق الفراسة رحب الصدر كامل المروءة عارفا بموارد الامور ومصادرهما فاذا كان كذلك كان أفضل عدد المملكة لانه يصون الملك عن التبذل ويرفعه عن الدناءة ويغوص له على الفكرة ومنزله منزلة الآلة يتوصل بها الى نيل بغيته وبمنزلة الذى يحرز المدينة من دخول الآفة ومنزلة الجراح الذى يصيد لطعمة صاحبه وليس كل أحد وان صلح لهذه المنزلة يصلح لكل سلطان ما لم يكن معروفا بالاخلاص لمن خدمه والمحبة لمن استنصحه والايثار لمن قربه وقال الثعالبي فى يواقيت المواقيت، الوزارة اسم جامع للمجد والشرف والمروءة وهى تلو الملك والامارة والرتب العلياء والدرجة الكبرى بعدهما، قال منصور النميرى يمدح يحيى البرمكى:

ولو علمت فرق الوزارة رتبة تنال بمجد فى الحياة لنالها  
والانبياء عليهم السلام لم يستغنوا عن الوزراء فكيف الملوك والامراء وقد نطق القرآن  
بوزارة هرون لموسى عليه السلام فى قوله تعالى ﴿رب اشرح لى صدرى \* ويسر لى امرى \*  
واحلل عقدة من لسانى \* يفقهوا قولى \* واجعل لى وزيراً من أهلى \* هرون أخى \*  
اشدد به أزرى \* وأشركه فى امرى﴾<sup>(١)</sup> ثم قال فى نظام الآية الكريمة وعلى نسق الكلام  
﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾<sup>(٢)</sup> فدل على انه جعله وزيره وصاحب سره وشريكه وافصح  
عن حسن موقع الوزارة وجلالته ووقوع الحاجة اليها وكان آصف بن برخيا وزير سليمان  
ابن داود عليهما السلام والمستولى على أموره وكان نبينا المصطفى ﷺ يقول ان لى

(١) الآيات: من ٢٥ - ٣٢ من سورة طه.

(٢) الآية: ٣٦ من سورة طه.

وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الارض فأما اللذان من أهل السماء فجبريل وميكائيل عليهما السلام وأما اللذان من أهل الارض فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال عليه السلام إذا أراد الله بملك خيراً قيض له وزيراً صالحاً ان نسى ذكره وان نوى خيراً أعانته أو أراد شراً كفه وكان انوشر وان يقول لا يستغنى أعلم الملوك عن الوزير ولا أجود السيوف عن الصقال ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعقل النساء عن الزوج.

**فصل** فيما ينبغى للوزير ان يأتيه: اعلم ان الملوك لا يشبهون الآدميين الا بالصور فأما بالطباع والاخلاق والهمم فلا لانهم لا يشاكلونهم ولا يشابهونهم والملك وان كان كريماً سخياً بعيد الهمة كثير المحاسن فانه لا يخلو قط من أربع خصال الحسد والحقد والملايل والحرص على المال فينبغى ان يكون الوزير أعقل الناس وأحزمهم وأدهامهم وأبعد غوراً فيجب عليه ان يدارى أخلاق الملك كما يدارى السباح الماء المفروق والولدان أولادهم الصغار والحاوى الحية ويتحفظ من غائلته كما يتحفظ من السبع والنار القوية والمجنون الذى بيده السيف المسلول ويجب أن لا يملك ما يصلح للملك من الاعلاق النفيسة الا ما فى نفسه ان يهديه اليه ويخدمه به وينبغى له ان يظهر ويشيع جميع ما يملكه وتحويه يده للملك وانه انما يمسكه ويحفظه من أجله ويجب عليه ان لا يسرف فى الاهداء ولا يتخرق فى بذل ما فى يده وكما لا يشيع النار من الحطب لا يشيع الملك من الاموال ولا بد للوزير من الاستظهار بالذخائر الخفية وقد قال الحكيم لوزير كان يستكثر من اعتقال الضياع ويغالى به عليك بحفظ الدنانير التى تشتري بها روحك من الملك فربما فعل ألف دينار ما لا تفعله ضياع ومستغل بمائتى ألف.

ومن نكت هذا الباب ان الملك يريد كل حسن وطيب لنفسه ويستأثر به على والده وولده ولذلك يقال من ملك استأثر وكان معاوية يقول وددت لو ان الدنيا فى بيضة نيمرشت فأحسوها حسوة واحدة لا يشركنى فيها أحد، ودعا الفضل بن مروان المعتصم الى داره واحتفل واحتشد فى احسان الدعوة فلما حضر المعتصم ورأى مروءته وتجمله عمل فيه الحسد عمله فانقبض ورثى فى عينه ولم ينشط لطعام ولا شراب وزعم انه يشتكى بظنه ففطن الفضل لما دهاه وأراد أن يوهم ان تلك الآلات مستعارة من دار أمير المؤمنين ليطلق نار حسده فتقدم اليه وقال يا أمير المؤمنين انما استعرت أكثر هذه الاشياء من دار أمير المؤمنين وقد أرهقنى الخزانون والفراشون باسترجاعها فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر

بامهالى فى ردها فعلت فضحك المعتصم وقال قل لهم لا يسترجعونها اليوم ثم نشط للطعام والشراب، ومما ورد فى تجنبها قال المأمون لاحمد بن أبى خالد هل لك فى ان أستوزرك فقال دعنى يا أمير المؤمنين يكون بينى وبين الغاية درجة يرجوها الصديق ويخافها العدو فلست أريد بلوغ النهاية لثلا يقول عدوى قد بلغها وليس الا الانحطاط، وكان ابراهيم بن المدبر اذا عرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابة:

يلوم على ترك الغنى بأهلية	طوى الدهر عنا كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن كالدماء	مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك ان قد نلت ما نال جعفر	من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصنى	بغصتها بالمرهفات البوادر
ذرنى تجتبينى منى مطمئنة	ولم اتجشم هول تلك الموارد
وان عليات الامور مشوية	بمستودعات فى بطون الاساود

**فصل فى لطائف كلام الوزراء أبو سلمة الخلال وزير السفاح كان يقول خاطر من ركب البحر وأشد منه مخاطرة من داخل الملوك ، أبو عبد الله وزير المهدي يقول الرجال تحت السنة الاقلام خير الكلام ما دل وقل، يحيى بن خالد وزير الرشيد ما رأيت باكيا أحسن تبسما من القلم ما رأى أحد فى ولده ما يحب الا رأى فى نفسه ما يكره، الفضل بن يحيى وزيره أيضا جرى بين يديه يوما مدح الناس أباه لوجوده فقال وما قدر الدنيا حتى يمدح من يجود بكلها فضلا عن بعضها ولما عزل بأخيه جعفر قال ما انتقلت عنى نعمة صارت الى أخى ولا عزبت عنى رتبة طلعت عليه، جعفر بن يحيى وزيره أيضا شرّ المال ما لزمك اثم مكسبه وحرمت الاجر فى انفاقه، الفضل بن الربيع وزير الرشيد والامين كما يقول ما أظن النعمة الا مسخوطة عليها أما ترونها أبدا عند غير أهلها، الفضل بن سهل وزير المأمون من توقيعاته الامور بتمامها والاعمال بخواتيمها والصنائع باستدامتها، اخوه الحسن بن سهل وزير المأمون أيضا، عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه وقيل له لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير ومن كلامه لا يصلح للتصدير الا واسع الصدر، أحمد بن أبى خالد وزيره أيضا بالاقلام تساس الاقاليم وكتب الى صديق له يستدعيه يوم الالتقاء قصير فأعن عليه بالكور وكتب الى المأمون مع هدية بعثت الى أمير المؤمنين قليلا من كثيره، محمد بن يزداد وزيره ايضا ليس فى الحب مشورة ولا فى الشهوات خصوصة ومن**

هذه أبواب الملوك معادن الحاجات وليس لاستنجاحها الا الصبر والملازمة، الفضل  
 ابن مروان وزير المعتصم الكاتب كالدولاب اذا تعطل تكسر، ما رأيت أقرب رضى من  
 سخط ولا أسرع ما بين قرب وبعد من الملوك، محمد بن الفضل الجرجاني وزير المتوكل  
 عاتبه المتوكل يوماً على اشتغاله بالملاهي فقال يا أمير المؤمنين ان مقاساة هموم الدنيا لا  
 تنأى الا باستجلاب شيء من السرور، سليمان بن وهب وزير المهدي، انى أغار على  
 أصدقائي كما أغار على حرمى ونظر يوماً فى المرأة فرأى شيئاً كثيراً فقال عيباً لا عدمنها،  
 الحسن بن مخلد وزير المعتمد كان يقول أعوذ بالله من نحس الاربعاء وحد الاحد وكان  
 يقول أمر أمثالنا يأتى جملة ويذهب جملة فلم لا يتعجل اللذات قبل فوتها ويتمتع بصفو  
 الزمان قبل كدره، صاعد بن مخلد وزير المعتمد الموفق، النفس أصل لا عوض عنه  
 والمال فرع يعود اذا تشرب عما قليل، المنع الجميل أحسن من المظل الطويل، أبو الحسن  
 ابن الفرات وزير المقتدر، ما أريد الوزارة الا لصديق أنفعه أو لعدو أتمعه وكان يقول إنى  
 لألف كل شيء حتى الطريق ومن كلامه ما رأيت أحداً على بابى وفى دارى ليس لى عنده  
 احسان الا استحيت منه وصرفت غاياتى الى ارفاقه وتحصيل مراده ولولا حب المروءة ما  
 رغبت فى الرياسة والوزارة، أبو على بن مقله وزير المقتدر والقاهر والرضى كان يقول اذا  
 أحببت نهالكت واذا أبغضت أهلكت واذا أرضيت أثرت واذا غضبت تأثرت وكان يقول أنا  
 فى وزارتى أقدم على العظائم كلها الا على اثنتين ازالة النعم وهتك الحرم، أبو جعفر أحمد  
 ابن سيرزاد وزير المستكفي، الاصاغر يهفون والاكابر يعفون اياك والافراط المممل  
 والتفريط المخل، أبو عبد الله الجبهانى الكبير وزيره أيضاً كان يقول جمال المرء فى لسانه  
 وجمال المرأة فى عقلها ومن كلامه حسن الذكر ثمرة العمر، ابو الفضل بن العميد وزير  
 ركن الدولة، خير القول ما أغناك جده وألهاك هزله العاقل من أفتح من كل أمر خاتمته وعلم  
 من بدء كل شيء عاقبته، الصاحب ابو القاسم بن عباد وزير فخر الدولة وعد الكريم الزم من  
 دين الغريم، قد يبلغ الكلام حيث يقصر السهام، الآمال ممدودة والانفاس معدودة، ومن  
 كلامه يا أسفى على رداء من الايام رقيق ما لبسناه حتى خلعناه وروض من الزمان مربع ما  
 حللناه حتى فارقتنا .

قلت لم أسمع فى رقة العيش ألطف من قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى  
 رحمه الله تعالى:

لست انسى رقة العيش الذى زاد فى الرقة حتى انقطعاً

رجع أبو نصر بن أبي يزيد الراضي قال في امتهانه لبعض الأعداء ما عسى أن يبلغ عض النملة ولسع النحلة ووقوع البقرة على النخلة ومن كلامه الهدية تردُّ بلاء الدنيا والصدقة تردُّ بلاء الآخرة، أبو إسحاق إبراهيم بن حمزة وزير أبي علي السمجوري قال ينبغي للأصاغر أن يتقدموا على الأكابر في ثلاثة مواطن إذا ساروا ليلاً وإذا خاضوا سبلاً أو لقوا خيلاً، أبو الحسن الأهوازي العدل أقوى جيش والامن أهني عيش الأحن حصد المحن، عبد الله بن يحيى بن خاقان كان يقول إذا دهانا أمر تمثلهنا في أصعب حالاته فما نقص منه كان سزورا يتعجله، نقلت من تاريخ الصحاح كمال الدين بن العديم وهو تاريخه الكبير المسمى بغية الطلب في تاريخ مدينة حلب بسنده إلى يحيى بن خاقان قال حضرت الحسن بن سهل وقد جاءه رجل يستشفع به في حاجة فقضاها فأقبل الرجل يشكره فقال له الحسن بن سهل علام تشكرنا ونحن نرى ان للجاه زكاة كما أن للمال زكاة ثم أنشأ يقول:

فرضت على زكاة ما ملكت يدي      وزكاة جاهي أن أعين وأنفعا  
فاذا ملكت فجد فان لم تستطع      فاجهد بفضلك كله ان تشفعا

الصحاح عون الدين يحيى بن هبيرة وزير المستنجد صاحب كتاب الإفصاح حكى عنه انه لما أدركته الوفاة أغمى عليه ثم أفاق فوجد أهله يبكون فقال ما شأنكم فقالوا بكينا لكونك خدمت الملوك والخلفاء فقال ماذ دخلت في عمل السلطان الي يومي هذا ما خجلت أحدا من خلق الله وأرجو من كرم الله تعالى انه لا يخجل هذه الشيبة.

فصل في لطائف هذا الباب، قال بعض الفضلاء:

غزال قد غزا قلبي      بالحفاظ واحداق  
له الثلثان من قلبي      وثلثا ثلثه الباقي  
وثلثا ثلث ما يبقى      وثلث الثلث للساقى  
وتبقى أسهم ست      تقسم بين عشاق

هذا الشاعر قسم قلبه الى أحد وثمانين سهما جعل لمحبويه منها الثلثين وذلك أربع وخمسون سهما يبقى الثلث وهو سبع وعشرون زاده ثلثيه وذلك ثمانية عشر فصار له اثنان وسبعون يبقى ثلث الثلث وهو تسعة زاده منها ثلثي ثلثها وهو اثنان بقي من الثلث واحد أعطاه للساقى بقي من التسعة ستة قسمها بين العشاق فحصل لمحبويه أربعة وسبعون سهما وللساقى سهم وللعشاق ستة الجميع احد وثمانون.

وقال ابو عبد الله محمد بن جابر المغربي نزيل حلب المحروسة:

قسم القلب فى الغرام بلحظ  
 هذه فى هواه يا قوم حالى  
 يضرب القلب حين يرسل سهمه  
 ضاع قلبى ما بين ضرب وقسمه  
 وقال شيخنا عز الدين الموصلى:

نسبة قلبى للهوى قسمت  
 ضاع حابى ولقيت الاسى  
 فكرى وكم للعين من ضربه  
 بالضرب والقسمة والنسبه  
 وقال الصلاح الصفدى:

عملت مع الزمان حساب بعدى  
 وكنت أظنى غلقت قسطى  
 وسقت الاصل من يوم الفراق  
 فقد ظلمت على له بواقى  
 وأنشدنى فخر الدين بن مكائس لنفسه مضمنا:

عملت مالى ارتفاع سقته غلظ  
 وكلمنا نلت من عزم ومن نكد  
 الحاصل راح فى مضمونه مالى  
 من غفلتى ونوالى سوء أعمالى  
 وأنشدنى من لفظه لنفسه فى نكبة حصلت له وأجاد:

وما تعلقت فى السرياق متكسا  
 لكنتى مذ نفثت السحر من كلمى  
 لجرمة أوجبت تعذيب ناسوتى  
 عذبت تعذيب هاروت وماروت  
 وقال المعمارى:

ولى رفسيق جهول  
 أقول لـمـا أراه  
 خـسـالى من الآداب  
 فى جملة الكتاب  
 سـبـحـان رازق هذا  
 رزقا بغير حساب

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

لفلان فى الديوان صورة حاضر  
 لم يدر ما نحرومه وجريده  
 وكأنه من جملة الغياب  
 سبحان رازقه بغير حساب

وأنشدنى الشيخ المحدث لفصيح البارع الرحال غرس الدين خليل الافقهسى لابن  
 حرى المغربى:

يا ناصبا علم الحساب حباله  
 ان كنت ترزق بالحساب وصاله  
 لقناص ظمى ساحر الالباب  
 فالله يرزقنا بغير حساب

وما أظرف قول حسام الدين الحاجرى:

صح حساب السحر من طرفه  
وقال ابراهيم المعمار ولطف:

ومليح قال صـفـنـى  
كم حوى جفنى معنى

وقال التقى السروجى

خدمت بذاك الوجه للشفر ناظرا  
وأصل حسابى ضبط حاصل وصله

وقال برهان الدين القيراطى:

خدمت بالاغـرال أبوابه  
ولى من الدمع على خدمتى

وقال ابراهيم المعمار:

لمولانا الوزير ندى بأس  
فيرضينا بألفاظ وكذب

وظرف ابن الوردى فى قوله:

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا  
فأضحى لا يقوم لبدر تم

اذ كان فى جفنيه جمع الكسور

لازداد سـرـرورا

قلت ألقا وكسورا

لعلى أمسى واليسا من ولاته  
وتقبيله مستخرج من جهاته

لما تبدى حسنه الباهر  
جمراية أطلقها الناظر

واحسان به سمحت حياتى  
محالات على كل الجهات

تبادر بالقيام على الحراره  
كأن النحاس قد أعطى الوزاره



## الباب السابع والثلاثون فى كتاب الإنشاء وهو فصلان

**الفصل الأول:** فيما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من الاخلاق والادوات والآلات.

**الفصل الثانى:** فى أعيان كتاب الإنشاء قديما وحديثا ونبذة مما لهم من المكاتبات.

**الفصل الأول:** قال أبو حيان التوحيدى يجب على الكاتب أن يكون حافظا لكتاب الله

تعالى ليتزعم من آياته وأن يعرف كثيرا من السنة والاحبار والسير حافظا لكثير من الرسائل والكتب وأن يكون متناسبا الالفاظ متشاكلا المعانى متشابه الخبط ذكيا عارفا بما يحتاج إليه خبيرا بالحلى والشيات مضطلعا لعب الكتابة له يد فى السواد وعمل فى الحساب وأن يكون له يد فى عمل الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام لقيق الدواة حاد السكين صقيل الكاغد صلب الاقلام متوددا إلى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم ولا منقبض منهم دمث الاخلاق رقيق الحواشى ترف الاطراف عذب النجايا حسن المحاضرة مليح النادرة غير قنف ولا متعجرف ولا متكلف للالفاظ الغريبة ولا متعسفا للغة الغويصة. انتهى كلام أبى حيان. وقال أبو الحسين محمد بن أحمد أظنه قدامة منزلة الكاتب التى يستحق بها أن يكون كاتباً فى قوله وفعله ومحاورته وفطنته وحجابه وأن يكون مطبوعا على المعرفة محنكا بالتجربة عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامهما ومتشابههما وناسخهما ومنسوخهما وبالازمنة والادوار فى اختلافها وتعاقبها وبالملوك فى سيرها واقدارها وبالخطوط وانسابها واقلامها فى تصاريفه وجهاتها ويوادى الكلام ومقاطيعه فى فواتح الوصف وخواتم الوقف وفصول التمام ورسوم الكتب واقدار الرجال وتآليف الاوصاف ومشاكل الاستعارة واثبات المعنى بشكله من القول والعلم بالنظائر والاشباه والتثبت بالشواهد والامثال حتى ينصب البيان أشخاصا ماثلة ويقيم للقول صوراً ناطقة تنبئ عن أحوالها وتدلل على منازلها مع التخلق باخلاق الدين والتحلّى بحلية الكرم واثبات محاسن الامور والاحمال فى الصبر والطلاقة ولبسة اللب والوفاء واجتناب الدنانا والنقائص فى الشره والارتشاء والقلق والضجر والسخفة والسفه.

وقال محمد بن أيوب بن سليمان عميد الرؤساء وأبو طالب وزير للقائم حال كونه أولى عهد كان مترسلا بليغا متفننا صنف كتابا فى الخارج وهو القائل الكتاب سبعة.

أولهم الكامل الذى ينشئ ويملى ويكتب.

الثانى الاعزل وهو الذى ينشئ ويملى وخطه ردىء.

الثالث المبهم الذى يكتب خطا مليحا ولا يد له فى الانشاء.

الرابع الرقاعى يجيد رقعة يكتبها ولا حظ له فى التطويل.

الخامس المختل وهو الذى له حفظ ورواية ويعجز عن الانشاء فهذا نديم.

السادس المخلط وهو الذى يأتى بالدرة والبعرة ويقرن بينهما.

السابع السكيت شبه بالمتأخر فى الجلية فربما جهد نفسه وأتى بمعنى، توفى سنة ثمان

وأربعين وستمائة، وقال الشيخ الإمام سيد كتاب الانشاء شهاب الدين أبو العباس أحمد بن

فضل الله العمرى فى كتابه الذى سماه مسالك الابصار فى ممالك الامصار أن كتابة الانشاء

كانت فى المشرق خلافة فى بنى العباس منوطة بالقدماء وربما انفرد بها رجل وذكر ابن

عبدوس فى مواضع من كتابه من ديوان السر وديوان الترسل ثم كانت آخر وقت افردت

واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة وكان فى المشرق يسمى كاتب الانشاء ثم لما كثر

عددهم سمي رئيسهم رئيس ديوان الانشاء ثم بقى يطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشاء

وتارة كاتب السر وهى إلى الاحب وعند ابنه وعند الناس أذل وكان فى دول السلاجقة

وملوك الشرق يسمى ديوان الطغراوية وبه سمي مؤيد الدين الطغراى والطغراء هى الطرة

وهى التى تكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ تتضمن القاب الملك وهى لفظة أعجمية

وكانت تقوم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب ويستغنى بذلك عن أن يكون

للسلطان علامة بخطه لكثرة وثوق الناس بصاحب هذه الرتبة وأهل المغرب يسمون رئيس

ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى وأهل هذه الرتبة لم يزل لهم الاختصاص والقرب أكثر

من كل عام وخاص نحتاج الامراء إلى مداراتهم وتقصر الوزراء مع علو الرتبة فى الوزارة

عن مباراتهم يجتمعون بالملك إذا أرادوا على عدد الانفاس وهم معنى الدولة وعليهم عولة

كل الناس وما كانت الملوك تكاتب الخلفاء ببغداد الا على هذا الديوان أعنى ديوان الانشاء

وكانت تسميه الديوان العزيز ولهذا كانت كتبهم تستفتح أدام الله أيام الديوان العزيز اشارة

إلى ديوان الانشاء وعليه كان يطلق هذا الاسم وله بهذا من الشرق ما له ومن الفخر ما يجز

على السماء أذباله انتهى كلام القاضى شهاب الدين، وذكر الثعالبى فى كتابه لطائف المعارف أن ادريس عليه السلام أول من خط بالقلم وكان يوسف عليه السلام يكتب لعزير مصر وكان هرون ويوشع يكتبان لموسى عليهما السلام وكان سليمان يكتب لايه داود عليهما السلام وكان آصف يكتب لسليمان عليه السلام، وروى أن النبى ﷺ استكتب عبد الله بن الارقم وكان يجيب عنه للملوك واستكتب أيضا زيد بن ثابت وكان يكتب الوحي ويكتب الملوك وكان إذا غاب عبد الله بن الارقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب إلى أمراء الاجناد والملوك أو يكتب لانسان بقطيعة أمر من حضر أن يكتب وكتب له عمر وعثمان وعلى والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبى سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وحنظلة بن الربيع.

آداب الكتابة روى عن الشعبى أنه قال كتب النبى ﷺ أربعة كتب أولها باسمك الله ونزلت سورة هود وفيها ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾<sup>(١)</sup> فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بنى اسرائيل وفيها ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾<sup>(٢)</sup> فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾<sup>(٣)</sup> فكتبها، وروى أن فصل الخطاب الذى أعطى داود أما بعد وروى أن أول من قالها كعب بن لؤى وهو أول من سمى يوم الجمعة وكان زيد بن ثابت يكره أن يكتب بسم الله ليس لها سين وكان إذا رآها بغير سين محاها وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب عمرو بن العاص لما كتب إليه بغير سين وقيل له فيما ضربك فقال ضربنى فى سين وعن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال إذا كتب أحدكم فليتره فإن التراب مبارك وهو أنجح للحاجة وروى عنه ﷺ أنه كتب كتابين إلى قريتين فاترب أحدهما ولم يترب الآخر فأسلمت القرية التى أترب كتابها وقال الحسن بن وهب كاتب رئيسك بما يستحق ومن دونك بما يستوجب وكاتب صديقك كما تكاتب حبيبك فإن غزل المودة أرق من غزل الصباية قال الوداعى فى تذكرته إن القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز رحمه الله كان إذا كتب كتابا بدأ فى ترميله بالبسملة لتعم بركتها سائر الكتاب وإنه يخزن ذلك الرمل ويحتفظ به ولا يرميه فى الأرض وقال بزرجمهر من لم يختم كتابه فقد استخلق صاحبه وإذا كتبت فاعد النظر فيه فإنما تختم على عقلك وعن عبد الله بن

(١) الآية: ٤١ من سورة هود.

(٢) الآية: ١١٠ من سورة الإسراء.

(٣) الآية: ٣٠ من سورة النمل.

عباس رضي الله عنه فى قوله تعالى ﴿إِنى ألقى إلى كتاب كريم﴾<sup>(١)</sup> قال مختوم وفض الكتاب إذا كسر ختمه ومعنى الفض فى اللغة التفريق والكسر ومنه لا يفضض الله فاك.

العنوان فيه خمس لغات أفصحها عنوان ويقال علوان وعينان وعينان وجمع عنوان عناوين وجمع علوان علاوين والعنوان الأثر وهو أثر الكتاب ممن هو والى من هو صحوا باشمط عنوان السجود به والقلم لا يقال له قلم الا إذا برى وإلا فهو أنبوية.

ومن أحسن ما قيل فيه قول السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الأمدى نقلته كذا من خط الوداعى:

تمشى البراعة والمداد وراها	ظل على شمس الطروس ينوع
عوض المعانى لو يلوح لمسلم	هذا المعانى راح وهو صريع
لو لم تكن ألفاظه خطية	ما راح سرب اللفظ وهو منيع
ألفاظه رقت بوجنة طرسه	فكأنهن وقد جريرين دموع
قلم مسحى الخطاب لنطقه	فى المهد من يمانه وهو رضيع
وغدا كليميا وقد ضاهى العصا	فقد يروق بفعله ويروع
باللفظ حاكته الشموس وبالضيا	حاكته فى حال المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور	والظل يهوى الروض وهو مريع
نور ونور حظه وكلامه	هذا يضىء به وذاك يضىوع

وله أيضا رحمه الله تعالى:

ليمانه ذو طرف كحيل اذا بكى	تبسم ثغر الخط من دمه عجبنا
وقد راح مشقوق اللسان متى جرى	بشعر الدوى اللعس أبدى اللما عذبا
وأوته فى سنه سم أرقم	إذا ما ثنى فى الرقم من حمده جنبا
فظورا خطيب والسواد شعاره	إذا ما علا اعواد كف جلا خطبا
ويحقر فعل الخط بين كتائب	تلاقت إذا ما خط فى يدك الكتبا
حكى السمر قد احبت للبيض خده	فطاعن به إن شئت واضرب به ضربا

وقال الشيخ الإمام مجد الدين الروذرا وروى عبد الحميد بن أبى الفرج الهمداني الفقيه الشاعر المفضن مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة وتوفى بدمشق سنة سبع وستين

وستمائة من نظمه في وصف القلم من قصيدة مدح بها الوزير القمي مؤيد الدين وزير الدولتين الناصر والمستنصر كذا نقلته من خط محيي الدين بن عبد الظاهر من كتابه المسمى بالنجوم الدرية في الشعراء العصرية:

من رأسه المسود موت أحمر	لك من نبات الماء أصفر للعدا
مثل النساء يرى عليه المعجر	خجل القنا من فعله حتى غدا
أبدا كعيش الحاسدين مكدر	يصفونه وزد العلا وورده
من ماء الحياة كأنه الاسكندر	ظلمات نفس خاضها بروية
متحكم في الدهر وهو مسخر	متقيد يعدو وينطق ساكتا
يتلو بنى العباس وهو مزئر	يا راكعاً لبس السواد وساجدا
سر العلا وأسود منك المنظر	قد خر رأسك واللسان لبثه
أو أن لونك للنحافة أصفر	هب أن جسمك من جواك نحوله
من كبوة تلفى لماذا تعشر	مركوبك البحر الجواد وما له

وأنشدني من لفظه لنفسه سيدى وأخى تقي الدين بن حجة الحموى:

ان خط خطا أطاعته المقادير	له يراع سعيدي في تقلبه
جرى يرى منه تحرير وتحبير	محبير وبتحرير العلوم إذا
وجانس النور من أوراقه النور	غصن عليه طيور العلم عاكفة
له إلى الرزق فوق الطرس تيسير	واشقر يده البيضاء غرته
وهذب أجفانها تلك التشاعير	بل أسمر عينه السوداء تلحظنا
مريشا وله في الفضل تأثير	أو سهم علم باطراف السطور غدا
دانت أياديه قلنا الاعين الحور	كذا محابره سود العيون فإن

ومن وقف على رسالة السيف والقلم للشيخ جمال الدين بن نباتة رأى من هذه المعاني العجائب ولولا اطالتها لاثبتها في هذا الباب ولقد ظرف إلى الغاية شمس الدين الواسطي حيث قال:

إذا صير جسمه خيالا سارى	ما زال بقلبه لهيب النار
قاساه الواسطي الا البارى	الله بقلبه فما يعلم ما

وأنشدني أخى تقي الدين بن حجة الحموى يصف سكيناً أهدها له بعض الاصحاب

وهو سكين قطع الملوك بها أوصال الجفا وأضافها إلى الادوية فحصل بها البرء والشفاء وتالله ما غابت الا وبلغت الاقلام من تغييرها إلى الجفا أنها لسان كل عنوان ما شاهدها موسى الا وسجد فى محراب النصاب وذل بعدما خضعت له الرءوس والرقاب ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصية جازت بها على حد السيف تنسى بحلاوة العسال ولا يظهر لطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخلى كم مرت بشكلها المحلى فتركت المعادن عاطلة ولم يكن للحديد فى هذه الواقعة مجادلة فلو لمحها الفاضل لتحقق أن خاطر سكينه كل أو شاهدها ابن نباة لما أقر برسالة السيف وقل إلى أن دخلت إلى القراب كانت قد سبكت على الدخول أو ابرزت من غيمه كان على طلعتها الهلالية قبول كم أيقظت طرف القلم بعدما خط وعلى الحقيقة ما رأى مثلها قط ما اسفر صبح نصلها فى ليل نصابها الذى دجا الا تغزلت وقلت ما أحسن طرة الصبح من تحت أذيال الدجى تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وبقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف فى بحر غمده غريق ولو سمع بها من قبل ضربه لما حمد التطريق لا زالت صدقات مهديها تحف بما يذبح نحر فقري وتأتى فى كل حين بما يشفى من داء الفقر ويبرى بمنه وكرمه.

كتب مولانا محمد بدر الدين الدمامينى إلى المرحوم أمين الدين صاحب ديوان

الانشاء بالشام ملغزا فى دواة:

ونطقى بها يا كاتب السر يجهر	كتبت وأعدارى اليك تقرر
وحكت حبير اللفظ فهو محرر	أتتك أبيات المعانى فرضتها
لهم فعليك الآن يعقد خنصر	وحليت أهل الفضل إذ كنت خاتما
ولكن رأينا منك حلما يجسر	وما أنت الا البحر جاش عبابه
وفيها دواء إن اعترها تغيير	فما كلمة أفديك دام اعتلالها
وذلك من عادتها ليس ينكر	ويحفظها ذو السر وهى التى وشت
وصحف تر المقصود بالنفس يظهر	وما مسها الا وجاب بنفسها
على الرأس عباسية حين تخطر	وتحمل سمر الخط رايات ملكها
ويحسن مرآها إذا ما تحبير	كحيلة طرف تعشق العين شكلها
عهدود الصبى .هـ الشىء بالشىء يذكر	مؤنثة كم ذكرتنا بلوتها
وفى الوصل تدرى أدمعا تحدر	إذا هجرت يبدو المشيب برأسها

يلذ به فى الذوق ورد ومصدر  
فغادت لها الجهال بالعى تحصر  
وإن سخطت فالموت لا شك أحمر  
فتتهل منه موردا لا يكدر  
بذلك قد جاء الكتاب المسطر  
وكم ذا غنى عن قصدها ليس يفتر  
إلى نحوها أمست على المد تقصر  
تفه بسؤال فاعبترانا التحير  
فأنت به والله أجدى وأجدر  
على رأسها طول المدى لا تقصر

وروضة آداب لها القلب يجبر  
فيا حبذا الاسكندرى المحرر  
فكل بليغ عن مداها يقصر  
حماها من العلياء لا يتسور  
فاحشاؤها فيها الاجنة تقبر  
فإن هب فرد ظل يسمى ويحصر  
تهادى به نشوان يمشى ويعثر  
خطيب له فوق الانامل منبر  
فيخضل من رياه روض محبر  
وعما أراه فى الانام يعبر  
سموا ومع هذا على الطول يقصر  
تقام به بين الانام وتعمر  
وريت ويكفيها بذلك مفخر  
تجاهى وجاهى عندها ليس يحقر  
فأما استقالت فهى فى ذلك تعذر  
لذى النقص مثلى منه حظ موفر  
بحق وأفسواه الدوى تعطر

وكم قد أراتنا ريقها من مسلسل  
وكم لاقت الاحبار منها محاسنا  
مسودة ان ترض فالعيش أخضر  
ويعذب للسمر الرقاق رضاها  
لقد أحكمت والنسج ما زال دأبها  
وماهى الا ذات متربة غدت  
اذا امتدت الراحات وهى مثيرة  
ولسنا نراها غير سائلة ولم  
فانعم بحل اللغز يا خير منعم  
ولا زالت الاقلام تسعى لشكركم

فكتب الجواب إليه بعد أيام:

مواقع أقلام لها الفضل ينشر  
تحرر معنى حسنها نسج وحدة  
يطول على الافهام شقة شاوها  
أنت سهلة الالفاظ ممنوعة الذرى  
تشير إلى الجبلى التى عز وضعها  
ينامون لا تغشاهم سنة الكرى  
وإن أرشفتة من سلاف رضاها  
وأما إذا اعتموا السواد فكلهم  
يسيل دموها فى مجال سجوده  
وينطق عن علم وطول نباهة  
يطاول سمر الخط أنى تشامخت  
وكل بنى الاداب تلقى بيوتهم  
واكرم بما قد ولدته وأنشأت  
نجية فكر ان جلست ووجهها  
وقد فتحت فاها فقالت وقصرت  
فلا زلتهم أهل الكمال وجبركم  
بمدحك الاقلام يضحك سنها

قال) بعض الفضلاء إذا أردت أن تضمن كتابا سرا فخذ لنا حليبا واكتب به فى القرطاس فإذا أراد قراءته المكتوب إليه فليذر عليه رماد القراطيس سخنا فإنه يظهر ما كتب وإن شئت كتبت بماء الزاج الأبيض فإذا وصل إلى المكاتب فليمر عليه شيئا من ماء العقص وإن شئت بالعكس وإن شئت أن يقرأ ليلا ولا يقرأ نهارا فاكتبه بمرارة السلحفاء.

قال الشيخ شهاب الدين بن العطار فيما يكتب على الدواء:

انا دواة يضحك الجود من بكاء  
يراعى جل من قسـد براه  
دلوا على جودى من شفه  
دا من الفقر فانى دواه  
وأشدنى شمس الدين الجرائحى لنفسه:  
أنا دواة كسبحـر جـود  
فى الفضل قل للسـخى عنى  
فلو غدا كفه سحـابا  
عند العطا يستمد منى  
وقال ضياء الدين المناوى يصف حبرا:  
وعندى حبر ودت العين لونه  
غدا سائلا من فرط سقم ورقة  
كأنى لمابت أشكو صبابتى  
سوادا وترضاه الحسان خضابا  
وأصبح للسمر الرقاق رضابا  
إلى الليل بالاشواق رق وذابا  
وكتب الشيخ برهان الدين القيراطى صحبة حبر أهدها:

ليراعكم أهديت انسان النظر  
وشباب طرس شاب من فرط الكبر  
أرسلته عبدا دعوه عنبرا  
إذا فاح طيب نشره بين البشر  
أقلامه أخذته حال كتابة  
سبحا وألقته على طرس درر  
ويود مرسله إلى أبوابكم  
لو زاد فيه سواد قلب أو بصر  
ليل وإن أبدى لنا ألفاظكم  
فى صبح طرس أبيض قالوا سحر

وأشدنى المرحوم فخر الدين بن مكناس:

لداود الرئيس الحبر فضل  
وأنس عم أبناء الوجـود  
أتانا منه حبر فابتهلنا  
وقلنا نعم أحبار اليهود

وقال ابن الوردى فيمن انقلب حبر على ثوبه:

انقلب الحبر على  
ثوبك فأبشرت بالارب  
فحبر كل كاتب  
ريح إذا هو انقلب

وأشدنى القاضى أمين الدين محمد الانصارى صاحب ديوان الانشاء بالشام لنفسه فى لوح الموقعين المرصد للصاق الاوصال على لسانه:

قطعونى وكنت منبر سجع  
فبكسرى جبرت بين الموالى  
طال ما فى الرياض أسبغت ظلا  
وبقطعى جعلت للوصل أهلا  
وفىها له أيضا:

طرحوها كأنهم  
وهى من أصل دو حوة  
ليس يدرون فضلهما  
أسبغ الله ظلهما  
ابن نباتة وكتبها على مرملة:

عملت لمن جود اقلامه  
إذا طلع الخط رملته  
ربيع ومنطقة به بارع  
فيا حبذ الرمل والطالع

وقال السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الأمدى مجابوا لمن كاتبه فى ورقة رزقا:

أرسلت زهر الروضة الغناء  
فكأنما هى من أديم سمائنا  
فى مثلها من رقعة رزقاء  
قدت وفيها أنجم الجوزاء  
كالوسم يحلو مبسم اللمياء  
فتمثلت أزهاره فى الماء  
أو مثل منعطف الخليج وقد صفا  
وله:

أنت أرسلت بالكتاب سما  
فيه كل نقطة مثل نجم  
تبرز الشهب قبل وقت الزوال  
وبه كل جزمة كهلال  
وله:

كلمات لضحكها قد بكى الدر  
حسد المسك نفسه فغدا  
وهل منكر بكاء اليتيم  
اسود ذا زفسرة بخسد لطيم  
وله:

وذى مقول يخفى الكلام فإن رقى  
عقود بلا سلك يبهر طروسه  
إلى اذن قرطاس ففىها يحدث  
ولا عقد فى سجره وهو ينفث  
وقال:

جادت رياض الطرس سحب يراعه  
فكست غصون طروسه ورقابها  
لما صدرن من النهى عن أبحر  
أكمام لفظ بالمعانى مثمر

وقال أبو الفتح محمد بن قادوس الدمياطى:

مداده فى الطرس لما بدا      قبله الطرس ومر يزهد  
كأنما قد حل فيه اللما      وذاب فيه الحجر الأسود

**الفصل الثامن:** فى أعيان كتاب الانشاء قديما وحدينا ونبذة مما لهم من المكاتبات،

عبد الحميد بن يحيى كان يقول لو كان الوحي ينزل على أحد بعد الانبياء لنزل على بلغاء الكتاب وذكر البلاغة فقال هى ما رضيته الخاصة وفهمته العامة، اسماعيل بن صبيح، كاتب الرشيد لم يسمع فى الجمع بين الشكر والاستزارة أحسن وأوجز مما كتب به إلى يحيى بن خالد فى شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه، عمرو بن مسعدة، كاتب المأمون وكان يقول قليل دائم خير من كثير متقطع وكتب إلى المأمون كتابى هذا وفى قبلى من أجناد أمير المؤمنين وقواده فى الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم وأختات أحوالهم فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما أبلغه ألا ترى إلى ادماجه المسألة فى الاجناد واعفائه سلطانه من الاكثار، إبراهيم ابن العباس الصولى، كاتب المستعصم والوائثق والمتوكل كان يقول المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشه، الحسن بن وهب، سئل عن ميته فقال سررت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت ولم أستيقظ الا بلبسى قيص الشمس ومدح صديقاً له فقال خلق كما يشتهى إخوانه ووصف مغنيا فقال كأنه خلق من كل قلب فهو يغنى بكل ما يشتهه، أحمد بن سليمان، أحسن الكلام ما لا تمججه الأذان ولا تتعب فيه الاذهان، بديع الزمان الهمداني، من انشائه الحمد لله الذى بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد، وله (قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشيء وليس منه بد هذه العرب تقول لا ابا لك ولا يقصدون الدم وويل أمه للامر إذا أهم وسبيل أولى الأبواب فى هذا الباب أن ينظر فى القول إلى قائله فإن كان وليا فهو المولى وإن كان خشن وإن كان عدوا فهو المبلى وإن حسن من إنشاء أبى القاسم على بن الحسين المعروف بالمغربى، ووصلت الرقعة فاستجفيت النسيم العذب بالاضافة إلى لطافتها واستثقلت محل عقود اللؤلؤ بالقياس إلى خفة موقعها، وله وكتب هذه الاحرف وقد أظلم البلاد نلج ذكرنى قول الصنوبرى ورد الربيع مورد مبيض والورد فى كانون أبيض الا أنه انتقل إلى ضد طباعه معنى واستأنس إلى عكس خلقه فإنه مع برده أحدث لى شوقا إلى سيدنا ألهب جوانحي وصبابة

نحوه أضرمت جوارحى حتى عاد بياضه فى عينى سواد التذكرة وسقياه ظمأ برحا قلبى بتصوره على أن قلبى مزحوم من جهته مما يزدحم فيه من كآبة جفائه وصباية بعده ونائه، وله) وعرفت فى هواجس الفكر ووسواس الذكر حتى نسيتمكم من شدة المذكر ولقيتمكم من حدة التصور وحتى عدت كأنى أجد فى فمى عبقا من تقبيل ذلك الوجه الناضر وفى عينى لمعا من سناء ذلك الجمال الباهر والله تعالى اسأل ان يسقط بيننا فى تشاكي ألم الفراق اسناد القلم بمشاهدة الفم للفم، القاسم الحريرى، قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه نصرة الثائر على المثل السائر سمعت الشيخ شهاب الدين محمود حين قرأت المقامات عليه يحكى عن القاضى الفاضل أنه أراد معارضتها ووضع ثلاث عشرة مقامة عارض كل فصل فيها بمثله حتى جاء إلى قوله أعنى الحريرى فى المقامة الثالثة عشرة اعلموا يا مأل الأمل وئمال الأرامل أنى من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلى وبعلى يحلون الصدر ويسرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاء وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهر البطن نبأ الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين وضاع اليسار وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذاغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فؤادى الاسود حتى رثى لى العدو الارزق فحبذا الموت الاحمر فقال القاضى الفاضل من أين يأتى الانسان بفصل يعارض هذا ثم أنه قطع ما عمله من المقامات ولم يظهرها أو كما قال وناهيك بمن يقول مثل القاضى الفاضل فى حقه مثل هذا ويعترف له بالعجز وأما أنا فكلما قرأت هذا الفصل أجد له نشوة ولا نشوة الراح وبهجة ولا بهجة السارى بضوء الصباح، أبو الحسن بن بسام عارض إذا سمع استوسلت البحار ونجم إذا طلع تضالت الشمس والاقمار وسائق لا يمسح وجهه الا بهيادب الغيوم وصارم لا يحلى غمده الا بافراد النجوم، القاضى السعيد، هبة الله بن سنا الملك وإن للشوق بحرا وقلبه والله الغريق بأمواجه وجرا وصدرة المظلم بسراجة وأقل بد للهموم عنده أنها حلتها فى عنفوان الشباب بحلية الاشيب وجعلته سادجا من الشعر الاسود وإن كان فى وسط العمر المذهب كما قال أبو عبادة ذهبية الصبوات من أعوامه، وله فالاسلام من طلقاته والكفر مجاهد ولكن باتقائه وسيوفه تحسن فى الاجسام البسط وفى الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء أن تقع على الارض، وله لا جمع الله عليك المصيتين فراق الاحباب وفراق الثواب ورزقك من الاعانة على ما تعانیه ما

ينضل عنك إلى أن تخلعه على وترسله إلى، وله وازهد في دنيا تثبت الحمام وتحصد  
الاجسام وتقصف أغصان الاشباح وتقطف ازهار الارواح واذهل عن الذهول وأحسن ضيافة  
النصح بالقبول.

وإذا رأيت جنازة محمولة فاعلم بأنك بعدها محمول

وكيف لا يحمل المملوك تلك الاشواق وهي تقربه من المولى بالتخييل إذا أبعدهت الايام  
ويمثل له المقام الكريم فيقبله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظرة  
إليه لكانت عينه مطرقة وستور أهدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بمطالعة  
طلعته لالتهبت من دموعها بمياه محرقة فهو منها في نار وجنة مغلول بغله مطوق بمنه، وله  
ولقد أنساه فراق المولى حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذي كفر  
بالبلادة فأسقط عليه من سمائه كسفا شوقا ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر  
إلا ومر بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعاء على ظالمه فقد انتصر  
ضياء الدين بن الاثير الجزري ودولته هي الضاحكة وإن كان نسبها إلى العباس وهي خير  
دولة أخرجت للدهر ورعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب  
الا تفاؤلا بأنها لا تهزم وانها لا تزال محبوبة من أبنكار السعادة بالوصل الذي لا يضرم، وله  
يصف بناء مرتفعا إذا أضرم برأسه قبس ظنه المتأمل نجما وإذا استدار عليه قوس السماء  
كان في كبده سهما، وله في القلم فهو الملقب بالجواد المضممر وإذا أخذت السوابق في  
احضارها بلغ الغاية وما أحضر وله لون يحقق فيه القول النبوي لو جمعت الخيل في صعيد  
واحد لسبقها أشقر فإن الاشواق عن الحمام خليفة وإذا كانت حركة الفلك شوقية فما الظن  
بالقلوب الضعيفة، القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر يصف بطيخا حلييا أهدي إليه فشاهد  
اهابه وكأنما جمع من زهر الاقاح وكان كل واحد منه قنديل وعروقه فتيلة الاصباح وكان  
كبراه بطن خميص من له من مجموع اللب حنين وكان صغراه رأس كم منها ان فصلت  
جيين يقسم كل رأس منه رئيس من الاناسى وقصر أيمانه في الاستحسان عليه فما يقول الا  
وحق راسي، ومن انشائه نعلمه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من أطراف المران  
واستنطق الاسلام عبارتها من السنة الخرصان ذلك بفتح حصن الاكراد الذي كان في خلق  
البلاد الشامية عضه لم تسمع بمياه السيوف المجردة وشجن صدرها لم تقاومه أدوية  
العزائم المفردة طالما أكسب البلاد رعبا ورهبا وطالما استمارى من أخلاق الامصار حليبا،

ومن إنشائه بكتاب يأمر فيه بإبطال الحشيش بعد الخمر يعلم أن المنكرات التى أمرنا أن تملأ الصحائف بأجرها ونفرغ الصحف وأن لا يخلو بيت من بيوتها من كسر أو زحاف قد بلغنا الآن أنها اختضرت وأن كلمة الشيطان بالتعويض عنها قد نصرت وأن أم الخبائث ما عمقت والجماعة التى كانت ترضع ثدى الكأس قد ارتعت بعدما فطمت وإنها فى النشأة ما حيت إبليس مسعاها وإنها لما أخرج المنع عنها ماءها من الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وإنها استراحت من الخمار واستغنت لما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وإن ذلك فشا فى كثير من الناس وعرف فى عيونهم ما يعرف من الاحمرار فى الكأس وصاروا كأنهم خشب مسندة سكرى وإذا مشوا يقدمون لفساد أذهانهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر أن تحت أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتظهر منها المساجد والجوامع ويشتهر مستعملها فى المحافل والمجامع حتى تتبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهى بعدها خضرا ولا خضراء الدمن، ومن إنشائه من كتاب إلى الفرنج وقد أخذت شوانى السلطان وخيولهم المركب ومراكبنا الخيول وفرق من يجريها كالبحار وبين من يقف به فى الوجول وبين من يتصيد بالصقور من الخيل العرب وبين من اذا افتخر قال تصيدت بغراب فلئن أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم قرية معمورة وقد قال الملك وقتلنا والله أعلم أن قولنا هو الصحيح واتكلنا واتكل وأين من توكل على الله وسيفه ممن اتكل على الريح، ول وأما فلان فانه شمر الذيل وامتنى هربا أشهب الصباح وأحمر الشفق وأصفر الاصيل وأدهم الليل، وله فكم شاهدنا من قتلهم كل مهيب الهامة حسن الوسامة قد فض الرمح فاه فقرع السن على الحقيقة ندامة، وله من منشور كتبه للامير جمال الدين المحمدى عند اخراجه من الاعتقال أوله الحمد لله الذى أظهر جمال الدين المحمدى، وله من منشور كتبه ليسرى عن السلطان المنصور وجربنا فى الاحسان إليه على القياس وإن كان من أكابر أصحاب الظاهر، ومن إنشائه يقبل اليد التى لو تجسدت القبل فيها لنظمت سبحا ولو اثرت فيها كتأثير الضوء كانت حجولا ووضحا ولا برحت القبل التى قبلتها ساجدة والأفواه إلى مسرعتها واردة حتى يقال والمباسم يقبلها أحباب فى حياض أم زهر فى رياض وبيروق فى غمام أم درر فى بحر طام، ومن انشاء قوام الدين بن زيادة يهنئ الوزير البلدى، وأفاض عليه من صنوف تشريفاته خلعا خاع بها قلوب الاعادى من أعماق الصدور وطلع فيها من آفاق البدور كأنما أنشئت من

عين العين الصريم وغزلانه أو غشيت بعصر الشباب وربعانه فألبسها من حلاء سربال  
الجلال وجرتها على المجرة أذيال الاختيال وقلده سيفاً عقد النصر بلوائه وتعلم المضامن  
أرائه أهدي فى قلوب العدى من الأوجال لا ينصل نصله من خضاب القراب ولا يغمد الا  
فى قراب الرقاب وأمضاه صهوة صافن أسرع من تأدية الاسماع إلى الافهام وأوحى من  
مضاحكة البرق خلال سحجف الغمام يسبق مطارح نظره بمواقع حافره ويهدى ظلال ظله  
بأهله أثره بشكل رأيه فيه اذا تدرع فى شوطه واشتد أطرف ردىء أم طرف يرتد كأن بركة  
سهم وسبكة وهم أو يحف بقوادم شهاب أو عنده علم من الكتاب ولاطفه بدواه وهى دوام  
العدم واداة النعم ومنبع الكرم ومرتع أرزاق الامم يستشف لآلى الاداء من قرارها ويصفق  
أمواج الحكمة والبلاغة من أقطار ثنائها تكشف براعا يردع كل روع ويتبع أمره كل متبوع قد  
حمل من اعباء الخلافة عظيما وحمى الاسد رضيعا والملك فطيما يصوب بكرم الغيوث  
الغوادى ويصول بقرم الليوث العوادى:

يمحو ويثبت أرزاق العباد بها فما المقادير الا ما محا ودحا

من انشاء الصدر عز الدين بن سينا من بشارة للديوان العزيز بكسر عساكر الفرنج من  
عكا عن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة اثنين وأربعين وستمائة، فلا  
روضة الادرع ولا جدول الاحسام ولا غمامة الانفع ولا وبل الاسهام ولا مدامة الادما  
ولا نغم الا صهيل ولا معربد الا قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا  
واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب فى الفضا فجعلته مضيقا وضرب النقع  
فى السماء طريقا وعاد الفارس بالدماء عريقا:

وضاقت الارض حتى كاد ربهم اذا رأى غير شىء ظنه رجلا

ومن انشاء القاضى تاج الدين بن الاثير: والمنجنقات تفوق اليهم سهام قسيها وتخيل  
اليهم أنها ساعية اليهم بحبالها وعصيها وهى فى الحصون من ألد الخصوم وإذا أمت حصنا  
حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى امترى خلق فى آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من  
الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى إلى الوغى فتكلم وما أقيمت  
صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم، ومن انشاء سيد كتاب  
الانشاء وامام البلغاء القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى: فقم عنا بهذه الفريضة  
وطر فى تلك المضار ورفه قوادمنا المهیضة وأدر وعلينا أن نشرب وقل وعلينا أن نظرب  
وانفرد بالحرب وعلينا النظارة وأعطنا السلب وياشر أنت الغارة وأنفد الينا كل يوم من

أقمصة يوسف قميصا وليكن قميص البشارة، وله من شفاعاة وعلى المذكور ديون كثيرة والدين عشرة الصراط والقبر على المطلوب سم الخياط فإن رأى مولانا أن ينظر إليه بما يفك أسره ويغنى فقره فهناك الاطلاق بالحقيقة أو الاسر والغنى بعد العرض على الله أو الفقر فبهذا عرفتم يا أهل المعروف من آل أيوب وكذا كان يوسفكم رحمه الله يقضى كل حاجة فى نفس يعقوب، وله والجو يتنفس عن صدر مسجور كصدر المهجور والحر وصاليه فى نحو هذه الطب جار ومجرور والمهامة قد سرفها ملا السراب وزخرفها بحر ماء ولد لغير رشده وعلى غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث الرمل ونحن فى أكثر من جموع صفيين الا اننا نخاف وقعة الجمل ووردنا ماء هذه العيون وهو كماء المحابر يغترف منه المجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطئ تفرة مقتله وهو مع هذا قليل كأنه حادت به الآماق فى ساحات التفاق لا فى ساعات الفراق فيا له من ماء لا تتميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا يعدو ما وصف به أهل الجحيم فى قوله ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب﴾<sup>(١)</sup> فنحن حوله كالعوائد حول المريض يعللون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينهم وبينه التراب يجهز للدفن ونعشه المراد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد وفى غير من قد وارت الارض فاطمع على أنه لو كان دماغا لما بل الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان وإن امرؤ روحه فى جلد غيره وهو المراد وخصمه من غير جنسه وهو النار التى فى غير الزناد لجدير أن يغرى به اغراؤه وان يلام على مفارقة الاحبة ويقال هذا جزاؤه، وله) إلى أن ترد كتب العسكر وأعلامها من مدات ألقاته وءوس العدى قطعات همزاته والايام التى لا أشاهد فيها الوجه لا أحسبها من العمر والايام التى لا يصل فيها ركابه لا أحسبها من الدهر ولا يخنصر على على عمرى ولا يغالطنى فى حساب دهرى، وله وقد أحسنت الحضرة فى بشرى بكتابة فى كتابها فقد طلع طيفا للحبيب الزوار ونجما لقبجره ولا أقول الفرار وعليه أبقاه الله سلام أنور مما بعد الفجر وأشرق مما تحت الخمار وأجلب للسرور مما قبل الخمار، وله ذكر الله ذلك العهد بخير ما ذكرت العهود ولعن الله الفرنج المحتدقين وقتل أصحاب الاخدود فقد قطعوا طرقات المسار وأطالوا عمر الأبيكار وسبكت نار مقاساتهم الدينار فعجل الله أعلام الكافرين لمن عقبى الدار، وله وظننا أننا به بل

(١) الآية: ٢٩ من سورة الكهف.

بدعائه قد دخلنا الجنة لما نلناه من خمرها الذي هو لذة للشاربين وأنا خالطنا أهلها فأشخاص المعاني من الحروف على سرر متقابلين ووثقنا بان لنا منه الدعا الذي نأوى منه إلى كثر عتيد والرأى الذي أنزله الله هو والحديد فيهما بأس شديد، وله رب إنى لا أملك إلا نفسى وما هى فى سبيلك مبذولة وأخى وقد هاجر إليك هجرة نرجوها مقبولة وولدى وقد بذلت لعدوك صفحات وجوههم وما أنا على محبوك بمكروه فيهم ومكروههم ونقف عند هذا الحد والله الأمر من قبل ومن بعد فى عصابة محمد ﷺ أخلفه على أمته بما تظمن منه مضاجعه ووفه الحق فينا فأنا والمسلمون عندك ودائعهم، وله ودعا المسلمون برءوس عدوهم فى رءوس القنا وقد اجتمعوا ثمراتها ورواحهم فى صدور الظباء قد أطفئوا لمائها جمراتها فأنبتت سنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الأسنة وطارت إليهم عقبان من الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الأعنة وتصويت عيون السمير إلى قلوبهم كأنما تطلب سوادها وقصدت أنهار السيوف أكبادهم فكأنما أرادت أن تروى جيادها ونصبت للملك خيمة حمراء كأنما وضع على الشرك عمادها وتولت حفظ اطنابها الرجال فكأنهم أوتادها، وله وقد كان يقال إن الذهب لا يبريز لا يدخل عليه آفة وإن يد الدهر البخيل عنه كافة وأنتم يا بنى أيوب أيديكم آفة نفائس الاموال كما أن سيوفكم آفة نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لامشطيتم لياليه اذاهم وقلدتم أيامه صوارم ووهبتم شمسوه وبدوره دنائيز ودراهم وأيام دولتكم أعراس وكان ما تم فيها على الاموال ما تم والجود فى أيديكم حاتم ونفس حاتم فى نقش ذلك الخاتم، وله) وما أحسب الاقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها سميت خرساء الا قبل أن نفت سيدنا فى روعها رائع هذا الصواب ولا أنها اضطجعت فى دويها إلا لبيعنها ما يتفخ فيه من روحه من مرقدها ولا سودت رءوسها الا أنها اعلام عباسية تناولتها الحضرة بيدها لا جرم أنها تحمى الحمى وتسفك دما وتحقن دما وتتوشح بها يده عنانا ويرسلها فيعلم الفرسان أن فى الكتاب فرسانا وتقوم الخطباء بما كتبت تعلم الاسنة أن فى الايدى كما فى الافواه لسانا ولقد عجبت من هذه الاقلام تخر ألسنتها شقا فتنتطق فصيحته وتجدهع أنوفها برياً فتخرج صحيحة تحلى مليحة وما هى الا آية فى يد سيدنا البيضاء موسومة وما مادتها فى الفصاحة الا علوية ولولا الغلو لقال علوية، وله ففضه عن فضة مسها ذهب وفاوضه عن نار ذكاء لو لم يمازجه ماء الطبع لهب منه أى لهب وخمد له كل متلهب القريحة وقصرت يده فإن نواه قيل له ﴿تبت يدا أبى لهب﴾<sup>(١)</sup> وأغاربه على القلوب فرجع

(١) الآية الأولى من سورة المسد.

وهى بالاشواق محتوية الفضل ماخوذة السلب فكم فيه من فقرة قيل لها يا أخت خير اخ  
يا بنت خير اب وله وأما الثلوج التى وصفها ذلك البيان فأحجها بل أهداها إلى الصدور  
فأثلجها فقد ثملت البلاد وكأنما نشر عليها المولى غرضه وسرني أن يرد لك القضاء فضة  
فأراني النجوم فى هذه السنة وقد ناصحت فى خصبها فنزلت بأنفسها وبرزت ظاهرة فى  
النهار بجواربها وخنسها وأجدر بها أن تكون سنة يغسل وضر الكفر يصابون ثلجها وتير  
العزيمة الناصرية من هذه الرغبة صريع فلجها، وله وبيننا أنا من الخمول فى مهبط رسم اذ  
رفسى التمويه إلى مطلع شمس وبيننا أنا أندب أفعال بنى الاصفى فى عسقلان وجفوة أبيهم  
يعنى الدينار لى فى مصر فما يرانى الا وكان عليه من سكتة عوداتها منى يعتصم وكأنما  
يصفر خوفا منى وهو إلى الغير يتسم اذ صرت أنفضه من بنان أبى الطيب من دنائير شمس  
وربما انقله بعد الضرب إلى النقى لا إلى اعتقال الكيس وحبسه، وله وان ادعى سحر البيان  
أنه يقضى أيسر حقوقه ويشمر ما يحب من شكر فروعه وعروقه لكنك أفضح باطل سحره  
وأذيقه وبال أمره وأصلب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام واعقد ألسنتها كما تعقد  
السحرة اللسنة عن الكلام، وله وأشكو بعد قلبى جسمى فقد ضعفت قوته وقوى ضعفه  
ونسجت عليه همومى ثوبا دون الثياب وشعارا دون الشعار من الحرب الذى عاد بينى وبينه  
وأسقم يدى من جسمى واستخدمها تحرث أرضه فإن لم يكن لاضه.



## الباب الثامن والثلاثون

### في الهدايا والتحف النفيسة الأثمان

ذكر ابن بدرون في شرحه لقصيدة ابن عبدون عند ذكر كسرى وبنائه للسور المذكور في الباب السادس من هذا الكتاب ولما بنى كسرى هذا السور هادته الملوك وراسلته، فمنهم ملك الصين كتب إليه من يعقوب ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذي في قصره نهران يسقيان العود والكافور والذي توجد رائحة قصره على فرسخين والذي تخدمه نبات ألف ملك والذي في مربطه ألف فيل أبيض إلى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى إليه فارسا من در منضد عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر وقائم سيفه من الزمرد منضد بالجوهرى وثوبا حريرا صينيا وفيه صورة الملك على ايوانه وعليه حلته وتاجه وعلى رأسه الخدام بأيديهم المذاب المصورة من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها يتلألا جمالها وغير ذلك مما تهديه الملوك إلى أمثالها.

وكتب إليه ملك الهند: من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق وصاحب قصر الذهب وايوان الياقوت والدر الى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية واهدى إليه ألف من عود يذوب في النار كما يذوب الشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع وجاما من الياقوت الاحمر فتح شبر مملوء من در وعشرة أمانان كافور كالفستق وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها إلى وجتيها كأن بين أجفانها لمعان البرق مع اتقان شكلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر شعر تجرها وفراشا من جلود الحيات الين من الحرير وأحسن من الوشى وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذى مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيبة تكاتب فيه ملوك الصين والهند.

وكتب إليه ملك التبت من ملك تبتان ومشارك الارض المشاخبة للصين والهند إلى أخيه المحمود السيرة والقدر ملك المملكة المتوسطة الاقاليم السبعة كسرى أنوشروان وأهدى إليه انواعا مما تحمل من عجائب أرض تبت منها مائة جوشن ومائة ترس مذهبة وأربعة آلاف من المسك في نوافج غزلاته.

وأهدى يعقوب بن الليث الصفار صاحب خراسان إلى المعتمد هدية في بعض السنين

من جمعتها عشر بزاة منها بازى أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على بغال عشرة فيهم ظرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة برواقين يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائة من مسك ومائة من عود هندي وأربعة آلاف درهم.

وأهدت ملكة فرنجية إلى المكتفى بالله في سنة ثلاث وتسعين ومائتين خمسين سيفًا وخمسين رمحا وخمسين فرسا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقليا حسنا وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وست بازات وسبعة صقور ومضرب حرير يجمع ثلاثة وعشرين ثوبا معمولا من صوف يكون في صدف يخرج من البحر يتلون بجميع الالوان كقوس قزح يتلون كل ساعة لونا وثلاثة أطيوار تكون في أرض افرنجية إذا نظرت إلى الطعام المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها ليعلم ذلك من حالها وخرزا يجتذب النصول فتخرج من غير ألم وقدم الرسول بكتابها وهديتها وكان في فصل من كتابها وعرفت أن بينك وبين ملك قسطنطينية صلة وأنا أوسع منه سلطانا وأكثر جندا وأشد سطوة وملكى على أربعة وعشرين مملكة لسانها لا يشبه الآخر وفي مملكتي وطاعتي رومية الكبرى.

ومن ظرائف الهدايا ما أهدته شجرة الدر جارية المتوكل وكان يميل إليها ميلا كبيرا ويفضلها على سائر حظاياها فلما كان يوم المهرجان أهدى إليه حظاياها هدايا نفيسة واحتفلن في ذلك فجاءت شجرة الدر بعشرين غزالا تربية عليهن عشرون سراجا صينيا على كل غزال خرج صغير مشبك حرير فيه المسك والعنبر والقالية وأصناف الطيب ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب وفي يدها قضيب ذهب في رأسه جوهرة فقال المتوكل لحظاياها وقد سرّ بالهدية ما فيمكن من تحسن مثل هذا وتقدر عليه فحسدنها وعملن على قتلها بشيء سقيه لها فماتت.

عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو عبد الرحمن الأمير ولي المدينة للرشد ثم ولي الشام والجزيرة للأمين وجه إلى الرشيد فأكهه في أطباق خيزران وكتب إليه أسعد الله أمير المؤمنين وأسعد به دخلت إلى بستان أفانديه كرمك وغمرته لى نعمك قد أينعت أشجاره وتهدأت ثماره فوجهت إلى أمير المؤمنين من كل شيء شيئا على القدرة والامكان في اطباق القضباني ليصل إلى من بركة دعائه مثل ما وصل إلى من بركة عطائه فقال رجل يا أمير المؤمنين لم أسمع بأطباق القضباني فقال يا ابله كنى عن الخيزران بالقضباني إذ كان اسما لأمانا.

أنشدني في المجدى فضل الله بن مكانس وقد أهدي له والده تحفا جليلة:

تناهيت في برى إلى أن هديتني      وقد كنت قبل اليوم في النى ساريا  
وأهديت لى ما حير الفكر حسنه      فلا زلت في الحالين للعبد هاديا

التحف النفيسة الأثمان ذكر الاصمعي قال حدثت أن برمك جد يحيى بن خالد كان زوارا للملوك وكان يتطيب فحدث أنه صار إلى ملك الهند فأكرمه وآنس به وأحضر له طعامه قال فأكلت حتى انتهيت فقال لى كل فقلت لا والله أيها الملك ما أقدر على أن أزداد شيئا فقال يا غلام هات القضيب قال فوهمت وظننت أنى أخطأت فلم يلبث أن جاءه بقضيب فأخذه الملك وأمره على صدرى فكأننى لم أكل شيئا قط ثم أكلت أكلا كثيرا حتى انتهيت فقال كل فقلت ما أقدر على ذلك فأخذ القضيب وفعل مثل ما فعل فكأننى لم أكل شيئا قط ثم أكلت حتى انتهيت فقال لى كل فقلت ما أقدر على ذلك فأراد أن يمرّ القضيب فقلت أيها الملك إن الذى دخل يحتاج إلى أن يخرج فقال صدقت وأمسك عنى فسألته عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك ثم خرجت من عنده فأتيت الاصبهد فقربنى وأكرمنى وكان جالسا فى مجلس على البحر وفى يده خاتم ياقوت أحمر يغلب نوره نور الشمس قد أضاء المجلس منه فلم أزل أنظر إليه فلما رآنى أفعل ذلك نزع من يده ورمى به فى البحر فوردت على أعظم مصيبة وقدّرت أنى قد جنيت جناية ووجمت فلما رآنى قال ما لك قلت أحسب أنك أنكرت نظرى إلى الخاتم فألقىته فى البحر قال لا وضحك ودعا بسفط فأخرج منه سمكة من فضة فى رقبتها سلسلة طويلة فألقاها فى البحر فغاصت ثم ظهرت بالخاتم فى فيها فجذبها وأخذ الخاتم وردّه إلى أصبعه فورد على ما حيرنى ولم أعرف سببه ثم خرجت وأتيت الشام ولقيت هشام بن عبد الملك فأكرمنى ورحب بى وسألنى عن خبرى فأخبرته فأمرنى أن أتخذ له انتجات أرادها ، قال الشيخ الانتجات هى اخلاط تربت فى العسل مثل الاترج والاهليلج ونحوها.

رجع: فتشاغلت بعملها فبينما أنا فى بعض الأيام فى منزلى قد نزع ثيابى وأخذت فى اصلاح حالى وما أمرنى به إذا بغلمانته قد هجموا على وقالوا أمير المؤمنين يطلبك فأردت أن أغتسل وألبس ثيابى فقالوا كما أنت فأخذت بصورتى واحضرت فى مجلسه فلما دخلت من الباب قال اتركوه اذهب اذهب لا تقربنى معك سم الله وأخرجوه فأخرجت وعدت إلى منزلى وأنا على حال حيرة من انزعاجه فاغتسلت وتنظفت ولبست ثيابى ثم رحت إليه دخلت إلى حضرته وسألته عما كان منه فقال لى كان معك سم أو عبت بشىء من السموم فقلت لا

والله إلا أنى كنت أعمل تلك الانتجات التى أمر أمير المؤمنين بها ولم تدعنى الغلمان إلى أن أغتسل وكان من جعلتها الافيون وهو سم قال ما أشك فى ذلك قلت فكيف علم أمير المؤمنين ذلك قال فى عضدى كبشان من الياقوت إذا لقينى انسان معه سم أو قدم إلى ما فيه سم انتطحا فلما وقعت عيني عليك انتطح الكبشان فعلمت أن فى يدك شيئا من السم، نقلت هذه الحكاية من مجموعته بخط سيدنا وشيخنا شمس الدين محمد بن الكتبى الشهير بالترىكى رحمه الله.

قال صاحب كتاب المباحج مما وجد فى خزائن الملوك والخلفاء والوزراء من الجواهر النفيس الدررة اليتيمة وسميت بذلك لأنها لم يوجد لها نظير حملها إلى الرشيد مسلم بن عبد الله العراقى فباعها عليه بتسعين ألف دينار وكان للمتوكل فص ياقوت أحمر وزنه ستة قراريط اشتراه بستة آلاف دينار، وكانت له سبعة فيها مائة حبة جوهر وزن كل حبة مثقال اشترت كل حبة منها بألف دينار.

وأهدى بعض ملوك الهند إلى الرشيد قضيب زمرد أطول من ذراع وعلى رأسه تمثال طائر ياقوت أحمر لا قدر له نفاسة قوم هذا الطائر على حدته بمائة ألف دينار.

ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل إلى مولاه زياد فصا من الياقوت الاحمر وقال له بخ بهذا وكانت قيمته ألف ألف درهم وسقط من يد الرشيد فى أرض كان يتصيد فيها فاغتم لفقده فذكر له فص ابتاعه صالح صاحب المصلى بعشرين ألف دينار فأحضره ليكون عوضا عما سقط منه فلم يره عوضا عنه ووهب المأمون للحسن بن سهل عقدا قيمته ألف ألف درهم وقوم الجواهر الذى سلم من النهب عند فتنة المأمون بألف ألف ومائة ألف وستة عشر ألف درهم ووجد فى تركة السيدة بنت المعز العبيدى طست وابريق من البلور ومدهن ياقوت أحمر وزنه تسعة وعشرون مثقالا وكان الناس يستعظمون الطست والابريق إلى أن قبض على أبى محمد البازورى وزير المستنصر العبيدى فوجد عنده تسعون طستا بأباريقها من صافى البلور وجيده كبارا وصغارا فهان عليهم ما استعظموه.

وكان لمحمود بن سبكتكين صاحب غرنة كنصاب المرأة من الياقوت الاحمر إذا ركب قبض عليه بيمينه فتبين طرفاه من جانبي يده بحيث ينظر إليهما الناس ووجد فى خزائن مروان بن محمد مائة جذع أرضها بيضاء فيها خطوط سود وحمرة سعتها ثلاثة أشبار وأرجلها ذهب فيقال إنها صنعت على شكل المشتري من أكل منها لا يشبع.

ووجد أيضا فى خزائنه جام من زجاج فرعونى غلظ أصبغ وفتحه شبر ونصف فى

وسطه صورة أسد ثابت وامامه رجل قد برك على ركبتيه وقد أغرق السهم في القوس وكان فيما أخذ من خزائن قصر العاضد العبيدى بعد وفاته الحبل الياقوتى وكان وزنه سبعة عشر درهما أو سبعة عشر مثقالا ولما انهزم أبو الفوارس بن بهاء الدولة البويهى من أخيه سلطان الدولة قصد يمين الدولة محمود بن سبكتكين فبلغ محمود أنه باع جوهرتين كانتا على جبهة فرسه فاشترهما نصير الدولة صاحب ديار بكر بعشرة آلاف دينار فقال من غلظكم تركم على جبهة الفرس مثل هذا وقيمه ستون ألف دينار.

وأهدى صاحب قلعة اصطخر إلى السلطان الملك العادل ألب رسلان السلجوقى قدح فيروزج فيه منوأمسك مكتوب عليه جم شاد أحد ملوك الفرس الأول.

وأخذ يوسف بن ناشفين من عبيد بن المكين الصنهاجى وكان ملك أفريقية لما قبض عليه سبحة فيها أربعمائة حبة جوهر كل حبة قومت بمائة دينار ووجد فى ذخائر العبيدين لما أخذ الملك منهم عشرة آلاف قطعة بلور محكم تفاوتت قيمتها من ألف دينار إلى عشرة دنانير ووجد فيها قطعة بلخش وزنها ثلاثة وعشرون قيراطا.

ووجد فيما أفاء الله على السلطان محمود بن سبكتكين لما فتح الهند قطعة ياقوت أحمر زنتها أربعمائة وخمسون مثقالا، وكان فيما أخذ لمؤيد الملك بن نظام الملك من الجواهر قطعة بلخش وزنها احد وأربعون مثقالا.

وحكى الواقدى فى فتوح السند أن عبيد الله العبيدى عامل معاوية على السند غزا بلد القيفال فأصاب منه مغنم كثيرة وأن ملك القيفال بعث إليه يطلب الفداء وحمل إليه هدايا كان فيها قطعة مرآة يذكر أهل العلم أن الله تعالى أنزلها على آدم لما كثر ولده وانتشروا فى الأرض فكان ينظر فيها فيرى من بعد منهم على الحالة التى هو عليها من خير وشر فحملها عبد الله إلى معاوية فبقيت فى ذخائر بنى أمية إلى أن انتقل الملك منهم إلى بنى العباس فصارت عندهم فى الذخائر.

بدنة عبدة: ذكر أصحاب التواريخ أن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان مات وخلف عاتكة بنت يزيد وكانت تحت عبد الملك بن مروان فلما ماتت عاتكة أوصت بأن يفرق مالها على أولاد أخيها فقسم عبد الملك تركتها بين عشامة وعبدة فتزوج عبد الملك عشامة وتزوج هشام عبدة فرآها يوما هشام وقد ألقى حليها وإذا فى نحرها خال فبكى وقال لأنت هى فقالت وما معنى هذا القول فقال إنا نروى أن امرأة خليفة وابنة خليفة فى جيدها خال تذبج كما تذبج الشاة فقالت لا يجزيك الله إن كان الامر صحيحا فلا حيلة لى فى دفع

القضاء وإن لم يكن فلا معنى لتعجيل الهم فلما قتل عبد الله بن علي بن أمية واستباح أموالهم أخذ بدنة عبدة وبعث بجواهر إلى السفاح فعرضها على امرأته أم سلمة بنت يعقوب المخزومية فقالت ما لي لارى بدنة عبدة فكتب إليه بذلك وأمره بانفاذ بدنة عبدة فأنفذ إليه بدنة وزعم أنها هي فعرضها على امرأته فقالت ليست هي هذه البدنة الرائقة جارية هشام وحنة واحدة من بدنة عبدة أفضل من هذه كلها وعلامتها أن في ظهرها وصدورها خطين من كبار الياقوت الاحمر فكتب أبو العباس إلى عبد الله يعزم عليه في البعث ببدنة عبدة فكتب إليه أنه لا يعرفها فقالت أم سلمة لأبي العباس مره يبعث لنا بعبدة فهي تعرف أين بدنتها فكتب إليه بذلك فكره أن يبعث بعبدة لكثلا تقر عليه ولم يجد بداً فبعث بها ودس بعض أجناده وقال إذا صرت بموضع كذا فاقتلوها فلما صارت بموضع من طريق الشام يعرف اليوم بجب عبدة وأرادوا قتلها قالت لهم إن كنتم عزمتم على هذا فأتروني حتى أصلى وأستر فتركوها فصلت وشدت أزارها على يديها ورجليها وأبرزت لهم نحرها فذبحوها وكتب عبد الله إلى السفاح إنى انفذت عبدة فقتلها بعض الاعراب بالطريق فلما أوقع أبو مسلم الخراساني بعبد الله وهرب منه وأخذ ماله وانفذه إلى المنصور أخذ البدنة فكانت في خزائن بنى العباس إلى أن صارت إلى زبيدة بنت جعفر ثم بعث بها ذلك المتوكل إلى ابنة عبد الله بن طاهر التي زوجها من المعتر ولده.

وذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والظرف كان المعتر بالله قد التمس من أمه قتيحة خمسين ألف دينار ينفقها في الجند فذكرت أنها لا تملك حبة واحدة فظهر لها بعد قتل ابنتها في سنة خمس وخمسين ومائتين وكانت قتيحة قد استخفت فوجد لها خزانة فيها ألف ألف دينار وثلاثة أسفاط في أحدهم زمرّد لم ير مثله قط وفي الآخر نصف مكوك حب كبار لؤلؤ وفي الآخر كالجعة فصوص ياقوت أحمر فقوم ذلك فكانت قيمته أثنى ألف دينار وكانت غلتها في كل سنة عشرة آلاف ألف دينار والله أعلم.

## الباب التاسع والثلاثون

### في خواص الأحجار وكيانها في المعادن

قال الفاضل أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف التيشاء: في الجواهر اسم عام يطلق على الكبير والصغير منه فما كان كبيرا فهو الدرّ وما كان صغيرا فهو اللؤلؤ المسمى حبا ويسمى أيضا اللؤلؤ الدق ولؤلؤ النظم وحيوان الجواهر الذي يتكوّن فيه كبيره وصغيره يسمى باليونانية اسطوروس يعلو لحم ذلك الحيوان صدفتان ملازمتان لجسمه والذي يلي الصدفتين من لحمه اسود ولهذا الحيوان فم وأذنان وشحم يلي الفم من داخلهما إلى غاية الصدفتين والباقي رغوّة وصدفة وماء.

وذكر أرسطاطاليس في كتابه أن من الحيوان غير الناطق السرطان يشتهي أكل لحم هذه الدابة فلما حال دونه ودون شهوته شيء بمنزلة الحاجز بينه وبين ذلك اللحم الرخص الذي في الصدقات احتال عليه فلا يزال السرطان راصدا له حتى يراه قد فتح جلدة الصدفة فيأخذ حجرا صغيرا فيرمي به في جوف الصدفة فلا تقدر عند ذلك على انضمامها كما كانت لأنها لا تلتحم بمنع الحجر من انطباقها فيدخل السرطان قرنيه إلى ذلك اللحم الرخص فيستخرجه ويأكله لالتذاده به، ويذكر من أكله من الغواصين أنه شبيه بطعم توائص الطير.

وذكر أرسطاطاليس في كتاب الاحجار، أن البحر المحيط بالعالم هو الذي في ظلمات مقيمة يلحق آخره أول البحر المسلوك وأن الرياح تصفق هذا البحر المحيط المسمى أوقيانوس في أوقات فصل الشتاء فيهبج هيجانا شديدا فيطلبه الصدف الذي يكون فيه الدر في وقت ربح الشمال فإذا هاجت الرياح والامواج من ذلك البحر المحيط كان لامواجه رشاش فيلتقمه الصدف الكائن في البحر الذي يسلكه الناس كما يلتقم الرحم المنى فتصير تلك النطفة من ذلك الماء في اللحم المركب في الصدف فلا يزال الصدف يعمد إلى ذلك الموضع الساكن من ماء البحر فيفتح فمه ويستقبل بذلك الماء الذي هو مثل النطفة رياح الهواء وحر الشمس عند طلوعها وغروبها ولا يعرض لها في وسط النهار لشدة حر الشمس وهيجان البخارات التي تهيج من العالم والغبار الذي تهيجه الرياح فإذا انعقدت الدرّة ولو كانت الدرّة منها نهاية في الكبر فلا يكون لها طائل ثمن إذ ليس فيها شيء من أصناف الدر النفيس والله أعلم.

جيده ورديشه: الجوهرة الكاملة خواصها إما فى الكمية فى العظم وكثر الماء وإما فى الكيفية فى شدة البياض وكرة الاشراق واستواء اللون واستواء استدارته واكتنازه وشكله وما لم يكن كذلك فالآفات أفسدته ومنها أنه ربما وجد بعض الدرّة لم تتم تربيتها وربما لصق بها قشر من لحم الحلزون صار كالصدأ والوسخ فأفسد لونها وربما كانت كدرة أو كان فيها ماء أو كانت فيها دودة أو كانت مجوفة غير مصمتة وكل هذه آفات دخلت على الدرّة من مقر التربية وأما فساد شكلها فمن قبل أن العجة تقع فى موضع من اللحم الذى فى الصدف غير مستوى فتجسد الدرّة على صورة الموضع الذى ضمها فجد الجواهر على الجملة المدحرج القار الصافى الشفاف الكبير الجرم الكبير الوزن الضيق الثقب وجيد اللؤلؤ النقى من الوسخ.

ذكر خواصه ومنافعه: من خواص الجواهر أنه يتكون قشورا رقاقا طبقة على طبقة وما لم يكن كذلك فليس بجوهر مخلوق والجواهر بالجملة الدر الذى هو كبار اللؤلؤ وحبه الذى لا يمكن ثقبه لصفه كل ذلك معتدل فى الحر والبرد واليبس والرطوبة لطيف يجفف الرطوبة فى العين ويزيل كثرة وسخها ولا سيما العتيق منه الذى يوجد فى التراب وقد جفت رطوباته فانه أصلح فى ذلك ولذلك يخلطه الكحالون فى أحوالهم لنفعه وتشديد أعصاب العين وخاصيته مع ذلك لخفقان القلب ومن الخوف والجزع الذى يعرض فى المرة السوداء ويلطف الدم الذى يغلظ فى الفؤاد ولهذا أيضا يخلطه المتطببون فى أدوية القلب ويحبس نرف الدم ويجلو الاسنان جلاء صالحا وإذا سحق وسقى مع سمن بقر نفع من السموم.

وذكر ارسطاطاليس أن ماء البحر الذى يتكون منه اللؤلؤ على ما قدمناه إذا قطر منه فى الكف أو غمس فيه بعض أعضاء البدن ألبس ذلك العضو صبغا كالفضة المذابة. وذكر أيضا أنه من وقف على حل الدر من كباره أو صفاره حتى يصير ماء رجراجا ثم طلى به البياض الذى يكون فى الابدان من البرص أذهبه من أول طلية يطليها وإن سعت بذلك الماء من به صداع من قبل انتشار أعصاب العيون أذهبه عنه وكان شفاؤه فى أول تسعطة.

قال التيفاشى مما تجربته واختبرته ووقفت عليه بالعمل أن حماض الاترج يحل الجواهر إلا أنه يحله خائرا مثل المنى لا يعلق بالاجسام إذا طلى عليها والمياه الحادة الطاهرة القوية الحريفة تحله رجراجا يعلق بالاجسام على ما يوجبه القياس فى حل الحماض له وقد تجربته فصح.

عيوبه: التصديف وعدم الاستقرار والصفرة والابراص وهو قبيح البياض وخصيه وعدم رونقه وسعة الثقب وصغر الجرم وقلة الوزن.

الاشياء التى تضر بالجواهر: الادهان جميعها والحموضات بأسرها لا سيما ماء الليمون ووهج النار والعرق والذفر والاحتكاك بالاشياء الخشنة والله أعلم، الذى يجعلوه ويذهب وسخه ماء حماض الاترج إلا أنه إذا لح عليه به قشره ونقص وزنه وهو يحله أيضا خائرا كما ذكر قبل.

محاسن تليق بهذا المكان:

قال القاضى السعيد بن سناء الملك من قصيدة فاضلية أولها:

نعم هى سعد أو هى لى تمر سعد  
يعانقها من دونى العقد وحده  
هى البدر إلا أنها كله سنا  
ولو أبصر النظام جوهر ثغرها  
وصال ولا صد وقرب ولا بعد  
فيا عجباً يا قوم لم يعلق العقد  
هى الغصن إلا أنه كله ورد  
لما شك فيه أنه الجواهر الفرد  
وقال من قصيدة أخرى فاضلية أيضا أولها:

باتت معانقتى ولكن فى الكرى  
ونعم درى لما رأى فى بردتى  
بابى وأمى من حلمت بذكرها  
ومن العجائب أن ماء رضاها  
أترى درى ذاك الرقيب بما جرى  
ردعا وشم من الشياب العنبرا  
لما انتبهت ومذ رقدت تفسرا  
حلو ويخرج حين تبسم جوهرها  
وله من مرثية أولها:

كجسمك جسمى أصبح اليوم باليا  
يخيل نى أنى دعيت إلى الردى  
فيا أسفى إذ كنت قبلى ماضيا  
وغاص فؤادى فى بحور همومه  
ولكن ما بى عاد للناس باديا  
وأنتك عنى قد أجبت المناديا  
ويا خجلى إذ صرت بعدك باقيا  
فالقى إلى جفنى الدموع لآليا  
وقال ابن الحلوى جوابا عن رقعة من أبيات:

فإن كان زاهرا فهو صنع سحابة  
وقال صفى الدين الحلوى من قصيدة أولها:

الست ترى ما بالعيون من السقم  
واضعاف ما بى بالخصور من الضنا  
ومما ذاك إلا أن يوم وداعنا  
لقد نحل المعنى المدبوق من جسمى  
على أنها من ظلمها غصبت قسمى  
وقد غفلت عين الرقيب على زعمى

ضممت ضمنا جسمي إلى ضعف خصرها  
فيا من أقامتني خطيبا لوصفها  
خذى الدر من لفظي وإن شئت نظمه  
وقال ابن سناء الملك من قصيدة أشرفية أولها:

جسمي كما حكم الغرام وحسبها  
علقت ظبيته وعيشي أخضر  
ومنها في المدح:

وأرى العقود حسدن ما قد سطرت  
ومما ينظم في هذا السلك قول شيخنا العلامة بدر الدين الدماميني من قصيدة أولها:

رضيت فيه بقتل النفس مذ سخطا  
ومنها في المديح:

ونظمه الدر حسنا قد علا وغلا  
قال ابن منير وأجاد:

لا تخدعنك وجنة محمرة  
وقال النور الاسعردى:

قد كدت أحرق خده يوم النوى  
وما أحسن قول أبي الحسن على بن عبد العزيز الحلبي المعروف بالفكيك يخاطب  
بعض التجار:

أبا جعفر أنفذت اطلب عمه  
كرقة دين البابلي ولونها  
فأنفذتها بالضد في لون عرضه  
وفصا من الياقوت أحمر ناصعا  
فأنفذت لي فصا كخفة عقله  
فصدت خلافي في جميع مآري  
فلو قلت قبل رأسه وبنانه

الياقوت: قال بليونس العلة في تكون حجارة الياقوت هي أن الشمس لما طلعت على الأرض سخنتها بقوتها فسخن من الأرض ما لم يحجب منها واشتدت سخونة المكان

بظهور الشمس عليه وغيرت الشمس رطوبة المكان الذى اشتدت حرارتها عليه فلما اشتد ييسه لقله رطوبته اجتذبت قوته من الشمس وقوتها حرا ويبسا فانقلب عن طباعه ولونه وطعمه على قدر الرطوبة التى كانت فيه من كثرتها وقتلتها فلما حالت الرطوبة وأقامت عليه اجتذب الماء ما كان فى ذلك المكان من حر الشمس ويبسها وطلعت عليه الشمس وسختته فحجبت الرطوبة عن ذلك اليبس الذى فيها بحر الشمس فتسخن الماء بحرهما فتلطف وقوى على تحليل اليبس الذى قبلته الارض من يبس الشمس المتصل بها فى الماء وانحل به واشتدت عليه السخونة حتى ظهرت قوة اليبس المفرطة فيه فكان منه الحجر المسمى بالياقوت ولشدة ييسه ضاقت مسامه لقبض اليبس له ولشدة انحلاله وشدة لطافتة رجع منعقدا ولشدة اليبس تكاثفت أجزاءه بعضها فى بعض وتداخلت.

الياقوت الاصفر: فمنه الرقيق وهو قليل الصفرة كثير الماء ساطع الشعاع والخلوقى وهو أشبع صفرة من الرقيقى والجلنارى وهو أشبع من الخلوقى وأشدّها شعاعا وأكثرها ماء وهو أجوده، والاسمانجونى فمنه الازرق واللازوردى والكحلى وهو أشبع من النيلى ويسمى الزيتى، وأما الابيض فمنه المهاي وهو أشد بياضا وأكثر ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أثقل من المهاي وأقل شعاعا وأصلب حجرا وهو أدونها وثمنه أرخص أثمان الياقوت.

ذكر خالص الياقوت ومعينه: أجود الياقوت الاحمر البهرمانى والرمانى والوردى النير المشرق واللون الشفاف الذى ينفذه البصر بسرعة السالم من العيوب.  
عيوبه: الشعرة والسوس فالشعرة شبه تشقيق يرى فيه والسوس خروق توجد فى باطنه يعلوها شئ من ترابية المعدن وربما وجد فى تلك الثقبة دود حى يتحرك إذا خرجت الدودة منها إلى الهواء ماتت ورأينا من رأى ذلك من الثقبات.

عيوب ألوانه: أردأ الألوان الاحمر الوردى الذى يضرب إلى البياض والسماقى الذى يضرب إلى السواد وأردأ منه الازرق الذى يضرب إلى لون الرماد ويسمى السنور وكذلك الذى يسمى الزيتى وأردأ ألوان الياقوت الاصفر ما نقص لونه وضرب إلى البياض وأردأ صفات جميعه فى الجملة قبح الشكل والذى قدمناه.

ذكر خواصه ومنافعه: قوة الياقوت على قدر معادنه المتكون فيها وعلى قدر أصبغته وألوانه فالاحمر منه حار يابس والاصفر أقربها إلى الاحمر وفيه فضل حر وكذلك الاصفر والاسمانجونى أبرد وأيبس والابيض أبرد الياقوت وأرطبها.

خواصه فى نفسه: من خواص الياقوت أنه يقطع كل الحجاره شبيها بقطع الماس وليس يقطعه شىء غير الماس وإنما يثقب بالماس وذلك بأن تتركب منه قطعة فى طرف مشقاب حديد ثم يثقب به كما يثقب الخشب ومن خواصه أنه لا ينحك على الخشب الذى يحك عليه كل شىء أما الياقوت فإنه لا يحك على شىء إلا على صفيحة نحاس يكسر الجزع اليماني ويحرق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يصير كأنه الغراء ثم يحك به على وجه الصفيحة النحاس حجر الياقوت فينجلى حتى يصير أشد الجواهر صقاله، ومن خواص الياقوت الشعاع فإنه ليس لشىء من المشفة شعاع مثله، ومن خواص الياقوت الثقل فإنه أثقل الاحجار المساوية لمقداره فى العظم ومن خواصه صبره على النار فإنه لا يتكلس كما يتكلس غيره من الاحجار المثلثة كالزمرد وغيره ومن خواصه أنه يقبل البرودة بسرعة إذا أخرج من النار بخلاف غيره من سائر الاحجار وليس من ألوانه ما يثبت على النار غير الاحمر فقط، وقد ذكر ارسطاطاليس فى كتاب الاحجار أن الياقوت الاحمر إذا نفخ عليه فى النار ازداد حسنا وحمرة وإذا كانت فيه نكتة شديدة الحمرة ونفخ عليها فى النار انبسطت فى الحجر فسقته من تلك الحمرة وحسنته وإن كان فيه نكتة سوداء نقص سوادها وهو حجر يزداد حسنا وشفاء عند النفخ عليه فى النار وإذا كان الحجر أحمر ونفخ عليه فزالت حمرة فليس يياقوت بل أحد الاشباه أو مصنوع مدلس وقد رأيت بسوق القاهرة جواهر تباع على أنها ياقوت أزرق وأصفر وهى مصنوعة مدلسة كان أصلها ياقوتا أبيض ومن خواصه أنه لا تعمل فيه المبارد والحديد ولا يلصق شىء فى جسمه من جميع ألوانه أحمره وأصفره وسماويه، ومن خواصه قطع الاحجار المشفة غير الماس والاحمر فى جميع هذه الخواص زائد على جميع ألوانه فى القوة، خواصه فى منافعه من خواصه ذكر ارسطاطاليس أنه من تقلد هذا الحجر أو تختم به من أنواع اليواقيت التى وصفنا وكان فى بلد قد وقع الطاعون فيه منعه أن يصيبه ما أصاب أهل ذلك البلد من الطاعون ونبل فى أعين الناس وسهل عليه قضاء الحوايج ونيسر له من أرباب المعاش أمور صعبة ومن خواصه تقوية قلب لابسه وتشجيعه والهيبه له فى قلوب الناس واجلاله ومن خواصه أن ينفع من خفقان القلب والوسواس فى التعليق له ومن خواصه أن الصاعقة لا تقع على من تختم به أو علقه عليه ومن خواصه أنه لم ير فى أصبع غريق قط ومن خواصه أنه يقطع العطش إذا وضع فى الفم وتحت اللسان ومن خواصه أنه يمنع جمود الدم إذا علق ومن خواصه أنه يقطع نرف الدم إذا علق ومن خواصه ما أخبرنى به شريف جوهرى معروف بالخبرة والذكاء فى هذا ودخل

إلى الهند ومارس كثيرا من علم الاحجار أن الهند يقولون إن من كان معه حجر ياقوت جذب قوسا قويا عن طبقتة وقوته إذا لم يكن معه ذلك الحجر على شرط أن لا يفعل ذلك على سبيل الخبرة والامتحان بل يكون ذلك بغير قصد له ولا تعمد.

ومحنة أشباه الياقوت باجمعها أن يحك بالياقوت الاحمر فإنه يخرجها كلها ولا تخرجه وليس شىء منها يقوم على النار كما قدمنا فهذه علة تكون الياقوت.

وأما اختلاف ألوانه فإنه بنسبة بقاى الأرض إذا وقع عليها الماء فدام عليها فيتغير الماء بما انحل فيه من بيس الأرض وتسخين الشمس له فيحمى الماء على قدر الحرارة فينعقد أحمر وربما انعقد أصفر لقللة الحرارة فيه وربما اعتدل الحر عليه فى اللين والانحلال فانعقد أبيض صافيا وربما اشتدت ييوسته فعرض فيه البرد لشدة اليبس وتباعد الحر عنه فعرض فيه السواد وظهر على أعلاه لبطون الحمرة فى باطنه وربما طرحت الحمرة نورها إلى خارج مع ظهور السواد فى ظاهره فقام بينهما لون أسود اسمانجونى وذلك أن صفرة الرطوبة إذا التحمت مع سواد اليبس قام من بينهما اللون الاسمانجونى، قال بليوس والياقوت حجر ذهبى وجميع الحجارة غير الاجساد الذائبة انما انعقدت وابتدأت لتكون ياقوتا فأقعدتها عن الياقوتية كثرة الرطوبة وقلتها وكثرة اليبس وقلته فلم تكن ياقوتا وصارت حجارة حمرا وبيضا وخضرا وصفرا وغير ذلك من الألوان التى لا تذوب فى النار ويقع عليها الحديد فيسحلها وفيها ما لا يسحله الحديد ووضعت عليه اسماء كثيرة خلاف الياقوت.

ذكر معدنه الذى يتكون فيه: الياقوت يؤتى به من معدن يقال له سجران من خريرة خلف سرنديب بنحو من أربعين فرسخا والجزيرة تكون نحو من ستين فرسخا فى مثلها وفيها جبل عظيم يقال له جبل الراهون تحدر منه الرياح والسيول الياقوت فيلقط وهو حجر من أرض ذلك الموضع وحصباؤه وما تجر سيوله من جبل الراهون ويقال إن الشمس إذا أشرقت على ذلك الجبل أنبتت فيه شعاعات كثيرة لوقوع شعاع الشمس على حصى الياقوت فيسمى ذلك برق الراهون وهذا الجبل هو الذى أهبط عليه آدم عليه السلام من الجنة ومنه خرج إلى الأرض فإذا أصيب ذلك الحصا أصيب وظاهره مظلم يميل أكثره إلى السواد والغبرة كالحصى الموجود فى هذه الألوان عندنا فإذا استشف فى الشمس أشف لونه أحمر كان أو أصفر أو سماويا أو غير ذلك من ألوان الياقوت، قال التفاشى أخبرنى من دخل جزيرة سرنديب من التجار أن أهل ذلك الموضع إذا لم تحدر السيول والرياح لهم من

حصباء الياقوت فى بعض السنين ما جرت به العادة احتالوا لتحصيله بالحيلة التى تذكرها وذلك أن الجبل الذى فيه الياقوت جبل شاهق صعب المسلك لا يمكن الوصول إلى أعلاه وفى أعلاه نسور كثيرة تعيش فيه وتتخذ مساكنها به لخلوته فيعمد أهل ذلك الموضع إلى حيوان فيذبحونه ويسلخون جلده ثم يقطعونه قطعاً كبيراً ويتركونه فى سفح الجبل المذكور ويعدون عنه وهم يرقبونه فتأتى النسور فترفع ذلك اللحم وتنزل به عند أوكارها فإذا وضعت على الأرض علق به من حصى الياقوت ولصق فيه ثم تأتى نسور أخرى فتجتمع على اللحم لتخطفه فيأخذها بعضها وتطير من الجبل فيسقط منه الياقوت لثقله فيلقطه الذين يرقبونه من الموضع الذى يسقط فيه ويذكر أن فى سفلى هذا الجبل غياضاً عظيمة وخنادق عميقة وأشجاراً شاهقة ويسكن بها حيات عظام تبلى الحية منها الانسان ورأس البقر وغيره صحيحاً فإذا ابتلعت عمدة إلى أصل شجرة فالتوت عليها واشتدت فيتكسر فى بطنها ما تبلعه وتندق عظامه فيهضم بها ولاجل ذلك أيضاً لا يستطيع سلوك هذا الجبل ولا الوصول إليه وإلى ما فيه من عجائب الاحجار.

ذكر أصنافه: أصول الياقوت أربعة أصناف أحمر وأصفر واسمانجونى وأبيض فالاحمر منه ينقسم إلى أربعة أقسام الوردى وهو يتفاضل فى شدة الصبغ إلى الوردية لا يجاوز ذلك ويقل صبغه إلى أن يقرب من البياض ثم الجمدى وهو مشوب بقرقرية كلون ورد الخيرى وأظهر قرقرية وهو يتفاضل فى قوة الصبغ وضعفه إلى أن يقرب من البياض ثم الاحمر وهو بلون العصفر الشديد الحمرة الناصعها فى القوة إلى القرب من الوردية فى الضعف ثم البهرمانى وهو أحمر نقى الحمرة لا يشوبها شائبة وهو يتفاضل فى قوة الصبغ وضعفه حتى ينتهى إلى لون العصفر الشديد الحمرة الناصعها فى القوة وإلى قريب من لون الورس فى الضعف وأثنى الياقوت الذى فى لون الحمرة البهرمانى وأثنى كل واحد من بقية أصنافه أشدها مستشفاً وأشدها شعاعاً وأسلمها من العيوب التى تذكر فيما بعد.

وأما الزمرد: قال بليزوس إن الزمرد هو الياقوت لأنه إنما ابتدأ لينعقد ياقوتا فى جميع أجزائه وكان لونه أحمر فلشدة تكاثف الحمرة بعضها على بعض عرض له السواد فصار اسمانجونياً ولثقل اليبس وغلظة بطن الاسمانجونى وارتفع ما صفى على الحمرة على أعلاه فاصفر ولما كان باطنه اسمانجونياً واشتدت عليه الحرارة بطبخها فمزجت اللونين جميعاً لون ظاهره بلون باطنه فتولدت الخضرة بينهما فصار لونه أخضر فسمى زمرداً وإنما كان أصله ياقوتا لأن الياقوت هو حجر ذمبى وهو أصل الحجارة كما أن الذهب رأس الاجساد المذابة.

ذكر معدنه الذي يتكون فيه: موضع الزمرد الذي يؤتى به منه، في التخوم بين بلاد مصر والسودان خلف اسوان يوجد في جبل هناك كالجسر فيه معادن تحتفر فيخرج منها الزمرد قطعاً صغاراً كالحصى منبته في تراب المعدن وربما أصيب العرق منه متصلاً فيقطع وهو جيد، وأما صغيره فإنه يصاب في التراب بالنخل وذلك أنهم ينخلون التراب ثم يوجد خلاله فينسل كما ينسل تراب الفضة فيوجد فيه الحجر بعد الحجر ويوجد بعضه عليه أتربة كالكلح الشديد السواد وهو أشد خضرة وأكثر ما وجد من الزمرد في التراب فهو الفص وما قطع منه من العروق فهو القضيبي في اصطلاح الجوهرين وهو أعتقه وأخلصه.

ذكر جيدته ورديته: أصنافه أربعة الذبابي والريحاني والسلقي والصابوني فأعلاه وأغلاه وأفضله في سائر الخواص الموجودة في الزمرد هو الذبابي وهو أخضر مغلوق اللون جدا لا يشوبه في خضرته شيء آخر من الألوان حسن الصبغ جيد المائبة وإنما سمي ذبابيا لشبه لونه بالخضرة التي تكون في الكبار من الذباب الربعي لا في صغاره الموجودة في البيوت وهو أحسن ما يكون من الخضرة بصيصا وذلك اللون غير موجود في ذباب البيوت وأما بقية الاصناف المذكورة من الزمرد غير الذبابي فإنها نازلة مقصرة عن جميع الخواص الموجودة في الذبابي ولهذا ألقبها.

عيوب الزمرد: من أكبر عيوب الزمرد الذبابي اختلاف الصبغ حتى لا يكون موضع منه بلون مخالف للون موضع آخر ومن عيوبه عدم الاستواء في الشكل وهذا عام له وللباقوت ولكل حجر مستشف ثمين أو غير ثمين ومن عيوبه التشعير وهو من لوازمه لا يكاد يخلو منه وهو شبه شقوق خفية تظهر فيه.

خواص الزمرد: الذبابي في نفسه خواصه الكبرى في نفسه وهي التي انفرد بها عن سائر الأحجار وبها يمتحن الخالص منه من غيره أن الافاعي إذا نظرت إليه وقع بصرها عليه انفقات عيونها على المكان قال أحمد التيفاشي وقد كنت آقف على هذه الخاصة في الزمرد في كتب الحكماء ثم جربتها بنفسى فوجدتها صحيحة وذلك أنه كان وقع لي فص زمرد ذبابي خالص أردت امتحانه على عيون الافاعي فاستأجرت حاويا على صيد أفعى وجعلتها في طست وأخذت قطعة شمع فالصقتها في رأس سهم ثم ألصقت فيها الفص وقربته من عين الافعى فكانت تشب أولا نحو السهم وكانت لها حركة قوية تروم بها الخروج من الطست فلما قربت الزمرد من عينها سمعت قرعة خفية كمن يقتل صبابة على ظفره ثم رأيت عيني الافعى وقد برزت على وجهها بروزا ظاهرا وبقيت حائرة في الطست تدور فيه

لتقصد مخرجا ولا تدرى حيث توجه وسكنت أكثر حركتها وانقطع وثوبها بالجملته، ومن خواصه الرخاوة وتخلل الاجزاء ومن خواصه خفة الوزن ومن خواصه شدة الملاسة والصقال والنعومة ومن خواصه زيادة الخضرة والماء إذا ركب على البطانة وأخص صفاته به الخفة.

خواصه فى منافع من خواصه أنه من نظر إليه أذهب عن بصره الكلال ومن خواصه أنه من تقلد بخاتم منه دفع عنه داء الصرع إذا كان لبسه له قبل حدوث الداء ومن أجل هذا كانت الحكماء تأمر الملوك بعلقه على أولادهم عند ولادتهم ليدفع عنهم داء الصرع ومن خواصه أنه من سحل منه وزن ثمان شعيرات وسقاه شارب السم قبل أن يعمل السم فيه خلص نفسه من الموت ولم يتمعط شعره ولم ينسلخ جلده وكان شفاءه ومن خواصه أنه ينفع من نفث الدم واسهاله إذا علق على من به ذلك ومن خواصه النفع من وجع المعدة إذا علق عليها من خارج ومن خواصه أنه ينافى الحيات المسمومة ولا تقرب حامله ومن خواصه أن شرب حكاكته تنفع من الجذام ومن خواصه أن جميع أصنافه كلها تصلح أن تعلق على العضد وعلى الرقبة للتعويد وعلى الفخذ لسرعة الولادة مجرب.

ومن معانيه الشعرية قول القاضى محبى الدين بن عبد الظاهر:

ذباب السيف من لحظ إليه لاخضر صدغه بعد انتساب

فلا عجب إذا ما قيل هذا له صدغ زمرده ذبابى

البلخش: معدنه الذى يتكون فيه، يؤتى به من بلخشان والعجم تقول بذخشان بذال معجمة وهى من مدن التتر فيما يتاخم الصين وأخبرنى من وصل إلى معدنه من التجار أنه وجد فى المعدن حجرا فى باطنه ما لم يكمل طبخه وانعقاده بعد والحجر مجتمع عليه.

جيده ورديته: هو ثلاثة أنواع أحمر معقرب وأخضر زبرجدى وأصفر وأجوده الاحمر وليس لجميعة شىء من الخواص التى للياقوت ومنافعه وإنما فضيلته شبهه والمائية والشعاع الاحمر لم يذكر فيه شىء من الخواص البتة.

الماس: قال بليزوس الماس حجر ذهبى وهو أشبه الاحجار بالاجساد المذابة لأنه ليس من الاحجار شىء يسحقه كما تسحق الاحجار بعضها بعضا فلذلك شبهته بالاجساد ولم يفسده شىء من الاحجار غير الابار فلذلك قلت إنه حجر ذهبى وأقول إن الماس إنما كان فى معدنه وابتداء خلقته ليكون ذهبيا وذلك أن الماء فى معدنه فلما سخنته الحرارة يبس الماء من الحر الذى سخنته جدا فصار حجرا فلما كثرت عليه الحرارة وعرض فى الماء

غلظ فصارت فيه لزوجة لغلظه وصار أشبه شىء بالزبيق وتولد فيها رطوبة المعدن وييسه بلطافة الطباع وملح وشفه الماء والريح فغلظ واشتدت عليه الحرارة فقوى الملح على نسف الحر واليبس واشتدت ييوسته فظهرت على وجه الماء اللزج الذى هو يشبه الزبيق فانعقد حجرا بافراط اليبس عليه وإنما انعقد ليكون ذهباً فأقعدته عن الذهبية انعقاده باليبس والملوحة فلو انعقد باللين ولم يفرط عليه اليبس وبالحلاوة مكان الملوحة لكان ذهباً فلما انعقد وكان فيه ملوحة وشدة ييبس نقص عن كيان الذهب فصار حجرا صلبا يأكل الأحجار كلها بملوحة طبيعته وشدة ييسه وإنما صار يتكسر للملوحة فبقيت الملوحة واليبس فى جسده وإنما صار لا يفسده شىء غير الأبار لأنه ذهبى كما أن الأبار يفسد الذهب ويسحقه وإنما يسحق الأبار الماس لكثرة ييسه وذلك لاجتماع الكبريت الذى فى الأبار مع ملوحة الماس لأن الملح الذى فى الماس إذا أحس برائحة الكبريت تفتت وانسحق وإنما صار لون الماس أبيض لانعقاده بالرطوبة ودفع رطوبة الموضع عنه وهج النار فصار لذلك أبيض فهذه علة تكون الماس.

معدنه الذى يتكون فيه، يوجد فى معدن الياقوت ويتكون فيه ويخرج منه كما يخرج الياقوت فهو حصاء معدن الياقوت إذا أخرجته الرياح والسيول من معدنه حسبما بيناه فيما سلف.

جيده ورديته: الماس نوعان الزيتى والبلورى والزيتى أجودهما والبلورى أبيض شديد البياض كالبلورى والزيتى يخالط بياضه صفرة كلون الزجاج الفرعونى.

خواصه فى ذاته: من خواصه أن جميعه ذو زوايا قائمة ست زوايا وثمان زوايا وأكثر من ذلك وأقل، يحيط بزواياه سطوح قائمة مثلثة الشكل إذا كسر فلا ينكسر إلا مثلثا ومن خواصه أنه يقطع كل حجر يمر عليه وهو فى نفسه عسر الانكسار وإن وضع على سندان حديد ودق بمطرقة لم ينكسر ودخل فى وجه السندان ووجه المطرقة وكسرهما وإنما يكسر بأن يصير فى شىء من الشمع ثم يدخل فى أنبوب قصب وينقر بمطرقة غيرها برفق ومدارة بحيث لا يباشر جسمه الحديد حتى ينكسر أو يصير فى أسربة ويفعل به ذلك.

ومن خواصه أن الانسان إذا ابتلع منه قطعة ولو كانت أصغر ما يكون حرقت امعاءه فقتلته على الفور ومن خواصه ما ذكره ارسطاطاليس من أن بينه وبين الذهب محبة ينشأ به حيث كان حتى يخالط منه الحبة الخفيفة يعرف ذلك صبأغ الذهب فإنهم إذا بردوه وقعت تلك الحبة تحت مباردهم فأكلت المبارد وأفسدتها ومن خواصه أنه يثقب الدر والياقوت

والزمرد وغيرها من جميع ما لا يعمل فيه الحديد من الاحجار كما يثقب الخشب وذلك بأن تركب فى رأس مثقاب حديد منه قطعة بقدر ما يراد من سعة الثقب وضيقه ثم يثقب به فيثقب بسرعة وأما طبعه فإنه بارد يابس فى الدرجة الرابعة.

خواصه فى منافعه منها ما ذكره ارسطاطاليس أنه من كانت به الحصاة الحادثة فى المشانة من مجرى البول ثم أخذ حبة من هذا الحجر وألصقها فى مروود نحاس أو فضة بمصطكا الصاقا محكما ثم أدخل ذلك المروود إلى الحصاة فتتها قال أحمد بن أبى خالد المعروف بابن الجزار فى كتابه فى الاحجار وبهذا الفعل عالجت أنا وصيفا الخادم من حصاة عظيمة كانت به وامتنع من الفتح عليها بالحديد فلما فعلنا به هذا الفعل انسلخت الحصاة حتى صغرت وسهل عليه خروج ما بقى منها فى البول ومن خواصه أنه ينفع من المغص الشديد ومن فساد المعدة إذا علق على البطن من خارج.

عين الهر: معدنه الذى يتكون فيه هذا الحجر يوجد فى معدن الياقوت مع الماس فهو حصباء معدن الياقوت كما ذكرناه عن الماس فيما سلف.

جيده ورديته: هذا الحجر غريب الشكل وذلك أن الغالب على لونه البياض باسراق عظيم ومائية رقيقة شفاقة إلا أنه يرى فى باطنه نكتة على قدر عين الهر أعنى الناظر الحامل للنور المتحرك فى فص مقلته وعلى ذلك اللون سواء وتلك النكتة مع ذلك متحركة على الدوام إذا حرك الفص تحركت بخلاف جهة حركته بحيث إن أميل إلى جهة اليسار مالت النكتة متحركة إلى جهة اليمين وذلك فى الاعلى والاسفل فهى كناظر الهر حقيقة ولذلك سمى به فإن كسر أو قطع على أقل الاجزاء ظهرت تلك النكتة فى كل جزء من أجزائه وأجوده ما اشتد بياض أبيضه وشفيفه واشتدت كثرة مائة تلك النكتة التى فيه وسرعة حركتها واشراقها وحسن الشكل وكبر الجرم زائد أن فى جودته كسائر الاحجار.

خواصه ومنافعه: هو أنه يحفظ حامله من عين السوء والانفس الخبيثة ومما أنقله فيه عن ثقات الجوهريين ممن دخل الهند ومارس هذا الفن ومهر فيه أنه يجمع خواص الياقوت البهرمانى فى منافعه ويزيد عليه بمنفعتين احدهما أنه لا ينقص مال محتمله ولا تعثره فيه الآفات والنكبات والأخرى أنه إذا كان فى يد رجل أو معه وحضر مصاف حرب ثم هزم حربه فالقى نفسه بين القتلى يراه كل من يمر عليه من أعدائه كأنه مقتول متشحط فى دمه فتتفر عنه النفوس حتى لا يقربه بشر منهم وأخبرنى بعض من دخل الهند من الجوهريين أنه رأى هذا الجوهر يعبد فى المغرب كما تعبد الاصنام قال وثمنه عندهم أغلا من ثمنه ببلاد

العرب وهم به أغبط وهو عندهم أعز وذكر أنه وقف على حجر بيع فى المعبر بمائة وخمسين دينارا ولعله يساوى فى الهند عشر هذا الثمن وذلك لعلمهم بخواصه ووقوفهم عليها بالتجربة.

البازهر: الموجود من هذا الحجر الآن بأيدى الناس نوعان أحدهما حيوانى والآخر معدنى فأما المعدنى منهما فيقال إنه ينفع من لدغة العقرب فقط وهو مقصر عن جميع ما يذكر فى الكتب عن البازهر الحيوانى ويذكر أنه يجلب من الصين وهو حجر خفيف هش أصفر وأغبر منقط نقطة خفيفة توجد طبقات رقاق فى أصل تكونه طبقة فوق طبقة لا توجد إلا كذلك وينحك سريعا إذا حك ومحكه يميل للبياض وأعظم ما يوجد منه من مثقال إلى ثلاثة مثاقيل يؤتى به من بلد فارس من تخوم الصين والحيوان الذى يوجد فيه هو الايل الذى يكون بتلك الجهات ويذكر أن الايل الذى يوجد فيه البازهر يشتهى أكل الحيات لا سيما من صغر من أولادها وهو معظم غذائه يبحث عنها ويستخرجها من حيث كانت فى أكلها وقد اختلف الناس فى أى موضع من الحيوان يتكون البازهر على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه يتكون فى عينه قالوا وذلك أنه إذا أكثر من أكله لفراخ الحيات اعترته حكة فى سائر جسده من سمها فيعمد إلى بركة ماء فيغوص فيها رافعا رأسه عن الماء إلى أن يغيب كله فى الماء حتى لا يظهر منه إلا حدقاته فيرتفع حيثئذ من سائر جسده بخار رطب إلى عينيه ثم يخرج من مآقيه اللذين يليان أنفه يمئة ويسرة ويستحيل ماء فإذا ضرب به الهواء جمده وجسده حجرا ويبقى معلقا بشعر ناحيتى أنفه ثم يعرض له مثل ذلك العارض فيفعل مثل هذا الفعل فيخرج بخار آخر ويستحيل ماء ويسيل من ذلك الموضع بعينه على الحجر المتكون قبل فيجمد إذا باشره الهواء فوق الحجر الأول كما جمده الذى قبله ولا يزال كذلك حتى يثقل الحجر فيسقط من ذاته أو يحكه الحيوان إذا ثقل عليه إلى حجر أو أصل شجرة فيسقط فتتبع مظانه حتى يوجد فيؤخذ منها وأخبرنى من لا أشك فى صدقه وثقة نقله أن بتخوم الشام فيما بينها وبين بلد الروم بموضع يسمى مرعش وما يتصل به ايل يأكل فراخ الحيات ويعرض له من أكلها ما ذكرناه ويفعل الوصف الذى وصفناه وأن البازهر يتكون فى عيونه على حسب ما ذكرناه.

القول الثانى: أن هذا الحجر يتكون فى قلب هذا الحيوان وأنه يصاد لاجله ويذبح ويستخرج الحجر من قلبه وهذا القول رأته لبعض أطباء مصر حسبما نوره عنه فيما بعد وهو غير صحيح.

القول الثالث: أن هذا الحجر يتكون فى مرارة هذا الحيوان كما يتكون كثير من الاحجار فى كثير من الحيوان ويذبح فيخرج البازهر من مرارته ومن يقول ذلك يستدل على صحة قوله بأن هذا الحجر إذا ذيق ظاهره باللسان وجد طعم المرارة عليه ظاهرا وأكثر حذاق الجوهريين وأرباب الخبرة منهم على هذا القول وهذا عندى هو الصحيح وأخبرنى بعضهم أنه شاهد حجرا منه انكسر فوجد فيه حشيشة اشتمل عليها الحجر فى أصل تكوّنه. جيده ورديته: الخالص الجيد الموجود منه فى هذا التاريخ هذا الحيوانى المذكور قبل وهو الاصغر الخفيف الهش المنقط ذو الطبقات الابيض المحك المر المذاق.

خواصه فى نفسه: منها أنه إذا مر على حمة العقرب أبطل لسعها وإن لسعت لم يؤذ سمها ومنها أنه إن حك على أفواه الافاعي والحيات خنقها وماتت وهذا الذى قبله مما يختبر به البازهر الحيوانى الخالص من المغشوش ومنها أنه إذا جعل مع أجسام خشنة مباشرة لجسمه محتكة معه غيرت صورته وخشنته وغيرت لونه وجميع صفاته حتى لا يكاد يعرف وقد كان عندى حجر بازهر حيوانى خالص فجعلته فى كيس فيه دنانير ذهباً ثم سافرت من موضع إلى موضع آخر فلما استقرت فتحت الكيس واستخرجت الحجر البازهر فلم أعرفه حتى ظننت أنه قد بدل على لتغير جميع صفاته ثم وزنته فوجدته أقل مما كان فزاد تشككى ولم يكن معى من أتهمه فعجبت من ذلك وبقيت متحيرة فى أمره ثم جعلته فى حق صغير بعد أن لففته بابرسم وغفلت عنه مدة ثم أخرجته فوجدته الحجر الذى كنت أعرفه أولا قد زالت عنه الهيئة الرديئة التى اكتسبها من احتكاكه بخشونة الذهب إلا أن وزنه نقص بما انحك منه فى الكيس ولما كان بعد ذلك جرى ذكر البازهر بينى وبين حذاق الجوهريين فعرفنى أن من خاصيته أن احتكاكه بالاجسام الخشنة يغيره فعرفته بما شاهده فى ذلك بالتجربة تصديقا لقوله.

خواصه فى منافعه أخص منافعه النفع من السم أى سم كان قاتله أو غير قاتله من سموم الحيوان والنبات من السموم الحارة والباردة ومن عض الهوام واللدغ والنهش إذا شرب منه من ثلاث شعيرات إلى اثنى عشرة شعيرة مسحوقة أو مسحولة بالمبرد أو محكوكة على المسن بزيت الزيتون أو الماء فإنه يخرج السم بالعرق من جسد المسموم ويخلص نفسه من الموت ويفعل ذلك بجملة جوهره والخاصية المودعة فيه أنه هو حجر شريف نفيس ليس له فى جميع الاحجار ما يقوم مقامه فى دفع السموم ومن خواصه أنه إذا سحق ونثر على موضع النهش وغيره جذب السم إلى خارجه وابطل فعله.

ومن خواصه ما ذكره ابن جميع فى كتابه الملقب بالارشاد إلى مصالح الانفس والاجساد قال والحيوانى من البازهر وهو الموجود فى قلوب الايائل افضل فى جميع الاوصاف المذكورة فى البازهر حتى أنه إذا حك بالماء على مسن وسقى منه كل يوم وزن نصف دانق للصحيح على طريق الاستعداد والتقدم بالحوطة قادم السموم القادمة وحسم من مضارها ولم يخش غائلة ولا اثاره خلط حام كما يخشى من المشرود يطوش ولا يضر المحرورين ولا النحيفين لأنه إنما يفعل ذلك بخاصية جوهره ومن خواصه أنه من تختم منه بوزن اثنتى عشرة شميرة فى فص خاتم ثم وضع ذلك الفص على موضع اللدغ من العقارب والهوام الطيارات وغير الطيارات ذوات السموم وأجناس الزنابير والدراريح نفع منها نفعا بينا ومن خواصه أنه إذا سحق ثم نثر على موضع اللدغ من الهوام الارضية حين تلدغ اجتذب السم وأرشحه وإن عفر الموضع قبل أن يبادر إليه بالدواء ثم نثر عليه من هذا الحجر مسحوقا أبراه ومن خواصه ما ذكره بعض الحكماء من الأوائل أنه إذا صنع خاتم من ذهب ويكون فصفه بازهر ونقش عليه صورة العقرب حين يكون القمر فى العقرب ويكون العقرب وتدا من أوتاد الطالع ثم طبع بهذا الخاتم طواع من كندر ممضوغ معمول منه قرص والقمر فى العقرب أيضا ويرفع فمن لدغته العقرب وشرب قرصا من هذه الاقراص المختومة بهذا الفص البازهر لم تضره اللسعة وبرأ منها وقد جرب هذا فوجد صحيحا وختم به على غير الكندر لثلاث تكون الخاصية للكندر ففعل كما يفعل إذا ختم به على الكندر. انتهى.

الفيروزج: حجر نحاس يتكون من أبخرة النحاس الصاعدة من معدنه على ما نذكره بعد فى تكون غيره من الاحجار النحاسية.

معدنه الذى يتكون فيه الفيروزج يجلب من معدن جبل النيسابور ومنه يحمل إلى سائر البلاد ومنه نوع يوجد فى نشاور إلا أن النيسابورى خير منه.

جيده ورديته: الفيروزج نوعان سبحانى وقبحانى والخالص منه العتيق وهو السبحانى والاجود منه الازرق الصافى اللون المشرق الصفا الشديد اللمعان المستوى الصبغ وأكثر ما يكون فصوصا وذكر الكندى أنه رأى حجرا زنته أوقية ونصف، خواصه فى نفسه منها أنه حجر يصفو لونه فى صفاء الجو ويكدر مع كدورته وذكر ارسطاطاليس أن كل حجر يستحيل عن لونه فهو ردىء للابسه ومنها أنه إذا أصابه شىء من الدهن أفسد حسنه وغير

لونه وكذلك العرق يفسده ويطفئ لونه بالكلية وكذلك المسك إذا باشره أبطل لونه وأذهب حسنه.

خواصه ومنافعه: منها أنه يجلو البصر بالنظر إليه ومنها أنه ينفع العيون إذا سحق في الاكحال ومنها أنه إذا سحق وشرب نفع من لدغ العقارب وطبيعته البرد واليبوسة. العقيق: حار يابس وفيه ثلاث خصال من الخواص:

الأولى: أنه من تقلد بالاحمر منه الشديد الحمرة سكنت روعته عند الخصام. الثانية: أنه من تختم بالنوع الثاني منه وهو الذي لونه لون ماء اللحم إذا ألقى فيه الملح وفيه خطوط بيض قطع عن حامله نزع الدم من أى موضع كان من الجسد ولا سيما النساء اللواتي يدوم طمئنهن.

الثالثة: أنه إذا استيك به من أى أنواعه اتفق أذهب عن الاسنان صدها وبيضها وأذهب الحفر ومنع الاسنان أن يخرج من أصولها الدم. ظرائف تليق بهذا المكان:

قال بعض الفضلاء ممن يعتمد على قوله من تمذهب للشافعي وقرأ لأبي عمر ولبس البياض وتختم بالعقيق وحفظ قصيدة ابن رزيق البغدادي فقد استكمل الظرف ومما سمع عنه قيل إن خاتمه ما وجد في أصبع قتيل.

وقيل:

وما أحسن استخدام فيه  
وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

لا تسئل عن حديث دمعي لما  
لونتته وأمطرته دموعي  
وقال صدر الدين بن عبد الحق:

اذكرها الغضا ولذيذ عيش  
فقلت ما الغضا فأجبت قلبي  
وأشدني الشيخ تقي الدين بن حجة من قصيدة نبوية أولها:

شدت بكم العشاق لما ترنموا  
وضاع شذاكم بين سماع وحاجر  
وجزتم بوادي الجزع فاخضر والتوى  
فغنوا وقد طاب المقام وزمزم  
فكان دليل الظاعنين إليكم  
على خده بالنبت صدغ متمم

ولما روى أخبار نشر ثغوركم  
ومنها فى المديح الشريف:

فيا ساكنى واد العقيق بأحمد  
وهذه القصيدة كلها غرر فسخ الله فى وجود قائلها وأنانا شفاعة ممدوحها عليه السلام  
وكيف لا تكون غرة وهو القائل فيها:

نبى غدا فى جبهة الدهر غرة  
وروضة حسن فى ربيع لنا بدت  
له النسب الاعلا فيا مادح الورى  
ويا من غدا فى حب زينب هائما  
بحب ابن عبد الله أولى فإنه

تأمل ما أحسن هذا التضمين:

اليشم واليشب: حجران فضيان وكيانهما قريب بعضه من بعض ويتكونان من أبخرة مقصرة عن كيان الفضة على ما تقدم القول فيما سلف، معدنه الذى يتكون فيه كاشغر ومنه يجلب إلى البلاد وكاشغر بين الصين وغزنة مسيرة نيف وعشرين يوما من غزنة إلى جهة الشمال لسانهم تركى.

جيده ورديته: اليشم نوعان أحدهما أبيض والآخر أصفر كلون العاج العتيق ويقال إن هذا هو الخالص.

خواصه ومنافعه من خواصه فى نفسه إذا لقت عليه شعرة من شعر الانسان ثم وضع فى النار لم يحترق الشعر وكثير من المحرفين فى بلاد العجم يحملونه ويفعلون به ذلك ويدعون أنه من شعر النبى عليه السلام فيوهمون العوام بذلك وبهذه الخاصية يختبر الخالص من هذا الحجر ممن سواه ومن خواصه ومنافعه أن الصاعقة لا تقع عليه وعلى من حمله البتة وقد أخبرنى ثقات من العجم أنهم شاهدوا ذلك ببلاد العجم حيث تقع الصواعق كثيرا فبنوا فى القلعة منارة وعلوا فيها هذا الحجر فترى الصواعق نازلة من السماء تحيد عن موضع الحجر إلى سائر الجهات البعيدة عنه ويقال إن من تختم به قطع عنه كثرة الاحتلام ومن خواصه ما ذكره جالينوس فى الادوية المفردة أنه ينفع من وجع المعدة بالتعليق عليها من خارج.

البلور: معدنه الذى يتكون فيه ما يوجد بترية العرب بالحجاز الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وهو أجوده ومنه ما يؤتى به من الصين وهو دون العربى ومنه ما يكون

ببلاد أفرنجة وهو جيد أيضا ومنه معادن بناحية أرمينية يميل إلى الصفرة الزجاجية كأنه مطبوخ بالنار وقد ظهر منه بهذا التاريخ معدن بالمغرب الأقصى بمقربة من مراکش حاضرة الغرب نقى اللون إلا أن فيه تشعيرا وهو كثير عندهم حتى فرش منه ملك المغرب مجلسا كبيرا أرضا وحيطانا.

جيده ورديته: أجوده أنقاه وأصفاه وأشفه وأبيضه وأسلمه من التشعير فإن كان مع ذلك كبير الجرمانية كان أو غير آنية كان الغاية فى نوعه قال التيفاشى أخبرت أن تاجرا من تجار الأفرنجة أهدى إلى ملك من ملوك المغرب قبة من البلور قطعتين يجلس فيها أربع نفر ورأيت منه صورة ديك مخروطا إذا صب فيه الشراب ظهر لونه فى أظفار الديك ورءوس أجنحته صنعة بلاد الأفرنجة ويصنع منه كل عجيب من الاوانى وقال الكندى إن فى البلور قطعا يخرج فى القطعة منها من المعدن أكثر من مائة من قال التيفاشى وأخبرنى غير واحد من أهل غزنة بنقل متفق على صحته أن بالقرب منها بينها وبين كاشغر بمسيرة ثلاثة عشر يوما واديا بين جبلى ذلك الوادى طريق موصل إلى كاشغر والجبلان اللذان على الوادى من جهته بلور خالص يقطع فى الليل لأن أشعته إذا طلعت عليه الشمس تمنع العمل فيه بالنهار ويصنع منه خواب للماء فى كاشغر وغزنة وأخبرنى من كان متصلاً بشهاب الدين الغورى ملك غزنة أنه رأى فى قصره أربعة خوابى للماء كل خابية تحمل ثلاث روايا ماء من روايا الجمال جميعها على محمل يصعد منها إليها من بلور كل واحد من محمل ثلاث قناطير إلى أربعة.

خواصه فى نفسه: أنه يذوب كما يذوب الزجاج ويقبل الصيغ ومنها أنه يستقبل به الشمس ثم ينظر إلى موضع الشعاع الذى قد خرج من الحجر فيستقبل به خرقة سوداء فتحترق وتوجد فيها النار.

خاصيته فى منفعة من علق عليه لم ير منام سوء تم ذلك.

ذكر القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى فى تاريخه الذى سماه مسالك الابصار أن شخصا من بعض التجار فى أصناف الجواهر يجهز كل سنة مماليكه وجماعة إلى المغاص ليغوصوا على اللؤلؤ فى الوقت المعتاد وهو فى شهرين فى السنة فانفق أنه أنفذ جميع ما يملكه فى ذلك ولم يحصل على طائل ولم يطلع له شىء وافترق ولم يبق له ما يجهز به إلى المغاص فطلب من امراته معضدة كانت فى عضدها ذهبا فقالت له يا هذا تعمل لك بهذه المعضدة حرفة غير ما أنت فيه من اللؤلؤ فقال ما أرجع عن صنفى ومتجرى

وتجهز هو بنفسه فى جماعة إلى المغاص فغاصوا له فى الوقت المعتاد إلى اليوم التاسع والخمسين ولم يطلع له شىء إلى آخر النهار طلعت درة ما لها قيمة فأحضرها وإليه وقالوا له هذه غصنى على اسم ابليس وقد رد الله عليك جميع ما أنفقته فاستدعى بحجرين ووضعها بينهما إلى أن عدمها وكسرها ثم رمى بها فى البحر فلأمه الحاضرون رفقاؤه التجار على ما فعل وقالوا: قطعة مثل هذه تقع لك وما عندك مثلها لعدمها فقال: هذه القطعة ما أنتفع بها ولا أجد لها بركة ويبنىء كل من يأتى بعدى يقتدى بفعلى ويفوصون له على اسم ابليس ويبقى على أثم ذلك إلى يوم القيامة اذهبوا وغوصوا على اسم الله عز وجل فأصبحوا تمام الستين يوما غاصوا له على اسم الله فطلعت لهم الدرة اليتيمة فوجه بها إلى الخليفة ببغداد وهو ذاك المقتدر فابتاعها عليه بثلاثمائة ألف درهم وحسن حاله ببركة اسم الله عز وجل. انتهى ذلك والله أعلم.



## الباب الرابعون في خزائن السلاح والكنائن

سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معدى كرب عن السلاح فقال ما تقول في الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف، قال فما تقول في الترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر، قال فالنبل قال منايا تخطى وتصيب، قال فما تقول في الدرع قال مفشلة للرجال مشغلة للفراس وإنها لحصن حصين، قال فما تقول في السيف قال هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال له تقول لا أم لك قال الحمى أصرعتني.

القاضي الفاضل من قصيدة:

تمد إلى الأعداء منا معاصما  
فترجع من مساء الكلى بأساور  
وله:

ولرب هاتفة دعتهم للوغي  
هي في بحار يديه أمواج ترى  
العنوي:

كأن على افرنده موج لجة  
كأن عيون الذر كسرن حوله  
حسام غداة الروح حتى كأنه  
تعاصر في حافاته وتجول  
عيون جراد بينهن دخول  
من الله في قبض النفوس رسول

أبو العلاء المعري:

ودبت فوقه حمر المنايا  
غراراه لسانا مشرفي  
يذيب الرعب منه كل غضب  
ولكن بعدما مسخت نمالا  
يقول غرائب الموت ارنجالا  
فلولا الغمد يمسكه لسالا

التامي:

ذى مدمع من غير ما مستعبر  
ويريك في لآلته متواقدا  
وتبسم من ثغره متوالي  
حنق المنون به على الأجسال

وقال أعلم الرؤساء ابن الصيرفي أبو القاسم علي بن منجب من نشره على طريق اللغز  
يبالغ في شكره إذا أفسد وبرح ويقبل في تزكية شهادة المجرح.  
ابن قلاقس:

أسرتهم وشهرتها فجموعهم  
وكلاهما جفن منعت غراره  
ابن سناء الملك:

له منصل لا ينقضى فرض حجه  
تنسك الاسلام لما رأيتنه  
فكم سل لما سل من بطن غمده  
وقال وجيه الدين بن الدروي:

فتقت بأجساد الاسود لواحظا  
وأنظفت أفواها على فم العدى  
بحيث الوغى روض تغنى ذبابه  
وقد نشقت ورد الكلوم صعاده  
وليه:

سكران من شربه خمر الدما فان  
ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب الاندلسي:

وخليج هند راق حسن صفائه  
غرقت بصفحته النمال وأوشكت  
فالصرح منه ممرد والصفح من  
وقال مجير الدين بن تميم:

لما اقتنيت من الصوارم أعوجا  
جبت القفار وما حملت اداوة  
ابن نباتة:

وصارم كعباب الموج ملتطم  
لما غذا جدولا تسقى المنون به  
الشريف البياضى:

وإنا إذا الأرواح ذابت مخافة

فتحنا بأشطان الرماح ركايها

منى ما أردنا أن يذاق حديدنا  
 خلعنا بحد المشرفية أفواها  
 ومن كلام تقي الدين بن حجة فى معنى سكون الحرب:  
 واعتقل الرمح بسجن السلم بعد أن كان على رأسه لواء الحرب معقود وهجعت مقل  
 السيوف فى أجفانها لما علمت أن الزيادة فى الحد نقص فى المحدود.  
 وللشيخ برهان الدين القيراطى:

قوم مناديلهم بيض فكم مسحت  
 رقاب أعدائهم تلك المناديل  
 الغزى وأجاد:

وقد سلب الطعن الأسنه لونها  
 فعصفر فى اللبات ما كان أزرقا  
 وأسيفنا فى السابغات كأنها  
 جداول تجرى بين زهر تفتقا  
 ابن خفاجة:

موسد تحت ظل السيف تحسبه  
 مستلقيا فوق شاطئ جداول ثملا  
 الرمح: ذكر القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والظرف أنه كان فى خزانة  
 السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون ألف جوشن ومائة ألف  
 رمح، ومنه قال الفضل بن الربيع لما ولى محمد الامير الخلافة فى سنة ثلاث وتسعين ومائة  
 أمرنى أن أحصى ما فى الخزائن من الكسوة والفرش والآنية والآلة ذكرت الفرش والكسوة  
 فى بابها من هذا الكتاب وأما الآلة فعشرة آلاف سيف محلاة بالذهب وخمسون ألف  
 للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع خاصة محلاة  
 وألف درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة وخمسون ألف ترس  
 وأربعة آلاف سرج محلاة خاصة وثلاثون ألف سرج عامة.  
 القاضى الفاضل:

يقتل حيات الحقود من العدا  
 بحيات سمر بالأسنة نهشا  
 وينصبها أن يرتقوا السحب سلما  
 ويرسلها أن ينزلوا القلب كالرشا  
 وله:

أمنصل الرمح الطويل بكوكب  
 من ذا يطاعن والسماك سنان  
 ابن سناء الملك:

ملوك يحوزون الممالك عنوة  
 بسمر العوالى أو ببيض القواضب  
 رماح بأيديهم طوال كأنما  
 أرادوا بها تشقيب در الكواكب

ابن قلانس:

أساة الحرب أحداق الدروع  
وأسبل غيث أمواه الدموع  
حديث عن مصيف أو ربيع

وقد كحلت بأميال العوالى  
وشب البأس نيران المواضى  
فللفرسان من محل ووحل  
وليه:

فتحننا له قلما هناك محرفا  
تثنى على الاصباح ليلا مغدفا  
ومن الطوال السمهرية أوظفا

ومصرف الرمح الطويل سنانه  
حيث العجاجة فوق لامعة الظبي  
فتريك طرف الجوى منها أكحلا  
ابن النبيه:

وابل تتابع فى خلال سحائب  
فكأنها شهب ذوات ذوائب

والنبل فى خال العجاج كأنه  
لعبت أستته على أعلامها  
الذروى:

هاماتها نبت الوشيج الأعوج  
حتى كأنك فى رياض بنفسج

وراء هاتيك الخيام أهلة  
ارتحت حولهم لزرق أسنة  
ابن المنشد ملغزا فيه:

راق حسنا عند اللقاء ومخبر  
إنما قلبه بلا شك أحمر

أى شىء يكون مالا وذخرا  
أسمر القد أزرق السن وصفا  
الفاضل:

بمختلفات من قتال الشواجر  
كأنك قد نصلتها بنواظر

فبأعجبا للملك قر قراره  
طواعن أسرار القلوب نواظر  
لسان الدين محمد بن الخطيب:

من العيون فبالعجاجة مكحل  
مما يعمل من الدماء وينهل  
رمد ولا يخفى عليه مقتل  
السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الأمدى:

ويكل أزرق إن شكت الحياظه  
منأود أعطافه من نشوة  
عجبا له أن النجسيع بطرفه  
غصون بها طير النفوس تنافرت  
ولا ورق إلا من التبر حولها

وعهدى أن الغصن للطير مألّف  
ولا زهر إلا من النصر يقطف  
وقال فخر القضاة نصر الله بن بصاقة كتب للناصر داود بن عيسى ووزر له وجلس معه

فى صدر الايوان ومن نظمه ملغزا:

عصى ثقيل إن أطيل عنانه  
ترى منه أميًّا إلى الخط ينتمى  
عجبت له من صامت وهو أجوف  
ومن طاعن فى السن ليس بمنحنى  
ابن نبأته السعدى:

ولولا عليها يقدمون رماحنا  
خلقنا بأطراف القنا لظهورهم  
وتقدمها أعناقهم والمنابك  
عيونا لها وقع السيوف حواجب

ذكر الثعالبي فى لطائف المعارف أن أول من عمل له سنان من حديد ذو يزن الحميرى  
وليه نسبت الرماح اليزنية وإنما كانت أسنة العرب من صياصى البقر.

قلت: قد كان رسم لجماعة من الفضلاء بالمملكة الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على  
أسنة الرماح وأن تكون البيوت أربعة وذلك برسم المقر العالى الطنبغا الجوبانى كافل الشام  
المحروس رحمه الله تعالى فنظم سيدنا المقر المرحوم الشهير بابن الشهيد فتح الدين  
رحمه الله تعالى:

إذا الغبار علا فى الجو غبره  
هذا سنانى نجم يستضاء به  
فأظلم الجو ما للشمس أنوار  
والسيف إن نام ملء الجفن فى غلق  
كأنه علم فى رأسه نار  
إن الرماح لأغصان وليس لها  
سوى النجوم على العيدان أزهار  
وأنشدنى القاضى المرحوم أمين الدين محمد الأنصارى لنفسه وهو اذ ذاك كاتب السر  
بحمص المحروسة:

عروس سنانى حين يجلى على العدا  
وقد صيغ من هم فبين صدورهم  
وتظهر تبنى ما لهم من بواطن  
سيلقون يوم الجمع غبنا لموتهم  
مجال له رحب فسيح المواطن  
وإن شهدوا بالجور فى وعدلوا  
بطعنى ويوم الجمع يوم التغابن  
فإنى قد بينت فيهم مطاعنى  
ونظم سيدنا القاضى صدر الدين على بن الحنفى الأدمى رحمه الله وأنشدنيها من لفظه  
وهى من مبادئ نظمه:

النصر مقرون بضرب أسنة  
لمعانها كوميض برق يشرق

سبكت لتسبك كل خصم مارداً  
وتطرقت لمعاناً يتطرق  
زرق تفوق البيض فى الهيجاء إذ  
يحمر من دمه العدو الأزرق  
ينسخن يوم الحرب كل كتيبة  
تحت الغبار فنصرهن مسحق

ونظم الشيخ شمس الدين محمد بن بركة الرئيس وأنشدنيها من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى:

أنا أسمر والراية البيضاء لى  
لا للسيوف وسل من الشجعان  
لم يحل لى عيش العداة لأننى  
نوديت يوم الجمع بالمران .  
وإذا تفانمت الكمأة بجحفل  
كلمتهم فيه بكل لسان  
فتخالهم غنما تساق إلى الردى  
قهر المعظم سطوة الجوبان

لو قال: كلمت كلا منهم بلسان، لكان أحسن الشيء يذكر بلوازمه، نقلت من مجموعة بخط بعض الأفاضل أن بعض الأمراء بالاندلس وأظنه المنصور بن عامر رحمه الله كان إذا قصد غزوة عقد لواءه بجامع قرطبة ويجعل مسيره إلى الغزوة من الجامع فاتفق أنه فى بعض حركاته للغزوات توجه إلى الجامع لعقد اللواء واجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء فصادف ثريا من قتاديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليها الزيت فتظير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقام رجل وقال أبشريا أمير المؤمنين بغزوة هينة وغنيمة سارة قد بلغت أعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة فاستحسن ذلك المنصور واستبشر وكانت تلك الوجهة من أبرك غزواته.

وما أظرف وألطف قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل متغزلاً:

كم قال معاطفى حكتهما الأسل  
والببيض سرقت ما حوته المقل  
فالأآن أوامرى عليهم حكمت  
الببيض تحدد والقنا تعنتقل

ابن تميم:

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى  
فى موقف ما الموت عنه بمعزل  
لتسرى أنابيب القناة على يدى  
تجرى دما من تحت ظل القسطل

ابن شرف القيروانى:

وقد وخطت ارماعهم مفرق الدجى  
فبات بأطراف الأسنة شائباً

القوس: حدث العتبي عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجرين عبد الله والى اليمامة فأتى بأعرابى كان معروفًا بالشرف فقال له أخبرنى عن بعض عجائبك قال عجائبي كثيرة ومن

أعجبها أنه كان لى بعير لا يسبق وكان لى خييل لا تلحق فكنت أخرج محاربا فخرجت فاحترشت ضبا فعلقته على قبتى ثم لا أرجع خائبا فمررت بخبا ليس فيه إلا عجوز وليس معها غيرها فقلت يجب أن تكون لها رائحة من غنم وإبل فلما أمسيت إذ أنا بإبل مائة فيها شيخ عظيم البطن شثن الكفين ومعه عبد أسود فلما رآنى رحب بى ثم قام إلى ناقة فحلبها وناولنى العلبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته ثم حلب تسع أنيق فشرب ألبانهن ثم نحر حوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضاء ثم جثى على كومة من بطحاء وتوسدها ثم غط غطيظ البكر، فقلت والله هذه الغنيمة الباردة ثم قمت فحل ابله فخطمته ثم قرنته ببعيرى وصحت به فأبتعنى واتبعته الإبل أربا كأنها فى قطار فصارت خلفى كأنها جبل ممدود فمضيت أبادر نثية بينى وبينها مسيرة ليلة للمسرع فلم أزل أضرب بعيرى مرة بيدى ومرة برجلى حتى طلع الفجر فأبصرت النثية فإذا عليها شىء أسود، فلما دنوت إذا الشيخ قاعد وقوسه فى حجره فقال أضيفنا قلت نعم قال أتسخو بنفسك عن هذه الإبل قلت لا فأخرج سهمها كأنما نصله لسان كلب ثم قال أبصره بين اذنى الظبى المعلق متى ألقىته فرماه فصدع عظمه عن دماغه، ثم قال ما تقول قلت أنا على رأى الأول ثم قال أبصر هذا السهم الثانى فى قفارة ظهره الوسطى ثم رمى فكأنما غرسها فيه ثم قال ما رأيتك قلت أحب أن أستبث، قال انظر هذا السهم الثالث فى علوة ذنبه والرابع والله فى بطنك ثم رماه فلم يخطئ العكوة، قلت أنزل أمانا قال نعم ثم دفعت إليه خطام فحله وقلت هذه ابلك لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى ترمينى بسهم تقصد به قلبى فلما تباعدت قال أقبل فأقبلت والله فرقا من شره لا طمعا فى خيريه فقال أحسبك ما جئت الليلة إلا من حاجة قلت أجل والله قال فاقرن من هذه الإبل ببعيرين وامض لمطيتك فقلت لن والله حتى أخبرك عن نفسك فلا والله ما رأيت أعرابيا قط أشد ضرسا ولا أعدى رجلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك، قال فاستحى وترك الإبل جميعها.

قلت: ذكر هذه الحكاية الشيخ جمال الدين بن نباتة فى سرح العيون بخلاف هذه الالفاظ وأن الشيخ المذكور زيد الخيل واسمه مهلهل، عزم الملك المعظم على الصيد فقال له بعض الجماعة يا مولانا القمر فى العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة الصبر إلى أن ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينما هو يفكر إذ دخل مملوك كان له من أحسن

الناس وجها يقال له ابدغدى فوقف قدامه وقد توشح بقوس فقال بعض الحاضرين يا مولانا اركب الساعة فهذا القمر فى القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشاراً فلم ير أطيّب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها.

الشهاب الاعزازى ملغزا فيها وفى الشباب:

ما عجوز كبيرة بلغت عم  
قد علا جسمها صفار ولم تشد  
ولها فى البنين سهم وقسم  
وأراها لم يشتهوها ففى الام  
الحلى ملغزا:

وما اسم تراه فى البروج وإنما  
إذا قدر البارى عليه مصيبة  
بدر الدين بن الصاحب ملغزا:

الله مملوك إذا  
لكنه فى لحظه  
أيدمر يرثى سهمها انكسر:

ياسهم هاج رداك لى بلبالا  
مذنب ما راع الحمام حمامه  
ولطال ما شوشت من سرب المها  
قد كنت أعجب للقى سقيمة  
فإذا بها علما بيومك فى الردى  
عجبا من الأجال كيف تقسمت

وقال الإمام كمال الدين اسماعيل بن جمال الدين عبد الرزاق الاصفهاني رحمه الله:

﴿وسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا \* إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سبباً \* فأتبع سبباً﴾<sup>(١)</sup> حكيم جبل على السداد يهدى إلى سبل الرشاد آثار بأسه مشهورة على ذرى الأعواد بطشه شديد ومرماه بعيد أيد فى مغزاه بالتعقيب يأخذ فى الشريق بعد التغريب فشدد بكل الاغارة أسره ووسد إلى كل مشبوح الذراعين نصره

فانفذ رسله تترى شفعا ووترا فطير برده الى الاطراف بنوع من الاستعطاف وأثبت ما فى ضميره فى القرطاس اظهارا للباس وانذارا للناس وأغرق قوس عزائمه فى الركض وحرم على جنبه القرار فى الأرض فأعين بقوة جمع بها بين اليدين ثم قبض فى البين عند ملتقى لحدين وكان من دعائه فى انحنايه رب اشرح لى صدرى واشدد أزرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى وأخى أفصح منى لسانا فارسه معى واشركه فى أمرى نعم ويسألونك عن الأهلة صفراء من غير علة حنّة حنت ولا تهنت حية اذا انطلقت رججت مرتان لا عن مرض يشهب إلى غرض هلال يطلع بحلول الأجل المضروب استهلاله دليل الوقائع والحروب، مجرة تنقض منها نجوم الرجوم، برج ذو جسدین يطلع بالطائر الميشوم ثابت يقارن السيارات، وقع ينهض من وكرة الطيارات ذات الحبك لا تراجع كواكبها، برج معوج الضلوع تغور فى أسرع زمان غواربها معنى أحكمت مبانیه ورفعت مجنيه حائظه مائل وعماده زائل لا يقوم مناده ولم ينقص وكاده نباتا بساكنه فترحل منه، وبيت أزعج نازله فتحول عنه رباط موقوف على العارة لا تلبث فيه السيارة بيت منزحف ينفر عنه الطبع السليم وينفر عنه النبع المستقيم محل النزاع ينظر فيه عند المجادله متحرف للقتال يولى الظهر عند المقاتلة، سورة محكمة ذكر فيها القتال يتمسك به أصحاب الجدال شديد القوى ذو مرة يواتر بين رسله من غير فترة متى بذات الجنب يقلقه انبعاث مرته لا يسكن الا اذا دسع بحربته شيطان تطلع شمس النصرة من قرنيه ماردا لا يسكن الا بتعريك أذنيه صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم اضلاع على الوتر تطوى أكباد تحن إلى القد من الطوى متأسر شدت إلى العقب أذقانه يضيق صدره ولا ينطلق لسانه بطل شد حيازيمه للموت ويجزع من خوف الفوت بأعلى الصوت مقدم من بنى الأصفر قدم فى دار الحرب وشد عليه الوثائق حتى شكا ضيق الخناق وجرى عليه سهم الاسترقاق فصار ملك اليمين باستحقاق ولا غرو إن مال إلى أصحاب الشمال فهو فرع أصله ضال متكبر بأبى السجود للبشر فى صلبه مثل صياصى البقر مغشى عليه، جمع إلى الاصفرار نحولا وحيننا قبض وكان فى النزاع حيننا مطية تخالف سائر الانعام قيامها باليد وقيامهن بالأقدام، وكلما كانت أثبت على المقام كان راكبها أقرب إلى بلوغ المرام مضيرة يمتطيها الراكب إذا كانت معقولة وينزل عنها إذا أرسلت محلولة أعوجى يشتد فى مراكض السباق أعجمى يلوى الأشداق شاكية تودع شفرا لا تعود عقيلة تحن إلى زوج من عود عاتكة شبقى شديدة العرامة أعجب بها حدباء مديدة القامة عنقاء تزف افراخ النور تزيد

فى مرتها الدهور سلس القيادة صعب إلى ذى مرة غير مستوى، مقبوض جمع البارى عظامه  
فصوره وأحسن نظامه فقامت عليه القيمة ألف ونون جمعا للثنائية لا يرميه أهل القياس  
بالتخطئة بل بألف، قارون نون مشددة فإذا حركته أن واذا تركته اطمأن، حرف اذا رفع نصب  
للجر ولا يستعمل جزما بعدما دخله الكسر وحرف آخر معطوف عليه ومجرور بالاضافة  
إليه حرف أدغم فيه غيره بتسكين وجعل منه تشديد وتنوين هيئته شبه علامة اذا عطلت  
وتشاكل الباء إذا استعملت ذو نيرب مشاء بنميم عتل على الجفاء مقيم مغرق يتنكب على  
موارد الماء مغرق عند جر النسب والانتماء وأخوه دعى به لاحق عيص ألف ونبعه ممطورة  
ينمى إذا اتصل الدعى اللاصق مقيد يحمل عليه المطلق طويل العنق من جبل عاتقه معلق  
خفيف الرأس يميل إلى كل طياش عارى المناكب فى جبالته ذوات الرياش نحيف يرى أثر  
المحاجم بظهره يتسم لفصد غيره أجش يرفع صوته بين الرماة بارز يفت فى أعضاء الكماة  
لمرمانا درك الرقاة ونكب عن مراشقك الرماة كان شظيته من فرع ايك تسنمها النور  
الطاويات أعجوبة جمعت بين أضدادها تمنا فى خضوع وإباء فى خشوع وتعطفا فى قساوة  
وصلابة فى رخاوة اشباه أعناق الجمال طابقتها زمامها أضلاع انضاء توسطها سنامها كأن  
قرنيه صل انسلخ من اهابه فخلع عليه بعض ثيابه مضمار جمع بين الانسى والوحشى عاطل  
يرقل فى اللباس موشى وثنوى يغشى النار ولا يخشى العار موتور نشر أذنيه لدرك النار موتر  
أخذ فى الركوع وهو قائم خميص البطن يتلع ذراعا وهو صائم محذوب بلغ قاب قوسين  
فى الارتياض متششف ابلى طمره فى التذلل والانخفاض منقبض جمع للانزواء أطرافه  
مرابط يهز عند اللقاء أعطافه متحرج يعض على ناجذ التصبر فى الشدة والرخاوة من صاحبه  
طرفة عين مشى على الهواء فقل فى إن التقم مرسلا فنبذه بالعراء راعع أوآه يشكو وزره  
الذى أنقض ظهره يطوف على من مد إليه يد الاجتذاب قئول ولو أن السيف جواب مجرم  
ألزم طائره فى عنقه وعرض على النار لسوء خلقه وسوف يؤخذ بالنواصى والأقدام ويجزئ  
بما تحمله من الاوزار والحطام ويستنطق جلوده قسرا وقهرا فينطق بما يخفيه جهرا وأنى له  
التناوش من مكان بعيد وقد تمكن من حز رقبتة من هو أقرب إليه من حبل الوريد ناحل  
الصق بطنه بظهره حتى بدت للناظرين ذات صدره وغارت كلاء فى خصره لاستيلاء قوته  
الدافعة الهالكة على قونيه الجاذبة والماسكة وانقطاع حبل وريده عن شربانه وتجانفى جنبه  
عن مصرانه ثعبان إذا أنشط من عقاله أمن الناس عادية أفعاله جموح يعثر بالراكب معرqb  
تحمله المناكب ضرس شرس يتمطى ويتأوب لتمدد أعضائه متجرد يستظهر ويدل بأولاده

وأعقابه ظرف مظروفه يخالف الظرف هذا لا يقبل العدل وذا لا يقبل الصرف هيفاء منها  
مجدول وفروعها مفتول خصرها دقيق وقدها رشيق قوية العلياء محطوطة المطاء ناشرة  
اكتادها قب الكلى يضمها صاحبها إلى الصدر فتتكب عنه وتزور مزاج مطلق يودع  
صاحبه عند الاعتناق مكلف خلق فى كبد طموح لا يذعن إلا لمن عنده مديد مقبوض  
يقارب السريع ويفارقه عند التقطيع صحيح معلول ممدود فى العرض مقصور فى الطول  
قرناء أحصنت فرجها وأبعدت من نفسها زوجها محب ذو أناة تعود وأراد البنات غيور إذا  
لاقى بناته الاتراب زوى حاجبه للاضراب فيمسكه على هون أم يدسه فى التراب عرق من  
عروق الشريان إذا جسته البنان ينبض وله ضربان قوسه حين دائرة السوء يحيط بالأعداء  
متعصب ينشط للمنازعة بعد الاغراء دهرى أتى عليه قرن بعد قرن فانحنى مطاه لا يتصب  
إلا وجلى اليد متكاه وينشد إذا فتح فاه:

سلبت عظامى لحمها وتركتها      مجردة تحظى لديك وتحضر  
خذى بيدى ثم اكشفى الثوب تنظرى      ضنا جسدى لكنتى أتستر

عظامى إذا انتسب عصاى إذا انتصب مكاشح أولع بضرب غيره وربما رد كيدته فى  
نحره منحذب يظهر الحنو ويضم السوء من عصبته هى بالقوة بنو ميالة الاعطاف تسند  
العود إلى صدرها وتمكنه بين سحرها ونحرها وتدنى من الأسماع أوتارها فيضرب بها فتغنى  
فتغشى أسرارها قرنان يسمح بأزواجه على الأعداء ويقذف بنات صلبه بالنكراء غليظ الكبد  
يجفو أفلاذ كيدته ويشمئز من تحمل أعباء ولده فينفيه عن حجره ثم يحن على أثره فقيل له يا  
هذا أسوقا وشوقاً أجمعا:

حننت الى ربا ونفسك باعدت      مزارك من ربا وشعبا كما معا  
فما حسن أن تأتى الامر طائعا      وتجزع ان داعى الصباة أسمعا  
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى      على كبدى من خشية أن تصدعا

مشاجر مشجر النسب يطاوع من يمدد إليه بسبب غلظ يشمر الشوك دون الرطب  
منحنى الظهر حملة الحطب وثيقة جامعة لأسباب اللزوم والاحكام عرية عن النواقص  
مطوية على النفوذ والانبرام يتشبث بها عند الخطام متمرد كلما قيد الاستسلام بأسبابه نكص  
وارتد على أعقابه أمين غير مأمون على الودائع وكلما استودعته فهو ضائع ظلوم يقبل الأمانة  
بجهله ويؤدى ما قبل إلى غير أهله نافذ الامر ليس يعادل ثانى عطفه ليجادل مكبود يعالج  
بالكى مطالب يدافع باللى مسدد غير سديد جمع بين المد والتشديد قاتل له فى سهم

الفرائض نصيب يأخذ ما يأخذ بالتعصيب معشش أفراخ العقاب صرت عليه رجل الغراب  
متجلد لا يتضعضع لربب الدهر ولو رمى بقاصمة الظهر يساهمني في مكابد الشدائد  
ويسعد في النحنن على الأولاد والولائد:

لنا كل يوم رنة خلف ذاهب      ومستهلك بين النوى والنواب  
وقلعة إخوان كأننا وراءهم      نرامق أعجاز النجوم الغوارب  
منحنى الظهر يتوكأ على العصا فيلقبها فإذا هي حية تسعى مجاهد يرجى دهره بين شدة  
وراحة وكد واستراحة ولين ووقاحة وقبض وسماحة وهو بين ولي ظاهر وعدو مجاهر  
جذوب يميل إلى من يجذب بضبعه وينازع من خالفه بطبعه وان نحت من نبعه مفتت اذا  
أناه ابن السبيل فاغرا فاه أطعمه من عنده ثم ضرب قفاه وأبعده ونفاه جانية مختضبة سليطة  
دره عارية كأنها أفعى جارية رقيق فيه شدة بليد فيه حدة فاتفك تأبط شرا ملاعب الأسنة يقتل  
صبرا متلف مخلف وهارب لا يمسك سخى بما يملك لذى اليدين بذول كأنما عناه من  
يقول يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما محاكم يعاضد ذا اليدين على صاحب الرقبة مسترسل  
لا يبالي باقتحام العقبة حاجب غمرات الحاظه كالعين تدخل الرجل القبر مبذريده مغلولة  
إلى عنقه للحجر كوماء معقولة هوجاء مغلولة حاجب مقرون لا يوجد مثله في القرون  
كالحية الرقشاء مسها لين وخطبها غير هين نائم العين بصره حديد كالجمال الانف ينقاد اذا  
قيد شاحب محقوق سائق لا يستوقف بطل شد للموت حيازيمه وشحد للقاء العدو غرار  
العزيمة طائفة تنبو عن سرعة الأصحاب كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها  
ليذوقوا العذاب.

ومن آخر رسالة القوس للشيخ كمال الدين الأصفهاني شيخنا زين الدين بن العجمي  
محاجيا في لامة:

يا سيد الحجاج      سر المحاجة يكشف  
ما مثل قول المحاجي      للنهي والامر بالكف  
ومن انشاء القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر ومن الجواشن حسنه التسامي  
والتسامت لا يرى في حلق سمائها من تفاوت قد رفع بعضها فوق بعض درجات وبنيت  
أسوار الحفظ المهجات قد زينت سماؤها بزينة الكواكب وفاق غمامها المتراكم وراق  
موجها المتراكب كم أحسنت دفاع البؤس عن النفوس عدة وقوس وكم حنت حين حنت  
أضالها على الضلوع كم دخلت جنة جنتها بسلام وكم بدت كأنها طلع نضيد ولا عجب  
فإنها ذوات الاكمام.

كتب إلى الجناب المجدى فيما ينقش على طير:

لئن لحت طوراً كالهلال شكله      فلى من غبار النقع يا صاحى سما  
فإن لحت مثل البرق فى ساعة الوغى      نعمما قليل بعده تمطر الدما  
وله فيه:

ألا انظر إلى شكلى واتقان صنعنى      وروح عن بديع الحسن عنى مخبرا  
طلعت هلالاً فى سما البقع نيرا      بتقصير أعمار البغاة مبشرا



## الباب الحادى والأربعون

### في الكتب وجمعها وفضل اتخاذها ونفعها

قال ابن الخشاب ملغزا فيها:

بسر وذو الوجهين للسر يظهر  
فتسمعها ما دمت بالعين تنظر

وذى أوجه لكنه غير بايح  
يناجيك بالأسرار أسرار وجهه

وقال أبو زيد الدبوسى:

بزهرة الندامى وعز الصحاب  
وتم السرور بخود كعاب  
فكان الانيس لقلبي كتابى  
فظوفوا على بذاك الشراب  
سوى العلم جمعه للذهاب

إذا ما خلا الناس فى دورهم  
وأكل الطعام وشرب المدام  
خلوت وصحبي كتب العلوم  
ودرس العلوم شراب العقول  
ومن كان فى دهره جامعا

أبو النصر الفارابى:

وليس فى الصحبة انتفاع  
وكل رأس به صداع  
به من العسر اقنتاع  
لها على راحتى شعاع  
ومن قراقيرها سماع  
قد اقفرت منهم البقاع

لما رأيت الزمان تنكسا  
كل رئيس به ملال  
لزمت بيتى وصنت عرضا  
أشرب ممن اقتنتيت راحا  
لى من قواريرها ندامى  
وأجتتى من حديث قوم

غيره:

تسامرنى من غير عى ولا ضجر  
تخفف تكليفى وتقنع بالنظر

وما شغفى بالكتب إلا لانها  
وأحسن من ذا أنها فى صحابتي

ابن نباتة:

كرونق الحبات فى عقدها  
تموت بالهيبسة فى جلدتها

لله مجموع له رونق  
كادت مجاميع الوردى عنده

قال الجاحظ الكتاب وعاء مليء علما وحشى ظرفا وإناء شحن مزاحا وجدا ان شئت كان أعمى من باقل وإن شئت كان أبلغ من سحبان بن وائل وإن شئت ضحكت من نوادره وإن شئت اشجكت مواعظه والكتاب نعم الظهر والعمدة والكنز والعقدة ونعم الذخر والعمدة ونعم السنزهة والنشرة ونعم الشغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربية ونعم القرين في الرحيل ونعم الوزير والنزيل والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يغريك والرفيق الذي لا يملك والمستميج الذي سماحته لا تستزيدك وهو يعطيك بالليل طاعته وبالنهار يطلب العطاء ويفيد في السفر كإفادته في الحضر.

ثم قال فمتى رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تقلب في حجر ينطق عن الموتى وترجم كلام الأحياء ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاتك وبساكت ناطق وحاد بارد ومن لك بطبيب أعراي وبرومي هندي.

قال وسمعت حسن اللؤلؤي يقول عمرت أربعين عاما ولا بت ولا اتكأت الا والكتاب موضوع على صدرى وكان يقال انفاق الفضة على كتب الآداب يخلف عليك ذهاب الالباب.

وقرأ أبو الحسن بن طباطبا في بعض الكتب، الكتب حصون العقلاء إليها يلجئون ويساعتهم فيها يتزهون.

وقال بديع الزمان الهمداني ما رأيت جارا أبر ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحباً أظهر كفاءة ولا أقل خيانة ولا أزهدي في مال ولا أكف عن قتال من كتاب.

وقال الزمخشري ما رأيت قرينا أحسن موافاة ولا أعجل مكافاة ولا أخص معرفة ولا أخف مؤنة ولا أطول عمرا ولا أجمع أمرا ولا أطيّب ثمرا ولا أقرب مجتنى من كتاب.

وكتب ابن نباتة إلى بعض الأجلاء يستعيد كتابا في عاريتة ويسأل ارسال الكتاب الذي اشرفت بمولانا حروفه وأينعت في الأوراق قطوفه وأصبح لفظه الباسم، كما قال العباس يكون أجاباً دونكم فإذا انتهى وقد عزم المملوك على السفر حيث يجلى صدا الغياهب ويتسلم الغرب وديعة الشرق من در الكواكب ويستحب ذيل الفجر المجرور ويتلو لسانه على الاق سورة النور والله تعالى الخليفة على مجدد مولانا الغريب وفضله القريب وشخصه الذي لولاه في هذا البلد لم يلف بها غريب.

وكتب لشخص أهدي كتابا في فضائل الاعمال يقبل الباسطة لازالت بادية الاجمال

وأفية الكرم على ما في الآمال هادية مهديّة بما أولته من فضائل الأقوال وفضائل الأعمال وينهى ورود كتابيه اللذين ملأ بأكبر يديه وبالنور قلبه وعينيه ونعماء نظرا ومسمعا وأرياه القمرين في وقت معا فله مكاتبته التي جنت نسمايتها السحرية وغازلت عيون فضائلها السحرية وتضوعت حتى أرخصت الغوالي بنفحاتها الشجرية تركت والحسن يأخذه يتعمى منه ويتحب والله كتابه الذي جمع الأعجاز والأعجاب وجالس الملوك فكأنه المعنى بقول أبي الطيب:

\* وخير جليس في الأنام كتاب \*

ما أبهج عقوده المنسقة وما أحسن ما تدخل النواظر عذبا من أبوابه المتفرقة وما أجمع فصوله لحسن وإحسان وما أطيب أحاديثه عن جنان الخلد إذ طابت الأحاديث عن جنان لقد أضاء حتى حسبه مشارق الأنوار وتأمله فإذا عجائب الحسن من نفسه وطرسه في ليل ونهار وغنى فهو للطرف معنى وتلمح من فنون أفنائه الجنة صورة ومعنى فهذه الاسطر المبدعة أشجارها وهذه الألفاظ المتنوعة أزهارها وهذه الثمرات المرتفعة اطيبارها وهذه الطريق المترقرة بين السطور أنهارها وما كان المملوك قبله يحسب أن جنة تهدي في أوراق ولا أن حديقة تسير على البعد فتعرض على أحداق فشكر الله لمولانا هذه المنن الباهرة ونفع بهداياه التي تجمع للأولياء بين خيرى الدنيا والآخرة.

استعار الصنعاني كتابا «سفينة» من صاحب له فكتب إليه لما ردها على معيرها رأيت السفينة مشحونة علوما وصاحبها الحبر بحرا وكان من الرأى ردى إليه سفينته فهي بالبحر أحرى.

وعلى ذكر المجموع فما أحسن قول الحكيم موفق الدين المعروف بالورن:

الله أيامنا والشـمـل منتظم  
نظم به خاطر التفريق ما شعرا  
والهف نفسى على عيش ظفرت به  
قطعت مجموعة المختار مختصرا  
ابن الوردى فى شخص أخذ له كتبا ولم يرده:

إذا لم يرد فلان الكتاب  
ودافـعنى عنه بالباطل  
ندبت له قاضيا فاضلا  
وخلصت حقى بالفاضل  
ابن نياطة مع كتاب أهدها:

أرسلته نعم الجليس  
إذا تغـيـرت البشر  
يبقى على سنن الوفا  
أبدا ويتقنع بالنظر

وخبر جليس فى الآنام كتاب هو التديم الكريم والخذن الامين البرىء من الذنوب  
السليم من العيوب الذى إن أدنيته لم يباعدك وإن أقصيته لم يعاودك وإن واصلته حمدته وإن  
هاجرته أمنتته وإن استنطقته أسمعك وإن استكفيته أفتعك وإن استنكفته كف وإن استنقلته  
خف وإن دعوته لبك وإن استعفيته أعفاك لا يعصى لك أمرا ولا يحملك اصرا عرضك معه  
وافر وهو لسرك غير ناشر أنيق المنظر طيب المخير جميل المشاهد كثير المحامد يملأ  
العيون قررة والنفوس مسرة يضحك الحزين اللهف ولهى الغضبان الأسف يجتلب السرور  
ويشرح الصدور ويترد الهموم والأحزان وينفى بواعث الأشجان مجاورته أحسن مجاورة  
ومسامرته أحلى مسامرة ومجالسته أنفع مجالسة ومؤانسته أمتع مؤانسة فيه مدعاة إلى الطرب  
ومسلاة من الوصب وثعلة لذى الغرام وتلهية لقلب المستهام وأنس للمستوحش وورى  
للمتعطش وعمارة للمجالس وحلية للمؤانس تلقى القلوب محبتها عليه وتميل النفوس  
بكليتها إليه ليس بينه وبين حبات القلوب حجاب ولا يغلق بينه وبين سويداواتها باب.

كتب شيخنا زين الدين بن العجمى على مناسك قاضى القضاة بن جماعة:

ألفت يا أزكى الورى مناسكا      فقت بها من قبلكا  
قد وضحت لكل سار بهجة      ولم تدع للناقدين مدركا  
وقد نلت أحكامها على الورى      لكل أمة جعلنا منسكا

الديوان: الأصل الذى يرجع إليه ويعمل بما فيه قال ابن عباس: اذا سألتموني عن شيء  
من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب أى أصله ويقال دون هذا زى  
أثبه وأجعله أصلا وزعم بعضهم أن أصله أعجمى وذكره سيويه فى كتابه وقال: إن أصله  
دوان.

الدفتر: عربى لا يعلم له اشتقاق وحكى دفتر بالكسر ويقال أيضا دفتر وأما الكراسة  
فمعناها الكتب المضمومة بعضها إلى بعض والورق الذى الصق بعضه إلى بعض مشتق  
من قولهم رسم مكرسى إذا الصقت الريح التراب به كما قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا      قال نعم وأعرفه ملبسا

أبليس تحير ولم تكن له حجة وقال الخليل بن أحمد الكراسة من الكتب مأخوذة من  
أكراس الغنم وهى أن تبول فى الموضع شيئا بعد شيء فيقلبه.

شمس الدين العفيف كان عنده مجموع فطلبه منه بعض الرؤساء فأرسل إليه وكتب له:

يا أيها الصدر الذى وجه العلا      منه يزان بمنظر مطبوع  
لا تعتقد قلبى بحبك وحده      هاقد بعثت لسيدى مجموعى

اجتمع لسيف الدولة بن حمدان ما لم يجتمع لغيره من الملوك كان خطيبه بين نباتة الفارقي ومعلمه ابن خالويه ومطربه الفارابي وطباخه كشاجم وخزان كتبه الخالديان والصنوبري ومداحه المتنبي والسلامي والوأواء الدمشقي والسفهاء والناسي وابن نباتة السعدى والصنوبري وغير ذلك.

قال مجير الدين بن تميم فيما يكتب على خزانة كتب:

انظر إلى ترى في صورتى عجبا  
وفيه من كل فن غير أن له  
ولله:

يا حسنها نسخة يلهو مطالعها  
صحت وقد لظفت في حجمها فحكت  
ولبعضهم:

ان مجموعى البديع لحدى  
واذا لم أعره ليس عجيب

قلت ولا بأس بايراد نبذة من التورية بأسماء الكتب فمن ذلك تقول بعضهم:  
يا ساتلى من بعدهم عن حالتي  
حالى اذا حدثت لا لمعا ولا  
عبد حوى بدر الفصيح منكدا  
القلب ليس من الصحاح فيرتجى

ومنه للشيخ أبى عبد الله بن جابر المغربى نزيل دمشق المحروسة:

عرائس مدحى كم أتين لغيره  
نوادير أدابى ذخيرة ماجد  
مطالعها هن المشارق للعلى  
رسالة مدحى فيك واضحة ولى  
فيا منتهى سؤلى ومحصول غايتى

وقد اشتملت هذه الأبيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهى العرائس للثعالبي والنوادير لآبى على القالى وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذى والنكت لعبد الحق الصقلى وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للمقاضى عياض وغيره والقلائد لابن خاقان وغيره وورصف المبانى فى حروف المعانى للاستاذ ابن عبد النور كتاب

لم يصنف مثله في فنه والرسالة لابن أبي زيد ولغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكري وغيره والجواهر لابن شاش وغيره والتهذيب في اختصار المدونة وغيره والتنبية لأبي إسحاق وغيره ومنتهى السؤال لابن الحاجب والمحصول للإمام والغاية للنووي وغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفي للغزالي وغيره تم ذلك.

ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب:

ولما رأت عزمي حثيثا على السرى      وقد رابها صبرى على موقف البين  
أنت بصحاح الجوهري عيونها      فعارضت من دمعي بمختصر العين  
ولما أنشدتهما لشيخنا العلامة أفضى      القضاة بدر الدين الدماميني أسبغ الله ظلاله  
أنشدني ولم يسم قائله:

في نصف الاستذكار أعطيته      مختصر العين فأرضاه  
قلت هما لابن شعيب المغربي والأول منهما:  
وبائع للكتب يتاعها      بأرخص السمر وأغلاه  
مأمون بن مأمون خوارزم سمع يقول همنى كتاب أنظر فيه وحبيب أنظر إليه وكريم  
أنظر إليه.

نادوة: مر العلم بن الصاحب بن شكر المعروف بالاجوبة على بعض الأكابر من  
المصريين ومعه كتاب مجلد فقال له شيخ العلم أرني أنظر في كتابك هذا فقال لم يكن  
الذين كفروا من أهل الكتاب.

استعار الصدر تاج الدين أحمد بن سعيد بن الاثير الكاتب مجموعا من مجاهد الدين  
ابن شقير وأطال مطله فانفق أن حضر يوما إلى ديوان المكاتبات فقال ابن الاثير: كيف أنت  
يا مجاهد الدين والله قلبى عندك وخاطرى عليك، فقال وأنا والله مجموعى عندك فطرب  
لهما الحاضرون.

قال الفاضل كل كراسة لا يخرم أنفها ولا يكون الجلد دفها عرضة للضياح وما مكانها  
من الخزانة الا مسترق الوداع لالصفدى:

ملككت كتابا أخلق الدهر جلده      وما أحد في دهر بمخلد  
إذا نظرت كنى الجديدة جلده      يقولون لا تهلك أسى وتجلد  
كتب سيدى وأخى القاضى شهاب الدين بن حجر سامحه الله على جزأى تذكرتى التى  
سميتها ثمرات الاوراق:

نظرت لما سطرته من مجامع      لها الفضل إذا راقبت محاسنها تعزى

ولم يكف طرفى منه جزء ولا اجزا

وقد لذ منها ما كتبت بخاطرى

ابن نباتة:

فقال ما هذا المليح عندك

رب مليح راى كتابا

غيب والا سلخت جلدك

فقلت فى الحال يا كتابى

ووجدت على ظهر كتاب هذا البيت:

بأن تتلقى بالقبول وان تقرى

وما الكتب الا كالضيوف وحقها

ابن الوردى وكتبها على كتاب الشمائل للترمذى:

ما أطف هذه الشمائل

يا أشرف مرسل كريم

كالغصن مع النسيم مائل

من يسمع لفظها تراه



## الباب الثاني والأربعون في الخيل والدواب ونفعها

قيل: أول من اتخذ الخيل وركبها اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكان داود وسليمان عليهما السلام يبحان الخيل وورث سليمان عن أبيه ألف فرس، وكان للنبي ﷺ فرس يقال له السكب.

**نادوة:** كانت مغنية عند رجل فلما أرادت الانصراف قال اسرجوا لها الأشهب فقالت لا أريده هو يمشى إلى خلف قال لها فحولى ذنبه إلى ناحية بيتكم.

القول في طبائع الفرس: وإنما بدأت به لأنه قريب من الاعتدال الخالص وأحسن ذوات الأربع صورة وأفضل من سائرهما وأشبهها بالإنسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة وتزعم العرب أنه كان وحشيا وأول من ذلل صعبه وركبه اسماعيل عليه السلام وهو جنسان عتيق وهو المسمى فرسا وهجين وهو المسمى برذونا والفرق بينهما أن عظم البرذون أحسن من عظم الفرس وعظم الفرس أصلب وأثقل من عظم البرذون والبرذون أحمل من الفرس والفرس أسرع من البرذون والعتيقي بمنزلة الغزال والبرذون بمنزلة الشاة ولكل واحد منهما نفس تليق به وآلات مناسبة له وفي طبع الفرس الزهو والخيلاء والعجب والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه ومن أخلاقه الدالة على كرمه شرف نفسه ومن شرفها أنه لا يأكل بقية عليق غيره وعلو همته كما حكى المؤرخون أن أشقر مروان كان سائسه لا يدخل عليه إلا باذن يحرك له المخلاة فإن حمحم دخل وإن دخل ولم يحمحم شد عليه وناهيك بهذا الخلق في علو الهمة والأنثى من الخيل ذات شبق شديد ولشدة شبقها تطيع الفحل من غير نوعها ويقال إنه متى اشتد شبقها وقص من عرفها سكن عنها والذكر يشتد به الشبق ويزيد حتى يؤثر أن يأتي لفرط شهوته وقصور آتته عن الوفاء بتسكين ما يجد وربما اقتتل الفحلان بسبب الأنثى حتى تكون لمن يغلب منهما ويقال إن الإناث تمتلئ في أوان السفاد ربحل وإذا أصابتها هذه الآفة ركض بها ركضا شديدا متتابعا، ولا يؤخذ بها إلى الشرق ولا إلى الغرب بل إلى الشمال والجنوب حتى يخرج من أرحامها بشيء كما يخرج عند ولادتها وهي في زمان السفاد تطأطيء برءوسها وتحرك أذناها ويسيل

من قبلها شىء يشبه المنى غير أنه رقيق وإذا تودقت الرمكة فأفرطت وكان بها هزال أو ضعف من علة ولم يمكن أن تبرأ علتها لتلك أنزى عليها بغل لأنه لا يلحقها وهو يبلغ أقصى شفاؤها وغاية شهوتها بالذى معه من الطول والغلظ فيسكن ذاك عنها، والذكر يكون مع ثلاث إناث وأكثر وإذا دنا ذكر آخر من الأنثى التى اختارها قاتله وطرده والطمث يعرض للإناث لكنه أقل من طمث النساء والذكر ينزو إذا تمت له ستتان وكذلك الإناث والإناث تحمل أحد عشر شهرا وتضع فى الثانى عشر وهى تضع ولدا واحدا وربما وضعت فى النادر اثنين والذكر ينزو إلى تمام أربعين سنة وربما عمر إلى تسعين سنة والأنثى تأنف من نزو الحمار عليها فإذا أريد ذلك منها أخذت بعرفها فتذل وتستكين وكذلك الفحل يأنف أن ينزو على أخته وعلى أمه ولقد حكى أنه أريد أن يحمل على رمكة ولد لها يريدون بذلك العتق فأنف فلما سترت بثوب نزا عليها فلما رفع الثوب ورآها من محضر ألقى نفسه فى بعض الأودية فهلك، والخيل قد ترى الأحلام وتحتلم كبنى آدم وذلك لفرط الشهوة فيها ومتى ضلت الانثى أو هلكت وكان لها فلو أرضعته الإناث وربته وإذا لم يكن فيها ما يرضع عطف عليه العواقر وتعاهدته ولكنه يهلك إذ ليس فيها لبن وربما ضل الفلو عن أمه فوضع من غيرها فإذا فعل ذلك ماتت أمه، ويعتري الفرس داء شبيه بالكلب وعلامته استرخا أذنيه إلى ناحية عرفه وامتاعه من العلف وليس لهذا الداء علاج الا السكين، وفى طبع الفرس أنه لا يشرب الماء الا كدرا حتى أنه يرد الماء وهو صاف فيضرب بيده حتى يكدره ويبين عكره وربما ورد الماء الصافى وهو عطشان فيرى فيه خيالا له ولغيره فيتحاماه ويأباه وذلك لفرزه مما يراه ويوصف بحدة البصر حتى أن بعض المغالين فيه يقول لو أجرى فرس من شوط بعيد فى يوم ضباب واعترضت بين يديه شعره لتوقف عندها ولم يتعدها وفى طبعه أنه إذا وطئ على أثر الذئب حذرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك وخرج الدخان من جلده وإذا وطته الحامل منها ازلفت.

**فصل:** والعلامات الجامعة للنجابة فى الفرس ما ذكره أبوب بن الفريه وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل فقال: القصير الثلاث الصافى الثلاث الطويل الثلاث الرحيب الثلاث، فقال صفهن فقال: أما الثلاث الصافية فالعينان والأديم والحوافر، وأما الثلاث القصار: فالعسيب والساق والظهر، وأما الثلاث الطوال: فالأنف والعنق والذراع، وأما الثلاث الرحبة: فالجوف والمنخر والجهة.

ومما قيل فيه قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي:

ومجرر في الأرض ذيل عسيبه      حمل الزبرجد منه جسم عقيق  
يجرى فلمع البرق في آثاره      من كثرة الكبوات غير مفيق  
ويكاد يجرى سرعة من ظله      لو كان يرغب في فراق رفيق

القول في طبائع البغل قال أصحاب الكلام البغل حيوان مركب من الفرس والحمار ومتولد من فساد منيهما ولما كان ممتزجا بينهما صار له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل وكذا سحيحه مولد بين نهيق الحمار وصهيل الفرس، وقال الجاحظ: البغل يخرج بين حيوانين بلدان مثلهما ويعيش نتاجهما ويبقى بقاءهما وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقرة وهو أطول عمرا من أبويه وأصبر على الأفعال من طرفيه كابن المذكرة من النساء و المؤنث من الرجال فإنه يكون نتاجهما أخصب من البغل وأفسد اعراقا من السبع وأكثر عيوباً من الشعبان وشر الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادة والأخلاق المتعادية والعناصر المتباعدة ويقال إن أول من أنتجها قارون وقيل أفريدون ومن أخلاقه الالف لكل دابة ويذكر بالهداية في كل طريق يسلكه مرة واحدة ويقول أصحاب الكلام في الطبائع أن أبوال إناث الأبال تنقى لأجسادها كما تنقى النساء بدم الطمث.

محائل النجابة في هذا النوع: قال بعضهم إذا اشترت بغلة فاشترها طويلة العنق تجده في نجابتها مشرقة الهادي تجده في طباعها مجفرة الجوف تجده في صدرها، والاحسن في مدحها قول عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب جواباً لصفوان بن عمرو بن الاهتم وقد أنكر عليه ركوب البغل قال: تطأطأت عن خيلاء الخيل وارتفعت عن ذلة العير وخير الأمور أوسطها، ويقال كم في السواحيج من أسحج الخدين شهير الحدين شؤمه شؤم العناق ويومه شهر لذوات الأعناق راكمه يركب أبدا وطيا وتحسبه وهو يمر مر السحاب طيا، والاناث منها أحمد أثرا ولذلك قيل: عليك بالبغلة دون البغل فإنها جامعة للشمل مركب قاض وإمام عدل وعالم وسيد وكهل تصلح للرحل وغير الرحل.

وساير عبد الحميد مروان بن محمد الجعدي على بغلة فقال له طالت صحبة هذه الدابة لك فقال يا أمير المؤمنين من بركة الدواب طول صحبتها، فقال صفها فقال: همها أمامها وسوطها زمامها وما ضربت قط إلا ظلماً.

القول في طبائع الحمار الاهلي: قال المتكلمون في طبائع الحيوان ليس في الحيوان شيء ينزو في غير نوعه ويلقح ويأتي فيه شبهه إلا الحمار وهو ينزو إذا مضى له ثلاثون شهرا

ولا يولد له قبل أن يتم ثلاث سنين ونصف قالوا وهذا النوع صنفان: صنف عاس حاس وهو يصلح لحمل الاثقال، والآخر لدن دمت أحر وإيس من نفس الفرس فتراه كثير الشغب والحركة بمنزلة النار المتوقدة التى لا يهدأ اضطرابها فهذا يصلح أن يرفه للركوب فى قضاء الأوطار والحاجات وأجود الحمر المصرية وأهلها يعتنون بتربيتها والقيام عليها لما يجدونه من الفراهة وسرعة الحصر والنجابة ويبالغون فى أثمانها بحسب فراهيتها حتى بيع منها فى بعض السنين حمار بمائة دينار وعشرة دنائير فقد كان صاحبه يسمع أذان المغرب بالقاهرة فيركب ويسوقه فيلحقها بمصر وبينهما ثلاث أميال، ومن عادة الحمار أنه إذا شم رائحة الأسد رمى بنفسه عليه من شدة خوفه له يريد بذلك الفرار منه قال حبيب بن أوس الطائى فى أبيات يخاطب بها عبد الصمد بن المعدل وقد هجاه حيث يقول:

أقدمت ويلك من هجوى على خطر كالعبر يقدم من خوف على الأسد

ويوصف بالهداية لأنه لا يضل عن طريق سلكه ولو مرة واحدة ولا يخطئه فإن ضل راكبه هداه إلى طريق وحمله على المحجة وربما غاب عن الموضع الذى كان فيه السنين العديدة فاذا مر بالزقاق الذى فيه الموضع دخله وربما سرق فتكون معرفته للموضع عوناً لصاحبه على معرفة من سرقه، ويوصف بحدة حاسة السمع بحيث انه ينذر راكبه بما يتوقع خوفه فيحذر منه وإن بعد مثواه، وهذا الحيوان يحس بالبرد ويؤذبه أكثر من غيره ولهذا لا يوجد فى بلاد موغلة فى الشمال وبلاد الصقالبة ويعتريه داء الدماغ كالزكام يعرض له البرد فى دماغه ويسيل من منخره بلغم كثير حار فان انحط الى الرئة مات والطريق العجيب انه اذا نهق أضر بالكلب حتى يقال ان أهون نهيقه يحدث بالكلب مغسا فلذلك يطول بناحه:

طريقتان رأيت ألا أتركهما لأنهما أعجوبتان:

إحدهما: أنى ركبت حماراً من مصر إلى القاهرة فلما كنت فى أثناء الطريق حادى عن السكة فجهدت أن أردّه فلم أطق حتى انتهى الى جدار بستان فوقف وبال وعاد إلى الطريق، وكذا جرى لى مع حمارين آخرين.

والأخرى: انه كان عندنا رجل بمصر يضرب حلقة على حمار قد علمه وكان يجمع له عدة مناديل من المتفرجين عليه ويلقيها على ظهره ويأمر بان يعطى كل منديل لصاحبه فيدور فى الحلقة ولا يقف إلا على من له فى ظهره منديل فإن أخذه ذهب عنه وإن أخذ غيره لا يذهب ولو ضربه مائة ضربة ويأخذ الخاتم من أصبع الرجل ويسأله عن وزنه ويقول له كم وزن الخاتم فان كان وزنه درهما مشى خطوة واحدة وان كان درهما ونصفاً مشى خطوة ونصفاً وان كان أكثر من ذلك فبحسابه، وبينما هو واقف إذ قال له شخص الوالى يسخر

الحمير فما تم كلامه إلا وقد ألقى بنفسه على الأرض ونفخ بطنه وقطع نفسه كأنه ميت منذ زمان، ثم قال له بعد ذلك ما بقيت سخرة فنهض قائماً ذكر ذلك صاحب المباحج.  
ما قيل فيه من الأوصاف:

قال أبو العيناء لبعض سماسرة الحمير: اشتر لي حماراً لا بالطويل اللالحق ولا بالقصير اللاصق إن خلا الطريق تدفق وإن كثر الزحام ترفق لا يصادم بي السوارى ولا يدخل بي تحت البوارى إن أكثرت علفه شكر وإن أقلته صبر وإن ركبته هام وإن ركبه غيرى نام فقال له: إن مسخ الله بعض قضائنا حماراً أصبت حاجتك وإلا فليست موجودة.

وقال شيب بن شبة لقيت خالد بن صفوان على حمار فقلت له: يا صفوان أين أنت عن الخيل؟ فقال تلك تلك للطلب والهرب ولست طالبا ولا هاربا، قلت فأين أنت عن البغال؟ فقال تلك للانزال والانتقال ولست ذا نزل ولا ثقل، قلت فأين أنت عن البراذين؟ قال تلك للمعدين والمسرعين ولست معدا ولا مسرعا، قلت فما تصنع بحمارك؟ قال أدب عليه ديبا وأقرب عليه تقريبا وأزور إذا شئت عليه حبيبا، ثم لقيته بعد ذلك على فرس فقلت له يا صفوان ما فعلت بالحمار؟ قال بش الدابة إن أرسلته ولى وإن استوقفته أدلى قليل القوة كثير الروث بطيء عن الغارة سريع إلى الغرارة لا ينكح به النسا ولا ترقى به الدما.

ويروى أن سليمان بن علي رآه على حمار فقال له زين الخيل يا أبا صفوان فقال الخيل للجمال والبغال للأنثقال والإبل للأحمال والحمير للإمهال، وقال جرير بن عبد الحميد لا تركب الحمار فإنه إن كان حديدا أتعب بدنك وإن كان بليدا أتعب رجليك .

ومما قيل فيه قول أحمد بن أبي طاهر:

شبة كأن الشمس فيها أشرفت	وأضاء فيها البدر عند تمامه
وكأنه من تحت راكبه إذا	ما لاح برق لاح تحت غمامه
ظهر كمجرى الماء لين ركوبه	في حالتي أتعابه وحمامه
سفهت يده على الثرى فتلاعبت	في حزنه وسهوله وإكامه
عن حافر كالصخر إلا أنه	أقوى وأصلب منه في استحكامه
ما الخيزران إذا انثنت أعطافه	في لين معطفه ولين عظامه
فكأنه بالريح منتقل وما	جرت الرياح كجريه ودوامه
أخذ المحاسن آمنا من عيبه	وحوى الكمال مبرا من ذامه

الجزار يصفه بالبلادة والمعجز:

هذا حمارى فى الحمير حمار      فى كل خطوة كبوة وعشار  
قنطار تبى فى حشاه شعيرة      وشعيرة فى ظهره قنطار

القول فى طبائع الإبل: وهذا النوع ثلاثة أصناف: عرابى وىمنى ونجيبى فالىمنى هو النجيب ويتنزل منها منزلة العتيق من الخيل والعرابى كالبرذون والنجيبى كالبغل ويقال النجيب ضأن الإبل وهى متولدة من فاسد منى العرابى فقط فان منى النجب منجب فكأنه حصل له نصف البغل فأما النجيب فزعم من حكى عن الجاحظ قوله: إن فى الإبل ما هو وحشى وأنه يسكن أرض وبار وهى غير مسكونة وقالوا ربما بدا الجمل فى الهياج فيحمله ما يعرض له على أن يأتى أرض عمان فيضرب فى أذنى ما هجمه من الإبل فالمهريه من ذلك التناج وتسمى الإبل الوحشية الحوسـ ويقولون إنها بقايا إبل عاد وشمود ومن أهلكه الله تعالى من العرب العاربة والمهريه منسوبة الى مهرة قبيلة باليمن وهى لا يعد لها شىء فى سرعة عدوها يعلقونها بسمك يصاد فى بحر عمان يصاد ويقدد، وأما النجيب فمنها ما يرهون مثل البراذين ومنها ما يجمزم جمزا ويرقل ارقالا والجمزم فى الإبل كالخبب فى الخيل.

وحكى أبو هلال العسكري فى كتاب الأوائل إن أول من رىضت له الإبل على الحمير أـ جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور لما حجت، وقال الجاحظ اذا ضربت الفوائح فى العرب جاءت بالجوامر والنجب الكريمة وفى البخت ما له سنامان فى ظهره كالسراج ولبعضه سنامان فى عرض ظهرها أحدهما فى ذات اليمين والآخر فى ذات الشمال وتسمى الخراسانية وقد يشق عن سنام البعير ويكشط جلده ثم يجتث من أصله ويعاد على موضعه الجلد فيلتح عليه ويؤخذ السنام فيؤكل كما يفعل بعض الناس ذلك بالكباش اذا عظمت إياها وعجزت عن النهوض فيقطعونها، ويقول أصحاب السير لطبائع الحيوان: إنه ليس لشىء من الفحول مثل للجمال عند الهياج من الارباد وسوء الخلق وهجران المرعى وترك الماء حتى ينضم ابطاه ورأسه ويكون كذلك الأيام الكثيرة وهو فى هذا الوقت لا يدع إنسانا ولا جملا يدنو منه ولو حمل على ظهره حينئذ، مع امتناعه شهرا من الطعام ثلاثة أضعاف حملة لحملة وهو لا ينزو إلا مرة واحدة يقيم فيها النهار أجمع ينزل فيها مرارا كثيرة يجىء منها ولد واحد ويخلو فى البرارى حال النزو ولا يدنو منه غير راعيه الملازم وذكره صلب جداً لأنه من عصب، والأنثى تحمل اثني عشر شهرا وتلقح اذا مضى عليها ثلاث سنين وكذلك الذكر ينزو فى هذه المدة ولا ينزو عليها إلا بعد

أن تضع بسنة وفيه من كرم الطباع انه لا ينزو على أمهاته ولا إخوته ومتى حمل على أن يفعل  
 حقد على من ألزمه ذلك إلى أن يقتله.

وحكى أن جملاً احتيل عليه بتغيير صورة أمه حتى نزا عليها ثم عرفها عند فراغه فألقى  
 نفسه من شاهق حتى مات وليس فى الحيوان من يحقد حقه وانه يترصده من حقد عليه  
 الفرصة والخلوة لينتقم منه فاذا أصاب ذلك لم يبق عليه، وفى طبعه الاهتداء إلى الطريق  
 التى اعتاد سلوكها لا يضل فيها ليلاً ولا نهاراً والعرب تضرب به المثل فى ذلك فيقولون  
 أهدي من جمل، والغيرة والصولة والصبر على الحمل الثقيل وعن الماء الزمن الطويل  
 الخمسة أيام والسته والعشرة اذا كان الزمان ربيعاً، والعرب تسمى الأيام التى ترد فيها الإبل  
 الخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر وكلها بالكسر ويقال إن البعير اذا صعب  
 وخافته رعاته استعانوا عليه فتركوه وعقلوه حتى يلومه فحل آخر فاذا فعل به ذلك ذل والإبل  
 تميل إلى شرب الماء الكدر الغليظ وهو الماء النмир فهى أبداً اذا وردت مياه الأنهار  
 حركتها بأرجلها حتى تتكدر وهى عشاق الشمس فلهذا ترى أبداً تصوب إليها فى أى جهة  
 كانت من المشرق أو المغرب.

ومن عجيب ما ذهبت إليه العرب فى الإبل إذا كثرت فبلغت الألف فقتلوا عين الفحل  
 فان زادت على الألف فقتلوا عينه الأخرى ويزعمون أن ذلك يطرد العين عنها، ومما قيل فيها  
 قول بعضهم لم تخلق نعم خير من الإبل إن حملت أثقلت وإن سارت أبعدت وإن حلبت  
 أروت وإن نحررت أشبعت.

الشيخ عز الدين الموصلى فى حادى:

لحظتته بالمنظر المرير حاد لنا كالشادن الريب

يا رب سلمها من الدبيب فقال فى السكره عند نومه

وعلى ذكر الحادى قال الشيخ شمس الدين بن الصائغ أحسن ما سمعته من الحداة

يحدون به جمالهم فى طريق الحجاز قولهم:

ينسى الذى ينسأك نوم العين يا خودان طال المدى تنسينى

وآخر يقول:

إلا رقادا كرقاد الأرمد كم ليلة سهرتها لم أرقد

القاضى الفاضل فى وصف الخيل:

فان حررت للركض فهى جنائبه جنائب فى بحر المعجاج سفائن

أنامل فى عمر العدو تحاسبه وقد خفقت راياته فكأنها

وله من قصيدة:

لها غرر يستضحك النصر وجهها ففتهم منها العين معنى البشائر

وقال النبي ﷺ: «بطونها كنز وظهورها حرز وأصحابها معونون عليها.

صفة جيات الخيل: سأل معاوية من صعصعة بن صوجان أى الخيل أفضل؟ فقال الطويل الثلاث، القصير الثلاث، العريض الثلاث، الصافى الثلاث، فقال فرس لنا قال أما الطويل الثلاث: فالأذن والعنق والحزام وأما القصير الثلاث: فالصلب والعيب والقضيب وأما العريض الثلاث: فالجبهة والنحر والورك وأما الصافى الثلاث: فالأديم والعين والحافر، كان محمد ابن السائب الكلبي يحدث إن الصافيات الجيات المعروضة على سليمان بن داود كانت ألف فرس ورثها عن أبيه فلما عرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب فعرقبها إلا فرسا لم تعرض عليه فوفد عليه قوم من الازد وكانوا أصهاره فلما فرغوا من حوائجهم قالوا: يا نبي الله إن أرضنا شاسعة فزودنا زادا يبلغنا فأعطاهم فرسا من تلك الخيل، وقال فاذا نزلت منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا فانكم لا ترون ناركم حتى يأتيكم بطعام فساروا بالفرس فكانوا لا ينزلون منزلا إلا ركبهم أحدهم للقنص ولا يفلت شيء تقع عينه عليه من ظبي أو بقرة أو حمارة إلى أن قدموا بلدهم فقالوا ما لفرسنا هذا اسم إلا زاد الراكب فسموه زاد الراكب فأصل فحول العرب من نتاجه، وطلب البحترى الشاعر من سعيد بن حميد الكاتب فرسا فوصف له انواعا من الخيل فى شعره فقال:

لاكلفن العيس أبعد همة	يجرى إليها خائف أو مرتجى
والى سراة بنى حميد أنهم	أمسوا كواكب أشرفت فى مدحج
والبيت لولا أن فيه فضيلة	تعلو البيوت بفضلها لم يحجج
فأعن على غزو العدو بمنظو	أحشاؤه طي الرشا المتدرج
أما بأشقر ساطع أغشى الوغى	بمثل الكوكب المنأجج
متسربل شية طلت أعطافه	بدم فما تلقاه غير مخرج
أو أدهم صافى الأديم كأنه	تحت الكمي مطهر بالنبرج
صرم يهيج السوط من شؤبويه	هيج الجنائب من حريق العرفج
خفقت مواطى وقعه فكلونه	يجرى برملة عالج لم يرمج
أو اشهب يقق يضئ وراءه	متن كمتن اللجة المترجرج
يخفى الحجول ولو بلغن لبانة	فى أبيض متائق كالدملج
أوفى بعرف أسود متعرف	فيما يليه وحافر فيروزجى

أو أبلق يملأ العيون إذا بدا  
 جذلان تحسده الجياد إذا مشى  
 وعريض أعلا المتن لو عليته  
 خاضت قوائمه القويم بناؤها  
 ولانت أبعد فى السماحة همة  
 من كل لون معجب بنموذج  
 عنقا بأحسن حيلة لم تنسج  
 بالزبيق المنهال لم يتدحرج  
 أمواج بجنيب بهن مدرج  
 من ان يضمن بملجم أو مسرج

**نادرة:** ذكرها أبو حيان التوحيدى فى الامتناع والمؤانسة قال الاصمعى مر اعرابى على قوم وهم على ماء لهم فقال: من رأى جملا أحمر بعنقه غلاط وفى أنفه خزيمة يتبعه بكرتان سمران عهد العاهد به عند البئر؟ فجعل القوم يقولون حفظ الله علينا وجمع عليك لا والله ما أحسننا وجويرية على حوض لها تندر وهى تقول لاجمع الله عليك يا فاسق فقالوا ما تريد من الرجل، قالت إنما ينشد سوائيه قال فتبعته فقلت له يا هذا ما تشد قال ابرى وخصيتى.

**نادرة:** اشترى رجل من رجل بردونا فقال له المشتري سألتك بالله هل فيه عيب قال لا الا أن فيه قليل مشمش كأنه سفرجله وقليل جرد كأنه قنابة وكليل دبر كأنه بطيخة، فقال له المشتري يا بن الفاعلة جئنا نشترى منك بردونا أو بستانا.

قال المدائنى كان ابن أبى هريرة يساير سنان بن مكمل النميرى فتقدمت بغلة النميرى ابن هبيرة فقال غض من بغلتك فالتفت اليه النميرى وقال أصلح الله الأمير إنها مكتوبة وإنما أراد ابن هبيرة قول الشاعر:

فغض الطرف انك من نمير  
 فلا كعبا بلنت ولا كلابا  
 وأراد النميرى قول سالم بن دارة من بنى فزارة:

لا تأمنن فزاريا خلوت به  
 على قلو صك وأكتبها باسبار  
 وكتب الوهرانى على لسان بغلته إلى الأمير عز الدين موسك المملوكة ريحانة بغلة الوهرانى يقبل الأرض بين يدي الأمير عز الدين حسام أمير المؤمنين نجاه الله من حر السمير وعطر بذكره قوافل العير ورزقه من القرظ والتبن والشعير وسق مائة ألف بعير واستجاب فيه صالح أدعية الجم الغفير من الخيل والبغال والحمير، ونهى إليه ما نقاسيه من مواصلة الصيام وسوء القيام والتعب فى الليل والناس نيام، قد أشرفت مملوكته على التلف وصاحبها لا يحتمل الكلف ولا يوافق بالخلف ولا يقول بالعلف لأنه فى بيته مثل المسك والعنبر والاطريفل الأكبر أقل من الأمانة فى الاقباط والعقل فى رأس قاضى سنباط فشعيرة

أبعد من الشعرى العيور ولا وصول اليه ولا عبور وقراطه أعز من قرط مارية لا يخرجها صدقة ولا هبة ولا عارية والتبن أحب إليه من الابن والجلبان أعز من دهن البان والقصيم بمنزلة الدر النظيم والقضة أجمل من سبائك الفضة وأما الفول فمن دونه ألف باب مقفول فما يهون عليه ان يعلف الدواب إلا بعيون الآداب والفقه اللباب والسؤال والجواب وما عند الله من الثواب ومعلوم يا سيدي أن البهائم لا توصف بالحلوم ولا تعيش بسماع العلوم ولا تطرب إلى شعر أبي تمام ولا تعرف الحرث بن همام ولا سيما البغال التي تشتغل في جميع الاشغال شبكة من الفصيل أحب إليها من كتاب التحصيل وقفة من الدريس أشهى إليها من فقه ابن ادريس لو أكل البغل كتاب المقامات مات وإن لم يجد إلا كتاب الرضاع ضاع وإن قيل له أنت هالك إن لم تأكل موطأ مالك ما قبل ذلك وكذلك الجمل لا يتغذى بشرح أبيات الجمل وحزمة من الكلاء أحب إليه من شعر أبي العلاء وليس عنده طيب شعر أبي الطيب وأما الخيل فلا تطرب إلا لسماع الكيل وإذا أكلت كتاب الذيل ماتت في النهار قبل الليل والويل لها ثم الويل ولا تستغنى الاكاديش عن الحشيش وكل ما فى الحماسة من شعر أبي الحريش واذا أطعمت الحمار شعر ابن عمار حل به الدمار وأصبح منفوخا كالطبل على باب الاصطبل وبعد هذا كله فقد راح صاحبها الى العلاف وعرض عليه مسائل الخلاف فطلب من تبته خمس قفاف فقام اليه بالخفاف يخاطبه بالشعر وفسر عليه آية التعبير وطلب منه وربة شعير فحمل على عياله ألف بعير فانصرف الشيخ منكسر القلب مغتاظا من الثلب وهو أنحس من ابن بنت الكلب فالتقت الي المسكينة وقد سلبه الغيظ ثوب المسكينة وقال لها إن شئت أن تكدى فكدى لا ذقت شعيرا ما دمت عندى فبقيت المملوكة حائرة لا قائمة ولا نائرة فقال لها العلاف لا تجزعى من خباله ولا تلتفتى على سباله ولا تنظرى الى نفقته ولا يكون عندك أخس من عنفقته هذا الامير عز الدين سيف أمير المؤمنين عز المجاهدين أندى من الثمام وأمضى من الحسام وأبهى من البدر ليلة التمام يرثى للمحروب ويفرج عن المكروب وهو من بنى أيوب ولا يرد قائلاً ولا يخيب سائلاً فلما سمعت المملوكة هذا الكلام جذبت الزمام ورفضت الغلام وقطعت اللجام وشقت الزحام حتى طرحت خدها على الاقدام ورأبك العالى والسلام.

ذكر القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والظرف انه لما مات أحمد بن طوارى ترك فى بيت ماله عينا عشرة آلاف دينار، فبصره حاصله ألفى ألف وسبعمائة ألف درهم

سوى ما كان مودعاً عند حميد الطويل وهو ألف دينار سوى ما حمل إلى المعتمد فى أربع سنين أولهن سنة اثنين وستين ومائتين ما نفدت به الفاتح لم يظهر بعضه وهو ألفا ألف ومائتا ألف دينار، وكان له أربعة وعشرون ألف غلام مملوكا، وخمسة وعشرون ألف أسود، وتطبق جريدته على سبعة آلاف حر مسترزق، وخلف من الخيل الميدانية سبعة آلاف رأس وثلثمائة وثلثين رأسا، ومن البغال ستمائة بغل، ومن الجمال ألفين ومائة جمل، ومائة مركب حرية، ومن الدواب المركوب مائة ألف وثلثين دابة وكان خراج مصر فى السنة التى مات فيها أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار مع ما يضاف إليها من ضياع الأمراء بالحضرة وأنفق على الجامع مائة وعشرين ألف دينار وعلى اليمارستان ومستغله ستين ألف دينار وأنشأ فى سنة تسع وخمسين ومائتين وحبس عليه سوق الرقيق وغيره ولم يكن قبل بمصر بيمارستان وكان قد شرط ألا يعالج فيه جندى ولا مملوك وكان يباشره ويشارفه بنفسه ويركب اليه فى كل أسبوع مرة وأنفق على عين المصنع ببركة الجيش مائة وأربعة وأربعين ألف دينار وعلى شرر الجزيرة ثمانين ألف دينار ولم يتمه وعلى الميدان مائة الف دينار وخمسين ألفا وكانت صدقاته فى كل شهر ثلاثة آلاف دينار ورسم مطبخه فى كل يوم مائة وعشرون دينارا ومات فى سنة سبعين ومائتين وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا ومن الاناث سبعة عشر أنثى.

**فائدة جلييلة:** قال ابن عباس رضي الله عنه: من هرب من عدو أو خاف فكتب بسوطه بين أذنى دابته لا تخاف دركا ولا تخشى أمنه الله من خوفه وحال بينه وبين عدوه.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه غيث الأدب ويحكى أن بعض الرؤساء قال لشهاب الدين القوصى أنت عندنا مثل الاب وشدد الباء فقال لا جرم أنكم تأكلونى وأقول لا يخفى ما فى هذا التنذير من اللطف لان الاب مشدد الباء هو المرعى، قال بعضهم هو للدواب بمنزلة الخبز الذى للاناسى ومن يشدد الباء من الاب الذى هو الوالد ما يكون الا دابة، قال الشيخ بدر الدين الدمامينى رحمه الله تعالى رادا عليه قصد الصفدى بهذا الكلام الرد على من شدد باء الاب المراد به الوالد وفيه دليل على قصوره فان الامام جمال الدين بن مالك نص فى التسهيل على ذلك قال فى أوائله: وقد تشدد نون هن وبا أب وخأ أخ وحكى فى الشرح عن الازهر أن تلك لغة كوفية ويقال استأببت فلانا بياين أى اتخذته أبا واذا كان كذلك فلا وجه للانكار على الرئيس الذى شدد الباء من أب.

قلت: ولو قال القوصى فى جوابه لا جرم انكم ترعونى لكان اللفظ فى التندير وأحسن موقعا مما قاله والله أعلم انتهى كلام أفضى القضاة بدر الدين المخزومى.

الشيخ جمال الدين الزملكانى:

وفى حلبة الخسد من أدمعى  
فسبق الكميت بها بين  
وعلى ذكر البغال: ذكرت قول شمس الدين الضفدع الخياط فى وقعة القاضى شهاب الدين محمد بن المجدد عبد الله الاربلى الدمشقى الشافعى الذى مات فيها:

بغلة قاضينا اذا زلزلت  
تكاثر ألهاه من عجبه  
وأظهرت زوجته عندها  
أبو الحسين الجزار وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت حماره:

كم من جههول رآنى  
وقال لى صرت تمشى  
فقلت مات حمارى

المعمار:

ان ابن الاطروش حوى رتبة  
تنصرت بغلته تحنته  
ابن دانيال مضمنا:

ولقد ركبت من الحمير مكمدا  
رجلاى فى جنبه منذ ركبته  
ابن نباتة:

أصبحت يا سيدى ويا سدى  
بالأمس كانت لفرط سرعتها  
الحلى مضمنا:

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى  
به لم أذق طعم الشعير كأتنى  
تقعقع من برد الشتاء أضالعى  
إذا سمع السواس صوت تحمحمى

قفأ نيك من ذكرى حبيب ومنزل  
بسقط الملوى بين الدخول فحومل  
لما نسجتها من جنوب وشمأل  
يقولون لا تهلك أسى وتجمل

أعوگ فى وقت العلوق عليهم وهل عند رسم دارس من معول  
حكى أن العماد الكاتب قال للقاضى الفاضل: سر فلا كبا بك الفرس، فقال له دام علا  
العماد.

ولبعض أهل عصره أعنى الحسين الجزار:

مات حمار الاديب قلت لهم مضى وقد فات منه ما فاتا  
من مات فى عزه استراح ومن خلف مثل الاديب ما ماتا  
وقال شرف الدين البوصيرى ناظم البردة فيه:

فلا تياسن لهذا الاديب عليه فللموت ما يولد  
اذا عشت أنت لنا بعده كفانا وجودك ما نفقد

قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس كان للشيخ شرف الدين البوصيرى حمارة  
استعارها منه ناظر الشرقية فأعجبه فأخذها وسير له ثمنها مائتى درهم فكتب على لسانها الى  
الناظر المذكور المملوكة حمارة البوصيرى:

يايها المولى الذى أثبتت أخلاقه بأنه الفاضل  
ما كان ظنى ان يبيعونى قط ولكن صاحبي جاهل  
لو جرصوه على من سفه لقلت غيظا عليه يستاهل  
أقصى مرادى لو كنت فى بلدى أرعى بها فى جانب الساحل  
وبعد هذا فما يحل لكم لاننى من سيدى حامل  
فردها الناظر ولم يأخذ الدراهم منه، لناصر الدين بن النقيب:

نفقت لى رأسا من الخيل كانت تسبق البرق والرياح الزعازع  
وابتلى الله فى المشاعر اخرى بشقاق لها عن المشى مانع  
فاذا قيل كم بقى لك رأس قلت رأس بغير كوارع  
وللشيخ جمال الدين بن نباتة وأفحش فى السرقة فى فرس له ثمل الأربعة:

يقول لى صاحب وفى والخيل تحت الورى تسارع  
كم لك فى ذا الزمان رأس فقالت رأس بلا كوارع  
ابن دانيال:

قد كمل الله برذونى بمنقصة وشانه بعدما أعماه بالعرج  
أسير مثل أسير وهو يعرج بى كأنه ساشيا ينحط من درج  
فإن رمانى على ما فيه من عرج فما عليه اذا مات من حرج

صلاح الدين الصفدى فيمن وعده بيغل:

طلبت البغل منك فقلت إنى  
أسيره وما كذب الكلام  
نعم أتعبته ركضا ولما  
أتى الاسطبل سيره الغلام

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى أنشدنى لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

بدمشق المحروسة سنة تسع وعشرين وسبعمائة:

ورد من العرب منسوب ولا قطعت  
أبدى الحوادث من انشائه شجره  
إذا امتطى ظهره رامى السهام مضى  
والسهم حذوا فلولا سبقه عقره  
عجبت كيف يسمى سابحا وله  
وثب لو البحر أمسى دونه ظفره  
كأنه فى هضاب الحسن صاعدة  
أولا فصاعقة فى الحسن منجدره  
لما ترفع عن ندى يسابقه  
أضحى يسابق فى ميدانه نظره

قال صلاح الدين وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن

ابى الحسن الصوفى بدمشق فى جمادى الاولى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة وهو:

وأدهم اللون فات البرق وانتظره  
فغارت الريح حتى غيبت اثره  
فواضع رجله حيث انتهت يده  
وواضع يده أنى رمى بصمسره  
شهم تراه يحاكي السهم منطلقا  
وما له غرض مستوقف خبره  
يعفر الوحش فى البيداء فارسه  
وينثنى وادعا إذ يستتر غبره

شرف الدين أحمد الحلوى وأجاد:

جساء غلامى وشكا  
وقسال لى لا شك بر  
قد سقته اليوم فما  
أمركم يبنى ويكى  
ذونك قد تشكى  
مشى ولا تحركى  
مجاويا لما حكى  
فلا تكن مملكا  
لما غدا مشبكا

ابن نباتة:

وأدهم اللون حنندسى  
يقصر سعى الرياح عنه  
فى جريه للورى عجائب  
فكلها خلفه جنائب

ابن سعيد المغربى فى فرس أغر أصفر:  
وعسجدى اللون أعدده  
كانه فى رهج شمعة  
وله فى أدهم أغر:

لساعة تظلم أنوارها  
مصفرة غريبة نارها  
ليل بجلباب الصباح ملثما  
فصيرها دية إلى الافق سلما

وقد أعتدى والليل قد سل صبحه  
وأحسبه خال الثريا لجامه  
ولابن خفاجة فى أشقر أغر:

بشعلة من شعل البساس  
حبابة تضحك عن كاس

وأشقر يضرم منه الوغى  
وتطلع الغرة فى شقرة

النامى:

إلى آذانها بشرى الجلود  
قيامها فى صحائف من بنود

ومصغية كأن الحرب تلقى  
ترى آذانها ألفات سطر

الارجانى:

لحرف مديم الرفع والجر والنصب  
كأن بأيديها مصابيح للركب

وحرف يجوب القاع والوهيد والربى  
نجائب يقدح الحصى كل ليلة

ابن سعد فى فرس لوانيا أغر أكحل الحليلة:

وللفجر فى خصر الظلام وشاح  
ظلام وبين الناظرين صباح

وأجرد تبرى أثرت به الشرى  
عجبت له وهو الاصيل بعرفه

ابن نباتة السعدى فى فرس محجل بغرة:

فاقتص منه فخاض فى أحشائه

وكأنما لطم الصباح جبينه

الشيء بالشيء يذكر قال ابن الحجاج فى المجون:

ايرى فقلت لها مقالة فاجر  
حتى يصدق فيك قول الشاعر

غضبت صباح وقد رأتنى قابضا  
بأنه الا ما لظمت جسبينه

أشار إلى البيت المتقدم الاديب الفاضل الكامل الرحال إبراهيم الساحلى المنبوذ

بطويجن مولده بعرفة، ووفاته بعد سنة تسع وثلاثين وسبعمائة من قصيدة:

من نسل أعوج أو بنات الابجر  
عارى النواحق مستدير المحجر  
ولوى بسالفتى غزال أعفر

ذهبوا إلى الهيجا بكل طمرة  
من كل مخضوب الشوى عبل القرى  
ألوى بقادمى جأجى أفتخ

وأدار جفنا أشوسيا مبصرًا  
من أحمر كالورد أو من أصفر  
ويكل صهوة أجرد متقطب  
لسان الدين بن الخطيب:

قال جوادى عندما  
إلى منى تهممزنى

أحمد بن سعيد بن غازى البستى يصف ناقة:  
حرف كمثل الصاد الا أنها  
كالبدر قدره الاله منازلًا

ما أحسن قول الشريف العقيلى وإن لم يكن مما نحن فيه:  
وأدهم من خيول الجوائف  
فشار من الضباب له غبار  
إذا أبدى سهيل الرعد منه  
لوحش المحل داخله نفاار  
أشبهه ولمع البرق فيه  
بحراق تمشت فيسه نار

**نادرة:** ذكرها العلامة شهاب الدين أحمد بن فضل الله فى كتابه مسالك الامصار فى  
ترجمة موفق الدين عبد الله المعروف بالوزن الواغظ الكحال المتطبب أنه كان بالقاع والى  
من أهل الادب يعرف بابن درياس واسمه على وكان ينظم الشعر ويتوالى والوزير بدمشق اذ  
ذاك بدر الدين جعفر بن الامدى وكان يتوالى أيضا فاتفق أنه ولى عنده بالقاع كاتباً ممن سلم  
من التسمير من ديوان المطابخ وكان من حديث هؤلاء أنهم سرقوا قندا كثيرا كان قد حمل  
من غور الكرك ليطحخ بدمشق للسلطان فبلغ ذلك الملك الظاهر بيبرس فأمر بهم فسمروا  
وطيف بهم على الجمال الا هذا الكاتب فإنه شفع فيه فأطلق بعد أن قدم له الجمل ليسمر  
فلما استخدمه ابن الامدى بالقاع ضيق على ابن درياس فأقام يعمل قريحته فيما يكتبه إلى  
ابن الامدى فلم يأت بشيء فسأل الوزن فى ذلك فكتب:

شكية يا وزير العصر يرفعها  
لم يبق فى الارض مختار فتبعه  
ما كان يأمل هذا من ولاك على  
الا فنى من بقايا وقعة الجمل

فضحك ابن الامدى وعزله، ومن انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي وينهى  
وصول ما أنعم به من الخيل التى وجد الخير فى نواصيها واعتد حصنها حصونا يعتصم من  
الوغى بصياصيها فمن أشهب غطاءه النهار بحلته وأوطاه الليل على أهله يتموج أديمه ربا

ويتأرجح رثيا ويقول من استقبله في حلى لجامه هذا الفجر قد أطلع الثريا إن التفت للمضايق  
انساب انسياب الأيم وان انفجرت المسالك مر مرور الغيم كم أبصر فارسه يوما أبيض  
بطلعته وكم عاين طرف السنان مقاتل العدا في ظلام النقع بنور أشعته لا يسير داحس في  
مضماره ولا تطلع الغبراء في شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره تسابق مداه  
مرامى طرفه ويدرك شوارد البروق ثانيا عطفه ومن أدهم حالك الأديم حالي الشكيم له مقلة  
غانية وسالفة ريم قد ألبسه الليل برده وأطلع بين عينيه سعده يظن من نظر إلى سواد طرته  
ويباض حجوله وغرته أنه توهم النهار نهرا فخاضه والقي بين عينيه من رشاش تلك  
المخاضة ومن أشقر وشاه البرق بلهيه وغشاه الاصيل بذهبه يتوجس ما لديه برقيقتين  
وينفض وفرته عن عقبتين وينزل عذار لجامه من سالفته على شقيقين له من الراح لونها  
ومن الريح لينها إن جرى فبرق خفق وإن أسرج فهلال على شفق ومن كमित نهدي كأن راكبه  
من مهد عند مي الاهاب شمالي الذهاب يزل الغلام الخف عن صهواته وكان نغم الفريض  
ومعبد في لهواته فسيح قصير المطا إن ركب لصيد قيد الاوابد وأعجل عن الوثوب  
الوحوش اللوايد ومن حبشى أصفر يروق العين ويشوق القلب بمشابهة العين كأن الشمس  
ألقت عليه من أشعتها جلالاته وكأنه نفر من الدجى فاعبقت منه عرفا واعتلق حجالاته ذو كفل  
زين سرجه وذيل يسد اذا يرتد منه فرجه قد أطلعت الرياضه على مراد راكبه وفارسه وأغناه  
نضار لونه ونضارته عن ترصيع قلائده وتوشيع ملابسه له من البرق خفة وطيه وخطفه ومن  
التسيم طروقه ولطفه يطير بالغمز ويدرك بالرياضة مواضع الرمز ويعد كآلف الوصل في  
استغناء مثلها عن الهمز ومن أخضر حكاها من الروض تفويفه ومن الوشى تقسيمه وتأليفه قد  
كساه النهار والليل حلتي وقار وسنا واجتمع فيه من البياض والسواد ضدان لما استجمعا  
حسنا ومنحه البارى حلية وشبهه ونحلته الرياح ونسماتها قوة ركضه وخفة مشبهه ومن أبلق  
ظهره حرم وجريه ضرر ان قصد غاية فوجود القضاء بينه وبينهما عدم وان طرف في حرب  
فعمله ما يشاء البنان والعتان وفعله ما يريد الكف والقدم قد طابق الحسن البديع بين ضدى  
لونه في جنسه عن الاوصاف وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها من الاعتراف له بجادة  
الانصاف وترقى المملوك إلى رتب العز من ظهورها وأعدتها لخطبة الحسان اذ الجياد عليها  
من أنفوس مهورها وكلف بركوبها فلما أكمله عاد وكلما أمله سره فلو أنه زيد الخيل لما زاد  
ورأى من آدابها ما دل على أنها من أكرم الاصائل وعلم انها ليومى حربيه وسلمه جنة الصائد

وجنة الصائل وقابل احسان مهديها بشائه ودهائه وأعدما فى الجهاد لمقارعة أعداء الله وأعدائه والله تعالى يشكر بره الذى أفرده الندى بمذاهبه وجعل الصافنات الجياد من بعض مواهبه بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى.

ومن انشاء الشيخ محى الدين بن عبد الظاهر وسير من الخيول الرهاوين كلما هو على الحسن مشتمل ومع سرعته يمشى الهوينا كمشى الشارب الثمل من كل أشقر كأنه النجم السريع لا البطى وكل أحمر كالشفق وغرته ما يتخلل الشفق من النور المضى وكل أشهب كالنار وما فى هذا من السواد ما بذلك من أواخر الليل وأوائل العشى وكل أصفر حبشى يحسن أن يكون الركاب المقر خادما وكيف لا وهو الخصى الحبشى ومن البغال كل فارهة الوثبة كارهة ألا تكون دون رتبة الجياد فى حلبه كم قاست بذراعها شقة أرض فعلمت طولها من عرضها وكم لحقت بمشيتها ما تلحقه الجياد بركضها كم حسب راكبها أنه من وطئ ظهرها على فرش مرفوعة وكم بويع لها بالخلافة عن الجرد المطهمة على أنها مخلوعة يشهد بتمام حسنها العقل ويصدقه على ذلك منها صحة النقل ما ضررتها هجئة أمها مع أصالة أبيها وأمها هجينة وما شانها ذلك والله تعالى ساوى بينهما بقوله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾<sup>(١)</sup> نسبق الطرف والطرف وأما خالها وما هى حرف.

ومن انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة وأما الخيل المسيرة فقد وجد المملوك لذة أنسها وأوجب على نفسه فروض خمسها واستنهض لشكر محاسنها براعته فسعت ولكن على رأسها واستنزلت له الآمال من صياصيتها وحلت منه محل الخير المعقود فى نواصيها وأمدته بالاسعاف مددها وقبلها عوض أنامله الشريفة لأنها عددها وما هى الا زهرات أبتتها سحب كفه الكريمة وعقود من طوق بها جيد العبد فسيح بمدايح نعمها العميمة ومنابر قام عليها خطيبا بمحاسنه التى من كتها فكأنما كتم من المسك نظيمه فمن أشهب كأنه طلعة نحج أو قطعة صبح أو غرة فما تغرب بأشعته أبدار جنح قد تزينت منه الاوضاع وانقطعت دون غايته الاطماع واعتذرت له الريح فصبوب أذنيه للسمع وأصبح لصاحبه نعم العون فى يوم السبق والغوث فى يوم القراع وكاد يكون من الملائكة فكم له من غبار السبق أجنحة مثى وثلاث ورباع ما خفيت مصلحة الا قبضها ولا ادلهمت سحابة نقع إلا أقام بنفسه وبيضها وما حدث عن حسن إلا رآه ولا امتطاه عازم إلا حمد عند صباح لونه مسراه تقرب

الطلب سفارة عزائمه المسفرة ويختال فى الخيل كالنهار فلا جرم أن آيته مبصرة كم ثنى عنانه كبرا عن مسابقة الرياح وأعرض وكم تعب عليه عازم حتى فاز منه بالعيش إلا أنه الابيض يتلوه أشقر كلمعة برق أو غزالة شرق فسيح الليان رقيق مجرى العنان يروق الابصار ويدنى الاوطان والاطوار ويسمع بوقع حوافره صم الاحجار يضعف البصر عن اقتفاء ماله من السنن ويعجز عن بلوغ غايته السيل إذا هجم والغيث إذا هتن وتقصر عن شأوه الرياح فعن عذر إذا حثت فى وجهها التراب للحزن فكأنما صعد لأشعة النجوم فكسبها أو راهن البرق على حلته فلبسها وسلبها قرنت حركاته بحسن الاتفاق وحكته فى تطلعها الشموس عند الاشراق وامتدت كف الثريا تمسح وجهه من غبار السباق يتبعه كميت يسر الناظر ويشوق الخاطر كأنه جذوة نار أو كأس عقار أحلى من الضرب له من نفسه طرب كم خدمه من النصر أعوان وأسكره اسمه فاختال تحت راكبه كالشوان وزاد لونه حتى كأنما هو بهرام وأجله عن أن أقول بهرمان أسرع الاشياء شوطه وأضيع ما فى عدته سوطه يجمع لراكبه ما بين الطرب والجلالة وتحتجب الشمس إذا تصدى لصيد خوفا من تسميتها بالغزالة كم أرعد صهيله وأبرق وكم لقى منه الموت الاحمر العدو الازرق قصرت عن معاناته الهمم واسود ذنبه وعرفه فكأنهما لذوب نار جسمه حمم يوسع أهل الحمى برا ويعقد بخنجر نعله أديم الارض سيرا يقفوه أصفر يسر النظار ويسمو على النظار ويشوق البصائر وربما شق سعيه على الأبصار ويخفق وراءه حتى قلب البرق إذا ذكرهما السبق فى مضمار كم أوسع وقعه فى ليل السرى من سمر وكم نقش نعله ظهر جبل فجاء كما قيل نقش فى حجر يطلع بسماء الطلب أهلة هو عيدها وإذا امتطاه عازم رأى الأرض تطوى له ويدنو بعيدها كم حسن خبرا وخبرا وتأثير وأثرا وكم عشا إلى نار سنا بكة طارق فأجزل له من قصده القرى كأنما خلع عليه الدهر حلة ذهب وهبته صفرة لونها الراح حين تجلى بالحجب لو أمكن أول فجر لما سمى فى زمنه بالسرحان ولو كتب اسمه على مقدمة طليعة قرنها اليمن واليمان يصحبه أدهم كأنما التحف سبجا أو دخل تحت ذيل الدجى تخضع عواصى الذرى لعزته وينشق الصباح غيظا من تحجيله وغرته كأنما لطمته يد الفجر فخاض فى أحشائه وورد نهر المجرة فطارت لجبهته نقطة من مائه فسيح المنتشت متدرع ملابس حب القلوب والحدق كم غنت شوامخ الجبال لجلاله وقصرت عنه الخيل حتى لم تسابق الا ظل ادباره واقباله وخاف سطوته الليل فحياه بمثل أنجمه وأنعله بهلاله بسر

الموالى ويسوء المناصب ويأتى من صباح تحجيله وليل تكوينه بالعجائب وتكبو الريح دون شأوه فكلها من خلفه جنائب ولا برح سيدنا يجيد فى القول ويجود فى العمل ويتطول من خفى كرمه ومفيد كلمه بما لا تترقى إليه همة أمل إن شاء الله تعالى تم ذلك.

وقال مجير الدين بن تميم مضمنا:

يكاد من همزه بالركض ينخرم  
إن الجواد على علاته هرم

بعثت عندى جوادا لا حراك به  
فلا يفرنك منه سنه غلظا

ابن النبيه من قصيدة:

هى فى السبق أسهم لا محاله  
ع حروفا فى جرهما عماله

فهى مثل القسى شكلا ولكن  
تركته الحداة فى الخفض والرف

علاء الدين ابن أبيك من قصيدة:

نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا  
فلم تبغ خلخالا ولا التمسست وقفا  
وإن جردوه فى ملاءته التفافا  
وغار عليه الصبح فاحتبس النصفافا  
فمذ حازه دلى له الذيل والعرفا  
وأصفر لم يسمح بها جلده صرفا  
عليه خطوط غير مفهمة حرفا  
فجسر عليه ذيله وهو ما جفا  
لتنسف أرض المشركين بها نسفا  
أطيا ترى تحت العجاجة أو طرفا  
فرتبته مهر وتحسبه خشفا  
متى ما أردت الجرى اعطاكه ضعفا

له خطبة الخيل العتاق كأنها  
عرانس أغنتها الحجول عن الحلى  
فمن يقق كالطرس تحسب أنه  
وأبلىق أعطى الليل نصف اهابه  
وورد تغشى جلده شفق الدجى  
وأشقر مع الراح صرف أديمه  
وأشهب فضى الانام مدثر  
كما خطر الزاهى بمهرق كاتب  
تهب على الاعداء منها عواصف  
سرى كل طرف كالغزال فتمترى  
وقد كان فى البيداء يألف سره  
تناوله لفظ الجسواد لأنه

ابن خفاجة:

فقلت حباب يستدير على خمير

ولم أر الا غرة فوق شقرة

نادوة: وقف اعرابى على أبى عبيدة فقال له ما يعنى الشاعر بقوله:

يأتى المجسة ماؤه يتفصد  
فيكاد جلد اهابه يتقد

ولقد علوت بمشرف يا فوخه  
مزج يسيل من المزاج لعابه

حتى علوت به مشق ثنية  
طورا أغور به وطورا أنجد  
فقال يصف فرسا فقال الاعرابى حملك الله عليه.  
برهان الدين القيراطى فى حمارة:

تراه أولا فى الأكل سبقا  
وعند السير يأتى فى الأخير  
وكم وضعوا سكرجة بفيه  
فما منعه عن صحن الشعير  
عرض شريح ناقة لبيعها فجاء إليه رجل من قريش فقال له يا أبا أمية كيف لبنها فقال  
احلب فى أى اثناء شئت، قال فكيف الوطأ قال افرش ونم، قال فكيف قوتها قال احمل على  
الحائط ما شئت، فاشتراها فلم بحد شيئا مما وصف فرجع إليه فقال له لم أر شيئا مما  
وصفتها به قال ما كذبتك، كتب الصابى عن بختيار إلى أبى تغلب فى وصف فرس أهده له  
أما الفرس الذى سألت ايثارك به فقد تقدمنا نقوده إليك والله يبارك لك فيه ويجعل الخير  
معقودا بناصيته والاقبال غرة وجهه وادراك المطالب تحجيله ونيل الامانى طلق شأوه وفتح  
الفتوح غاية شده وسلامة العواقب مشى عنانه.  
ابن حمدىس الصقلى:

وكانها نون تمط وعينها  
مميم لطول نحولها بالفدند  
كحلت جفون الليل منها بالسمرى  
وتكحلت منه بلون الاثمد  
فلجسمها والصبح يتبع نوره  
من جفن ليلتها انسلال المرود  
يا ليتها كانت سفينة زاجر  
فتخوض بى مد العباب المزبد  
فأرى ابن حمدان ونور جبينه  
يجلو سنه قذى جفون الارمد  
وله فيهن:

قلاص حباهن الهزال كأنها  
حنيات نبع فى أكف جوادب  
إذا وردت من زرقة الماء أعينا  
وقفن على أرجائها كالحواجب

ومما جاء فى رقية الدابة عن سحيم بن نوفل قال كنا نعرض المصاحف عند عبد الله  
فجاءت جارية اعرابية إلى رجل من القوم فقالت أطلب راقيا فان فلانا قد لقع فرسك بعينه  
فتركه يدور كأنه فلك، فقال عبد الله لا تطلب راقيا اذهب فانفت فى منخره الايمن أربعا  
وفى الايسر ثلاثا ثم قل: بسم الله لا بأس أذهب البأس رب الناس وأشف أنت الشافى لا  
يذهب الضر إلا أنت قال فذهب الرجل ثم رجع، فقال فعلت الذى أمرتنى فأكل وبال وراث  
وعن ابن عباس رضي الله عنه إذا استعصبت دابة أحدكم أو كانت شموسا فليقرأ هذه الآية فى أذنها

﴿أفغير دين الله ييغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون﴾ (١).

نادرة: قال أبو العنبس دخل اعرابى السوق ليبيع ناقة له فقال له بعض المجان تبيعها يا اعرابى باير بغل فقال الاعرابى اعد على عطيتك فإن زادونا وإلا أنت أحق بها.  
الاسعد بن ممانى:

أصبح بغلى مـبـشـلا  
ياضرب وهو سـائـر  
ناصر الدين بن النقيب:

لى بغلة من ضعفها  
كأنها رجلى كما  
بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى:

ترحلت عن ناديك لا عن ملالة  
على بغلة أمطيتنيها قصيرة  
وتحسبنى من فوقها الناس راجلا  
البازهير فى بغلة شهاب الدين القوصى:

لك يا صـديقى بغلة  
تمشى فتحسبها العيون  
وتخال مسدبرة إذا  
مقدار خطوتها الطوي  
تهتز وهى مكانها  
أشبهتها بل أشبهت  
تحكى خصالك فى الثقا  
القيراطى:

لى بغلة قد أتعبت راحنى  
طباعها خارجة كلها  
الجزار يرثى حمارة:

ما كل حين تنجح الاسفار  
نفق الحمار وبارت الاشعار

خرجى على كتنفى وها أنا دائر  
 ماذا على جرى لاجل فراقه  
 لم أنس حدة نفسه وكأنه  
 وتخاله فى القفر جنا إنما  
 وإذا أتى للحوض لم يخلع له  
 وتراه يحرس رجله من زلة  
 ويلين فى وقت المضيق فيلتوى  
 ويسير فى وقت الزحام برأسه  
 لم أدر عيبا فيه إلا أنه  
 ولقد تحامته الكلاب وأحجمت  
 راعت لصاحبه عهدا قد مضت  
 بين البيوت كسأنى عطار  
 وجرت دموع العين وهى غزار  
 من أن تسابقه الرياح يغار  
 ما كل جن مثله طيار  
 فى الماء من قبل الورود عذار  
 برشاشها يتنجس الحظار  
 فكأنما بيدك منه سوار  
 حتى يحيد أمامك الحضار  
 مع ذا الذكاء يقال عنه حمار  
 عنه وفيه كلما تختار  
 لما علمن بأنه جزار

ومن انشاء المقر الفتحي بن الشهيد تغمده الله برحمته من رسالة كتبها عن حضور  
 أكديش أدهم وينهى وصول الجواد المنعم به على المملوك فأضافه إلى ما فى يده من  
 الصدقات العميمة يقدر قدرها ويضاعف بالخدمة والنصيحة شكرها وفرح المملوك أنه ما  
 خص بالفرس إلا وقد ثبت عند سيده أنه غلام وما أجراها له من ديوان الخاص إلا لتمييز  
 قدره على العوام ووصل هذا الجواد أدهم من الخيل كأنما ألبسه الليل حلة سابعة الكم  
 والذيل وفهم المملوك من بعثه حالك السواد أن الامر العالى اقتضى أن المملوك يكتب هذا  
 الاحسان فى سواد الفؤاد ويستره عن الحساد كما ستر الليل عن الرقاب اجتماع أهل الوداد  
 فتسلمه المملوك كما تسلمت الجفون طيف الحبيب وأسر السرور به لما علم أنه من  
 صدقة السر التى أخفتها اليد الكريمة ولا يعزب عن الله مثقال ذرة فيها ولا يغيب واتخذ  
 المملوك ظهر هذا الجواد حرزا لأنه من الهياكل وتصيد بعنانه غزلان الاعنة فكانت لصيد  
 العز حباتل وجعله ذخيرة وعزا لأنه أدهم لا يتدم صاحبه إن نابت النوائب أو غالت الغوائل،  
 ومنها وصل الظهر قد أعوز والسفر قد أحفز وجلت دهمته الغمة وجاءت باليد البيضاء  
 فكذبت القائلين لا خير فى الظلمة فرأيت منه العطايا فى سواد المطالب وركبت من سرجه  
 المحلى بالذهب فما جزت فى ليل اهابه إلا اهتديت من تلك الحلوى بانوار الكواكب وقرت  
 به عينى كأنما حل من سوادى واستوطأت ظهره فى السرى فتمت لما طرق كأنه يريد

رقادى، أدب حسن قيل لاعرابى له ابل كثيرة لمن هذه الابل فقال لله فى يدى وقيل لاعرابى أنت راعى هذه الابل فقال الله راعيتها وأنا مراعيها.

**فائدة جلييلة:** قال الامير علاء الدين الدوادارى فى بعض مجاميعه بخط القاضى

شمس الدين بن خلكان للمغل يكتب على حافر الفرس الايسر بقلم حديد وكل حرف من هذه الكلمات على حدته وهى النيل والفرات ودجلة أودية وقال لى شخص أنه جربه وجدته نافعا والله تعالى أعلم

ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب من قصيدة:

صبحتهم غرر الجياد كأنما	عند الثنية عارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل	يرمى الجياد به أغر محجل
زجل الجناح إذا أجد لغاية	وإذا تغنى بالصهيل فلبيل
جيد كما التفت الظليم وفوقه	أذن ممشقة وطرف أكحل
وكانما هو سهوة فى هيكل	من لطفه وكانما هو هيكل

ومن كلام سيدى المقر المجدى حسبما اقترحه السادة المخاديم بالقاهرة المحروسة البلاغة جعل الله تعالى كف موالينا للمقبل والمؤمل ككرائم الخيل ظهورها عزا وبطونها كنزا وآيات كرمه إذا تليت تهز أعطاف كل جواد هذا ويتبعه فى مجاراتها كزات على الهمم وتغلى القيم ويحوز صاحبها قصب السبق بالقلم غير أنها تلجئه فى اقتراح الاخوان إلى ركوب الاهوال وتمطيه فى اتباع أوامرهم سهوة الخطر إذا كان لا خيل عنده يهديها ولا مال فإنهم أبقاهم الله تعالى رموا العبد من اقتراحهم بما لا يطاق ودفعوه من أوصاف الخيل إلى حلبة سبق إليها جماعة فكيف للمملوك بعدهم باللحاق نعم كيف له بلحاق تلك الفحول وأنى يمكنه مجاراتهم فى هذه الليالى العواطل وقد كانت أيامهم لها غرر معلومة وحجول فاستقلت من هذا الامتحان واعتذرت أنى لست فى أمر الخيل من الفرسان، فقالوا بل أمطينا الطرف راكبه وأعطينا المال واهبه فإنك ربيب متونها ومهذب شامسها وحرونها فجلت فى ميدان الفكر وجذبت أعنة الحفظ والذكر إلى أن أنتجالى مالو أوقفت لسترته ولو تركت لتركته فابتدأت بوصف أخضر مليح الشيات كامل الادوات يحمل الراكب ويزين المواكب ويرضى الشهم الشديد ويسبق السهم السديد لا يخرج عن طوع فارسه ولا يعدو اختيار ممارسه كأن أديمه تجعد من نور خلاف أو لف من جنات ألفاف وكميت أصم اللون مليح الكون بعيد الصفات سريع الالتفات تشنى على همته الركبان وبطنه تحت

العجاجة نار علاها دخان فسيح الخطوة شديد القوة سبط الأديم معظم لدى الكرام ولا عجب إذا عظم الجواد كريم كأنما صيغ بعقار أو ألبس جل نار وقير كلون الحرباء وخيال أزاهر على صفحة الماء ووجنة حب تكالمت بعرق ونهر صاف طفا بوجهه علق وبهجة حباب على كئوس مدامه وأشعة شمس تألفت فى طوق حمامة لا تنثت العين معرفته ولا يوفى البليغ وإن أطنب صفتة ولا يدركه الطير إذا طار ولا يلحقه الريح إذا اشتدت غير الغبار لا يمل السباق ولا يزعج راكبه إذا قام على قدم وساق وأبلىق كريم الاصل محمود الخصل مجتمع من ظلمة الهجر وضياء الوصل يرى الناظر من لونه بياض العطايا فى سواد المطالب وتحقق للمتعب من تضادهما أن فى الليل والنهار عجائب لا يجليه البصر إذا سار ولا ينجو من راكبه عدو وكيف ينجو من خلفه الليل والنهار تفرد فى جنسه وكاد يدرك المعقولات بضياء حسه عظم خبره وخبره واشتهر بين الانام قدره وعز على من رامه وطال وكيف لا وهو الأبلق الفرد الذى شاع ذكره وأدهم بهى المنظر جميل المخبر تخاله خلا على وجنة الزمان وتظنه بين جفنى السماء والأرض انسان أسرع من السهم وأنفذ من الوهم يطوى شقة الفلا بيديه ويجتذب سويدات القلوب إلى حبه وشبه الشئ منجذب إليه تنبثك بالظفر مخائله ولا ينشدك لونه الأبلق الا بليل من توصله وبالجملة فكأنما حلفت على اقتراح الرياضة واختبار الانفس المرناضة فكلها حسن وكل منها جاء من الصفات الغربية بفن يأتى من المشى بما لم يكن فى حساب ويتلو لسان السرعة على مستعظم أشكالها «وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب»<sup>(١)</sup> فالله تعالى يبقى المخدوم ما انتخبته القرايح وسيرت الخيول بين غاد ورايح ويكفيه ما تسعى من أجله ويجعل بابه جنة لا وليائه اذا زحف عليهم الدهر بخيله ورجله بمحمد وآله.

المولى الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى:

وكميت يلقي الصخور إذا اشت  
مد جريا بأريع من حديد  
رق جلدا واحمر حتى حسبنا  
أنه اختال فى رداء الخدود  
وله فى فرس أدهم أغر محجل:

وأدهم خص بأوضاحه  
اعلاه بالفرة أو أسفله  
كالليل فى أوله آخر اليد  
وم وفى آخره أوله  
ولله:

بكل جواد سر حتى كأنما  
له السيف حد والسنان له أذن

ولبعضهم:

قم بنا نركب طرف اللد      هو سبقا للمدام  
واثن يا صاح عنانى      لكمبيت ولجمام

ولآخر:

ويوم كسته الشمس غرة مهجة      كما ذهبته بالعشى تخيلى  
ركضت به فى حلبة اللهو سابقا      فىا لك من يوم أغر محجل

ابن المعتز فى وصف مطلق الواحد محجل الثالث:

ومحجل غير اليمين كأنه      متبختر يمشى بكم مسبل  
فخر الدين بن مكاس:

يا عصابة الجود الذى يرضيهم      فرسى العتيق ومهرى السباق  
أما العتيق فلا نرجو تملكه      واليكم هذا الحديث يساق

وضمن هذا فى الغزل شيخنا عز الدين الموصلى:

لحديث بنت العارضين طراوة      وطلاوة هامت بها العشاق  
فإذا نهانى المراد قلت تمهلوا      فاليكم هذا الحديث يساق

قلت وفى مقطوعة الشيخ فخر الدين زيادة حسنة على الشيخ عز الدين وهو قوله يساق  
واستعمل الشيخ عز الدين لفظة حديث فى عدة أماكن من مقاطيعه ولعمري أجاد فى  
جميعها فمنها قوله:

حديث عذار الحب باد وساقه      له أوجه تبدى لقلبي اشتياقه  
درى اننا نشتاق لطف حديثه      فأبدى لنا ذاك الحديث وساقه

وقوله:

حديث عذار الحب فى خده جرى      كمسك على الورد الجنى تسطرا  
فقبلته حتى محوت رسومه      كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرا

ولغيره وليس مما تقدم لكن ذكرناه لموافقة المعنى:

ولما اجتمعنا والسلو جليسا      على اننا نسلو الهوى ونميل  
وخيل غرام قد أتتنا مغيرة      فلم ندر الا والسلو قتيل

ومنه:

وحياة من أمس لدى حياته      أشهى لى من اتصال حياتى  
ما سافرت لحظات طرفى نحوكم      الا على حيل من العبرات

ومنه قول عز الدين الموصلى شعرا:

يستطرد الشوق خيل الدمع سابقة  
وما الطف قول بدر الدين بن الصاحب:

بالله يا بدر زرنى  
واكتم مسحك واركب

وأشدنى شيخنا زين الدين بن العجمى لنفسه:

لمظلمسات الليالى  
وكيف تفهم معنى  
فخر الدين بن مكانس:

له أشكو ما جرى  
ان بهيما كان لى  
ولمؤلف الكتاب:

ولرب ليل طال من تذكارهم  
قرح الجفون السهد فى ظلماته  
وعلى ذكر البهيم فما أحسن ما أشدنى لنفسه مجد الدين بن مكانس:

له عصابة عشق  
عذولهم كحمار  
وأشدنى صدر الدين بن الأدمى لنفسه:

قلت وليلى لونه حالك  
الصغدى فى أدهم بغرة:

واعجبا للصبح من أشقر  
وغيره:

تردى أديم الليل تيهها بنفسه  
وأبدى لرائيه بغرة وجهه

وأشدنى فخر الدين بن مكانس:

لنا فرس نلاقى منه رفقا  
ترانا حين نركبه سكارى

ففضل السحب فضل العرب للعجم

وعدمحبا سقيما  
من الظلام بهيما

أشكون شجونى الاليمه  
شكواى وهى بهيما

وهو بشكواى عليهم  
فضاع فى الليل البهيم

أرعى الدجى فيه وليس ييارح  
فلذاك يدعى بالبهيم القارح

طيب الكرى حرموه  
لا بدع ان صرموه

وجنحه فى ليله كالسقيم

ما أن أن يلحق ليلا بهيم

وأطمع حتى فى منال الكواكب  
بياض العطايا فى سواد المطالب

كسرفق الوالدين إذا ثملنا  
نميل على جوانبه كأننا

حدث أحمد بن أبى خالد قال خرج الفيض بن أبى صالح وأحمد بن الجعيد وجماعة من وجوه الكتاب يوما من دار المأمون متصرفين إلى منازلهم وكان يوما مطيرا فتقدم الفيض ابن أبى صالح وتلاه أحمد بن الجعيد فنضخت دابة الفيض على ثياب أحمد بن الجعيد برجلها من ماء المطر فتأفف أحمد بن الجعيد وقال للفيض هذه والله مسابرة بغیضة وما أدرى حقا أوجب لك التقدم علينا فأمسك الفيض حتى صار إلى منزله ثم دعا وكيله فأمر باحضار مائة تخت فى كل تخت قميص وسروال ومبطنة وعمامة وطيلسان ففعل ذلك وقال احمل هذه التخوت على مائة حمال وسر بها إلى دار أحمد بن الجعيد وقل له أوجب لنا التقدم عليك أن لنا مثل هذا نهديه إليك إذا أفسدنا ثيابك فإن أهديت لنا مثلها قدمناك علينا.

قال مؤلف الكتاب رحمه الله تعالى ضمنا مجلس أنس بزرية قيصون بمنزل المرحوم فخر الدين بن مكائس وكان فيه اذا ذاك جماعة من أعيان متأدبى الديار المصرية فأطلقنا عنان المذاكرة وتجار ينافى ميدان المحاضرة إلى أن استطرنا إلى ذكر الخيول وما قيل فيها من منظوم أزهى من المنشور المطلق، فقال المرحوم فخر الدين سدوا عنا المقاطيع واطربونا بالمواصيل اشارة إلى ذكر ما قيل فيها من الرسائل التى أوزت بزهر الخمائيل فذكر بعض الحاضرين رسالة القاضى محى الدين بن عبد الظاهر التى أولها وسير من الخيول الرهاوين كلما هو على الحسن مشتمل وذكر المرحوم فخر الدين رسالة الشيخ شهاب الدين محمود التى أولها وينهى وصول ما أنعم به من الخيل التى وجد الخير فى نواصيها وذكر المملوك رسالة الشيخ جمال الدين بن نباتة التى أولها وأما الخيل المسيرة وذكر الشيخ بدر الدين البشتكى رسالة العلامة لسان الدين بن الخطيب التى أولها ...

وذكر القاضى مجد الدين بن مكائس حسب سؤال الجماعة رسالته التى أولها البلاغة جعل الله أكف مولانا ككرائم الخيل ظهورها عزا ويطونها كنزا فما من الجماعة إلا من استحسناها وبالغ فى شكرها، فقال المرحوم فخر الدين ينبغى أن تجتمع هذه المقاطيع والرسائل فى كراريس ويسميتها مجرى السوابق. انتهى.

## الباب الثالث والأربعون

### في مصائد الملوك وما فيها من نظم السلوك

ولبعضهم في الفهد:

ما في الصوارم والعسالة الذبل  
فقمصاه بجلباب من المقل  
تطلع على وجهه الا على وجل

وأهرت الشدق في فيه وفي يده  
تنافس الليل فيه والنهار معا  
والشمس مذ لقبوها بالغزالة لم

ابن المعتز فيه:

تحسبه من قبائل الترك  
نقطها الغانيات بالمسك

وعابس الوجه لالقاححة  
تخال أثوابه مصندلة

الارجاني فيه:

به الدهر آدم لنا يؤتدم  
أديم تعمين لا عن حلم  
ه من نار خند له يضطرم  
تراصد إن هو بالصيدهم  
وبالشمس الوجه منه التأم  
تذيق الكرى مقللة لم تنم  
فتمنم جلبابها اذ سجم  
وراء الطريدة لما اقتنحم  
ه أول ما الخلق منه استتم

وأهرت آدم بدت كاسمها  
من النمر خيط على جسمه  
به علقت شرر لو حنت  
ففى كل عضوله أعين  
تراه رديفا وراء الغلام  
شبيه سبية جيش غدت  
جرى الدمع بالكحل من عينها  
وقد كاد يخرج من جلده  
فقد شمر الجلد خوفا عليه

ابن الاثير الجزرى فى الفهود: فخرجنا والشمس قد نقص مشرقها عن مغربها وأمنت  
حمة حرها وإن صارت إلى برج عقربها بكل فهد قد حيك اهابه من ضددين بياض وسواد  
وصور على اشكال العيون فتطلعت إلى انتزاع الارواح من الاجساد يبلغ الامد الاقصى فى  
أدنى وثباته ويسبق الفريسة ولا يقصها الا عن التفاته.

القول فى طبائعه: زعم ارسطو أنه متولد بين أسد ونمرة أو بين لبوة ونمر وفى طبعه  
مشابهة لطبع الكلب فى أدواته وذواته والنوم الذى يعتره ويقال إن الفهدة إذا حملت وثقل

حملها حتى عليها كل ذكر يراها من الفهود ويواسيها من صيده فإذا أرادت الولادة هربت إلى موضع أعدته حتى إذا علمت أولادها الصيد تركتها وبهذا الحيوان يضرب المثل فى شدة النوم فيقال أنوم من فهد.

قال الشاعر وقد غيره بكثرة النوم:

رقدت مقلتي وقلبي يقظا      ن يحس الامور حسا شديدا  
يحمد النوم فى الجواد كمالا      يمنع الفهد نومه أن يصيدا

وليس شىء فى جرم الفهد من الحيوان الا والفهد أثقل منه وأحظم لظهر الدابة والاناث أصعب أخلاقا وأكثر جراءة وأقداما وفى أخلاقه الحياء وذلك أن الرجل يمر بيده على سائر جسده فيسكن لذلك حتى تصيب يده مكان النفر فيقلق حيثذ ويغضب ومن خلقه الغضب وذلك أنه إذا وثب على طريدة لا يتنفس حتى ينالها فيحمى لذلك وتمتلى رثته من الهوى الذى حبسه وسبيله أن يراح ريشما يخرج النفس وتبرد تلك الغلة ويشق عن قلب الطريدة ويشمم إياه ثم يطعمه منه ويسقى رى ماء ان كان الزمان قيظا ودون الرى إن كان الزمان بردا وان لم يروح لم يفلح بعد ذلك واذا أخطأ صيده رجع مغضبا وربما قتل سائسه، ومن أخلاقه أنه يأنس لمن يحسن إليه ويقال أنه لص من لصوص السباع وهو وان كان وحشيا فإنه يقبل الادب الا أن كبارها أقبل وان تقادمت فى التوحش وإنائها أصيد من ذكورها ومن طبعه أنه يحب الصوت الحسن ويصغى إليه وربما كان سببا لصيده، ومما ركب فيه أن ما عجز عن التكبس منها الهرم يجتمع على فهد بصيد لها فى كل يوم شعبها وقال ارسطو: السباع تستنشق رائحة الفهد وتستدل بها على مكانه تعجب بلحمه أشد التعجب فهو يتغيب عنها لذلك وربما قرب بعضها من بعض فيطمع فى نفسه فإذا أحس السبع منه ذلك وثب عليه فأكله وهو ألطف شما لأرايح السباع القوية من شم السباع لرائحته الشهية ولا يكاد يكون على علاوة الريح أبدا وهو يستخفى فى الشجرة فإذا مر به ايل ففاجأه وثب عليه وانشب مخالبه فى اكتافه ومص دمه حتى يضعف الایل ويسقط فتجتمع عليه الفهود فتأكله فإن اجتاز به أسد نهض وترك الفريسة له تقربا إليه والفهد يعتريه داء يسمى خناقة الفهود وقد ألهم أنه إذا اعتراه ذلك يأكل العذرة فيبرأ وينبى إذا صيد أن يغط رأسه ويدخل فى جوالق ويجعل فى بيت قد وضع فيه سراج ويلازمه سائسه ليلا ونهارا ولا يدخل عليه غيره فإذا أنس أركبه ظهر دابة ويطعمه على يده وأول من صاد به

كليب بن وائل ويقال همام بن وبرة وكان صاحب لهو وطرب وأول من حملها على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراسانى وأول من استسن الحلقة فى الصيد وأولع بها كثيرا المعتضد والمواضع التى يوجد فيها هذا الحيوان مما يلى بلاد الحجاز إلى اليمن وما يليها إلى بلاد العراق ومما يلى بلاد الهند إلى تبت والله تعالى أعلم.

القول فى طبائع الكلب: قال المتكلمون فى طباع الحيوان الكلب لا سبع تام ولا بهيمة تامة حتى كأنه من الخلق المركب لأنه لو تم له طباع السبعية ما ألف الناس واستوحش من البرارى وجانب القفار ولو تم له معنى البهيمة فى الطبع ما أكل لحم الحيوان وكَلب على الناس وإنما جعلناه تبعاً للفهد وهذه حالته لمشاركته له فى حرفة الصيد واعتناء الناس بتربيته وتعليمه كما اعتنوا بالفهد فى ذلك وهو نوعان أهلى وسلوقى ومما يختص به الكلب السلوقى من الطباع وسبب نتاج السلوقى كما حكاه أهل الكلام فى الكلبية أن الكلاب تسفد الذئب فى أرض سلوقة من أرض اليمن فيتولد بينهما السلوقى وقال آخرون الثعالب والكلب السلوقى له نفس مولعة بتناول ما يرسل عليه ويطلبه بالاحضار خلفه حتى يدركه فيأخذه لهم لأن حرصه على الصيد وغضبه ليس من أجل نفسه كما يغضب الفهد لأن الجوارح تعمل لانفسها الا الكلاب فإنها تكتسب لاصحابها وهى اذا كثرت عليها الآثار واختلطت تنتكب لذلك وتذهب فى كل جهة حتى تستثبت الاثر وتتحقق جهته وذلك من حرصها على مطاوعة ربها واستعدادها لنكاية أعدائه ومسارعها لتحصيل غرضه الذى ارسلها بسببه ومن أعجب الاحوال فيه أنه اذا عاين الطباء قريبة منه كانت أو بعيدة عرف المقبل منها والمدبر وعرف العنز من التيس، وإذا أبصر القطيع لم يقصد غير التيس لعلمه أنه اذا عدا شوطين لم يستطع البول مع شدة الحصر ورفع القوائم فينقص مدى خطاه ويعتريه الهير فيلحقه الكلب والعنز اذا اعتراه البول فى العدو ولم تمسكه وقذفت به لسعة السيل فلجل ذلك لا يطلبها ومن عجيب أمره أنه يعرف الميت من المتماوت حتى يقال ان الروم لا تدفن ميتا حتى يعرضونه على الكلاب فتظهر من شمه اياه علامة يستدلون بها على حياته أو موته ويقال ان هذا الحدق لم يوجد الا فى كلب يسمى القلطى وهو صغير الجرم قصير القوائم جدا ويسمى الصينى وهو مع هذا لا يبلغ رتبة الذئب فى الشم والاسترواح واناث الكلاب السلوقية أسرع تعلمنا من الذكور والفهد بالعكس، وهذا النوع يعيش عشرين سنة على ما زعم ارسطو وربما لم يبلغ الاناث هذا العمر.

دلائل النجابة والفراة فى الكلاب السلوقية: أما فى الخلقة فطول ما بين الرجلين واليدين وقصر الظهر وصغر الرأس وطول العنق وغضف الأذنين وبعد ما بينهما وسعة العينين وبعد ما بينهما وزرقة العين وتواء الجبهة وعرضها وقصر اليدين، وأما الألوان فيقال السود أقل صبورا على الحر والبرد والبيض أفره إذا كن سود العيون وقد قال قوم إن السود أصبر على البرد وأقوى وكذلك السود من الحيوان.

الفراة فى الجرو: إذا ولدت الكلبة واحدا كان أفره من أبويه وان ولدت ذكرا وانثى كان الذكر أفره وان ولدت ثلاثة فيها أنثى فى شبه الام كانت أفره من أبويه الثلاثة وإن كان فى الثلاثة ذكر واحد فهو أفرها قال ابن خفاجة:

ومورس السريال يخلع قده	عن نجم رجم فى سماء غبار
يستن فى سطر الطريق وقد عفا	قدما فيقرأ أحرف الآثار
عطف الضمور سره فكأنه	والنقع يحجبه هلال سرار
يفتر عن مثل النصاب وإنما	يمشى على مثل القنا الخطار

الارجاني:

وعصف يسابق عصف الريا	ح فيسبقه خصرها ان تسم
رياح مجشمة للعيو	ن منقلدة فى طلاها رمم
لهن من البيض مصقولة	تسل وتغمد من كل فم
فمن أبيض مثل لون الدمق	س ومن أصفر أملس كالزلم
وآخر ذى لمع فى السوا	د حكى لونها نفخة فى فحم
يقرط مخلبه اذنه	ويسبق ناظره حيث أم

القول فى العقاب: وهذا الصنف يؤنث ولا يذكر ويسمى العنقاء على ما ذهب إليه أهل اللغة وبهذا القول فسر قول أبى العلاء المعرى:

أرى العنقاء تكثر أن تصادا فعماند من تطبيق له عنادا  
ولا خلاف عند أهل اللغة فى ذلك وهو ينقسم إلى صنفين عقاب ورمح فأما العقاب  
فمنها فى اللون السود والخوخية والصقع والسقع والبيض والشقر ومنها ما يأوى الجبال  
ومنها ما يأوى الصحارى ومنها ما يأوى البياض ومنها ما يأوى حول المدن ويقال ان ذكورها  
من طير آخر لطيف لجرم لا يساوى شيئا والعقاب يبيض فى الغالب ثلاث بيضات ويعرضها  
ثلاثين يوما وما عداها من الجوارح يبيض بيضتين فى كل سنة ويعرضن عشرين يوما وفى

طبع الذكر انه يمتحن انثاه هل هى محافظة له او موافية لغيره من جنسه بأن يصوب بصر فرخيه إلى شعاع الشمس فإن ثبت عليه تحقق أنهما فرخاه وإن لم يصبر عليه ونبا عنه ضرب الانثى كما يضرب الرجل المرأة الزانية وطردها من وكره ورمى بالفرخين وهى تربي فراخها إلى أن تقوى على الطيران فتخرجها وتنفيها عن جميع مواضعها ومن حقوقها لفراخها أنها لا تحمل على نفسها فى الكسب عليها ومتى كان الذكر والانثى فى مكانين مجتمعين لا يدعان غيرهما من جنسهما بأوى قريبا منه ولا يصيد فيه وهى اذا صادت شيئا لا تحمله على الفور إلى مكانها. بل تنقله من موضع إلى موضع ولا تجلس الا على الاماكن المرتفعة لانها لا تستقل من الارض إلا ببطء وعسر وإذا صادت الارنب تبدأ بصيد الصغار ثم تصيد الكبار وهى أشد جراءة من سائر الجوارح وأقواها حركة إلى الغضب وأسرعها اقداما وأيسها مزاجا ولذلك هى أحدها وهى خفيفة الجناح سريعة الطيران فهى إن شاءت كانت فوق كل شىء وان شاءت كانت بقرب كل شىء تتغذى بالعراق وتتعمشى باليمن وريشها الذى عليها فروتها فى الشتاء وحيسها فى الصيف وربما صادت حمر الوحش وذلك أنها اذا نظرت الحمار رمت نفسها فى الماء حتى تبتل جناحها ثم تتمرغ فى التراب ثم تطير حتى تقع على هامة الحمار ثم تصفق على عينيه بأجنتها فتملاهما ترابا فلا يبصر حيث يذهب فيؤخذ وهى مولعة بصيد الحيات ولو عها بها كولوج الحيات بالفار وفى طبعها قبل ان تدرج ان لا تراوغ صيدا ولا تعنى فى طلبه ولا تزال موفية على شرف عال فإذا رأت سباع الطير قد صادت شيئا انقضت عليه فيتركه له وينجو بنفسه ومتى جاعت لم يمتنع عليها الذئب وهى شديدة الخوف من الانسان تنظر إليه بقرب منها ويقال إنها إذا شاخت وهرمت وثقل جناحها وأظلم بصرها التمسست غديرا فاذا وجدته حلقت طائرة فى الهواء ثم تقع فى ذلك الغدير وتنغمس فيه مرارا فيصح جسمها ويقوى بصرها ويعود ريشها ناشئ إلى حالته الأولى ومتى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان إلى مكان لطلب الصيد وتعولها إلى ان تموت ومن عجيب ما ألهمته انها إذا اشتكت كبدها من رفع الارانب والثعالب فى الهواء أكلت أكبادها فتبرأ وهى تأكل الحيات إلا رءوسها والطير الا قلوبها ويدل على هذا قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا يابسا      لدى وكرها العناب والحشف البالى

ومنقارها الاعلى يعظم ويتعقف حتى يكون سبب هلاكها لانها لا تنال به الطعم حيثئذ

وأول من صاد بها أهل المغرب وإنما رغبهم فيما رأوا من شدة شرها وعظم سلاحها وصفة المحمود منها وثاقة الخلق وثبوت الأركان وحمرة اللون وغثور الحماليق وإن تكون صقعا عجزا وهى التى تكون على علوتها بياض وأجودها ما جلب من سرب وجبال المغرب.

## ابن نباتة:

أثيت إليها وهو كالفرخ راقد      فيما خجلى لما دنوت وأقلالى  
فقلت امرسيه بالأصابع فالتقى      لدى وكرها العتاب والحشف البالى

القول فى طبائع البازى: وتنقسم إلى خمسة أصناف البازى والزرق والباشق والعفصى والبيدق والبازى أحرها مزاجا لأنه قليل الصبر على العطش ومأواه مساقط الشجر العادية المتلفة والظل الظليل ومطرده المياه وهو لا يتخذ وكرا إلا فى شجرة لها شوك مختلفة الحجون يطلب بذلك الكن ولا يقع فى شتاء ولا صيف على أغصانها ولا أطرافها وإذا أراد أن يفرخ بنى لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل إليه منه مطر ولا ثلج اشفاقا على نفسه من البرد والحر ولهذا إذا أخطأ صائده وكان فى برية لا شجر فيها طار ممنا حتى يلج كهفا من جبل أو جدار من الأرض ليسكن فيه ولذلك علق عليه الجرس كما يدل على موضعه إن خفى وهو لا يطيق البرد ولا الحر لرقه جوانحه فسيبيله فى البرد أن تقرب منه النار ليدفأ ويجعل تحت كفيه فى الشتاء وبر الثعلب واللبود وسبيله فى الحر أن يجعل فى كن كنين من السموم بارد النسيم ويفرش له الريحان والخلاف، وهو خفيف الجناح سريع الطيران يلف طيرانه كالتفاف الفاخنة ويسهل عليه أن يزج نفسه صاعدا وهابطا وينقلب على ظهره حتى يلتقم فريسته وسبيله أن يضرا على صيد الدراج والنبع إن كان طويل المنسر وإذا كان قصير المنسر فسيبيله أن يضرا على طير الماء والحبرج والانات من هذا الصنف أجرا على عظام الصيد من ذكورها، قال أصحاب البيزرة فى الكلام على الاناث من البزاة إذا كان وقت سفادها وهياجها يغشاها جميع أجناس الحيوان الضواري كلها الزرق والشاهين والصقر وإنما تبيض من كل طير يغشاها ولهذا تجيء مختلفة الاخلاق من الحسن والجرأة والخبث والغدر والذكاء والقوة والضعف والحسن والقيح والشرامة ولهذا البازى لا يترك ما بين العصفور إلى الدراج والكرامى وصفة الفاخر منه أن يكون قليل الريش أحمر العينين حادهما وأن يكونا مقلبتين على منسره وجؤجؤهما مطلق عليهما لا يكون وضعهما فى

جنبي رأسه كوضع عين الحمام والاورق دون الأحمر العين والاصفر دونهما وسعة الاشداق دليل على قوة الافراس.

ومن صفاته المحموده أن يكون طويلا عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانخراط إلى ذنبه وإن تكون فخذاه طويلتين مسرولين بريش وذراعه قصيرتين غليظتين وأشاجع كفيه عارية وأصابعه متفرقة لا تكون مجتمعة ككف الغراب ومخلبه اسود ومنسره اسود رقيقا وأفخر الالوان البيض ثم الشهب وهما لوان يدلان على الفراهه والكرم وأما الاسود الظهر المنقش الصدر بالسواد والبياض فهو يدل على الشدة والصلابة فإن اتفق أن يكون أحمر العينين وكثيرا ما يتفق كالثيابة وهذا اللون في البزاة كالكميت من الخيل لأنه يدل على الشدة والاحمر من هذا الصنف أحسن البزاة لأنه فيها كالسوسى من الخيل بعيد من الصلاح، وأول من صاد بهذا الجارح لزرتق أحد ملوك الروم الأول وذلك أنه رأى بازيا إذا علا كنف وإذا أسفل أخفق وإذا أراد يسمو ذوق فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثرة الدغل فأعجبته صورته فقال هذا طائر له سلاح تزين بمثله الملوك فأمر بجمع عدة من البزاة فجمعت وحصلت في مجلسه فعرض لبعضها اثم فوثب عليه فقتله فقال ملك يغضب كما تغضب الملوك ثم أمر به فنصب على كندرة بين يديه وكان هناك ثعلب فمر به مجتازا فوثب عليه فما أفلت منه الا جريحا فقال هذا جبار يمنع حماه ثم أمر به فضرى على الصيد واتخذته الملوك بعد ذلك.

ابن الايثر في البزاة: وأطلقت لك البزاة بعد أن ذكر اسم الله على اطلاقها وتعلقت بما فوقها من الطيور حتى كأنما هي أطواق في أعناقها.

ومن رسالة لأبي اسحاق إبراهيم بن خفاجة يصف بازيا طائرا يستدل بظاهر صفاته على كرم ذاته طورا ينظر نظر الخيلاء في عطفه كأنما يزهى به جبار وتارة يرمى نحو السماء بطرفه كأنما له هناك اعتبار وأخلق به أن ينقض على قنبصة شهابا ويلوى ذهابا ويحرقه مواعد والتهايا حميد العين والاثر حديد السمع والبصر يكاد يحس ما يجرى ببال ويسرى في خيال قد جمع بين عزة مليك وطاعة مملوك فهو بما يشتمل عليه من علو الهمة ويرجع إليه بمقتضى الخدمة مؤهل لابرار ما تقتضيه شمائله وايجاب ما تعديه مخائله وخليق بمحكم تأديبه وجودة تركيبه أن لو مثل له النجم قنصا أو جرى للبرق فقصا لاختطفه أسرع من لحظه وأطوع من لفظه وانتشبهه أمضى من سهم وأجرى من وهم وقد أقسم بشرف جوهره

وكرم عنصره لا بوجه مسفرا الا وعاد قنيصه معفرا وآب إلى يد من أرسله مظفرا مودد  
المخلب والمنقار كأنما اختضب نجبا أو كرع فى عقار.

وصفاته المحمودة: أن يكون صغيرا فى المنظر ثقيلًا فى الميزان طويل الساقين قصير  
الفخذين عظيم السلاح بالنسبة إلى جسمه.

القول على الصقر: وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لأنه أصبر على الشدة  
وأحمل لغليظ الغداء وأحسن إلفا وأشد اقداما على جملة الطير من الكراكى والجوارح  
ومزاجه أبرد من سائر ما تقدم وأرطب وذلك معروف من ركوده وقلة حركته وعدم التفات  
ريشه وبهذا السبب يضرأ على الغزال والارنب ولا يضرأ على الطير لانها تفوته وفعله فى  
صيده الانقضاض والصرم وهو غير صاف بجناحه ولا خافق به ومتى خفق بجناحه كانت  
حركته بطيئة بخلاف البازى وتقول أصحاب البيزرة أنه أهدى نفسا من البازى وأسرع أنسا  
بالناس وأكثرها رضا وقناعة وهو يفتدى بلحوم ذوات الاربع ولبرد مزاجه لا يقرب المياه  
ويعافها ولو لم يجدها الدهر ما أرادها ولاجل ذلك يوصف بالبخر وتنن القم، وفى طبعه أنه  
لا يركب الشجر ولا شوامخ الجبال ولا يأوى الا المقابر والكهوف وصدوع الجبال وفيه  
جين ونفسه دون سدته ولذلك يضرب الغزال والارنب ويهرب منه ولا يكاد يعلق بفريسة  
فإذا فارقتها عاد إليها منقضا فيضر بها ويرقى هاربا وكلما تقدم ذكره يتقى بالماء ويغتسل وهو  
يتقى بالتمعك فى الرمل.

وصفاته المحمودة أن يكون أحمر اللون عظيم الهامة واسع العينين تام المنسر طويل  
العنق والجناحين رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين  
والذنب قريب الفقرة سبط الكف غليظ الاصابع فيروزجها أسود اللسان، وأول من صاد به  
وضراه الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة فإنه وقف يوما على صياد قد نصب للعصافير  
شبكة فانقضص صقر على عصفور قد علق فجعل يأكله والحارث يعجب فأمر فأتى وقد  
انطق جناحه فرمى به فى كسر بيت ووكل به من يطعمه قدرته حتى صار اذا أتى إليه باللحم  
ودعاه أجاب ثم صار يطعمه على اليد ثم صار يحمله لانس به فبينما هو يوما يحمله اذ رأى  
حمامة فطار عن يده إليها فأخذها وأكلها، فأمر الحارث باتخاذها والتصيد بها فبينما هو يوما  
يسير اذ لاحت له أرنب فطار الصقر إليها وأخذها فلما رآه يعاقب بين الطيور وبين الارانب  
ازداد الحرث فيه محبة واغتباطا واتخذته العرب بعده.

وقال كشاجم فيه:

عدونا وطرف النجم وسان غائر  
بأجدل من حمر الصقور مؤدب  
جرى على قتل الطباء واننى  
قصير الذبائى والقدامى كأنها  
ونقش منه جـؤجـؤ فكأنه  
فما زلت بالاضمار حتى صبغته  
وتحملة منا أكف كريمة  
وعن لنا من جانب السفح ربرب  
فحلى وحلت عقدة السير فانتحى  
يحث جناحيه على حر وجهه  
وما تم رجع الطرف حتى رأيتها

القول على الشاهين: تقول أصحاب البيزرة: الشاهين من جنس الصقر الا أنه أبرد منه وأيسر ولاجل ذلك تكون حركته من العلو إلى السفلى شديدة وليس يحلق فى طلب الصيد على خط مستقيم وإنما يحوا لثقل جناحه حتى إذا سامت فريسته انقض على فريسته هاويا من علو إلى سفلى فضر بها وطار بها يطلب الصعود وإن سقطت على الأرض أخذها وإن لم تسقط عاد وضر بها لتسقط وذلك دليل على جبنه وفتور نفسه وبرد مزاج قلبه وعلى كل حال فالشاهين أسرعها وأخفها وأشدّها ضراوة على الصيد إلا أنهم عابوه بالاباق وربما يعتربه من الحرص حتى أنه ربما ضرب بنفسه الأرض فمات، ويقولون إن عظامه أصلب من عظام سائر الجوارح ولذلك هو يضرب بصدرة ويعلق بكفه وقال بعض حذاق هذا الفن الشاهين كاسمه يعنى الميزان لأنه يحمل أدنى حال من الشيع ولا أيسر حال من الجوع.

والمحمود من صفاته: أن يكون عظيم الهامة واسع العينين حادهما تام المنسر طويل العنق رحب الصدر متملى الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب الفقرة من الظهر قليل الريش تام الخوافى رقيق الذنب اذا صلبت عليه جناحاه لم يفضل عنهما شيء منه فإن كان كذلك فهو يقتل الكراكى ولا يفوته صيد كبير وزعم أهل الاسكندر أن السود منها هى المحمودة وأن السواد أصل لونها وإنما قلبته التربة فحال ويكون فيها الملمع، ويقال إن أول من صاد بها قسطنطين ملك عمودية حكى أنه خرج يوما يتصيد بالبيزرة

حتى انتهى إلى خليج القسطنطينية وهو المسمى بحر ينطش فعبر إلى مرج بين الخليج والبحر فنظر إلى شاهين ينكفى على طير الماء فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته والحاحه على الصيد فأمر له أن ينصب له حتى صيد فأخذه وضراه ثم رىضت له بعد ذلك الشواهين وعلمت أن تحوم على رأسه إذا ركب فتظله من الشمس فكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى فإذا نزل وقفت حوله.

الوصف والتشبية قال صلاح الدين الصفدى ملغزا فى بجمع:

مما طائر فى قلبه      يلوح للناس عجب  
منقاره كبطنه      والرأس منه فى الذنب

محمى الدين بن عبد الظاهر:

بى من أمير شكار      هو يذيب الجوانح  
لما حكى الظبى حسنا      حنت إليه الجوارح

نقلت من كتاب المصائد والمطارد لأبى الفتح كشاجم قيل لمن كان مدمنا للصيد من حكماء الملوك إنك قد أدمنت هذا وهو من خير الملاحى وفيه مشغلة عن مهم الامور ومرعاة الملك فقال إن للملك فى مداومة الصيد حظوظا كثيرة أقلها تنبته فى أصحابه مواقع العمارة من بلاده فى التقصان والزيادة فإن رأى من ذلك ما يسره بعته الاغتباط به على الزيادة فيه وإن رأى أمرا ينكره جرد عنايته له ووفرها على تلافيه فلم يستر عنه حال ورأس الملك العمارة ولم يخرج ملك للصيد فيرجع بغير فائدة، أما حدائنه خيله فيمرنها ويكف من غرب جماحها، وأما شهوته فينشيها، وأما فضول بدنه فيذبيها، وأما مراودة ومفاضلة فيسلسها، وإما أن يكون قد طويت عنه حال مظلوم فيتمكن من لقائه ويرجع إليه ظلامته فيسلم من مأثمه وإما أن ينكفى بصيد يتفاد بالظفر به إلا خلال كثيرة لا يجهل ما فيها من الريح ومنه من فضل العلم بالصيد والعادة ما حكاها لى أبى عن أبى إسحاق إبراهيم بن السدى عن الملك بن صالح الهاشمى عن خالد بن برمك أنه كان نظر وهو مع صالح صاحب المعلى وغيره من رجال الدعوة وهو على سطح قربه نازل مع قحطبة حين قفلوا من خراسان وبينهم وبين عدوهم مسيرة ليل وأيام إلى أقطيع ظباء مقبلة من البر حتى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبة ناد فى الناس بالاسراج والالجام وخذ الابهة فتشوف قحطبة فلم ير شيئا يروعه، فقال لخالد ما هذا رأى فقال أما ترى هذه الوحوش قد أقبلت إن

وراءها لجمعا يكشفها فما تمالك الناس أن تاهبوا حتى رأوا طليعة ولولا علم خالد بالصيد لكان الجيش قد اصطملم، ووقف بعض الملوك بصومعة حكيم من الرهبان فاستجاب له فقال له ما اللذة قال كباثر اللذات أربع فعن أيهن تسأل قال صفهن لى قال هل تصيدت قط قال لا قال ألك حظ بالسماع والشراب قال لا قال فهل فاخرت ففخرت أو كاثرت فكثرت قط قال لا قال وما بقى من اللذات.

الجوارح أربعة البازى والشاهين والصقر والعقاب وما يضاف إليها فنقتصر على ذكر هذه الأربعة إذا كانت أركان الجوارح ومعتمد الملوك عليها فالمبدأ به منها البازى يقال باز وبزاة مثل قاض وقضاة وبيزان كغاز وغيزان وبازى وبوازى قال لبيد بن ربيعة:

لقيت لنا بوازى صائتات وطيرك فى مكائنها لبود  
وأول من تهدى إلى الصيد به تقدم ذكره ولا يعرف كحرصه حرصا ولا كجده جدا  
وفى أخبار نصر بن سيار أن بعض كبراء الدهاقين غدا عليه بطبرستان ومعه منديل فيه شىء  
ملفف فكشف عنه بين يديه فإذا فيه هيئة شلو باز ودراجة محترقين فقال نصر ما هذا فقال  
الرجل خرجت ومعى هذا البازى وثارث دراجة فاضطرب عليها وأحست به وقد كنت  
مررت بقصباء أفسدت أرضا لى فأمرت بإحراقها فاضطربت فتحاملت الدراجة حتى  
اقتحمت النار هاربة واشتد قربه إليها فلم تنه النار عنها واقتحم فى أثرها فأسرعت فيهما  
فأدركتهما النار واحترقا فأحضرتهما للامير ليرى بهما ثمرة افراط الحرص وافراط الجبن  
وما أحسن صورة اجتمع فيها ثلاث بزاة على ظهر فرس فى كف رجل واختلف رأى  
الملوك فيما مثلته فى تيجانها ولباسها، فكانت أمثلة تاج ملك جيلان ولباسه صورة بزاة فقيل  
له فى ذلك فقال وجدت الانسان يحمله الفرس ووجدت البازى يحمله الانسان لينال عليه  
لذته وبغيته وطرده ووجدته أيضاً ملك نوعه وإذا كنت أحمله جسما فى الحقيقة فلا أعاب  
به فانا فى تمثيله وحمله مثالا فى لباسى وحلتى أعذر.

ومن فضائله: أن الصيد فيه طبع لأنه يؤخذ فرحا من وكرهه من غير أن يكون حذق ولا  
تصيد مع أبويه فيصيد ابتداء من غير تضرية ولا استجابة وليس ذلك فى الصقر والصقور  
بعكسه ومن ملح أخباره وأمثاله أن خالد بن برمك قال بينما أبو أيوب الكاتب جالس فى  
أمره ونهيه إذ أتاه رسول المنصور فامتقع لونه فلما رجع تعجبنا من حاله، فقال أنا أضرب  
لكم مثلا زعموا أن البازى قال للديك ما فى الأرض حيوان أقل وفاء منك قال وكيف ذلك

قال أخذك أهلك بيضة فحضنوك ثم خرجت على أيديهم وأطعموك فى أكفهم ونشأت بينهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو إليك أحد الا طرت مرة كذا ومرة كذا وصوتت وحذرت، وأنا مسونى من الجبال فعلمونى وألقونى فى الهواء فأخذ صيدى فأجىء به إلى صاحبى، فقال له الديك إنك لو رأيت من البزاة فى سفافيدهم مثل الذى من الديوك لكنك أنفر منى ولكنكم أنتم لو علمتم ما أعلم ما تعجبتم من خوفى مع ما ترون من تمكن حالى وأقول إن هذا المثل يتصل به معنى حسن لكفاءة السلطان وأعوانه وهو أنه ينبغى لتابع السلطان أن يجتهد فى توفير الحظ واجتلاب المنافع إليه حتى يكون كالبازى الذى دفع عن نفسه ما وقع الديك فيه برغبة صاحبه فى كسبه ووده ولم يقنع له بالسلامة حتى أكرمه بالدستيان وأركبه يده وحلاه الجللج وأطعمه من خالص كسبه ومن غير كسبه وعجز الديك عن هذه الفضائل والمكاسب واقتصر على شهوة الفساد والترفه واللفظ فحل به ما حل.

أمارات الجراءة فيه: يمتحن ذلك بان ينصب فى بيت مضىء ثم يقطع عنه الضوء ويسد ما يدخل اليه من النور فإذا أظلم البيت دنوت من البازى فلمسته مسرعا فإن وثب على يدك وقبضها فهو جرىء بصيد عظام الطير وان تقبض وسكن فليس كذلك، ومن أمارات القوة أن يشد فى زاوية البيت وينظر أين يبلغ بزرقه من الحائط فأرفعها زرقا أشدها قوة وتدل قوته على طيرانه وصيده.

ومن ملح ما ورد فى التعريض باسمه ما قاله بعض التميميين لرجل من نمير ما أحسن صيد البازى فقال له النميرى لا سيما اذا أرسل على القطار اراد التميمى:

أنا البازى المطل على نمير      أتيح من السماء لها انصبابا  
وأراد النميرى:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا      ولو سلكت سبل المكارم ضلت

قلت وما أحسن جواب بعض الشعراء وقد حضر بين يدي أمير يمدحه فقال له الامير

ممن الرجل فقال من بنى تميم فقال الذين يقول فيهم القائل:

\* تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا \*

فقال بتلك الهداية جئتك فخبجل الامير وسأله كتمانها بعد الاجازة.

الاقوات المحمودة للصيد يوم الغيم الذى لا مطر فيه ويوم المطر للقصف ويوم

الصحو للقاء الناس والملوك تغلس للطرد لأن الطرائد فى ذلك الوقت تكون رابضة فتستثار وفيها أثر التوم وأما يوم الصيد فالسبت، وقد قيل فى ذلك:

لنعم اليوم يوم السبت حقا لصيد إن أردت بلا امتراء

والاختيار فى باب النجوم فهو اختيار الحرب والوجه أن يكون صاحب السابع فى الطالع فىكون المتبوع مأسورا ويكون القمر مناظراً لآحد السعدين أو متصلاً به فى برج ذوات أربع قوائم، قال أبو سهل النوبختى وصاحب الطالع فيه الزهرة والمشتري يسعدها بنظره وهذا معدن من معادن علم النجوم.

الشيخ جمال الدين بن نباتة يقرض رسالة بندقية ومن بندقية لها الشرف الرفيع على كل قول والطرف البعيد على كل ذى صوغ من اللفظ وصول وصف فيها الرياض فكأنما وصف كلامه وذكر فيها الواجب فكأنما ذكر بحقوق هذه الصناعة قيامه فما قوس السماء بدا فى مصباغات غلاته ورمى ببندق برده الجذب فى مقاتله بأبهج من وصفه لتلك القسي المذبحة الجافية المتعطفة الجانية الا على الطير الممتنع الصائبة بعيون أوتارها شمله المجتمع قسى قاسية الجوانح لينة الا على الجوارح طالعة أهلتها بفناء السوانح والبوارح ومبتذلة مكرمه صامته الا انها لذوات الجوارح مكملة قادرة على العطاء والعطب باهرة الفضائل التى لولا بدائع الصنع لما نبتت منها فى عصب قد ألفت الرياض فلبست بعض برودها وطلبت شأو السماء فنثرت مثل عقودها تقوم بالواجب وتعين بعين وحاجب وتأخذ على الطير المطار وتذكر قيامها تحته وهى غصن فتطالبه بأوتار كأن كل قوس منها حاجبان وقبضته البلج وكان بيدقها طالب ما فتح باب نجاح وجناح الا ولج ولج ومن غزالية غزلية براعية أسلية تقتص فيها شوارد الحكم وقيد أو ابدأ المعانى بجناح القرطاس ومخلب القلم وتصرف من تقرىظ مواطن الصيد فى باب المنايا والمنايح وتلطف فى الاقوال التى لو شاء لعطف عليها الطباء السوانح وأنى بعيون الدرر التى نظمت وفنون الحلل التى رقت لا بالجزع الذى لم ينقب من عيون الوحش ولا بمناديل أعراف الجياد التى غيرها المس والمش حتى عرف البلغاء أنها أقوى على دفع الخطب وسجع الخطب وأن أقلامهم إذا شاركت قلمه فى المعانى كان منه الصيد ومنها الخطب وان غزالا وصفه قد سرف على الغزالة وزهى بما حشده من التقريظ وغزاله فلو استطاع الشكر منه كرم ما لسطر مدحه فكان الخط دواة والقرن قلما على أن عدل قلمه لو شاء لم ترع ظبية فى مداها ولم تخف من مناسر البراة حد مداها ولم تبلغ يد منهم من ريم مراما ولكانت عينه بل كل عين فى جسده من أعين الطباء حراما وله فيها:

اسعد بها يا قمري برزة  
صرعت طيرا و سكنت الحشى  
سعيدة الطالع والغارب  
فما تعديت عن الواجب

وللشيخ جمال الدين بن نباتة من رسالة طردية حاملين قسيا كالأهله لا جرم أنها تقصر لذوات الجناح عمرا متأبطين حرا وآت يقول الطير عن حواملها هذا الذى تسميه العرب تأبط شرا.

ومن انشاء القاضى شهاب الدين محمود الحلبي:

وبرزنا وشمس الاصيل تجود بنفسها وتسير من الافق الغربى إلى موضع رسمها، وتغازل عيون النور بمقلة أرمده وتنظر إلى صفحات الورد نظر المريض، إلى وجوه العود فكانها كشيبة أمسى من الفراق على فرق، أو عليل تقضى بين صحبة بقايا مدة الرمق، وقد اخضلت عيون النور لوداعها وهم الروض بخلع حلتها المموهة بذهب شعاعها.

والظل فى أعين التوار تحسبه  
كالمؤلؤ ظل عطف الغصن متشحا  
دمعا تحير لم يرقى ولم يكف  
بعقده وتندى منه فى شنف  
يضم من سندس الاوراق فى صرر  
والشمس فى طفل الامساء تنظر من  
كعاشق سار عن أحبابه وهفا  
به الهوى فترآهم على شرف

إلى ان نضا المغرب عن الافق ذهب قلائدها وعوضه عنها من النجوم بخدمها وولاندها فلبثنا بعد آداء الفرض لبث الأهلة ومنعنا جفوننا أن ترد النوم الانحلة ونهضنا ويرد الليل موشع وعقده مرصع واكليله مجوهر وأديمه معبر ويدره فى خدر سواره سستكن وفجره فى حشا مطالعه مستجبن كأن امتزاج لونه بشفق الكواكب خليط مسك وصندل وكان ثرياه لامتداده معلقة بامراس كتان الى صم جندل:

ولاحت نجوم الليل زهرا كأنها  
محلقة فى الجو تحسب أنها  
عقود على خود من الزنج تنظم  
طيور على نهر المجرة حوم  
إذا لاح بازى الصبح ولت يؤمها  
إلى الغرب خوفا منه بسر ومزرم

إلى حدائق ملتفة وجداول محتفة إذا جمش النسيم غصونها اعتنقت عناق الاحباب وإذا فرك من المياح متونها انسابت فى الجداول انسياب الحباب ورقصت فى المناهل رقص العباب وان لثم ثغور نورها حيته بأنفاس المعشوق وان أيقظ نواعس ورقها غنته بالحن المشوق فنسيمها وان وشميمها بعرف الجنان عنوان ووردها من سهر نرجسها غيران وطلها فى خدود الورد مهتد وفى طرز الريحان حيران وطاثرها غرد وماؤها مطرد وغصنها تارة

يعطفه النسيم إليه فينعطف وتارة يعتدل تحت ورقائه فيظنها قوم همزة على ألف مع ما فى تلك الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب اذ كلما اعتل النسيم صح نشر الروض وكلما خر الماء شمع القضيب:

وكأنما تلك الغصون وقد ثنت  
أعطافها رسل الصبا أحباب  
فلها اذا افتقرت من استعطفها  
صلح ومن سجع الحمام عتاب  
وكانها حول العيون موايسا  
شرب وهاتيك المياها شراب  
فغديرها كأس وعذب نطاقها  
راح وأضواء النجوم حباب  
تحيط بملق ماؤها صاف وظلال دوحها ضاف  
وحصاؤها بصفاء مائها فى نفس الامرار  
كدو فى رأى العين طاف اذا دغدغها النسيم العليل  
حسبت ماءها بتمايل الظلال فيه يتبرج  
ويميل وإذا اطردت عليه أنفاس نسيم الصبا ظننت  
أفياء تلك الغصون هوى بمثلها فى قلبه  
وكان النسيم أيضا كلف بها غار من دنوها  
إليه فميلها عن قربه والسرو مثل عرائس لفت  
عليهن الملاء شمرن فضل الازر عن سوق  
خلاخلهن ماء والنهر كالمرأة تبصر وجهها فيه  
السماء وكان صواف الطير المبيضة بتلك  
الملق خيام أو قباب على الرقمتين قيام وأباريق  
فضة رءوسها لها قدام ومناقيرها المحمرة  
أول ما أنسكب من المدام وكان رقابها رماح  
أستها من ذهب أو شموع أسود رءوسها ما انطفى  
وأحمره ما التهب وكنا كالطير الجليل  
عدة وكطراز العمر الأول جدة:

من كل أبلج كالنسيم لطافة  
عف الضمير مهذب الاخلاق  
مثل البلور ملاحه وكعمرها  
عددا ومثل الشمس فى الاشراق  
ومعهم قسى كالغصون فى لطافتها  
ولينها والأهلة فى نحافتها وتكونها  
والازهار فى ترافتها وتلوينها بطونها  
مدبجة ومتونها مدرجة كأنها كوكب  
الشولة فى انعطافها أو أوراق  
الظباء فى التضافها لأوتارها عند القوم  
أوتار ولبنادقها فى الحواصل أو كار  
إذا انتصبت لطير ذهب من الحياة نصيبه  
وإذا انتضت لرمى بدت لها أنه أحق بها  
أن تصيبه ولعل ذلك الصوت زجر  
لبندقها أن ييطىء فى سيره أو يخطئ  
الغرض إلى غيره أو وحشة لمفارقة  
افلاذ كبدها وأسف على خروج بنيتها  
عن يدها على أنها طالما نبذت بنيتها  
بالعراء وشفعت لخصمها التحذير  
بالاغراء:

مثل العقارب أذنايا معقدة  
لمن تأملها أو حقق النظرا  
إن مدها قمر منهم وعائنه  
مسافر الطير فيها واتسرى سفرا  
فهو المسىء اختياراً اذ نوى سفرا  
وقد رأى طالعا فى العقرب القمر

ومن البنادق كرات متفقة السرد متحدة العكس والطرده كأنما خرطت من المندل  
الربط أو عجنت من العنبر والورد تسرى كالشهب فى الظلام وتسبق إلى مقاتل الطير  
مسددات السهام:

مثل النجوم إذا ما سرن فى افق	عن الأهلة لكن نونها راء
من فاتها من نجوم الليل إن رمقت	الاثبات يرى فيها وأضواء
تسرى ولا يشعر الليل البهيم بها	كأنها فى جفون الليل اغفاء
ويسمع الطير اذ تهفو قواده	خوافقا فى الدياجى وهى صماء

تصونها جراؤه كأنها درج درر أو درج غرر أو كمامة ثمر أو كنانة نبل أو غمامة وبلى  
حالكة الاديم كأنما رقت بالشفق حلة ليلها البهيم:

كأنها فى وضعها مشرق	تنبت منه فى الدجا الانجم
أو ديمة قد أطلعت قوسها	ملونا وانبعثت تسجيم

فاتخذ له كل مركزا وتقاضى من الاصابة وعدا منجزا وضمن له السعد أن يصيح  
لمراده محرزا:

كأنهم فى يمن أفعالهم	فى نظر المنصف والجاحد
قد ولدوا فى طالع واحد	وأشرفوا من مطلع واحد

فسرت علينا من الطير عصابة أظللتنا من أجنحتها سحابة من كل طائر أقلع يرتاد مرتعا  
فوجدوا الكن مصرعا وأشف يبنى ماء حماما فورد ولكن السم منقعا وحلق فى الفضاء يبنى  
ملعبا فبات هو وأشياعه للقسى سجدا ركعا فتبركنا بذلك الوجه الجميل وتداركنا أوائل  
ذلك القبيل فاستقبل أولنا ثم بدره وعظم فى نوعه قدره كأنه برق كرع فى غسق أو صبح  
عطف على بقية الدجى عطف النسق تحسبه فى أسداف المنى غرة نحج وتخاله تحت أذيال  
الدجى طرة صبح عليه من البياض حلة وقار وله كرة من عنبر فوق منقار من قار له عنق  
ظليم والتفاته ريم وسرى غيم بصرفه نسيم:

كلون المشيب وعصر الشبا	ب ووقت الوصال ويوم الظفر
كأن الدجى غار من لونه	فأمسك منقاره ثم فر

فأرسل إليه عن الهلال نجما فأسقط منه ما كبر بما سقط حجما فاستبشر بنجاحه وكبر  
عند صباحه وحصله من وسط الماء بجناحه وتلاه كى نقى اللباس مشتعل شيب الراس كأنه  
فى عرائن يشبه لأوائله كبير اناس إن أسف فى طيرانه فغمام، وإن خفق بجناحه قطع له بيد

النسيم زمام ذو عيبة كالجراب ومنتقار كالحراب ولون ثغر فى الدجى كالنجم ويخضع فى الضحى كالسراب ظاهر الهرم كأنما يخبر عن عاد ويحدث عن أرم:

ان عام فى زرق الغدير حسبته      مبيض غسيم فى أديم سماء  
أو طار فى أفق السماء ظنته      فى الجو شيخا عائما فى ماء  
مناقض الاوصاف فيه خفة الج      هال تحت رزانة العلماء

فثنى الثانى إليه عنان بندقه وتوخاه فيما بين أصل رأسه وعنقه فخر كمارد انقض عليه .  
نجم من أفقه فتلقاه الكبير بالتكبير واختطفه قبل مصافحته من الماء وجه الغدير وقارنته أوزة  
حلتها دكنا وحليتها حسنا لها فى الفضاء مجال وعلى طيرانها خفة ذوات التبرج وخفر ربات  
الحجال كأنما عبت فى ذهب أو خاضت فى لهب تختال فى مشيتها كالكاعب وتتأتى فى  
خطوها كاللاعب وتعطو بجيدها كالطير البهير وتندافع فى سيرها مشى القطاة إلى الغدير:

إذا قبلت تمشى فخطرة كاعب      رداح وان صاحت فصوله خادم  
وإن أقلعت قالت لها الريح لبت لى      خفا ذى الخوائى أو قوى ذى القوادم  
فأنعم بها فى البعد زاد مسافر      وأكرم بها فى القرب تحفة قادم

فلوى الثالث جيده إليها وعطف بوجه قوسه عليها فلحت فى ترفعها ممعنة ثم نزلت  
على حكمه مذعنة فأعجلها عن استكمالها الهبوط ورفعها قبل استقرارها السقوط واستولى  
عليها بعد استمرارها القنوط وحاذتها الغلغة تحكى لون وشيها وتصف حسن مشيها وترى  
عليها بغرتها وتنافسها فى المجالس كضرتها كأنها مدامة قطبت بمائها أو غمامة سفت عن  
بعض نجوم سمائها:

بغرة بيضاء ميمونة      تشرق فى الليل كبدر التمام  
وان تبدت فى الضحى خلتها      فى الحلة الدكنا برق الغمام

فنهض الرابع لاستقبالها ورمائها عن فلك سعده بنجم وبالها فجدت فى العلو مدة  
وطارت أمام بندقه ولولا اطراد الصيد لم تك لذة وانقض عليها من يده شهاب حتفها  
وأدركها الاجل لخفة طيرانها من خلفها فوقعت من الافق فى كفه وفرت من ثنايا واصفها  
عن صفة وأنت فى اثرها أنيسة آنسة كأنها العذراء العانسة أو الارماء الكانسة وعليها خفر  
الابكار وخفة ذوات الاوكار وحلاوة المعانى التى تجلى على الافكار ولها أنس الربيب  
واذلال الحبيب وتلفت الزائر المرهب من خوف الرقيب ذات عنق كالابريق أو الغصن  
الوريق قد جمع صفرته النهار إلى حمرة الشفق وصدر بهى الملبوس شهى إلى النفوس

كأنما رقم فيه النهار بالليل أو نقش العاج بالابنوس وجناح ينجيها من العطب يحكى لونه المنديل الرطب لولا أنه حطب مدبجة الصدر تفويقه أصناف إلى الليل ضوء النهار لها عنق خاله له من رآه شقائق قد سيحت بالبحار.

فوثب الخامس منها إلى الغنيمة ونظم فى سلكه تلك الدرّة البيّمة وحصل بتحصيلها بين الرماة على الرتبة الجسيمة وأتى على صياحها حبرج تسبق همته جناحه ويغلب خفق فؤاده صياحه مدبج المطا كأنه خلع حلة منكبيه على القطا ينظر من ذهب ويخطو على عود من لهب:

يزور الرياض ويجفّو الحياض ويشبه فى اللون كدر القطا  
ويهوى الزروع ويلهو بها فلا يرد الماء الا خطا

فبدره السادس قبل ارتفاعه وأعان قويسه بامتداد باغه فخر على آياته كبسطام بن قيس وانقض عليه راميّه فحصله بحذق وحمله بكيس.

وتعذر على السابع مرامه ونبا به عن بلوغ الارب مقامه فصعد هو وترب له إلى جبل وثبت فى موقفه من لم يكن له بمرافقته قبل فعن له نسر بقوادم شداد ومناسر حداد وخوافى مداد كأنه من نسور لقمن بن عاد تحسبه فى السماء ثالث أخويه وتخاله فى الفضاء قبته المنسوبة اليه قد حلق كالفقراء رأسه وجعل مما قصر من الدلوق الدكن لباسه واشتمل من الرياش العسلى ازارا واختار العزلة ولا تجد له الا فى قنن الجبال الشواهق مزارا قد شابت نواصى الليالى وهو لم يشب ومضت الدهور وهو من الحوادث فى معقل أشب:

ملك طيور الارض شرقا ومغربا وفى الفلك الاعلى له أخوان  
له خال فتاك وحليّة ناسك واسراع أقدام وفترة وان

فدنا من مطاره وتوخى بيندقة عنقه فوقع فى منقاره فكأنما قد هد منه صخرًا توخى أو هدم به بناء مشمخرا ونظر إلى رفيقه مبشرا له بما امتاز به عن فريقه واذا به قد أظلته عقاب كاسر كأنما قد أظلت صيدا قد أفلت من المناسر إن حطت فسحاب انكشف وان اقامت فكان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف بعيدة ما بين المناكب اذا أقطعت لجت فى علو كأنما تحاول ثارا عند بعض الكواكب:

ترى الطير والوحش فى كفها ومنقارها ذا عظام مزاله  
فلو أمكن الشمس من خوفها اذا طلعت ما تسمت غزاله

فوثب اليها الثامن وثبة ليث وثق من حر كاتها بنجاحها ورمائها بأول بندقية فما أخفنا

قادمة جناحها فأهوت كعمود صرع أو طود صدع قد ذهب بأسها وتذهب بدمها لباسها وكذلك القدر تخادع الجو عن عقابه ويستنزل الأعصم من عقابه فحملها بجناحها المهيض ورفعها بعد الترفع في أوج جوها من الحضيض ونزلا إلى الرفقة جزلين بربح الصفقة فوجد التاسع قد مر به كركى طويل السفار سريع التفار شهى العراق كثير الاغتراب يشتم بمصر ويصيف بالعراق لقواده في الجو هفيف ولأديمه لون سماء طراً عليها غيم خفيف تحن إلى صوته الجوارح وتعجب من قوته الرياح البوارح له شية حمراء في رأسه كوميض جمر تحت رماد أو بقية جرح تحت ضماد أو فص عقيق سفت عنه بقايا ثمداد ذو منقار كسنان وعنق كعنان كأنما بنوس على عود من أبنوس:

إذا بدا في افق مقلعا      والجو في الماء تفاورفه  
حسبته في لجة مركبا      رجسلاه في الافق محاذيفه

فصبر عليه حتى جازه مخلبا وعطف عليه مصلبا فخر مضرجا بدمه وسقط مشرفا على عدمه ولطالما أفلت لدى الكواسر من أظفار المنون وصابه القدر بحجة من حماء مسنون فكثر التكبير من أجله وحمله راميه من على وجه الارض برجله وحاذاه غرنوق حكاة في زيه وقدره وامتاز عنه بسواد رأسه وصدرة له ريشتان ممدودتان من رأسه إلى حلقه مفقودتان من أذنه إلى مكان سبقه له من الكراكي أوصافه سوى سواد الصدر والرأس إن شال رجلا وانبرى قائما ألميته هيئة برجاس.

فأصغى العاشر له منصتا ورماه ملتفتا فخر كأنه صريع الأشجان أو نزيف بنت الجان فأهوى إلى رجله بيده وأيده وانقض عليه انقضاض الكاسر على صيده وتبعه في المطا رضوخ كأنه من النضار مصبوغ تحسبه عاشقا قد مد صفحته أو بارقا قد بدت لفحته:

طويلة رجلاه مسودة      كأنما منقاره خنجر  
مثل عجوز رأسها اشمط      جاءت وفي رقبتهها معجر

فاستقبله الحادي عشر ووئب ورماه حين حازاه من كشب فسقط كفارس تقنظر عن جواده أو وامق احتسب حبة فؤاده فحمله بساقه وعدل به إلى زقاه واقرن به مرزم له في السماء سمي معروف ذو منقار كصدع معطوف كأن رباشه فلق اتصل بشفق أو ماء صاف علق بأطرافه علق له جسم من الثلج على رجلين من نار إذا ألق ليلا قلت صبح في الدجي نار.

فانتحاه الثاني عشر ميممًا ورماه مصمما فأصابه في زوره وحصله من فوره وحصل له

من السرور ما خرج به عن طوره والتحق به شبيطر كأن مدته مسطر ينحط كالسيل ويكر على الكواسر كالخيل ويجمع من لونه بين ضدين يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل يتلوى فى منقاره الايم كتلوى التنين فى الغيم:

تراه فى الجو ممتدا وفى فمه من الافاعي شجاع أرقم ذكر  
كأنه قوس رام عنقه يدها ورأسه رأسها والحية الوتر

فصوب الثالث عشر إليه بندقه فقطع الحبة ودق عنقه فوقع كالصرح الممرد أو الطرف الممدد وأتبعه عنان أصبح فى اللون ضده وفى الشكل نده كأنه ليل ضم الصبح إلى صدره وانطوى على هالة بدره:

تراه فى الجو عند الصبح حين ندا مسود أجنحة مبيض حيزوم  
كأسود حبشى عام فى نهر وضم فى صدره طفلا من الروم

فنهض تمام القوم إلى التمتة وأسفرت عن نهج الجماعة تلك الليلة المدهمة وغدا ذلك الطير الواجب واجبا وكمل العدد به قبل ان تطلع الشمس غيبا أو تبرز حاجبا فبها لها حصرت بابها الصوادح فى الفضاء المتسع ولقيت فيها الطير ما طارت من قبل على كل شمل مجتمع وأصبحت أشلاؤها على وجه الارض كفرائد صانها النظام أو مشرب كأن رقابهم من اللين لم يخلق لهن عظام وأصبحنا مثنين على مقامنا مثنين إلى مستقرنا ومقامنا.

كتب القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمري وهو بين يدي السلطان إلى نائب الشام المحروسة صحبة طيور أرسلها إليه من رأس قلمه ولا زالت مواهبنا تخصه بالمزيد وتحنفه بما يريد وتجعل له من الجوارح ما تعترف له السهام بأنها بغير جناحيه لا تصيب ولا تصيد صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى بسلام جميل الافتتاح وثناء يطير إليه وكيف لا يطير قادمه بجناح ونعلمه ان مكاتبته المتقدمة الورود تضمنت التذكار من الجوارح بما بقى من رسمه وجرت عادة صدقاتنا الشريفة أن تحسب فى قسمه وقد جهزنا له الآن منها ثلاثة طيور لا يبعد عليها مطار ولا يوقد للقرى فى غير حماليقها جذوة نار ولا نؤم صيدا الا وترش الارض بدمه فلا يلحق لها بغيار وهى طائر كم لها من فلك أخذ الطير من منامه وسلب ما تحلى به من رباش الريش ثم تزيبا بأحسنه ومنها شاهين كم قيل له عن عزيز من الطير فقال شاهين قد أبدعت قوادمه فى رسمها ورسمت فى أجنحتها معانى النصر فبكت عيون الوحش دماء على رسمها فالجنائب يتسلمها من الواصل بها ويتوصل إلى الطيور

المحلقة فى السماء بسببها ولشكر نعمنا التى اقرت النعم لديه وبسطت فى الأرض بالتمكين بين يديه ونوعت له من كرمنا من الخير وخولته فيما تقلدناه من الملك عن سليمان حتى تفقد الطير والله تعالى يجدد سعوده فى شطور الصدور تقرا وجوده بها يقرى وعهوده فى البطش تارة تريش سهما وتارة تجرد صقرا أن شاء الله تعالى.

نظر رجل إلى رام قصير اليد فى صنعته فقعد فى مواضع الهدف فقال له ما هذا فقال له لم أر منك مكانا سالما الا هذا.

خرج الحيص بيص الشاعر ليلة من دار الوزير شرف الدين أبى الحسن على بن طراد الزينى فنيح عليه جرو كلب وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فمات وكان هبة الله بن الفضل القطان بينه وبين الحيص بيص وقائع فكتب رقعة وعلقها فى عنق كلبة لها جرو ورتب معها من طردها وأولادها إلى باب الوزير كالمستغيثة به فأخذت الورقة وقرئت على الوزير فإذا فيها مكتوب:

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى	بفعلة اكسبته الخزى فى البلد
هو الجبان الذى أبدى تشاجعه	على جرو ضعيف البطش والجلد
وليس فى يده مال يفديه به	ولم يكن لسوء عنه فى القود
فأنشدت جعدة من بعد ما احتس	بت دم الايلىق عند الواحد الصمد
تقول للنفس بأسى وتعزية	احدى يدي اصابتنى ولم تكذ
كلاهما خلف من بعد صاحبه	هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

قلت ومن ملح المداعبات ما كتب به الشيخ جمال الدين بن نباتة إلى الشيخ بدر الدين حسن الغزى الشهير بالزغارى صورة اجازة أما بعد حمد الله الذى جعلنا ممن كرم من البشر والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاسئ من فجر وعلى آله وصحبه ما نبج الكلب ضوء القمر فقد قرأ على لازال صائدا للحمد من مكمنه صائلا على القرن من مأمنه نازلا منازل العواء فى أحسن افق وأحصنه هذه الفلذة من شعرى قراءة أبغ بها الاحسان أثرا ودل على جودة القراءة وطالما دل على جود القرى ووحدته قد فاق جرو لا خطابا وافتخر على الكلبى وابنه نسبا وأدبا وبلغت مفاخر قومه على زعم القائل فلا عمر ابلغت ولا كلابا وعلا ذروة لو سامها ابن كلاب لما قرعها بل ولو نبهها كوكب الكلب المقدم لما بلغها صوته ولا سمعها والتقى صوت الآداب منه غاد ورايح وامتزج عليها بجوارحه فحبذا ما علم من

الجوارح وسعى على ظفر سعيه السريع المديد ونام على المجارة قرناؤه منام أهل الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وعلمت أن مكاسب آدابه عظام وأكثر فوائده لباب اذا اختلفت فوائده أهل اليسار والنظام وأن جل ملابسه من حمده وكل عزائمه زائدة عن طوقه وجهده وكل رافع طوع طلبه وكل خير صحبه من عنده لو قارب كلاب بن ربيعة لسلم إليه زمام المكارم ولو حاور جريرا لما قال للاخطل هجوت كليبيا اذا آل دارم ولو دعى الوحش بلفظه لعطف عليه ذوو النفار ولو سابق البرق لما لحق من بديته الغبار ولو فاخر الدرر وحاكمها إلى البحور لأقامته وأعد بها عن الفخار ولو ميز حال أصداده لكان الكلب خيرا منها عند ذوى البصائر والابصار تكاد الحمائم تقول أين ضعف سجعنا من قوة هذا النطق الضارى والتبر فى غبار معدنه يتادى أين جوار هذه الطرق من جوار غارى فأجزت له رواية هذه الابيات وحماتها وحفظها ورعايتها اتباعا لاسارته واعجابا بما امتاز به على اشباهه من زى النطق واشارته وتمسكا بوفاء بيته الجليلة انسابه المغشية أنديته حتى ما تهر كلابه عالما بأنه المفتش على خبايا الفضائل الحامى لمرعى القول حتى ما يذكر الحمى وكليب وائل المتسرع فى تصيد شوارد الآداب الناهض بنصرتها وقد قطع بها الدهر لديه أذنان الكلاب السابق حين يفتر سواه ويلبث المتحمل لاعبانها لا كالكقرين الذى إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وذلك عند سفره الحافز وبكوز عزمه الذى هو عن استيفاء القول حاجز وحركته فى أوقات الشتاء الجامدة ورحلته فى ليلة من جمادى لا ينبج الكلب فيها غير واحد والله تعالى يجمع له بين الغنيمة والاياب ويفيض على القلوب ثياب مودته الثابت فضلها على كثير ممن لبث الثياب .

ذكر أدبى بن إبراهيم صاحب ادريجان قال كنت مجتازا على قنطرة الرى فى عسكرى فلما صرت فى وسط القنطرة رأيت امرأة تمشى وقد حملت طفلا لها فى قماطة فصدما بغل محمد فطرحت نفسها فزعا ووقع الطفل من يدها فى الماء فلما وصل إلى الماء غاض زمانا لبعدها بين القنطرة والماء ثم طفا وسلم من الحجارة والماء يجرى به وأجراف النهر بعيدة عن الماء وفيها أوكار عقبان فحين طفا الطفل رأته عقاب هناك فانقضت عليه ومسكت بمخاليها فى قماطه وخرجت إلى الصحراء فأمرت جماعة أن يركضوا خلف العقاب ففعلوا ومشيت أنا فاذا العقاب قد وصلت إلى الارض واشتغلت بخرق القماط فأدركه القوم وركضوا خلفها حتى شغلوها عن خرق القماط فطارت وتركت الطفل على الارض فاذا هو سالم ييكي فرددناه إلى أمه .

من انشاء المجيد أبى على بن أبى النحناء العسقلانى رسالة طردية نقلتها من خط الوداعى من أصبحت نعمه سوارح واستعبدت منته القلوب والجوارح فأصبح لها المجد مقرا ولغرائب السوود والثناء مقرا مثل حضرة مولاي أطال الله بقاءه تطلبت له الانفس النار ونقصت له الملاذ و المسار ومما يظرف به العبد مولاه أسنى الله قدره وأعلاه أنه خرج يوما مع أناس قد وصلوا برهم بايناس كل منهم يهتز للاكرومة ويأوى إلى شرف الارومة على خيل مسومة مثقفة مقومة من بين جون أدهم أذكى من فارسه وأنهم أغر محجل وعدة معجل كان اسوداد اهابه اذا ضاهى به ليل رمت البلاد شهبه شبهة العين والارض نهبه اذا زاع عن سنان أو تعطف لعنان ظنته صد عن مواصله وانفصل عن مفاصله واشقر كالطراف عبل الاطراف نهد كريم له سالفة ريم كأنما خرط من عقيق أو تردى برداء من شقيق يجرى كهوج ويعلو كموج وينزل كوابل ان قرعت عرفه سابق طرفه وان أوردته الطراد أوردك المراد وكميت كالطود ذى وطيف كذراع العود يلطم الأرض بزبر وينزل من السما بخبر وهملاج أشهب إن زجرته الهب أديمه روضة بهار ينظر من ليل فى نهار ينساب انسياب الایم ويمر مرور الغيم لا ينه النائم لو عبر به ولا يحرك الهواء فى مسربه أخفى وطأ من طيف واوطى ظهرا من مهاد ضيف فلم يزل بنا المسير وكل فى طاعة صاحبه أسير إلى أن صادفنا واديا كان لعيوننا باديا فما قطعناه عرضا حتى أتينا أرضا كأنما فرش قرارها بزبرجد وصيغت أنوارها من لجين وعسجد قد رقرت فيها السحاب دمعها وأحسن قيعانها جمعها نسيمها سقيم وظلها مقيم وماؤها جورى وتربها شجرى فهى تهدى للناشق أنفس المعشوق إلى العاشق كأن غدراستها فى اخضرار رياضها وجداولها فى اسوداد بياضها وبدور سماء كملت وبروق فى متون غمام تسلسلت طائرها مكسال وظباؤها ارسال ذات قرون معقفة كأذئاب العقارب ويطون مبيضة كالنهار السارب مضمخة الاجساد بخليط صندل وجساد قد اكتست أطيارها فأغربت وتغنت بلغاتها فأطربت كأن الامانى فتحت لها أبوابا والرياض خلعت عليها أبوابا إذا شنجت للبكاء وأعلنت بالمكاء أبت الطباع على نغمات الموصلى فى نشات البابلى ومجت الاسماع شدو الفريض بمرقق القريض فعند ذلك يممنا ظل شجرة هنالك ذات جدول متكمر فى مسلك متيسر وكان أعلاه بطن جان وقرارته مساقط در ومرجان فلما وردنا عليها وانضفتنا إليها حنت علينا أغصانها حنو الوالد والحفتنا أوراقها بظل خالد وأتحفتنا من ثمارها بطارف وتالد فأصبنا من ثمرها قليلا ونقعنا بماء جدولها غليلا ثم

نهضنا نطلب الاوابد نستشير كوامنها واللوايد وقد يسرنا مقاود الكلاب وشركنا فى البحث والطلاب كل كلب منها غلوب ولارواح الطرائد سلوب ذو خطم مخطوف ومخلب كصدغ معطوف بقوائم كالذوايل ومتن كالغصن الذابل غائب الخصر حاضر النصر كأنما لملت هامته من فهر وخرط ما دون عينيه بجهر له طاعة تهذيب واخلاس ذيب وتلفت مريب وحذاقة نذريب له من الطرف أوراكه ومن الطرف ادراكه ومن الاسد صوله وعراكه اذا طلب فهو منون واذا انطوى فهو نون واذا استرسل فهو خط على الارض مظنون فسبح لاحدها غزال والمقود عنه مزال فاسترسل عليها وهرب وجد فى طلبه فانسرب فأنبأ فى أسلوب ما بين سالب ومسلوب اذا مرق الاول كالسهم تبعه الثانى كالوهم فللظبي حد على جناح وحل وللكلب انبساط أمل فى سرعة أجل إلى أن جمععه وبنفسه فجمعه دامى الجروح يادى القروح مستسلما لسلب الروح فعاجلناه بالذكاة وأيقنا بحلول البركات ثم انتحى بعضنا بفهد ذى صدر رحب نهى كأن قرار ثمرته فى اختلاط بياضه بسمرته ثوب مصمت معتق مطلق قد فرشت فوقه أقراص عنبر صفتها يد صانع خبير فتبهه ففج فجيح ثعبان وأطلقه على ظبية تدب ديب عقران فلما أدركه ناظر الصييه ومرت مرور عيه فأت أبصارنا بنفرته وسبق أفكارنا بظفرته ولطمها عند الادراك من الكتف إلى فرجة الاوراك فشقها شق المزاد ضاقت أفواهاها عن خروج المراد وضرعها يضطرب كأن قوائمها تجترب فبادرنا مهملين وذكيها محللين ثم ملنا إلى الطيور وجوارحنا مطلقة السيور فقال رجل من أصحابنا أتبعنا عند أصحابنا ذلك الغدير فيه طير يستدير ينظر من خراة ابره ويحتال فى بروز خبره فاستدلنا عليه بالبراهين إلى أن ارتكض قوم من الشواهين أطلقه حامله واقترحت عن شباقته أنامله فمر فى الهواء يتصرف فى الاهواء يذكى جدا واعمالا ويطعن يمينا وشمالا كأنما أضل فريقا أو جهل طريقا حتى إذا دنى أفق السماء مسامتا للماء كأنه يمسح القلك أو يطلب شيئا هلك طرق من خوفه فاتحدر وهو يسابق القدر كأنه صخرة منجنيق أو حجر ارسل من رأس يبق له دوى كدوى الرعد نطق عن الغيث بوعد فانتحى احداهن وقد قرن مداهن فقنعها بيسراه وقد أضحت من يسراه وشيعها بيميناه وقد بلغ منها مائة فدحاها كأنها كره طوحت بها ضربة منكره فذكيها تحليللا وأذناه منها تعليلا ثم ملنا إلى قسى البنادق من كل ناطقة بالوعد الصادق يعطيك المراد لكرم اعراقها ويمنعك القياد عن استغراقها ذات بطن كالحاجب المقرون وظهر قد أثرت فيه الجنادب القرون قد تعصفر أعلاها فرحا باستعلامته

وأحد لرداها أسفا على استيلائه ترن عند الرشق رنين مصابها ويتشكى اليم أو صابها بل يسجع للنبض سجع الحمامة وينظر عند النقص نظر زرقاء اليمامة ألوان أوعيتها مختلفة وأكوان تسيورها مؤتلفة كأنها مجارى أنهار بين طرائق أزهار فسرنا صفوفا فوافينا الطيور رفرقا فلما قطعت في عراضنا وصارت منا كما عراضنا قلبت نحوها القسي أبصارا واتخذت من البندق رسلا وأنصارا فرشقناها بمسملين ولصرع أكثرها مؤملين فجرت تنهافت وأجنحتها تنقبض وتتكاقت كأنما أسبقت إلى أقواتها واستنزلتها الفراخ بحسن أصواتها فبادرناها مكبرين ولنعم الله عليها مكثرين وواجرناها غصص المنايا بمدى معوجة كالحنايا وأصليناها نارا تلظى تشقى بحميمها وتحظى كأنها عبدة أوثان أو متخذة لها نان فسبحان من أحل سفك دمائها وأحل للبشر سبك ذمابها والسلام.

السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين ابن الأمدى فى القهد:

إذا طلب الغزلان فهو منون      وإن دار فى طرس الفلاة فنون  
وكيف يضل الوحش عنه وجلده      بمسود ذاك النقط فيه عيون

وله فى الصقور:

وكانما فوق الكف فوارس      فى الخافقين يجلن بين خوافق  
أكثرن لبس السابغات أما ترى الص      بدأ الحديد لهن فوق عوائق

من الكلام الفاضلى أنى رغبت إلى مولانا لا زالت المرغبات إليه مرفوعة وثمراتها كثمرات الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فى الاحسان بشاهمين يجعل وكيل مطبخى لكثرة ما يجلب إليه من الخير واستنبيهه عن صاحب صالح فهو قدار الطير لا يعتصم منه بغير فجها ولا تلوذ الحمامة بعوسجها قلدر قمت يد القدرة على جؤجؤه ديباج أسطره وعرفت أقلامها نون منسره فكانما عقد ليحسب ما صاد لمرساله ويوفيه حساب عمله وكأنه منجل أرسل على الطير بحصاد أجله تأتى بالرزق رغدا وتتخذ عند كل فم يدا ان عاش فأجنحته للطيور كالقيود وان نوى ورث السهام ريشه فهو ولى عهده فى الصيد وما أجدد الطير بأن تقول لا تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ومن لا يقنع برزقه فى الأرض حتى يطالب به فى السما، طردية الشيخ جمال الدين بن نباتة التى سماها فرائد السلوك فى مصائد الملوك، وزهر يضحك فى الاكمام إن كانت الأرض لها ذخائر فهى لعمرى هذه الازاهر قد بسطتها راحة الغمام بسط الدنانير على الدراهم احسن بوجه الزمن الوسيم تعرف فيه نضرة النعيم

وحبذا وادى حماة الرحب حيث زهى العيش به والعشب أرض السنا والبها والمرح والأمن واليمن ورايات الفرخ ذات النواعير سقات الترب وأمهات عصفه والاب تعلمت نوح الحمام الهتف أيام كانت ذات فرع أهيف فكلها من الحنين قلب وكيف ولا والماء فيها صب لله ذاك السفح والوادى الغرد والماء معسول الرضاب مطرد يصبو بها الرائي فكيف السامع ويحمد العاصى فكيف الطائع اذا نظرت للربى والنهر فار وعن الربيع أو عن جعفر محاسن تلهى العيون والفكر ربيع روضات وشحرور صفر أمام كل منزل بستان وبين كل قرية ميدان أما رأيت الورق فى الاوراق جاذبة القلوب بالاطواق فبادر اللذة يا فلان واغتم متى أمكنك الزمان ولا تعل مشتى ولا مصيف فكل أوقات الهنا شريف كل زمان ينقضى بالجدل زمان عيش كيف ما دار اعتدل أحسن ما أذكر من أوقاته وخير ما انعت من لذاته مرورنا بالصيد فيه والقنص وحوزنا من مزه أحلى الفرص وأخذنا الوحش من المسارب وفعلنا فى الطير فوق الواجب لما دنا زمان رمى البندق سرنا على وجه السرور المشرق فى عصابة عادلة فى الحكم وغلمة مثل بدور التم من كل مبعوث إلى الاطيار تظلمه غمامة الغبار وكل معسول الرضاب أغيد منعطف عطف القضيبي الاملد قد حمد القوم به عقبى السفر عند اقتران القوس منه بالقمر لولا حذار القوس من يديه لغنت الورق على كفيه فى كفه محيطة الاوصال قاطعة الاعمار كالهلال زهراء خضراء الاهداب معجبة مما نوت بين الرياض المعشبة فاغرة الافواه للطيار طالبة لهن بالاوتار كأنها حول المياه نون أو حاجب بما تشاء مقرون لها بنات بالمنى مغدوقة من طينة واحدة مخلوقه سامعة لما تشير الام مع أنها مثل الحجار صم كأنها والطير منها هارب خلف الشياطين شهاب ثاقب وأهالها شهب كرات تخطف شاهدة بالعزم وهى تقذف حتى نزلنا بمكان مؤثق اخوان صدق أحدقوا بالملق فى له فى الحسن من محل مراد جد ومراد هزل للطير فى أملاقه مواقع كأنها لمائه فواقع فلم تزل فى منزل كريم تروى حديث الرمى عن قديم حتى طوى الأفق رداء الورس والتقم المغرب قرص الشمس وابتدر القوم عن المراصد من ساهر ليل التمام شاهد كالليث يسطو كفه بأرقم والبدر يرمى فى الدجى بألحم بينا الطيور فى مداها سائرة اذا هم من عينه بالساهرة وأقبلت مواكب الطيور على طروس الجو كالسطور فحبذا السطور فى المهارق مستقوطة الاحرف بالبنادق من كل حق ان يسمى ضياؤه للمشرق بدر التم تخاله من تحت عنق قد سجا طرة صبح تحت اذيال الدجى وكل تم حسن الوسامة تخاله فى أفقه

غمامه كى يتبعه اوزه دكنا من دونها لغلغة غرا يقدمها انيسة ملونة تابعة من كل وصف أحسنه وربما مر عليها جبرج كأنه على نضار يدرج وانقض من بعض الجبال نسر له بأبراج النجوم وكر مضبر الخلق شديد الايد بينى على الكسر حروف الصيد بحث مسراه عقاب كاسبه خافضه لحظ الطيور ناصبة إذا مضت جملتها المعترضة تواصلت خيوطها المفترضة بكل كركى عجيب السير كأنه طيف خيال الطير يحسن غرنوقا لهى المجتلا مقدا على الغرائيق العلا وأبيض الغيم يسمى مرزما كم بات مثل نوته منسجما يحفه شبيط قوى معجزه فى الطيرة وسوى كم حاش ثعبانا وحم حواه كأنه فى يده عصاة هذا وكم من طائر ممتاز ينعث فى الواجب بالعناز اسود الالعة فى الصدر كأنه نور الهدى فى الكفر فلم تزل قسنا الضوارى تصيبها بأعين الاوتار حتى غدت دامية النحور ساقطة منا على الخبير كأنما وهى لدينا وقع لدى محارب القسى ركع وأصبحت أطيarna قد حصلت ولم تسأل بأى ذنب قتلت مستتعا وجه العشى وجه السحر وكل وجه منهما وجه أغر يا لك من صيد مقر العين مرضى الصحاب وهو ذو وجهين لم يرض ما وفى من الامان حتى شفعا بوجه ثان صيد الملوك الصيد بالكواسر والخيل فى وجه الصباح السافر ذاك الذى تصبو له الجوارح فهى إلى طلابه طوامح واثقة بالرزق حيث كان تغدو خماسا وتجىء بطانا سرنا على اسم الله والمباحج نعوم فى الاقطار بالسوايح خيل تحاذى الصيد حيث مالا كأنها أضحت له ظلالا تسعى بها فوائم لا تتبع وكيف لا وهى الرياح الأربع تحفنا من فوقها غلمان كأنهم من فوقها أغصان ترك تريك فى سماء الملبس كواكبا طالعة فى الاطلس منظومة الاوساط بالسلاح من كل شههم زجل الجناح وكل غضب درب المقاطع يحرف الهام عن المواضع على يد السائر منهم زاده من كل باز قرم فؤاده قد كتبت فى صدره حروف تقرى بما تقرى به الضيوف وكل شاهين شهى المرتضى كبارق طار و صوب قد همى بينا تراه ذاهبا بصيده معتصما بأيده وكيده حتى تراه عائدا من أفقه ملتزما طائره فى عنقه أفلح من كان على يسراه حتى غدت حاسدة يمناه وكل صقر مسبل الجناح مواصل الغدو والرواح ذو مقلة لها ضرام واقد تكاد تشوى ما يصيد المصادد كأنما المخلب منه منجل لحصيد أعمار الطيور مرسل يا جبذا طيور جد ولعب تهوى إلى الأرض وللأفق تشب من سنقر عالى المدا والشان معظم الاخبار والعيان يصعد خانف الرزق ليس يمهله كأنه من السماء يستعجله ومن عقاب بأسها مروع كأنها للطير حين تصرع كم جلبيت لطائر ومن وهن فكم وكم قد أهلكت من قرن

وحبذا كواسر اللواهى عديمة الانظار والاشباه مخصوصة بالطرد القويم حدياء ظهر الذنب الرقيم ذاك لعمرى جذب للرائى تعدل ملك القلعة الحدياء هذا وقد تجهزت اعداد يجمعها الكلاب والفهاد من كل فهد عتري الحمله اذراى شخص مهاة عيله مبارك الاقبال والاعراض مستقبل الحال بناب ماض كأنه من حدة اكتسابه قد أخرق الانجم فى اهابه له على مسائل الجفون خط كخط الالفات الجون ما أبصر الباصر خطا مثله وكيف لا والخط لابن مقله وكل منسوب إلى سلوق أهرت وثاب الخطا ممشوق طاوى الفؤاد ناشر الاظافر يا عجبا منه لطاوى ناشر يعرض بالبيض ويخطو بالقنا ويسبق لوهم لادراك المنى كالقوس إلا أنه كالسهم والغيم يجلو عن شهاب رجم اذا رأى بقر الوحش اندفع كأنه المريخ فى الثور طلع قاصرة عن يده عيناه مشروطة برجله اذناه يشفعه من كل عور عارى مغالب الصيد على الاوكار وأهالها من أكلب طوارد معربة عن مضمر المصائد قد بالغت من طمع فى كسبها ففتشت عن أنفس لم تحبها حتى اذا تمت بها الامور حفت بنا لصيدها الطيور ما بين روضات صمدنا نحوها وحول آفاق ملكنا جوها واستقبلت أطيأرها البزاة معلمة كأنها غزاة فلم تزل تسطو سطا الحجاج على الكراكى إلى الدراج حتى غدت تلك السراة صرعى مجموعة على التراب جمعا على الربى من دمها خلوق كأن كل نبتها شقيق ثم عطفنا للوحوش السانحة فاستقبلت تلك الضوارى الطامحة كلاب صيد بينها سناقر يفعل فى الوحش الفواقر يخشى بها العفر على نفوسها فالطير لا شك على رءوسها وللكلاب حولها مغار يكاد أن يقدح منها النار من نهم لسانه يلوب يقول هذا كوسج مخضوب يعانق الظبى عناق الوامق ما كان أغنى الطير عن معانق والفهد يشتد على الأجال شد وصى السوء فى الآمال لا يهمل القصد ولا يخون كأن كل جسمه عيون وللزغاريات خلف الارنب حقائق تبطل كيد الثعلب كم مرحت بالهارب الممدود وطوحت بصاحب الاخدود وربما مرت ظباء ومهى للنبل أكل فى حشاها مشتهى قد تسجت ملاءة من عنبر تخاط من فروتها بالابر فابتدرت أجنحة السهام صائبة الاعراض والمرامى تجرح كل سانح نفور كأنه بعض شهود الزور كأن أقطار الفلاة مجربره أو روضة من الدماء مزهرة كأن صرعى وحشها كفار الموت عقبى أمرها والنار للمرء فيها منظر أحبه يملا من شحم ولحم قلبه لله ذاك المنظر المهنا أى معاد عن ذراه عدنا قد ملئت من ظفر أيدينا وقد شكرنا فضل ما حيينا نسير حول الملك المنصور كالشهب حول القمر المنير.

من كلام القاضى زين الدين بن الوردى رحمه الله وينهى وصول الصقرين فسر العبد بهذين الجزئين اللذين تحن الجوارح اليهما من وجهين ويعز على ابن المعتز ان يذكر لهما فى تشبيهاه شبيهين فوق الصقران من الملوك بموقع يفوق النسر وتأمل نحوهما فإذا هما منصوبان لبناء ما ارتفع وانخفض من الصيد على الكسر مثلهما حمر كسيوفه وأجنحتهما مسبلة كغمائم بره على رعاياه وضيوفه مخالبه كالمناجل لحصاد أعمار أعدائه وأعمار الطير ومناقيرهما كالأهلة المبشرة له ولأوليائه بكل خير فلسان حال كل منهما يقول لمرسليه تفرقوا فبكسى أجمعكم ويخطف لهم الخطفة ويعود بسرعة فبينما ينظرون بغيبته قالوا طائر كم معكم فما أحسن ما يعود يرجع كل واحد منهما من أفقه وقد التزم طائره فى عنقه كم لللقى الطير من حرون وكم أهلكنا فى الوحش من قرون فما أحق هذا الخبر بمقابلة الثناء عليه وان تمد المملوك لها بين اليدين كلتا يديه ومن كرامات مولانا أنه أصبح جابرا بكاسرين فمرحبا برسوله الذى إن قدم رسول بأيمن طائر فقد قدم هو بأيمن طائرين والسلام.

منقول من كتاب الفوائد الجليلة فى الفوائد الناصرية وهو ما جمعه الملك الامجد من شعر والده الملك الناصر صلاح الدين داود بن مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدين أبى المظفر عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر محمد بن الملك الافضل نجم الدين أيوب رحمهم الله تعالى:

وظباء كأمثال العذارى سنح	تأوى إلى حزن اللوى وسهوبه
فأجابها وهنا وهن رواتع	ما بين واديه وبين كشيبه
والروض كهل قد تضح نبتة	فشبابه متلفع بمشيبه
بيكى تداويه الغمائم رحمة	والبرق يضحك رحمة بقشييه
مستبق صحب الجلاجل أجدل	يرتاح رائييه إلى تقليبه
تغنى شمائله وحسن صفاته	عن نعت مطربه وعن تجريه
ومخصر الخصر اغتدى فى عدوه	ترفا مختلف ضيائه بوثويه
عانه فى تهذيبه ذو فطنة	وبصارة فأجاد فى تهذيبه
فقتضت منها ظبية كانت إلى	قلبي ألد من المدام وطيبه
أو قبلة ممن ابرنى صده	خالستها منه برغم رقيبته



## الباب الرابع والأربعون فى خطائر الوحوش الجليلة المقدار المتخذة لنزهة الابصار

القول على بقر الوحوش: قال ابن أبى الأشعب فى كتابه الذى وضعه فى طبائع الحيوان البقر والاراوى واليحامير والظباء وجميع هذه الانواع ليس بأرضى خالص وينبغى أن يسمى الحيوان الهوائى الارضى لأنه خفيف الحركة متململ شديد العدو على الارض لان حرارة الهواء ليست فيه ذاتية ولا برودة الارض كذلك إلا ان برودتها غالبية لحر الهواء لأنها فيه اكثر ولما كان كذلك صار بينه وبين الطائر ممازجة ومناسبة وذلك أنه إذا أراد العدو انتصب فى وقفته وطلب مهب الريح ثم استنشقتها استنشاقا حال طيرانه ثم زج نفسه مستقبلا للريح وربما أصابه مخيف وكانت الريح تجيء من جهته فيحمل نفسه على الجهة التى فيها المخيف وأيضاً فإنه يؤثر الهواء صيفا وشتاء ولا يستتر منه ميلا إليه ومحبة فيه.

وأما المها فيقال إن من طباعها الشبق والشهوة وإذا حملت الانثى هربت من الذكر خوفا من عينه بها وهى حامل والذكر لفرط شهوته يركب ذكرا آخر وإذا ركب واحدا منهما شم الباقي روايح المائبة فيبنى عليه ولا يمنع من يشب عليه بعد والبقر الوحشية أشبه شىء بالمعز الاملية ولذلك تسمى نعاجا وقرونها صلاب جدا وتمنع بها عن أنفسها وأولادها كلاب الصيد والسباع التى تطيح بها، ويقال أن أول من طرد البقر الوحشية ربيعة بن نزار بن معد وأنه لما كدها لجأت منه إلى حالة فاستترت منه بها فرق لها ورجع عنها.

الوصف كاتب أندلسى يصف بقرة وحشية:

عن لنا سرب نعاج يمشين زهوا كمشى العذارى وينشين زهوا تثنى السكارى كأنما  
تخلجت بالكافور جلودها وضمخت بالمسك قوائمها وخدودها وكأنما لبسن الدمقس  
سربالا واتخذن السنسندس سروالا:

تحمى مداربها دماء جلودها

من كل مهضمة الحشا وحشية

بمداد عينيها طروس خدودها

وكانما أقلام خيبر كتبت

والوصف البديع فى سرعة عدوه قول الطرماع:

يبدو وتضميره البلاد كأنه سيف على شرف يسلم ويغمد

وأما الابل فان أصحاب البحث عن طبائع الحيوان يقولون أن ذكره من عصب لا نجم ولا غطروف ولا عظم وأن قرنه مصمت لا تجوف فيه والانى تعلق للذكر قلحا شديدا ولهذا لا تثبت لنزوه الا فى الفرط مرة واحدة وإذا حملت لا تضع الا على السبل والطرق لهرب السباع من الجادة المملوكة وإذا أرضعت أكلت الجعدة لاصلاح لبنها وهى تحب الكيوننة فى القمر وتأتى بولدها إلى أماكن الماء وتعرفه المواضع التى تهرب إليها إذا احتاجت إلى الهرب وهى صخور فيها صدوع وتجويفات ليس لها مدخل الا من مكان واحد وتقف على ذلك المكان وتقابل بجهدتها كل حيوان يطلب ضرر ولدها والابل يسمن جدا فإذا سمن اختفى فى موضع لا يعرف خوفا من أن يصاد لسمنه وهو مولع بالحيات وأكلها يطلبها فى كل موضع فإذا انحجرت منه أخذ فى فمه ماء ثم مجها فى الجحر فتخرج له ذنبا فيأكلها حتى ينتهى إلى رأسها فيتركها خوفا من السم وربما لسعته فتسيل دموعه إلى فقرتين تحت محاجر عينيه يدخل الاصبع فيهما فتجمد تلك الدموع وتصير كالشمع يتخذ درياقا لسم الحيات وهو البازنهر الحيوانى واذا لسعه أكل السرطانات فيبرأ وكذلك يأكل التفاح الحامض إن كان زمانه أو ورقه ان لم يكن زمانه فيبرأ ولا ينبت له قرن الا بعد أن ينبت له قرن من عمره وإذا نبت قرناه نبتا مستقيمين كداليتين وفى الثالثة يتشعب ولا تزال الشعب فى زيادة إلى تمام سنة وستين وحينئذ يكونان كالشجرتين على رأسه، ثم بعد ذلك يلتقى قرونه فى كل سنة مرة ثم تنبت واذا نبتا له تعرض للشمس لتصلب فإذا صارا كالشجرتين منعا الاحصار ولا يكاد يفلت إذا طردته الخيل وهو إذا ألقاها ادخرهما حتى ينبت خلافيهما لانهما آلته وليس له سلاح غيرهما يدافع بهما عن نفسه كالترس للجبان لأنه لا ينطح بهما إلا إذا صلحا لذلك.

وزعم ارسطو أن هذا النوع يصاد بالصفير والغناء وهو لا ينام ما دام يسمع ذلك والسيادون يشغلونه بالطرب ويأتون إليه من خلفه واذا رأوه مسترخية أذناه وثبوا عليه وان لم يكن كذلك فليس لهم عليه سبيل، واذا اشتد عليه العطش من أكل الحيات أتى غدیر الماء فاشتمه وانصرف عنه يفعل ذلك أربعة أيام ثم يشرب الماء فى اليوم الخامس وإنما يمتنع من شربه لخوفه على نفسه من سريان السم فى الجسد مع الماء.

قال الشاعر يصفه بصدده عن الماء بحاجز إليه ويذكر محبوبته:

هجرتك لا قلبى منى ولكن رأيت بقاء ودك فى الصدود  
كهجر الظاميات الماء لما تيقنت المنايا فى الورود  
تذوب نفسها ظمأ وتخشى هلاكها فهى تنظر من بعيد

انتهى من المناهج.

القول فى الحمار الوحشى: ويسمى العير والفرء وهو لا ينزو الا اذا بلغ ثلاثين شهرا ويوصف بشدة الغيرة فهو يحمى غابته الدهر كله ويضرب فيها كضربه لو أصاب اناثا من غيرها ويقال ان الانثى إذا ولدت جحشا كره الذكر الاناث تصيبها فالاناث تعمل الحيلة فى الهرب منه حتى تسلم وهكذا حتى لا يكون فى الغابة غيره ذكر.

وحكى الجاحظ أن أبا الاخضر ذكر عن فحل الغابة أنه يستهيم الأنثى ويحملها وان الولد لم يجرى منه عن طلب ولكن النطفة البريئة من الاسقام انتجت وذكر أن نزوه على قدر ما يحضره من الشبق لأنه لا يلتفت إلى دبر من قبل ولا إلى ما يلحق مما ينتج فهو لا يريد الولد ولا يعزل ويقال إن الحمار الوحشى يعمر مائتى سنة وأكثر وكلما بلغ مائتى سنة كانت له مبولة ثانية وشوهد منها ما له ثلاث مبول وأربع وهو كشكل الحصير المحشو بين المبولة والمبولة حتى كأن بينهما حاجزا مسدودا ومعادنه بلاد النوبة ويوجد منه ما تكون سنه مغمدة ببياض وسواد يستطيلان فيما استطال لمن عصى به ويستديران فيما استدار بأصح قسمة وأحسن ترتيب ومن الحمر الوحشية صنف يقال له الاخدرى وهو أطول الحمير عمرا ويقال إنه نتاج الاخدرى وهو فرس كان لازدشير بن بابك أفلت من خيله فصار وحشيا فحمى عدة غابات فضرب فيها فكان أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن وخرجت أعمارها من أعمار الخيل وفى هذه الحكاية نظر لذوى الفكر لأنه لا يتولد من نوعين مختلفين من الحيوان حيوان يشبه أحدهما وإنما يكون ممتزجا كالبغل بين الحمار والفرس والضبع والذئب .

وحكى القولين أبو الحسن على بن رشيق فى كتاب العمدة.

ومن رسالة كتبها أبو الفرج البغيا يصف فيها أانا مغمدة ببياض وسواد كان لصاحب اليمن كيخار وأما الاتان الناطقة فى كمال الصنعة بأفصح لسان فإن الزمان لاطف مولانا أيدى الله منهما بأنفس مدخور وأحسن منظور وأعجب مرأى وأغرب موسى وأفخر مركوب

وأشرف محبوب وأعز موجود وأبهى محدود وكأنما وسمها الكمال بنهايته أو لحظها الفلك بعنايته فصاغها من ليله ونهاره وحلاها بنجومه واضماره ونقشها ببدائع آثاره ورمقها بتواظر سعوده وجعلها أجل حدوده ذات اهاب منير وقرى محير وذنب مشجر وسوى مسور ووجه مزجج ورأس متوج يكتنفه اذنان كأنهما زجان سجية الاتصاف بلورية الاطراف جامعة شبا بالربيب بين زمن الشبيبة والمشيب فهى قيد الابصار وأمد الافكار ونهاية الاعتبار غنى عن الحللى عطفها مزرية بالزهر حللها واحده جنسها وعالم نقشها صنعة المنشى الحكيم وتقدير العزيز العليم.

القول فى طباع الظباء من المباحج وهى ألوان تختلف بحسب مواضعها فصنف منها يسمى الاروام وألوانها بيض ومساكنها الرمل وهى أشد حصرا، وصنف يسمى العفر وألوانها حمر، وصنف يسمى الادم وهى تسكن الجبال وفى هذا اللون من أسرار الطبيعة أنه ما رأى ذا روح الا ويعلم ما يريد منه من خير وشر واذا فقد الماء استنشق النسيم فاعتاض به واذا طلب لم يجهد نفسه فى حصره من أول وهلة واذا رأى طالبه وقد قرب منه زاد فى الحصر حتى يفوت الطالب وهو يهشم الحنظل حتى يرى ماؤه يسيل من شذقيه ويرد البحر فيشرب من الماء الاجاج كما تغمس الشاة لحييها فى الماء العذب تطلب النوى المنتقع فيه وهو لا يدخل كناسه الا مستدبرا يستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وله نومتان فى مكسبين مكنس الضحى ومكنس العشاء واذا أسن الظبى وبقيت لقرونه شعب تنح واذا هزل ابيض وهو شنج النساء لا يسمو بالمشى فإذا أراده العدو فإنما هو الفر والوثب ورفع القوائم معا كما يفعل الغراب فهو أبدا يحجل كما يحجل المقيد وليس له حصر فى الجبال ويصاد بنار توخذ له فيذهل لها سيما إذا أضيف إلى ذلك تحريك اجراس فإنه ينخزل ويرقد ويصاد بالعطش الشديد بأن يحولوا بينه وبين الماء فينخزل ولا يبقى به حراك البتة وبين الظباء والحجل الفة ومحبة والحذاق فى الصيد يصيدونها ببعضها البعض، ويوصف بحدة البصر ويسمى باليونانية اسما معناه النظارة والمبصرة ويلحق بهذا النوع غزال المسك وهو أسود ولونه أسود ويشبه ما تقدم فى القد ودقة القوائم وافتراق الاظلاف وانتصاب القرون وانعطافها غير أن لكل واحد منهما نابين خفيفين أبيضين خارجين من فيه فى فكه الاسفل قائمين فى وجهه كنابى الخنزير كل واحد منهما دون الفتر على هيئة ناب الفيل ويكون بالثبنت والهند ويقال إن الغزال يسافر من الثبنت إلى الهند بعد أن يرعى من حشيش الثبنت

وهو غير طيب فيلقى ذلك المسك بالهند فيكون رديئا ثم يرعى حشيش الهند الطيب ويعقد منه مسكا ويأتى بلاد التبت فيلقبه فيكون جيدا والمسك فضل دموى يجتمع من جسدها إلى سررها فى وقت من السنة معروف بمنزلة المواد التى تنصب إلى الاعضاء وهذه السرر جعلها الله معدنا للمسك فهى ثمره بمنزلة الشجرة التى تؤتى أكلها كل حين فإذا حصل هذا الدم فى السرر ورمت وعظمت فمرض لها الأطباء وتآلم حتى تتكامل فإذا بلغ وتناهى حكته بأظلافها وتمزغت فى التراب فتسقطه فى تلك المفاز والبرارى فيخرج الجلابون ويأخذونه ويقال أن أهل التبت يضرّبون لها أوتادا فى البر تحنك بها إذا ألمها السرر فتقطع وتسقط فإذا سقطت عن الظبي كان فى ذلك افاقته وصحته فانتشر حينئذ فى المرعى وورد الماء.

الوصف: قد ينبغى أن يعلم أن هذا قليل جدا لان الشعراء نقلوا محاسن الغزال إلى الغزال وشرحوا بها حال من جد به الحب وهزل والصفة التى يصفون بها الظبي وصفوا بها الجارية والغلام وصرفوا الحقيقة إلى المجاز فيما أراده من الكلام قال بعضهم:

فما مغزل تعطو بجيد كأنه	يمان بأيدى الناظرين صقيل
هضم الحشا مغضوضة الطرف عالها	بذات الاراك مربع ومقيل
إذا نظرت من نحوه أو تفرست	دعاها احم المقلتين كحيل
بأحسن منها حين قالت صرمتنا	وأنت صروم للخيال وصول

وقال آخر:

وصالية بالحسن والجيد عاطل	ومكحولة العينين لم يكتحل قط
على رأسها من قرينها الجعد وفرّة	وفى خدها من صدغها شاهد يسط
يخللها من غيرة الجلد وفرّة	ويجمعها من بيض آباطها مرط
وقد أدمجت بالشحم حتى كأنما	ملآتها من فرط ما اندمجت قمط

خواص الايل ومانفعه: من المصائد والمطارذ فمنه ان ذكره من عصب لا لحم فيه وأن دم كل حيوان يجمد الا دمه ولحمه غليظ مائل إلى كموسوة السواد وليس للانى قرن واذا بخر بقرنه مع كبريت أحمر ذهب الحيات وكذلك دمه بطحين الكرسنة وقرنه تبخر به الحامل فتيسر ولادتها.

خواص حمار الوحش: الجحش البرى أحمدها لحما ولحم الهرم يولد دما رديئا ومن

داوم على أكله لم يكذب يبرأ وسرته أطيب ما فيه وكثير من الناس يأكلون الحمار مسموطا ويستطيون جلده مشويا ويجدون فيه طعم لحم الدراج وشحمه نافع من الكلف فى الوجه اذا طلى به ومن وجع الظهر والكلى العارض من البلغم واذا أحرق حافره وسحق فى الكحل نفع من النشاوة ودفع وجع العين وزيله اذا خلط بمخ وطفى به الجبين قطع الرعاف ويقال إن الخاتم إذا خرط من حافره وعلق على من يعتربه الصرع نفع منه ودماغه يضاف بماء الكرفس والعسل ويغلى ويسقى من به السل فى الحمام بماء حار على الريق فيبرأ.

خواص بقر الوحش: لحمها غليظ يولد دمًا رديئًا قريبا من السواد وبطنها أطيب ما فيها ودمها أسرع إلى الجمود من دم سائر الحيوان ويطبخ لحمها بخل فإذا غلى جدد خل آخر واناثها المها والعين والنعاج وأولادها البراعز والواحد برعز والجآذر جمع جؤذر والذرعان جمع ذرع والبهازج جمع بحزج والفرافر جمع فرفر والفرائر جمع فرير وهو ساعة يولد طلاء وأقاطيعها الاجل والرنب والسرب والصوار.

خواص الظبي: والظبي أول ما يولد طلاء ثم خشف ثم شادن اذا طلع قرنه فإذا تمت قوته فهو شصر ثم جذع ثم ثنى ولا يزال كذلك إلى أن يموت لا يزيد على هذا وسأل جعفر ابن محمد النعمان بن ثابت أبا حنيفة فقال له: ما على محرم كسر رباعية ظبي فقال: يا ابن رسول الله ما أعلم ما فيه فقال له: أنت تتداهى ولا تعلم أن الظبي لا يكون له رباعية هو ثنى أبدا ولحمه يولد دما قريبا إلى السواد وهو أقل ضرراً من لحم البقر وطبخه بالماء والملح أحمد والقديد منه أكثر ضرراً وأكثر لتحريك السوداء لأنه يزداد يبسا ويوجود فعله ويقوى وأطيب ما يؤكل فيه كبده مشوية وشحوم الطباء تغذو غذاء كثيراً وزعمت الحكماء أن دم التيس منها عن شكل ماعز من السموم وأنه إذا صب حارا على الحجر الذى يضرب عليه النحاس فسته واذا خلط مع الزنجفر صبغ الياقوت ويخلط معه وهو يابس قرطاس محرق ويعجن بشيرج ويضمده به البواسير فتتفع ومرارته تنفع من الغشاء فى العين وكبده إذا شويت واكتحل بها وكبد جميع الماعز نفعت واذا دهن الرجل مذاكيره بشحم خصى التيس مع شيء من عسل عند الجماع وجد له لذة ويعجن بعن التيس بخل ودقيق شعير ويضمده به الطحال فينفع واذا حرق وسحق بالخل نفع داء الثعلب وإن شرب مع الخل نفع من لدغ الهوام ويخلط دمه يابسا بلاذن ويدهن به الشعر فيغلظه ويطوله.

القول على طبائع الارنب من المباحج: تقول أصحاب الكلام أن قضيب الذكر من هذا

النوع كذكر الثعلب أحد شطريه عظم والآخر عصب وربما ركبت الاثنى الذكر حين السفاد لما فيها من الشبق وتسفد وهى حبلى وهى قليلة الدرور على ولدها ويزعمون أنه يكون شهرين ذكرا وشهرين أنثى وكنت استبعد هذا وأقول أنه من الخرافات حتى وقفت عند مطالعتى للكتاب الذى وضعه ابن الاثير فى التاريخ وسماه الكامل على حكاية أوقفتنى على الاعتراف بعد الانكار.

ذكر فى حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة فقال وفيها اصطاد صديق لنا أرنا فرآه وله اثنيان وذكر وفرج أنثى ولما شقوا بطنه رأوا فيه حريفين فان كان كما زعموا من أن يكون تارة ذكرا وتارة أنثى فيكون كذلك والا فيكون فى الارانب كالخثنى قى بنى آدم يكون لاحدهما فرج الرجل وفرج الاثنى ثم أعقب هذه بما هو أعجب منه فقال كنت بالجزيرة ولنا جار له بنت اسمها صفية فبقيت لذلك نحو خمس عشرة سنة فإذا قد طلع لها ذكر رجل ونبت لها لحية فكان لها فرج امرأة وذكر رجل والارانب تنام مفتوحة العين وربما جاء القناص إليها حتى يأخذها من جهة وجهها وهى لا تبصر وسبب ذلك أن حاجبى عينيها لا يلتقيان فهما مفتوحتان فى النوم واليقظة.

قلت: ما أحسن ما أنشدنى الشيخ بدر الدين البشتكى أحد شعراء العصر بالديار المصرية للشيخ العلامة شهاب الدين بن أبى حجلة مضمنا قول الممتنبى:

وقوم بالحشيشة ذاب منهم      فؤاد ما يسليه الملام  
أرانب غير أنهم ملوك      مفتحة عيونهم نيام

قلت هذا التضمين ما سمع مثله لشاعر فإنه ضمن عجز البيت الأول والبيت الثانى بكماله ولم يكن للشيخ شهاب الدين فيها غير صدر البيت الأول فتأمله، ويقال إن الأرانب اذا رأت البحر ماتت ولذلك لا توجد بالساحل وتزعم العرب أن الجن تهرب منها لموضع حيضها، قالوا وهى كالمراة وتأكل اللحم وغيره وتجت وتبعر وفى باطن أشداقها شعر وكذلك تحت رجليها وليس شىء قصير اليدين أسرع منها حصرا ولقصرهما يخف عليها الصعود والرقل وهى تطأ فى الأرض على زمعائها وهى مؤخر قوائمها مغالظة للطالب حتى لا يعرف اثرها الا أن الكلب الفاره والقناص الحاذق لا يخفى عليهما ذلك لأنها لا تفعل ذلك إلا فى السهل الذى يثبت فيه الاثر وربما مشت فى الثلج فيقتفى أثرها بكثرة الترداد فيه واذا قربت إلى الموضع الذى تريد أن تجتم فيه وثبت إليه.

خواصه من المصائد لحمها أطيب ما يؤكل بنار لأن النار يضعفها هواء الزمان ولحمها من أخف اللحوم وله خاصية فى المالىخولياء والصرع وإن طلى بدمها الكلف أذهبه وإن طبخ أو شوى فى جوف قرن نفع من القرحة فى الامعاء ويحرق رأسها فىكون سنونا جيد للجلاء ويورها يشد به الثريان إذا انقطع وتعلق الاعراب كعبها على الصبيان للعين وأنفحتها تدفع السم إذا شربت بماء السلق وسداب وإذا أخذتها المرأة حملت ومخها ودماغها يمنع الشعر المتوف من النبات ويعرها يدق بالخل للقوياء ومرارتها تطرح فى الشراب فتنوم.

الوصف لبعض الاندلسيين من المباحج افراد حران كأنهن أولاد غزلان بين رواع ينعطف انعطاف البره ووثاب يجتمع اجتماع الكره حال العصب ازاره وصاغ التبر طوقه وسواره قد غلل بالعنبر بطنه وحلل بالكافور متنه كأنما نضح بعبير وتلفع فى حرير ينام بعينى ساهر ويفوت بجناحى طائر قصير اليدين طويل الساقين هامان فى الصعود تجده وبابك عند الوثوب تؤيده.

القول فى النعامة: من المباحج وإنما ذكرناه مع ذوات الاربع من الوحوش وإن كان ذا جناح لأنه عند المتكلمين فى طباع الحيوان ليس بطائر وإن كان يقنص وله جناح ورش ويعدون الخفاش طائرا وإن كان بحبل ويلد وله اذنان بارزان وليس له رش لوجود الطيران فيه ومراعاة لقوله تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فنتفخ فيها فتكون طيرا بإذنى﴾ (١) وهم يسمون الدجاجة طيرا وإن كانت لا تطير والنعامة تسمى بالفارسية استرموك وتاويل استرجمل وموك طائر فكأنهم قالوا جمل طائر ولما وجد هذا الاسم ظن الناس أنها نتاج ما بين الابل والطير وبهذا أجرى عليها المثل فى قولهم: قيل للظلم أحمل قال أنا طائر قيل فطر فقال أنا جمل، وربما أكد عندهم القول بالتوليد أنهم رأوا فيه من الجمل الميم والوظيف والعنق والكرش والخف والجرامة، ومن الطير الرش والجناح والمنقار والبيضة ويشبه النعام بالابل فتسمى الانثى منها قلوفا وفى طبعها انها تحضن أربعين بيضة وثلاثين ومن أحاجيبها أنها تضع بيضها طولا حتى لومد عليها خيط لما وجد لشيء منها خروج عن الآخر ثم تعطى كل بيضة منها نصيبها من الحضن اذا كان بدئها لا يشتمل على عدد بيضها وهى تخرج لطلب الطعام فتمر ببيض نعامة أخرى فتحضنه وتنسى بيضها ولعلها تصاد ولا ترجع إليه فتهلك ولهذا توصف بالمرق والحمق ويضرب بها المثل فى ذلك، وعلى هذا ينشد قول ابن هرمة:

فانى وتركى ندى الا كرميـ من وقدحاً بكفى زند اشجاحا  
كتاركة بيضها بالعرأ ء وتلحقه بيض أخرى جناحها

ويقال إنها تقسم بيضها اثلاثا منه ما تحضنه ومنه ما تجعل صفاره غذاء ومنه ما تفتحه وتركه للهواء حتى يعفن ويتولد من عفنه دواب فتغدى بها فراخها إذا خرجت وهو من الحيوان الذى يزواج ويعاقب الذكر فى الحضن وهو لا يأنس بالابل ولا بالطير مع مشاركته لهما وكل ذى رجلين اذا انكسرت له احدهما استعان بالآخرى ما خلا النعامة فانها تبقى فى مكانها جائمة حتى تهلك جوعا، ويقال إن الحيوان الوحشى ما لم يعرف الانسان لا يثفر منه اذا رآه ما خلا النعام فإنه شارد أبدا وبه يضرب المثل فى الشرود وعظامه وإن كانت عظيمة وشديد العدو بها لا مخ فيها ولا مجرى لها وتزعم العرب ان الظليم أصلح وأنه لما كان كذلك عوض عن السمع بالشم فإنه يعرف بأنفه ما لا يحتاج معه إلى السمع فربما كان على بعد فشم رائحة القناص على اكثر من غلوه والعرب تضرب به المثل فى حاسة الشم وفسر بعض المعنيين بتفسير أمثال العرب، قوله أحقق من نعمته، أن من حمقها اذا أدركها القناص أدخلت رأسها فى الرمل تقدر أنها قد استخفت منه، وهو قوى الصبر عن الماء شديد العدو وأشد ما يكون عدوا اذا استقبل الريح وكلما أشد لغضوفها كان أشد حصرا وهو فى عدوه يضع عنقه على ظهره ثم يخرق الريح وهو يتلع العظم الصلب والحجر والدر والحديد فيمسيه بحر قانصته حتى يصير كالماء ويتلع الجمر حتى ينفذه إلى جوفه فيكون جوفه هو العامل على اطفائه ويكون الجمر هو العامل على احراقه وفى ذلك أعجوبتان احدهما التغذى بما لا يغذو والاخرى الاستمراء والهضم وهذا غير منكر لان السمندل وهو كما زعم بعضهم دابة توجد ببلاد الهند وبلاد السند دون الشعب خليجية اللون حمراء العين ذات ذنب طويل ينسج من وبرها مناديل اذا اتسخت ألقيت فى النار المتأججة فيزول منها الزهم ولا تحترق وبلاد الترك جرذان تسليخ جلودها ويتخذ من وبرها مناديل اذا اتسخت غسلت بالنار بان تلقى فيها ولا تحترق وزعم آخرون أن السمندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ وفيه من الخاصية أنه يدخل النار ويخرج منها ولا يحترق ريشه ويعمل من جلده مناديل الغمر فكما أن خاصية هذا الحيوان فى ظاهره كانت خاصية النعام فى باطنه والباطن فى الحيوان كله أنعم من الظاهر.

وقد حكى أبو عبيد البكرى فى كتاب المسالك والممالك لما ذكر قابس أن بعض

البادية دخل على أميرها بطائر على قدر الحمامة ذكر أصحابه أنهم لم يروه قبل وما عهدوه وكان فيه من كل لون وهو أحمر المنقار فأمر بقص جناحيه وأن يرسل في قصره فلما كان الليل أوقد بين يدي الأمير مشعل فلما رآه الطائر قصده وأراد الصعود إليه فلم يستطع النهوض فلم يزل يجهد نفسه حتى صعد إليه وجلس في وسطه وجعل يتفلى فيه كما يتفلى الطائر في الشمس فلما قضى وطره منه نزل، والنعام تصاد بالنار كما تصاد سائر الوحوش فإنه إذا رآها دهش لها واعتراه فكر فيها فيقف وقوف حيرة فيتمكن منه الصائد.

خواصه من المصائد لم يذكر منها شيئاً.

الوصف أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة:

ولرب طيار خفيف قد جرى	مثلاً يحار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطا مختالة	مشى الفتاة تجر فضل أزار
مخضوبة المنقار تحسب أنها	كرعت على ظمأ بكأس عقار
لا يستقر بها الاداحى خشية	من ليل وبل أو نهـار بوار

قال الزمخشري:

يا سائلى اننى أصبحت فى بلد	لا عطله ترجى لى ولا عمل
ولا غريب ولا لى فيه من أحد	مثل النعامه لا طير ولا جمل

الطاووس: قال أصحاب البحث عن طبائع الحيوان أن الطاووس فى الطير كالفرس فى الدواب عزا وحسنا غير أن الناس لا يتبركون به ويكرهون كونه فى دورهم وفى طبعه العفة وحب الزهو بنفسه والخيلاء والاعجاب بريشه وعقده لذنبه كالطاق لا سيما إذا كانت الانثى ناظرة إليه والانثى تبيض بعد أن يمضى لها من العمر ثلاث سنين وكذلك لا يحصل التلوين فى ريش الذكر الا بعد هذه المدة وهى نهاية البلوغ والانثى تبيض مرة واحدة فى السنة اثنتى عشرة بيضة وأقل وأكثر ولا تبيض متابعا ويسفد فى زمن الربيع ويلقى ريشه فى زمن الخريف كما تلقى الشجر ورقها وهى كثيرة العبث بالانثى اذا حضنت وربما كسر البيض ولهذا يحضن بيضه تحت الدجاج والدجاجة لا تقوى على حضن أكثر من بيضتين منها وينبغى أن يتعاهد الدجاجة بجميع ما تحتاج إليه مخافة أن تقوم عنه فيفسده الهواء والفرخ يخرج من البيضة كاسيا كما يخرج الفروخ والطاووس من الطير الذى يبيض ببيض الرياح ويقال: ان عبث الطاووس بأثائه وان حضنها غيره منه أن يخرج من البيض ما يشبهه فى حسن ريشه وبهاء خلقه وزعم ارسطو أن الطاووس يعيش خمسا وعشرين سنة وهذا منه حكم لا يعينه الاستقراء.

الوصف أبو الصلت أمية بن العزيز الاندلسى:

أهلا به لما بدى فى مشيه	يختال فى حلال من الخيلاء
فالروضه الغناء أشرق فوقه	ذنب له كالروضه الغناء
ناديته لو كان يفهم منطقى	أو يستطيع اجابته لندائى
يارافعا فوق السماء ولابسا	للحسن روض الحزن غب سماء
أيقنت أنك فى الطيور مملكا	لما رأيتك منه تحت لواء

ولسه:

أبدى لنا الطاووس عن منظر	لم تر عيني مثله منظرا
منوج المفرق إن لا يكن	كسرى بن ساسان يكن قيصرا
فى كل عضو ذهب مفرغ	فى سندس من ريشه أخضرا
نزهة من أبصر فى طيها	عبرة من فكر واستبصرا
تبارك الخالق فى كلما	أبدعه منه وما صورا



## الباب الخامس والاربعون فى الاسد النبى والزرافة والفيل

وانما بدأنا به أولا لأنه أشرف فى هذا النوع لان منزلته فيه منزلة الملك المهيب لقوته وشجاعته وقساوته وجهامة خلقه وشراسة خلقه، قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان إن اللبوة لا تضع الا جرورا واحدا وتضعه بضعة لحم ليس فيها حس ولا حركة فتحرسه من غير حضان ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه بعد ذلك فينفخ فى تلك البضعة المرة بعد المرة حتى يتحرك ويتنفس ويتفرج الاعضاء ويتشكل الصورة ثم تأتى أمه فترضعه ولا يفتح عينيه الا بعد سبعة أيام من تخليقه وهى ما دامت ترضع لا يقربها الذكر البتة فإذا مضت على الجرو ستة أشهر كلف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب وطارد الذكر الانثى فإن كانت صارفة أمكته من نفسها وإن لم تكن دفعته ومنعته ونفته مع شبلها بقية الحول وستة أشهر من الثانى وحيثذ تألف الذكر وتمكنه من نفسها وللأسد من بعد الوثبة والصلوق بالارض والاسراع فى الحصر اذا هرب والصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ما ليس لغيره من السباع وربما سار فى طلب القوت ثلاثين فرسخا ولا يأكل فريسة غيره من السباع وهو إذا شبع من فريسة تركها ولم يعد اليها ولو جهده الجوع ولا يأكلها وإذا أكل يقيم يومين وليتين بلا طعام لكثرة امتلائه ويلقى بعد ذلك شيئا بابسا مثل جعر الكلب واذا بال رفع احدى رجليه كالكلب واذا فقد أكله صعب خلقه واذا امتلأ بالطعام فهو ودع وأكل الخفيف أحب إليه من اللحم العريض الغض وهو لا يشب على الانسان للمداوة ولكن للطعم فإنه لو مر به وهو شبعان لم يتعرض له وهو مع ذلك حريص بهم واسع النحر ينهش ولا يمضغ قليل الريق ولهذا يوصف بالنجر ولحم الكلب أحب اللحوم إليه ويقال إنما ذلك لحنقه عليه فإنه اذا أراد الطواف فى جنبات الحى ألح الكلب بالنباح عليه والانداز به فيرجع خائبا لنهوض الناس عليه فإذا أراد ذلك بدأ بالكلب حتى يأمن انداره ومن شأنه إذا أكثر من حسو الدم وأكل اللحم وحلت نفسه منها طلب الملح ويجعله كالحمضة بعد الحلة فيطلبه ولو كان بينه وبينه خمسون فرسخا وهو يوصف بالجبن والجرأة فمن جبنه أنه يذعر لصوت الديك ومن

نقر الطست وضرب الطنبور والحبل الاسود والديك الابيض والسنور والفأرة وقد تكون النار من أسباب اغتراره واغتياله لأنه يعتره ما يعترى الطباء والوحوش عند رؤية النار من الحيرة والعجب بها وادمان النظر إليها والفكر فيها حتى يشغله عن التحفظ والتهيؤ ومن حرارته أنه يقدم على المعتب الكبير والجمع الكثير ويقابل ولا يرجع من الضرب والجراح ولا يذله ما يصيبه من ذلك بل يقابل بعضه حتى يموت وهو إذا كر لا يفر الا فرا خفيفا مخالسا والاسود أكثر جراءة وجهالة ويقال إن الانثى أجراً من الذكر والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول إنما هي أشرف ومن عاداته أنه اذا عاين أحدا لا يفزع ولا ينهزم فإن الجأ إلى ذلك وأحس بالصيادين تولى وهو يمشى رفيقاً وهو مع ذلك يتلفت ويضمخ الخوف ويظهر عدم الاكتراث وان تمكن منه الخوف هرب عجلاً حتى يبلغ مكاناً يأمن فيه فإذا علم أنه آمن مشى ماراً وان كان فى سهل والجأ إلى الهرب جرى جرياً شديداً كالكلب وان رماه أحد ولم يصبه شد عليه فإن أخذه لم يضره وإنما يخدشه ثم يخليه كأنه من عليه بعد الظفر به واذا شم رائحة الصيادين أخفى أثره بذنبه وفيه من شدة البطش ما أنه يأبى الجمل الهايج البازل فيضربه بيده فيثنى الجمل عنقه إليه كأنه يريد عضه فيضرب بيساره إلى مشفره فيجذبه جذبة يفصل بها بين ذوات عنقه وإن ألقاه قائماً وثب عليه فإذا هو فى ذروة سنامه فعند ذلك يضره كيف شاء ويتلعب به كيف أحب ومن عجيب أمره أنه لا يألف شيئاً من السباع لأنه لا يرى فيها ما هو كفؤ له فيصحبه ولا يطاق على أثره شيء منها ومتى وضع جلده مع سائر جلودها تساقطت شعورها ولا يدنو من المرأة الطامث ومتى مس قوائمه لحا شجر البلوط حذر ولم يتحرك من مكانه واذا غمره الماء جاء الصبى حتى يركب على ظهره ويقبض على أذنه ولا تفارقه الحمى ولذلك الاطباء يسمون الحمى داء الاسد وعظامه عاسية جدا واذا طلب نارا ذلك عظامه بعضها ببعض فيخرج منها كما يخرج من الحجارة ولذلك فى جلده من القوة والصلابة ما لا يعمل فيه السلاح الا من مراق بطنه وقد يطول مشوى الواحد منها مع الناس حتى يهرم وهو فى جميع حالاته صعب شديد الغرام لا يؤمن شروده إذا انفرد من سواسه وابصر غيضة بين يديها صحراء ويبلغ من العمر كثيراً وعلامة ذلك أنه يصاد فيوجد مهتوم الاسنان وليس ذلك الا من الكبير.

خواصه: يقال إن خصيته اذا ملحت بنورق أحمر ومصطكى وجففت وقلبت بزئبق

نفعت من البواسير والزحير ووجع الارحام ويقال إن من يمسح بشحم كليته يؤمن من أكل

السباع ومرارته بعسل تنفع الخنازير ودمه يطلى به السرطان وصيده بأنواع من الحيل فمنها أن تصنع له العرب الزباء وهى حفائر فى نشر من الأرض وتغطى وفى وسطها جرو و كلب فىأنى الاسد ليأخذ الجرو فيسقط فيها، وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: بلغ السماء الزباء أى أعظمها.

الوصف والتشبيه: وصفه أبو زيد الطائى فى حكاية حكاها لعثمان بن عفان رضي الله عنه وقد لعنه فقال أقبل بتضالع من بغيه ولصدره نحيط ولبلاغيمه غطيظ ولطرفه وميض ولأسارغه نفيض كأنما يخبط هشيماً أو يطأ صريماً ذا هامة كالمجن وخذ كالمن وعينان سحراوان كأنهما سراجان وقصره رمله وهرمه وهله وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شبيه البرائن ومخالب كالمحاجن فم أشدق كالغار الاحرق يفتتر عن معاول مصقولة غير مغلولة فهجهجنا به فرفر وبرير ثم زار فجرجر ثم لحظ فخلت البرق يتطاير من جفونه عن شماله ويمينه فأرعثت الايدى واصطكت الارجل وجحظت العيون وساءت الظنون ولصقت الظهور بالبطون وأنشد عبوس شמוש مثل جد مكابر جرىء على الاقدام للقرن قاهر:

برائه شثن وعيناه فى الدجى	كجمر الغضا فى وجهه الشر طائر
يدل بانياب حداد كأنها	إذا قلص الاشداق عنها خناجر

وقال أبو الطيب يصفه من أبيات:

ورد إذا ورد البـحيرة وارد	ورد الفـرات زئيره والنـيلا
متخضب بدم الفوارس لابس	فى غـيله من لبـديته غـيلا
فى وحدة الرهبان الا أنه	لا يعرف التحريم والتـحليلا
ما قـوبلت عيناه الا ظـتا	تحت الدجى نار الفـريقى حلولا
يطأ الثرى مترفعاً من تيهه	فكـانه أس يحس عـبـيلا
ويرد عقـرته إلى يافـوخه	حتى يصير لرأسه اكـليلا
ويظنه ممما يزمجر نفسه	عنها لشدة غـيظه مشغـولا
قـصرت مخافته الخـطى فكأنما	ركب الكـمى جـواده مسـلولا

ثم خرج إلى ذكر الممدوح الحسين بن عبد الله بن طنجح أمير مصر كان قد خرج متصيذا فرأى أسدا على فريسته فهاجه فوثب الاسد على كفل فرسه فأعجله عن استلال السيف فضربه بالسوط فألقاه عن كفل الفرس، فقال الممتبى القصيدة التى أولها:

فى الخدان عزم الخليط رحبلا      مطر يزيد به الخدود محولا

وجاء منها:

أمعفر الليث الهزبر بسوطة  
وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي:  
وليث مقيم في غياض منيعة  
يوسد شبليه لحوم فوارس  
هزبر له في فيه نار وشقرة  
سراجاه عيناه اذا أظلم الدجى  
له جبهة مثل المجن ومغطس  
يصلصل رعد من عظيم زئيره  
له ذنب مستتبط منه سوطة  
ويضرب جنبيه به فكأنما  
ويضحك في التيس فكيه عن مدى  
يصول بكف عرض شبرين عرضها  
يجرد منها كل ظفر كأنه

لمن ادخرت الصارم المسلولاً  
أمير على الوحش المقيمة في القفر  
ويقطع كاللص السبيل على السفر  
فما يستوى لحم القتل على الجمر  
فإن بات يسرى باتت الوحش لا تسرى  
كأن على أرجائه صيغة الحبر  
ويلمع برق من حماليقه الحمر  
تري الأرض منه وهي مضروبة الظهر  
له فيهما طبل محيص على الكر  
بنوب صلاب ليس يهتم بالفهر  
خناجرها أمضى من القضب البتر  
هلال بدا للعين في أول الشهر

وأحسن ما ورد في قتل الاسد قول بشر بن عوانة الفقعسي يصف ملاقاته للاسد وما  
اتفق له معه وحكايته أنه تزوج ابنة عمه فخرج يبغى مهرها فلما كان ببعض الطرق عارضه  
أسد فكر بمهره عليه فتعاس ولم يتقدم عليه فنزل عنه وأقبل نحو الاسد مصلتا سيفه فقتله  
وقال:

أفاطم لو شهدت بيطن خبت  
اذا لرأيت ليثا رام ليثا  
تمهس اذ تقاعس عنه مهري  
أبل قدمي ظهر الأرض إني  
وقلت له وقد أبدى نصالا  
يدل بمخلب ويحد ناب  
وفي يمناي ماضي الحد ألقى  
ألم يبلغك ما فعلت ظباه  
وقلبي مثل قلبك لست أخشى

وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا  
هزبرا أغلجا يبغى هزبرا  
محاذرة فقلت عقرت مهرا  
وجدت الأرض أثبت منك ظهرا  
مذرية ووجهها مكفهرا  
وباللحظات تحسبهن جمرا  
لمضربه غداة الروع أثرا  
بكاظمة غداة لقيت عمرا  
محاذرة ولست أخاف ذعرا

وأنت تروم للأشبال قوتا  
ففسيم تروم مثلى ان يولى  
نصحتك فالتمس يا ليث غيرى  
ولما ظن الغش نصحى  
دنا و دنوت من أسدين راماً  
يكفكف غيله إحدى يديه  
هزرت له الحسام فخلت أنى  
حساماً لو رميت به المنايا  
وجسدت له بخافقة رأها  
بضربة فيصل تركته شفعاً  
فخر مضرجاً بدم كائى  
وقلت له يعزز على أنى  
ولكن رمت شبيثاً لم يرمه  
تحاول ان تعلمنى فرارا  
فلا تبعد فقد لاقاك حر

وأبغى لابنة الاعمام مهرا  
ويترك فى يدك النفس قسرا  
طعاما إن لحمى كان مرا  
وخالفنى كائى قلت هجرا  
مراما كان اذ طلباه ذعرا  
وييسط الوثوب على أخرى  
هزرت له لدى الظلماء فجرا  
لجاءت نحوه تعطيه عذرا  
كمن لديه سامنه قدرا  
وكان كأنه الجلمود وترا  
هدمت به بناء مشمخرا  
قتلت مناسبى جلدا وقهرا  
سواك فلم أطق يا ليث صبيرا  
لممر أبى لقد حاولت نكرا  
يحاذر ان يعاب فمت بحرا

نادوة: قيل تعرض أسد لقافلة وصال على رجل منها فبادروا حتى حالوا بينهما وقالوا  
لرجل كيف حالك قال صالحة ولكن الاسد قد خرى فى سراويلى ولمؤلفه رحمه الله:  
سألتك يا جميل السنر مترا      أضيّب به عن الخصم الظلوم  
وذاك السنر سنر معنوى      يرانى منه كالاسد العظيم .

القول فى طبائع الفيل: زعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان أن الفيلة مائة الطباع  
بالجاموسية والتخزيرية التى فيها وبعضها يسكن الماء وبعضها لا يسكنه وزعم آخرون أن  
الفيلة ضربان فيل ورنديفيل وهما كالبخت والغراب، والبقر والجواميس والبراذين والخيول  
والفأر والجرذان والنمل والذر وبعضهم يقول الفيل الذكر والرنديفيل الانثى وهذا النوع لا  
يتلاقح إلا فى بلاده ومعادنه ومغارس أعراقه وإن صار أهليا وهى تتوالد بأرض الهند والهند  
وهى أعظمها خلقا وبجزيرة سرنديب وينتهى فى عظم الخلق إلى أن يبلغ فى الارتفاع عشرة  
أذرع وفى ألوانها الاسود والابيض والازرق والابلق وهر إذا غتلم أشبه الجمل فى ترك

الماء والعلف حتى ينضم إبطاه ويتورم رأسه ولم يكن لسواسه غير الهرب منه وربما صار وحشيا وجهل جهلا شديدا والفييل ينزو إذا مضى له من العمر خمس سنين وإذا حملت لا يقربها الذكر ولا يمسهها ولا ينزو الذكر عليها إذا وضعت الا بعد ثلاث سنين ولا ينزو الا على فيلة واحدة وله عايتها غيرة شديدة وإذا تم حملها وارادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها فى الماء لانها تلد قائمة اذ لا فواصل لقوائمها فتبرك والذكر بعد ذلك يحرسها وولدها من الحيات وذلك لعداوة اصيلية بينهما ووضع ذكر الفييل شبيه بالفرس لكنه صغير عنه جثة وهو فى الفرس العتيق صغير أيضاً وأنثيا الفييل داخل ذنبه قريب من كليته ولذلك يسفد سريعا كالطير لان كونهما داخلا قريبا من القلب ينضج المنى بسرعة ويقال ان الفييل يحقد كما يحقد الجمل ويحفظ الشىء الذى يكرهه القيم عليه حتى يقابله عند تمكنه منه وربما قتله وزعم أهل الهند ان لسان الفييل مقلوب ولولا ذلك لتكلم وهو صغير جدا ويجعلون أن قرنيه هما ناباه يخرجان مشتطين حتى يخرقا الحنك وعلم ذلك من تسريحه ويوجد فيه الاعقف والمستقيم.

قال المسعودى: وربما بلغ الناب منه مائة وخمسين منا وأكثر من ذلك والفييل يحمل بهما على الجدار الوثيق البنيان فيقلبه على الأرض وقد فتح به محمود بن سبكتكين مدينة الطاق وهى من أعظم الحصون التى ببلاد سجستان فإنه جعل نايه تحت بابيها فأقلعه وهو من أسرع الحيوان الوحشى أنسا بالناس وسرعة الانس دليل على حسن الطباع ودماثة الأخلاق وخرطومه من غطروف أنفه وهو يده التى يوصل بها الطعام إلى فيه ويقا تل بها وبها يصيح وليس صياحه على مقدار جشته لأنه كصياح الديك يتنزل منه منزلة عنقه وله فيه من القوة بحيث يقلع به الشجرة من منابتها وفى طبعة أنه اذا سمع صوت الخنزير ارتاع ونفر واعتراه الفرع والجزع واذا ورد الغدران والانهار للشرب وكان الماء صافيا فهو أبدا يشره ويكدره كالخيل لانها ترى صورها على سطح الماء فتتوهم أنه غيرها فتسفر منه وهو قليل الاحتمال للشتاء والبرد ويقوم ويسير فى الماء منغمسا ما عدا خرطومه لأنه منه يتنفس ولا يقدر على السباحة لثقل جسده وفيه من الفهم ما به يقبل التأديب ويفعل ما يأمره سائسه من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر فى حالتى السلم والحرب وفيه من الاخلاق أنه يقا تل بعضه بعضا قتالا شديدا والمقهور منها يخضع ويتمجد للقاهر ويخاف سطوته ويقال: إنه يصاد باللهو والطرب واللعب والزينة وريح الطيب والنساء يصيدونه بذلك وربما احتيل

على صيده بأن يترقب حال سكونه وهدوءه وذلك أنه لا ينام الا متعمدا على ساق شجرة اذ لا يمكنه الاضطجاع لكون قوائمه لا فواصل لها لكنها كالاساطين المصمتة والسوارى الوثيقة والصيدون يأتون الشجرة التى غالب أوقاته يعتمد عليها فيضعفون أصلها فإذا أتى على عادته اليها ليعتمد عليها انكسرت فسقط وبقي عاجزا لا يقدر لنفسه بشيء فيصيدونه كيف شاءوا، والهند تعظم الفيل وتشرفه لما اجتمع فيه من الخصال المحموده من علو سمكه وعظم صورته وبديع منظره وطول خرطومه وسعة أذنه وطول عموده وثقل حملة وخفة وطشه، فإنه ربما مر بالانسان وهو لا يشعر به لحسن خطوته واستقامته وللهند طيب يجمعونه من جباه القبيلة ورءوسها فإنه اذا اغتلمت عرقت هذه الاماكن عرقا كأنه المسك ويستعملونه لظهور الشبق فى الرجال والنساء ويزعمون أنه يشجع القلب ويقوى النفس وبيعها على الاقدام والفيل يشب إلى تمام ستين سنة ويعمر مائتى سنة وأكثر وحكى ارسطو أن فيلا ظهر عمره أربعمائة سنة.

وحكى بعض المؤرخين أن فيلا سجد لابرويز ثم سجد للمعتضد وبينهما زمان ذكره ارسطو واعتبر ذلك بالوسم وهذا الحيوان يعتره من الامراض وجع المفاصل لطول قيامه وثقل جسده لأنه لا يضطجع.

الوصف والتشبيه، قال عبد الكريم البهلى:

ملوك بنى ساسان إن نابها دهر  
مصيره يلب كما يلب الصخر  
وصدر كما أوفى الهضبة الصدر  
ينال به ما يدرك الانمل العشر  
ولو أنه بالباع منهرب حفر  
خفيا وطرف ينقص الغب مزور  
قيامين سمرأوين لمعهما تبر  
اذا نطق العصفور أو صوت الصقر

وأضحى هندی النجاد تعده  
يجىء كطود جائل فوق أربع  
له فخذان كالثئين لبد  
ووجه به أنف كرا وورق خمرة  
وجنبان لا يروى القلب صداهما  
وأذن كنصف الرد يسمعه النداء  
ونابان شقا لا يريد سواهما  
له لون ما بين الصباح وليله

صلاح الدين الصفدى رحمه الله ملغزا:

وهو ذو أربع تعالى إلى إله  
لم يكن عند جوعه يرعاه  
رمت عكسا يكون فى ثلثاه

أیما اسم ترکیبه من ثلاث  
حيوان والقلب منه نبات  
فيك تصحيفه ولكن اذا ما

قد جعل الله فى طبع الفيل الهرب والوحشة من النور واذا احتملت المرأة من نجوها مع العسل لم تحبل أبدا وكذلك اذا علق على شجرة لم تحمل تلك السنة.

القول على طبائع الكركدن: ونسبته الهند النوسان ويسمى أيضا الحمار الهندي وهو عدو الزبرقان والفيل ومعادنه ببلاد الهند والنوبة والبجا وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والفيلة وله ظلف واحد غير مشقوق وقرن واحد عظيم على أنفه بارز ولا يستطيع لشقله أن يرفع رأسه وهذا القرن مصمت قوى الاصل حاد الرأس مرهفه يقاقل به الفيل فلا يفيدته معه ناباه، ويقال: إنه اذا نشز رؤى فى داخله صورة بياض فى سواد صفة انسان ودابة وسمكة وما يشاكل ذلك وأهل الصين يتخذون منه المناطق ويغالون فى ثمنه ويقال: إن حمل الانثى من هذا النوع كأيام حمل الانثى من الفيلة والانثى تأكل ولدها ولا يسلم منها الا القليل والولد يخرج قويا ثابت الاسنان والقرن قوى الحافر وقد زعم أنه إذا كان فى بطن أمه وقارب الوضع يخرج رأسه من فرجها ويرعى من أطراف الاشجار ما يقوته ثم يرجع به، وقد أنكر الجاحظ هذا القول وقد جعله ضربا من الخرافات وتزعم الهند أنه اذا كان فى ناحية من البلاد لا يقربها حيوان أصلا ويكون بينها وبينه من البعد مائة فرسخ من أربع جهاته هببة له وهربا منه وليس كذى القرن مشقوق الظلف وهو يجتر كما يجتر البقر والغنم والابل ويأكل الحشيش والهند تأكل لحمه وكذلك فى بلادها من المسلمين لأنه نوع من البقر والجواميس ويقال: إنه شديد العداوة للانسان حتى أنه اذا شم رائحته أو سمع صوته جد فى طلبه فإذا أدركه قتله وان لم ينتفع به لانه لا يأكل اللحم وهذا الحيوان لا يترك ولا يتام اذ ليس له مفصل فى ركبتيه ولا فى يديه بل هو من ظلفه إلى ابطه قطعة واحدة.

القول فى الزرافة: والزرافة فى كلام العرب الجماعة لأنها اجتمع فيها صفات كثيرة من الحيوان وهى عنق الجمل وجلد النمر وقرن الظبي وأسنان البقر ورأس الابل ولهذا زعم بعض المتكلمين فى طبائع الحيوان أنها متولدة من حيوانات وقيل: إن السبب فى ذلك اجتماع الوحوش فى حماوة القيظ على شرائع المياه فتسافد فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فربما سفد الانثى من الحيوان ذكور كثيرة فتختلط مياهها فيجىء خلق مختلف الصور والالوان والاشكال، والفرس تسمى الزرافة استر كاو بليك فتأويل استر بعر وكاو بقرة وبيليك الصبغ وهذا كما رأيت موافق لكلام العرب من كونها مركبة الخلق من حيوانات شتى.

والجاحظ لا يعجبة هذا القول ويقول إنه جهل شديد لا يصدر عن من لديه تحصيل لأن الله يخلق ما يشاء وهو نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير ومما يحقق ذلك أنه يلد مثله وقد شوهد وهى طويلة اليدين والعنق جدا حتى يكون فى مجموعها عشرة أذرع وأكثر قصيرة الرجلين جدا وليس لها ركب وإنما الركب ليديها كسائر البهايم وإذا أكلت مما على الارض تفحجت لقصر عنقها عن بدننها ومن عادتها أن تقدم عند المشى اليد اليمنى والرجل اليسرى بخلاف ذوات الاربع فإنها كلها تقدم اليد اليمنى والرجل اليمنى وفى طبعها التآلف والتودد والتآنس وهى تجتر وتبعر.

الوصف ابن حمديس:

ونوية فى الخلق منها خلألق	متى ما يرق العين فيها تسهل
إذا ما اسمها ألقاه فى السمع زاجر	رأى الطرف ما عنى عنه بمقول
لها فخذ اقرم وأظلاف قرهب	وناظرتنا ريم وهامة أيل
كأن الخطوط البيض والصفير أشبهت	على جسمها ترصيع عاج مصندل
ودائمة الاقماء فى أصل خلقها	إذا قابلت ادبارها غير مقبل
تلفت أحيانا بعين كحيلة	وجيد على طول اللواء المظلل
وتنفض رأسا فى الزمام كأنما	تريك له هاد على السحب مفتل
وعرف رقيق الشعر تحسب نبتة	إذا الريح هزته ذوائب سنبل
وتحسبها من نفسها إن تبخترت	تزف إلى بعل عروسا وتنجلى
فكم منشد قول امرئ القيس عندها	أفاطم مهلا بعض هذا التذلل

ومن أبيات الفقيه عمارة اليمنى:

وبها زرافات كأن رقابها	فى الطول ألوية تؤم العسكرا
نوية المنشا تريك من المها	زرقاء ومن بزل المهارى مشفرا
جبلت على الاقماء من اعجابها	فتخالها للتيه تمشى القهقرا



## الباب السادس والأربعون

### فى الحمام وما فى وصفها منه بديع النظام

قد جرت عادة الكبراء والعظماء باتخاذ الحمام فى منازلهم ولا سيما فى أيام الخلفاء فكثرت ذلك فى أيام الناصر لدين الله أحمد بن الامام المستضىء فإنه اهتم بأمرها وبأمر انشائها وما زالت الخلفاء والملوك يطرون الحمام ويسابقون به ولا يختص بذلك بنو العباس قال صاحب روض الازهان: كان الوزير أبو الفرج يعقوب وزير المعز أجل الخلفاء المصريين وأنفخهم وكان له حمام يسابق فاتفق أنه سابق بها طيور الخليفة العزيز فسبق حمامه فعظم ذلك على الخليفة ووجد أعداء الوزير الطعن عليه من أن هذا الوزير يختار الجيد لنفسه من كل شىء ويختار للخليفة الأدنى فبلغ ذلك الوزير فكتب إلى الخليفة:

قل لأمير المؤمنين الذى له العلاء والكوكب الثاقب  
طائرک السابق لكنه جاء وفى خدمته حاجب

فسكن غيظ الخليفة ولما مات هذا الوزير خلف أربعة آلاف مملوك وحرارة الوزيرية فى القاهرة وتعرف به وبساتين الوزير بالقرب من بركة الجيش ولما مات نزل الخليفة والحد فى قبره وبلغ كفته وما يدخل فيه عشرة آلاف دينار.

قال الجاحظ: وقد تباع الحمامة بخمسة دينار ولم يبلغ ذلك شىء من الطير ومن دخل بغداد والبصرة عرف ذلك وتباع البيضة بخمسة دنائير والفرخ بعشرين ديناراً روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه اشتكى إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال: «اتخذ حماماً تؤنسك وتصيب من فراخها وتوظك للصلاة بتغريدها» وروى عن ابن عباس رضيهما قال قال رسول الله ﷺ: «الحمام فإنها تلهى الجن عن صبيانكم» روى جابر أنه كان رسول الله ﷺ يعجبه النظر إلى الحمام والابراج وكان فى منزله حمام أحمر اسمه وردان، وكان إبراهيم بن بشار معجباً بالحمام وكان إذا ذكرها يقول ان الله جمع فيها حسن النظر وكريم المخبر تكفيك مؤنتها فهى للطارق عدة وللمستوطن لذة تطعم فى الصحراء وتعود اليك فى السراء يأنس الوحيد بحركاتها وتغنيه عن الاوتار بنغماتها وغيرها من الطير

يستعجم وهى ناطقة وتنفر عنك وهى داجنة وفى طبعها السكون إلى الناس والاستئناس بهم وهى طير عفيف يبقى الذكر بعد الانثى منفردا والانثى مثل ذلك مع شدة اتفاقهما على المحبة إن طارا طارا معا وإن وقعا وقعا معا لها سرعة طيران لا تكاد سباع الطير تصيدها الا بحيلة ولم نزل العرب تستحسن سجع الحمام وتغريد البلبل والورشان واعراب وادى القرى إذا ظفروا بشراب الطائف أتوا حوائط من النخل عند استواء الظهيرة اذا صارت الوراش والفواخت إلى ذلك الظلال فيشربون ويأنسون بتغريدهن ويقيمون أصواتهن مقام المزامير والاورتار وفى ذلك يقول بعضهم:

أحن إلى حوائط ذات عرق      لتغريد الفواخت والحمام  
ألم بها وكل فتى كريم      من الفتيان مخنوع الزمام

وقد ألف القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر كتابا أسماه تائم الحمامم وذكر فيه أنسابها وأنواعها وغير ذلك ومنه قول القاضى الفاضل لا زالت أجنحتها تحمل من البطائق أجنحة وتجهز جيوش المقاصد والاقلام أسلحة وتحمل من الاخبار ما تحمله الضمائر وتطوى الارض اذا نشرت الجناح الطائر وكادت تكون ملائكة لأنها رسل اذا نيطت بالرقاع طارت أولى أجنحة مثني وثلاث ورباع وقد باعد الله بين أسفارها وقربها وقرها وجعلها طيف اليقظة الذى صدق العين وما كذبتها وقد أخذت عهود اداء الامانة فى رقابها أطواقا وأذنها من أذناها أوراقا فصارت خوافى وراء الحوافى وغطت سرها بكتمان سحبت عليه ذبول ريشها الصوافى ترغم النوى بتقريب العهود وتكاد العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود وهى أنبياء الطير لكثرة ما تأتى به من الانباء وخطباؤها لانها تقوم على منابر الاغصان قيام الخطباء وسماها القاضى الفاضل فى مكان آخر ملائكة الملوك فرحمه الله ما كان أقدره على الكلام وما أحسن ما وصف الحمام وتسميته إياها أنبياء الطير، قال الشيخ تاج الدين بن الاثير من فصل: طالما جارتها لرياح فأصبحت مخلقة وراءها تبكى على السحب وصدق من سماها أنبياء الطير لانها مرسل بالكتب وقال الشيخ السديد علم الرؤساء من رسالة فى تقدمته بالبشائر يكون المعنى بقولهم أيمن طائر ولا غرو أن فارق رسل الارض وفاتهم وهو مرسل والعيان عيانه والجو ميدانه والجناح مركبه والرياح موكبه وابتداء الغاية شوطه والتشوق إلى أهله وقال الاسعد بن مماتى من صدر رسالة:

أعوامل بالفلات مما يدلنا      عنى أن معنى القلب من عادة القلب  
ومن لم يجد شخصا من الانس كاملا      يثبت له الشكوى تشاغل باللعب  
بلغنى أن الحضرة قد أطاعت سلطان نفسها واسترجعت شيطان أمسها وعزمت على  
انفاق كيس الايام بالاشتغال بالحمام.

وللشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة: وفرضنا أعزك الله ان ذلك الواشى فى كلامه  
مصيب فالمملوك أولى بالتقاط فوائد مولانا ابن أبى حجلة وللطير فى دار الكرام نصيب.  
صلاح الدين الصفدى وكتبها إلى بعض أصحابه:

هذى بطاقسة قــــادم      قد جاء يلهج بالمدح  
حملها قلبى الذى      قد طار نحوك بالفرح

قلت ما لطف قول الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة:

شكرت افتراحي فى المديح فلمتنى      وقلبي أناس كان يشكر ما اقترح  
ولو كان من شعري المحجل ريشة      لكل بنى الآداب طارت من الفرح  
القاضى الفاضل:

لينهك طائر الفتح المبين      وما أدى من الخبر اليقين  
وأشرق فى الخيام على رياض      وخط من الرماح على الغصون  
وأطرب بالكتاب وزاد حتى      ظنناه يغنى باللحسون  
وسرك باليقين بغير وعد      ترجيه الظنون بقدر وسين  
بما أسهرت جفن السيف حتى      جعلت السيف غمدا للجفون  
وله تغمده الله برحمته:

وقد ألف التخليق ريش جناحها      فجاءت الينا فى رداء العرائس  
وما خلقت بالزعفران وانما      نضخن دما من أكل قتلى الفوارس  
ملائكة الرحمن تزجى كتابها      اليهم ببشراهم بقتلى الأبالس  
وله رحمه الله:

بشائر يأتى الطير حامل كتبها      فيأتى سرور لم يدعه ونفسه  
غدوت ولا سيف يقر بغمده      وبت ولا طير يقر بعشه

ذكر ابن مسدى فى معجمه: قال سمعت أبا الحسن محمد بن نصر الله بن عنين يقول كنت بخراسان بمجلس الفخر الرازى إذ أقبلت حمامة يتبعها جارح فسقطت فى حجر الفخر الرازى وعادت به على منبره فقمتم وأنشدت بديها:

يا بن الكرام المطعمين اذا شتوا	فى كل مسغبة وثلج خاسف
والعاصمين اذا النفوس تطايرت	بين الصوارم والوشيح الراجف
من نبأ الورقاء أن محلکم	حزم وأنك ملجأ للخائف
وافت اليك وقد تدانى حتفها	فجبرتها يقائنها المستأنف
ولو انها تجبى بمال لانثت	من راحتك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان حمامة	والموت يلمع من جناحى خاطف

فخلع عليه جبة كانت عليه وكل هذا سببا لاقبال السعود عليه.

من انشاء الشيخ زين الدين بن الوردى: فبينما الباز سكران بما بان من البان واذا بحمامة قد وقعت أمامه وقالت كم تفتخر وأنت عظم نخر أنت من آلة اللعب والصيد وأنا من آله الجد والكبد أنا مع الطوق والخضاب من جملة حملة الكتاب ومع خوفى من شرك الشرك وحذى ممن فح الافك حملت الامانة التى أبت الجبال عن حملها وامثلت مرسوم ﴿ان الله يأمرکم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها﴾<sup>(١)</sup> فلما أوصلت الحقوق أمنت العقوق وتزينت بالبشائر والخلق ومما أعجب العالمين أنتى مخضوية البنان ولى يمين أقول للملك دع الاهتمام ولا تحزن فإنى أنا الحمام مهما حدث عليك من البعد من أخصامك أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك كتمت عن الناس سرى وأبهمت فى الغناء والنوح أمرى:

روى خضابى وطرقى	فاستتكفوا من بكائى
ثم ادعوا أن نوحى	مناسب لسفنائى
فقلت كفوا فدمعى	باد بغير اخفاء
الخضب من فيض دمعى	والصبر عقد ولائى

قال القاضى علاء الدين الوداعى: كان القاضى الفاضل يسمى الحمام ملائكة الملوك فسميت انا البريدية شياطين السلاطين.

## الباب السابع والأربعون

### في الحصون والقصور والآثار

### وما قيل فيها من تألق الأشعار

ما أحسن قول القاضي الفاضل ووردنا حصين كوكب وهو نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لنا قلامه، وقال الشيخ شهاب الدين محمود: حصن قد تفرط بالنجوم وتقرطق بالغيوم وسما فرعه إلى السماء ورسى أصله إلى التخوم تخال الشمس اذا علت أنها تنتقل في أبراجه ويظن من سها إلى السها أنها ذبالة في سراجة لا يعلوه من مسمى الطير غير نسر السما وزمامه ولا يرمق متبرجات بروجه غير عين الشمس والمقل التي تطرف من أنجمه وحوله كل شامخ تهيب عقاب الجو قطع عقابه وتقف الريح حسرى اذا توقلت في هضابه تخفق العيون اذا رمقته سلوك ما دونه من المحاجر ويحيل الفكر صورة الترقى اليه لا يبلغها حتى تبلغ القلوب الحناجر وحوله من الاودية خنادق لا تعلم منها الشهور الا بأنصافها ولا تعرف فيها الالهة الا بأوصافها.

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة من باب محرم الخاطر واذا هي سماء يتعاس الفكر عن محاولة شهبها وحسناء كلما رمت أن تنظر وجهها الحسن فكان قرص الشمس مرآة وجهها تزاحم بروجها السماء بالمناكب وتضيء اضاءة نجومها الثواقب وتلقى اذا عطشت كوكب الدلو بأرشية البروق في قليب السحائب لا تسامى ولا تسام ولا يحصل منها قادم سفر الا على معانقة العوالى ومصافحة السهام، وقال علاء الدين بن غانم: ذات أودية ومحاجر لا تراها العيون لبعدها مرامها الا شزرا ولا ينظر ساكنها العدد الكثير الا نزرا ولا يظن ناظرها الا أنها طالعة بين النجوم مما لها من الابراج ولها من الفرات خندق يحفها كالبحر الا ان هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ولها واد لا يقى لفحة الرمضاء ولا حر الهواجر وقد توعدت مسالكة فلا يداس فيه الا على المحاجر وتفاوت ما بين مرات العلا وقراره العميق ويقتحم راكبه الهول في هبوطه فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى

به الريح فى مكان سحيق، وقال سيدى الاخ العزيز الفاضل تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى سلمه الله تعالى فى وصف قلعة دمشق عندما حوصرت فى الوقعة المشهورة ونظرت بعد ذلك إلى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفة الأزفة وقد ستروا بروجها من الطارق وهم يتلون ليس لهما من دون الله كاشفة واستجلبت عروس الطارمة عند زفتها وقد تجهزت للحرب ولم نرض بغير الارواح مهر وقد أعقدت على رأسها تلك العصائب وقد توشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الابيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها ورمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت إلى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال وطلبها كل من الحاضرين وقد غلا دست الحرب وشمخ وهو على فرسه بنفسه الغالية وراموا كشفها وهم فى رقعة الارض كأنهم لم يعلموا بأن الطارمة عالية وتائه لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس فى الاسحار وقد استيقظوا لحمل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فأعيد رواسيها التى كالجبال الشامخة بمن أسس المحجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج.

قلت ويحسن ذكر المنجنيق فى هذا الموطن نقلت من خط القاضى صلاح الدين

الصفدى قال نقلت من خط السراج الوراق لنفسه يصف حجارة المنجنيق:

ترقى بمكر المنجنيق إلى السها	وتعود تطلب مركز أرباها
وحمت بها الاسوار ثم تكلمت	لم لا وقد فنحت بها أفواها
وتولت السمر الطوال سواكها	وثغورها لا تنجلي بسواها

وقال ابن النبيه من قصيدة يمدح بها الاشرف ويصف دارا بناها بقلعة أخلاط:

سقى الله من أعلام أخلاط قلعة	يحوم بها نسر السها على وكر
ودار على خبير الطوالع أسست	فمن حل فيها فى أمان من الدهر
تجلى مدى الابصار لمع بياضها	فأحسبها قد ألبست بهجة الدر
وقد أثبتت أركانها من نقوشها	تمائيل روض لم يزل يانع الزهر
تكاد تشم المسك من نسوماتها	ويقطر من أرجائها ورق التبهر
تسر وتلهى ساكنيها بحسنها	فإن شئت أغنت عن غناء وعن خمير
إذا فتحت أبواب مستبشر بها	جلت لك نور البحر والوحش فى البر
فإن شئت للاخرى فمحراب ناسك	وان شئت للنديا فريحانة العمر
وان جمعا فانه ما زال جامعما	شتيت العلا للاشرف بن أبى بكر

وللشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى مدرسة القاضى بدر الدين بن الجزولى

بمصر:

تأمل ففضلى سار فى البر والبحر	ولى خبر فى مصر يغنى عن الخبر
يقابلنى المقياس يوم وفائه	بوجه فتاة لاح من خلل السنر
فشباكه يرنو إلى بأعين	جلبن الهوا من حيث أدرى وما أدرى
أهيم بها فى مصر حتى كأنها	عيون المها بين الرصافة والجسر
فلا عذرى عندى للنسيم اذا سرى	وكم فى الهوى العذرى للصب من عذر
تداوى بشرب الماء عندى جماعة	كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
مما تى من عين الحيوه لانه	من الروض يأتينى على قدم الخضر
ويسطى روضى والقناديل زهرها	وثغر حباب الماء ييسم عن در
فلا تعجبا من زائرى إن توقدت	عليه مصايح الطلاقة والبشر
تشاهد منى العين فى مصر روضة	ترى زهرها فى الماء كالانجم الزهر
وكم وردة أبدى دهانى حسنها	يبيت بها قلب الحسود على الجمر

وله فيها:

دار يسان الجار فى أرجائها	ويذل فيها صين الاموال
نسبت بها الاهرام لما إن غدت	بضياتها هولا من الاهوال

الشيخ شمس الدين بن القرية السكندرى فيمن له غلام اسمه ريحان:

ان الامير حباه رب ال	ععرش احسانا ومنه
هو والغلام وداره	روح وريحان وجنه

حكى عن سنمار أنه كان رجلا حاذقا بالبنيان فأمره النعمان بن امرئ القيس بن عمرو ابن امرئ القيس اللخمي ان يبني له حصنا بظاهر الجزيرة وهو الذى يقال له الخواريق فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه واتقان عمله فقال له لو وفيتمنى أخرى لبنيته بناء يدور مع الشمس كيفما دارت، فقال النعمان أقدرت على أحسن منه ولم تفعل فأمر بقذفه من أعلاه وقيل إنما قتله لأنه لما فرغ من بنائه خلا به وقال له ان هذا البنيان كله مردود إلى هذا الحجر فاحتفظ به فإنه ان نزع سقط البناء كله فقتله لثلا يطلع على ذلك غيره، فضربت به العرب المثل وأكثرت فيه فقالوا: جزاه الله جزاء سنمار.

وقال الشاعر أنشدته ابن مالك:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

وقال عبد العزيز بن امرئ القيس:

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

قال ابن الشجري يقال رجل سنمار إذا كان حسن الوجه أبيضه، ويقال للقمر سنمار

ولما أراد المنصور أن يبنى بغداد في سنة أربعين ومائة سأل راهبا كان في صومعة في مكان بغداد عندما أراد أن يختطها أريد أن أبني هنا مدينة فقال له الراهب إنما ينيها ملك يقال له الدواني فضحك المنصور وقال أنا هو وشرع في بنائها سنة أربعين ومائة ونزلها سنة ست وأربعين، وفي سنة ست وأربعين تم بناؤها وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث لا بغداد الثانية وهي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وبغداد عبارة عن سبع محال لا تفتقر منها محلة إلى غيرها على شاطئ دجلة فالذي في الجانب الشرقي الرصافة، بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة قلت: إحدى وخمسين وهي مدينة مسورة، والثانية مشهد أبي حنيفة مسورة، والثالثة جامع السلطان غير مسورة، والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام، والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسورة، والسادسة الكرخ مسورة، والسابعة دار المقر مسورة، قلت: مكتوب على ظاهر المدرسة التي أنشأها الشيخ الامام العالم أوحده القراء أبو عبد الله شمس الدين محمد بن الجزري تغمده الله برحمته بعقبة الكتاب عمرها الله ببركته وأظن أنها من نظمه:

وبصدرها تروى العلوم وتسند  
فلذاك سعدك دائما يتجدد  
لكمالها تعنو الوجوه وتسجد  
منها لطلاب الفضائل منجد  
حاشاك من ذم وأنت محمد  
فحمدت مجتهدا وأنت مقلد  
من دار قرآن وفيه معبد  
واليوم فهو على الحقيقة مسجد

يا دار علم للمآثر تقصد  
خلعت عليك الكائنات جمالها  
أضحيت للراجلين قبلة قاصد  
نظرتك شمس العلوم منيرة  
يا باذلاً للمال غير مذمم  
كم قلد الناس اجتهادك مته  
طربت بذو المعنى العقول فيا له  
بالامس كان على الطريق قمامة

ما ان تراه مشاهداً لجماله      الا وتعجب من سناه فتشده  
 واذا نظرت الى البقاع وجدتها      تشقى كما تشقى الرجال وتسعد  
 وقال الشيخ بدر الدين ابن الصاحب فى عمارة السلطان الملك الظاهر برقوق التى بناها  
 بين القصرين عمرها بحياته عمارة الظاهر قد أصبحت أركانها شاهقة كالعلم وبشرت  
 أحجارها بالبقاء وأنه يبلغ سن الهرم.

وله فى رباط المعشوق الذى بمصر المحروسة المشرف بالآثار الشريفة:

لنا رباط وبالمعشوق شهرته      آثار خير الورى فيه بتحقيق  
 يصبو فؤادى لمرأة ولا عجب      ان هام قلبى فى آثار معشوق  
 غيره:

أتيت إلى المعشوق من بعد فرقة      وهجر وقلبى بالنوى يتضرم  
 فقابلنى والشعر بالزهر باسم      وما أحسن المعشوق للصب ييسم  
 قلت وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الفاضل اللغوى جلال الدين أبو المعالى  
 ابن خطيب داريا:

يا عين ان بعد الحبيب وداره      ونأت مرابعه وشط مزاره  
 فلقد حظيت من الزمان لطائل      ان لم تربه فهذه آثاره

صلاح الدين الصفدى رحمه الله:

أكرم بآثار النبى محمد      من زارها استوفى السعود مزاره  
 يا عين ويحك فانظرى وتمتعى      ان لم تربه فهذه آثاره  
 وقال الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى موريا به وبغيره من منارة مصر  
 المحروسة:

وليلة مـمرت بنا حلوة      ان رمت تشبيها لها عبتها  
 لا يبلغ الواصف فى وصفه      حدّاً ولا يلقي لها متهى  
 بت مع المعشوق فى خلوة      ونلت من خرطومه المشتهى

وقرأت فى شرح قصيدة بنى الافطس التى شرحها الكاتب أبو القاسم عبد الملك بن  
 عبد الله بن بدرون الحضرمى السلمى رحمه الله عند ذكر كسرى هو كسرى أنوشروان بن  
 ساسان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وهو الذى بنى

سور الباب والايوان وجعل هذا السور من جوف البحر مقدار ميل وبناءه على الزقاق بلين الحديد والرصاص وكلما ارتفع البناء نزلت إلى أن استقرت في قرار البحر وارتفع السور على الماء فغاصت الرجال بالخناجر والسكاكين إلى ذلك الزقاق فشققتها وتمكن السور على وجه الأرض في قاع البحر وذكر المسعودي أن هذا السور كان باقيا سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة ويسمى هذا السور الذي في البحر القيد وصعد هذا السور في أكر على جبل الفتح أربعين فرسخا حتى انتهى إلى طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور بابا من الحديد وأسكن من داخله أمة من الناس تراعى ذلك الباب وما يليها من السور وذلك لدفع الامم المتصلة بذلك الجبل وهم أنواع من الامم منهم اللان والجرز والترك والبرغز وغيرهم وذكر في كتابه هذا عند ذكر المأمون ومن تسمى باسمه فمنهم يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة يحكى أنه بنى قصر طليطلة وتأنق في بناءه وأنفق فيه أموالا كثيرة وصنع فيه بحيرة وبنى في وسطها قبة وسبق الماء إلى رأس القبة حوالها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من ماء تسكب ولا تفتقر والمأمون بن ذى النون قاعد فيها لا يمسه فيها شيء ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو نائم فيها اذ سمع منشدا ينشد:

أبني بناء الخالدين وإنما  
بقاؤك فيها لو عقلت قليل

لقد كان في ظل الأراك كفاية  
لمن كان يوما يقتضيه رحيل

فما لبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نجه.

أنشدني الشيخ شمس الدين الجرائحي من لفظه لنفسه وقد أمره القاضي فتح الدين بن

الشهيد أن ينظم شيئا يكتبه على طراز في صدر ابوانه:

أيا من يطرز الدر أكماتهم سمت  
قفوا وانظروا دار الطراز على خصري

وصدري لاسرار الممالك حائط  
من الفضة البيضاء والذهب المصري

فمن ذا يضاهنى افتخار وقد غدت  
خزائن اسرار الممالك في صدري

نقلت من خط الشيخ بهاء الدين الموصلى والد شيخنا العلامة عز الدين أبي الخير الموصلى من مقامة وسماها بسلوة الغريب وخلوة الحبيب منها في وصف القصر الابلق بدمشق وقصرها الابلق ليس بالعقوق من شاهد بديع معانيه لنهى عن العاشق والمعشوق قد شام في غمده مشهور عمدان وأسبل على ايوان كسرى ستر النسيان يبهر الناظر حسن معناه ولا يقدر على وصف محاسنه من يراه الماء مرفوع في اقطاره ونواحيه منتصف في فوار

يركه لتمييز ناظره يتكسر جمعه على شاذرواناته مجرورا باضافته إلى مجاريه فقد اجتمع لقاطنه اضافة المعنى والحسن الباهر ولم يكمل ذلك البهاء الا بكمال جمال الظاهر أعين شبائيكه إلى ميدانه الاخضر ناظرة قد جمع الصادح والباغم واللاقط والطاغم به الظباء الاوانس والمها الكوانس أقطاره عريضة طويلة لا ترجع الابصار من السفر في زمنه الا كليله أخجلت خمائله الأيك والغصون ولاذ القائف بالسلوان عن اقتضاء أثر السلوك في معانيه التي كلها عيون وقف الابلق حين جرى إلى متهاه وأذركه الاعياء فسكن بأقصاه وشاهد الشقراء تمرح في ميدان واديها فأراد الوصول اليه فعاوده الاضطراب فقطعت على الانهار الطريق وضرب بينهما بسور له باب.

الايوان: من بعد هدمه بناه كسرى أبرويز في نيف وعشرين سنة ومائة ذراع في عرض خمسين في سمك مائة من الأجر الكبار والجص ونخن الجدار الأزج خمس أجزات وطول الشرف خمسة عشر ذراعا ولما بنى المنصور بغداد حب ان ينقضه ويبني به فاستشار خالد بن برمك فنهاه وقال هو آية الاسلام ومن علم أن هذا بناؤه لا يزيل أمره الانبي وهو مصلى على بن أبي طالب عليه السلام والمؤنة في نقضه أكثر من الارتفاق به فقال أتت الأمثلة من المعجم فهدمت ثلثة منه فبلغت النفقة عليها مالا كثيرا فأمسك فقال خالد أنا لا أشير بهدمه لتلا يتحدث بعجزك عنه فلم يفعل وعلى ذكر الايوان فما أحسن ما أنشدني من لفظه لنفسه اجازة شيخنا العلامة عز الدين أبو الخير الموصلى محاجيا:

يا من له الطول في المعالى      وبالمعاني لنا يبصر  
أنى كما قلت فى سؤالى      ما مثل قولى نعم مقصر  
القاضى فتح الدين بن الشهيد على لسان مجلس داره وقد بنى لبعض الاجلاء فى داره  
مجلس عال:

يا من ينزه فى حسنى نواظره      اسمع صفات بها قد فقت أمثالى  
أنى مقام مقرر عز جانبه      ودون قدر جناب المجلس العالى

أنشدني من لفظه لنفسه الأديب الفاضل الكامل شمس الدين أبو عبد الله الجراحى فى مجلس بناه سيدنا ومولانا قاضى القضاة وشيخ الشيوخ خطيب الخطباء أبو الحسن علاء الدين بن أبى البقاء السبكي الشافعى تغمده الله برحمته:

ومجلس قد قال لى منشى      ما مثله فى الفضل قاضى القضاة

قد أسس البنيان منى على      تقوى من الله وأرضى الاله  
فصرت كالكعبة من أجله      تسعى إلى نحوى الحفاة العراه  
فما سعى نحوى أخو شدة      الا ومن ربي لاقى رضاه  
فالاسم منى فى الهجا معرب      وإنما للمدح تصدأ بناه  
خص بخفض العيش من أمنى      ورفعه يبقى بقصد النحاء  
قاص قصى بالحق لكنه      جار على ما ملكته يداه  
فما اشتكى الفقر اليه امرئ      الا ونادى المال كن فى رضاه

وأشددنى لنفسه فسح الله فى أجله فى منزل القاضى فتح الدين بن الشهيد:

يا منزلا بالبهاء والحسن ناظر من      طرز الملوك طرازى لست من طرزى  
والناس دون محل الغير تقصدنى      من القبول لان السر فى حرزى  
ومن المبانى العظيمة المذكورة فى القرآن العظيم ارم ذات العماد قال أصحاب الآثار  
ورواة الاخبار لما سمع شداد بن عاد بن أرم وصف الجنة سولت له نفسه أن يبنى مثلها فبنى  
مدينة بين حضرموت وصنعاء طولها اثنى عشر فرسخا وعرضها مثل ذلك وأحاط بها سورا  
ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشى خارجها فضة مموهة بالذهب وبنى داخلها مائة مائة ألف  
قصر بعدد رؤساء أهل مملكته بلبن الذهب والفضة وكذلك جذوع سقوفها وأساطينها  
وأجرى فى وسطها نهرا صفح أرضه بالذهب وجعل على حافتيه أنواع الجواهر واليواقيت  
بدلا من الحصباء وألقى فيه المسك الغبر عوضا عن الحمأة وفرع منه جداول إلى تلك  
القصور والمنازل وغرس على شطوطها من الاشجار ما كان لزهرة عرف ورائحته ذكية  
وزعموا أنه أقام فى بنائها ثلاثمائة سنة فلما تم بناؤها زاد فى طغيانه ولم يعبأ بربه فبعث الله  
هوذا عليه السلام يدعوه إلى الله تعالى ويحذره سطوته ويخوفه نقمته فلم يجبه إلى ما دعاه  
إليه وخرج من حضرموت إلى ذات العماد ليلبغ نفسه منهاها بسكناها فلما أشرف عليها جاءته  
صيحة من السماء فأهلكته وجنوده وأفانته أمله ومقصوده.

ويروى أن عبد الله بن قلابة خرج فى طلب ابل ندت له فوق عليها فحمل ما قدر  
عليه مما تم فبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فقال هى ارم  
ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال  
وفى عنقه خال يخرج فى طلب ابل ندت له ثم التفت فرأى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك

الرجل وزعم الاحباريون أنه كان بها أربعمائة ألف وأربعون ألف عمود ولهذا سميت ذات العماد.

ومن المباني العظيمة سد ذى القرنين الذى بناه على يأجوج ومأجوج وصفته على ما حكاه ابن حردادبه أن مكانه جبل أملس مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وفى جانبي الوادى عضادتان مبنيان عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا كل ذلك مبنى بلبن الحديد مغيب فى نحاس فى سمك خمسين ذراعا وعلى العضادتين دروند حديد طرفاه فى العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا وفوق الدروند بناء بتلك اللبن الحديد المغيبة فى النحاس إلى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرافات من حديد فى طرف كل شرافة قرنان يبنى كل واحد منهما إلى صاحبه وبين العضادتين باب من حديد بمصراعين وبين كل مصراع خمسون ذراعا فى خمسة أذرع وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ باع فى الاستدارة وارتفاع القفل من الارض خمسة وعشرون ذراعا وعتبة الباب عشرة أذرع بسط مائة ذراع سوى ما كان تحت العضادتين ويقال ان آلة البناء التى بنى بها هذا السد موجودة بحصون بناها ذو القرنين ورتب فيها حراسا يحرسون هذا السد وهى مغارف وبقية لبن كل ذلك من حديد وان كان لبنة ذراع ونصف فى مثل ذلك فى سمك شبر قد ألصق الصداء بعضها ببعض.

ومن المباني المشهورة قصر غمدان وكان بصنعاء قال الجاحظ أحببت العرب أن تشارك الفرس فى البناء وتفرد بالشعر فبنوا غمدان وكعبة بحران وحصين مارذ والابلق ويزعم بعض الاحباريين أن بانيه حام بن نوح ويزعم آخرون أن بيوراسف بناه على اسم الزهر وذكر ابن هشام ان الذى أسسه قحطان بن يعرب وأكمله بعده وأصله وائل بن حمير ابن سبأ بن يعرب وخريه عثمان بن عفان رضي الله عنه وكانت صفته على ما نقلته من الكتب المدونة فى العجائب مربعا أحد أركانه مبنى بالرخام الابيض والثانى بالرخام الاصفر والثالث بالرخام الاخضر والرابع الاحمر فيه سبع سقوف طباقا ما بين السقف والآخر خمسون ذراعا وجعل على كل ركن تمثال أسد من النحاس إذا هبت الريح دخلت من دبره وخرجت من فيه فيسمع له صوت كزمير الاسد وقال ابن الكلبي كان على ركن من أركان غمدان مكتوب بالحميرية اسلم غمدان معاديك مقتول بسيف العدوان، وذكر الجاحظ فى كتاب الامصار أن قصر غمدان كان أربعة عشر غرفة بعضها فوق بعض ويروى

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا يستقيم أمر العيوب ما دام فيها غمدانها وهذا القول الذى حض عثمان على هدمه وأثره باق على تل عال مظل على البلد قريب الجامع.

ومن المباني التى تبلى الزمان ولا تبلى وتندرس معالمه وأخبارها لا تندرس ولا تبلى الأهرام التى بأعمال مصر وهى أهرام كثيرة أعظمها الهرمان اللذان بجيزة مصر غربى النيل يقال ان بانيها شوندر بن سلهوب بن شرناق قبل الطوفان ويقال ان هرمس المثلث بالحكمة وهو الذى تسميه العبرانيون أخنخ وهو ادريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان فأمر ببناء الأهرام وايداعها الاموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه من الذهب والذثور وكل هرم منها مربع القاعدة مخروطى الشكل ارتفاع عموده سبعة عشر ذراعا يحيط به أربع سطوح متساويات الاضلاع كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا ويرتفع إلى أن يكون سطحه ستة أذرع فى مثلها ويقال إنه كان على أعلاه حجر شبه المكبة فرمته الرياح والعواصف وهو مع هذا العظم من الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر إلى الآن بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل وهذا البناء ليس بين حجارتها منابر البلدان المشهورة الكعبة فوق المحراب وسائر الاقاليم يمنة ويسرة وما فى البلدان من الاشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك وسقفه مقرنس بالذهب والسلاسل المعلقة فيه من ذهب وفضة وانوار الشمع فى أماكن متفرقة قالوا وكان فى محراب الصحابة منه حجر من بلور ويقال حجر من جوهر وهى الدرّة وكانت تسمى القليلة وكان اذا طفت القناديل تضىء لمن هنالك بنورها فلما كان زمن الامين بن الرشيد وكان يحب البلور بعث إلى سليمان والى شرطة دمشق أن يبعث بها إليه فسرقها وسيرها إلى الامين فلما ولى المأمون أرسل بها إلى دمشق ليشنع بذلك على الامين، قال الحافظ ابن عساكر ثم ذهب بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل مكانها شىء وكانت الابواب الشارعة من الداخل إلى الصحن ليس عليها أغلاق وإنما عليها الستور مرخاة وكذلك الستور على سائر جدرانها إلى حد الكرامة التى فوقها الفصوص المذهبة ورءوس الاعمدة مطلية بالذهب الكثير وعملوا له شرافات تحيط به وبنى الوليد المنارة الشمالية فى التى يقال لها مأذنة العروس فأما الشرقية والغربية فكانتا قبل ذلك بدهور متطاولة وقد كان فى كل زاوية من هذا المعبد صومعة شاهقة جدا بنتها اليونان للرصد فسقطت وبقيت القبليتان إلى الآن وقد احترق بعض الشرقية بعد

الاربعين وسبعمائة ونقضت وجدد بناؤها من أموال النصارى حيث اتهموا بحريقها فقامت على أحسن الاشكال بيضاء بذاتها والله أعلم، الشرقية التى ينزل عليها عيسى ابن مريم فى آخر الزمان بعد خروج الدجال كما ثبت فى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان والمقصود أن الجامع الاموى لما اكمل بناؤه لم يكن على وجه الارض أحسن بناء منه ولا أبهى ولا أجل منه بحيث اذا نظر الناظر فى أى جهة منه أو إلى بقعة أو إلى مكان منه تحير فيما ينظر إليه لحسنه جميعه وكانت فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شئ من الحشرات بالكلية لا من الحيات ولا من العقارب ولا الخنافس ولا العناكب ويقال ولا العصافير أيضاً تعشش فيه ولا الحمام ولا شئ مما يتأذى به الناس واكثر هذه طلسمات أو كلها كانت مودعة فى سقف الجامع مما يلى السبع فاحترقت لما وقع فيه الحريق وكان ذلك ليلة النصف من شعبان بعد العصر من سنة احدى وستين وأربعمائة وما زال سليمان بن عبد الملك فى تكميله وزيادته مدة ولايته وجددت له فيه المقصورة رحمه الله فلما ولى عمر بن عبد العزيز عزم على أن يحرد ما فيه من الذهب ويقلع السلاسل والرخام والسقوف ويرد ذلك كله إلى بيت المال ويطين ذلك كله فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرفهم إليه وقال خالد بن عبد الله القشيرى أنا أكمله لكم فلما اجتمعوا قال خالد: يا أمير المؤمنين بلغنا أنك تريد أنك تصنع كذا وكذا قال نعم قال خالد ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين قال ولم يا بن الكافرة - وكانت أمه نصرانية رومية - فقال يا أمير المؤمنين ان كانت كافرة فقد ولدت رجلا مؤمنا قال صدقت واستحى عمر، قال فلم قلت ذلك قال يا أمير المؤمنين لان غالب ما فيه من الرخام إنما حملة المسلمون من أموالهم من سائر الاقاليم وليس هو من بيت المال فأطرق عمر رحمه الله قالوا واتفق فى ذلك الزمان قدوم جماعة من الروم رسلا من عند ملكهم فلما دخلوا من باب البريد وانهوا إلى الباب الكبير الذى تحت النسر فلما رأوا ذلك النور الباهر والزخرفة التى لم يسمع بمثلها صعق كبيرهم مغشيا عليه فحملوه إلى منزلهم فبقى أياما مدنفا فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال ما كنت أظن أن تبني المسلمون مثل هذا البناء وكنت أعتقد أن مدنتهم تكون أقصر من هذا فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال وان هذا ليغيظ الكفار دعوه.

والمقصود أن الجامع الاموى كان حين تكامل بناؤه وليس له فى الدنيا نظير فى حسنه وبهجته قال الفرزدق أهل دمشق فى بلدهم قصر من قصور الجنة يعنى به الجامع الاموى.

وقال أحمد بن أبي الحواري عن الوليد بن أبي مسلم عن أبي ثوبان ما ينبغي أن يكون أحد أشد تشوقا إلى الجنة من أهل دمشق لما يرون من حسن مسجدها ولما دخل المهدي أمير المؤمنين العباسي دمشق يريد زيارة بيت المقدس فنظر إلى جامع دمشق قال لكاتبه أبي عبد الله الأشعري سبقنا بنو أمية بثلاثة بهذا المسجد لا أعلم على ظهر الأرض مثله وبنيل الموالى ويعمر بن عبد العزيز لا يكون فينا والله مثله أبدا ثم لما أتى بيت المقدس فنظر إلى الصخرة وكان الوليد بن عبد الملك بناها فقال لكاتبه وهذا أربعة أيضا ولما دخل المأمون دمشق نظر إلى جامعها وكان معه أخوه المعتصم وقاضيه يحيى بن أكتم قال ما أعجب ما فيه فقال أخوه هذا الأدهان التي فيه وقال ابن أكتم الرخام وهذه العقدة فقال المأمون إنما أعجب من بنياته على غير مثال متقدم وقال المأمون لقاسم التمار أخبرني اسما حسنا أسمى به جاريتي هذه فقال سمها مسجد دمشق فإنه أحسن من كل شيء وقال عبد الرحمن بن الحكيم عن الشافعي عجائب الدنيا خمسة أحدها منارتكم هذه يعنى منارة ذى القرنين التي بالاسكندرية والثانية أصحاب الرقيم وهي بالروم اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا والثالثة مرآة يباب الأندلس على باب مدينتها يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الانتقان عليه والخامس من الرخام والقيقسا فإنه لا يدري له موضع ويقال إن الرخام معجون والدليل على ذلك أنه مذوب على النار قال الحافظ ابن عساكر وذكر إبراهيم بن أبي الليث الكاتب وكان قدم دمشق سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة في رسالة قال أمرنا بالانتقال إلى البلد فانتقلت منه إلى بلد تمت محاسنه ووافق ظاهره باطنه أزقته أرجه وشوارعه فرجه فحيثما مشيت شممت طيبا وأين سعيت رأيت منظرا عجيبا وأمضيت إلى جامع فشاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ولا الرائي أن يعرفه وجملته أنه بكر الدهر ونادرة الوقت وأعجوبة الزمان وغريب الاوقات ولقد أيقنت به ذكرا يدرس وجليت به أمرا لا يخفى ولا يدرس.

ومما قيل في الساعات قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زين إنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنه كان عمل هناك بلكار الساعات يعلم بها كل ساعة تمضى من النهار عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس وغراب فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست.

قلت هذا الكلام على أحد شيئين إما أن الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع

وهو باب يسمى بباب الزيادة اليوم ولكن قد قيل إنه محدث بعد الجامع وهو لا ينفى أن الساعات كانت عنده فى زمن القاضى ابن زير وإما أنه قد كان فى الجانب الشرقى من الجامع فى حائطه القبلى فى باب آخر فى محاذاة باب الزيادة وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله إلى باب الوراقين اليوم وهو باب الجامع من الشرق والله أعلم.

وأما القبة التى فى وسط الجامع التى فيها الماء الجارى ويقال لها قبة أبى نواس فكان بناؤها فى سنة تسع وستين وثلاثمائة أرخه الحافظ ابن عساكر عن خط بعض الدماشقة.

وأما القبة الغربية التى فى وسط الجامع التى يقال لها قبة عائشة فسمعت شيخنا أبا عبد الله الذهبى يقول إنها بنيت فى حدود سنة ستين ومائة فى أيام المهدي بن المنصور العباسى وجعلوها لحواصل الجامع وكتب أوقافه.

وأما القبة الشرقية التى على باب مشهد فقال بنيت على زمن الحاكم العبيدى فى حدود سنة أربعمائة.

وأما الفوارة التى تحت درج جيرون عملها الشريف فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسين العباسى الحسينى وكأنه كان ناظر الجامع وجر إليها قطعة من حجر كبير من قصر حجاج وأجرى فيها الماء ليلة الجمعة لسبع خلون من ربيع الأول سنة سبعة عشر وأربعمائة وعمل حولها قناطر وعقد عليها قبة ثم سقطت القبة بسبب جمال احتكت فيها وذلك فى صفر من سنة سبع وخمسين وأربعمائة فأعيدت ثم سقطت عمدتها وما عليها فى حريق اللبادين ودار الحجارة فى شوال سنة اثنين وستين وذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر.

قلت وأما القصعة التى كانت فى الفوارة فما زالت فى وسطها وقد أدركتها كذلك ثم رفعت بعد ذلك وكان بطهارة جبزون قصعة أخرى مثلها فلم تنزل بها ثم لما انهدمت اللبادين بسبب حريق النصرارى فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة استوثق بناء الطهارة على أحسن مما كانت وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر وعمل الشاذروان الذى هو شرقى الفوارة بعد الخمسمائة أظنه سنة أربع عشرة وخمسمائة.

**فصل:** وكان ابتداء عمارته فى أواخر عام سنة ست وثمانين وهدمت الكنيسة فى ذى القعدة منها فلما فرغوا من الهدم شرعوا فى البناء وتكامل فى عشر سنين فكان فى هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين ووضع العمودان اللذان فى صحن الجامع لاجل التنوير فى ليالى الجمع فى شهر رمضان سنة احدى وأربعين وأربعمائة بأمر قاضى البلد أبى محمد فيما

ذكره بنو عساكر في بعض تواريخهم نقلت هذه الترجمة في بناء جامع دمشق من تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير الذي اسماه البداية والنهاية.

ومن المستحسن مما قيل فيه قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى:

يا حسن ترخيم بجامع جلق  
بزيادة التحسين خالف قول من  
متناسب التركيب والتقسيم  
قد قال ان التقص في الترخيم  
غيره:

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق.  
فإن يتفالى في الزيادة معسر  
وفي صدره معنى الملاحه مشروح  
فقل لهم باب الزيادة مفتوح  
وقال بعضهم:

دمشق لها منظر رائع  
وكيف يقاس بها بلدة  
وكل إلى حسنهما تائق  
أبي الله والمسجد الفارق  
قلت: أحسن منه قول من قال:

إني أدل على دمشق وطيبها  
جمعت جميع محاسن في غيرها  
من حسن وصفى بالدليل القاطع  
والفرق بينهما بنفس الجامع  
وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي:

دمشق في الحسن لها منصب  
فحد من قاس بها غيرها  
عال وقدر في الوري شائع  
وقل له ذا الجامع المانع

ذكر أبو الفرج الاصفهاني قال حدثني بذلك جماعة منهم أبو عثمان يحيى بن عمر قال قرأت في بعض الدواوين أن المتوكل أنفق على أبنيته وقصوره والمسجد الجامع ومنتزهاته في خلوته يسر من رأى وأعمالها من الاموال ما لا يعلم أن أحدا أنفق على بناء مثله ومبلغ ذلك من العين مائة ألف وخمسين ألف دينار ومن الدراهم مائتي ألف ألف وثلاثة وتسعون ألف ألف وخمسين ألف درهم من ذلك القلايا مائة ألف وخمسون ألف دينار العروس ثلاثون ألف درهم الشاة عشرون ألف درهم البرج ثلاثون ألف درهم البركة ألفا ألف درهم الجوسق الابراهيمى ألفا ألف المختار خمسة آلاف ألف الجعفرى ثلاثة وعشرون ألف ألف البديع عشرة آلاف ألف المليح خمسة آلاف ألف الصبيح خمسة آلاف ألف التل خمسة آلاف ألف الجوسق في الميدان خمسمائة ألف بركوازاء عشرون ألف ألف المسجد

الجامع خمسة عشر ألف ألف الغراء بدجلة ألف ألف القصر بالمتوكلية خمسة عشر ألف ألف لؤلؤة خمسة آلاف ألف النهر بالمتوكلية خمسون ألف ألف وبنى المعتمز بعد ذلك البيت المعروف بالكامل ولم أعرف مبلغ النفقة عليه وبنى المعتمد المعشوق والبيتين المعروفين بالفنح والبهيج.

كتب الشيخ جمال الدين ابن نباتة إلى الجناب القطبى بن شيخ السلامية يصف: يقبل الارض ويسأل الله تعالى أن يديم أيام مولانا التى غفرت ذنوب الايام والليالى وعمرت الوجود بما سمع عن أهل العصور الخوالى وينهى أنه سطر هذه الخدمة وقد ترادفت عليه معانى الشكر فلم يدر ما يذكره ولا ما يحصيه ويحضره إلى أن ألقى السلاح وغض الجراح وأنشد:

تعالى عن المداح قدرك رتبة فاقصارهم عن مدحه غاية المدح

هذا على أنه الآن فى نشو سكره وذهول فكره باستجلاء هذه المنازل كل شمال فيها شمول لابل الرياح الاربع على أرجائها قبول فهى الجنة وثناء مولانا مسكها الاربع والهالة وأوصافه بدرها المبتلج والدنيا إلا أنها المحسوبة من العيش النضر ومحلة موسى وكل غصن من أغصانها الخضر ما شئت من صدحات مسجوعة وبيوت معمورة وسقف مرفوعة وثمرات كشمرات الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة وعقود على أجياد القضب من الازاهير وسوق أشجار على نهر كأنه صرح ممرد من قوارير وكل دوحة تنحفر كما تنحفر العذراء ومرجة هى نفس اللذة بدليل أن النفس خضراء وجداول تتلوى فى الروض تلوى الارقم فى الصعيد وأبكار وورد كما أشارت شفاه الملاح بالبقل من بعيد راواوين كأنما طارت إلى الافق بأجنحتها وشبابيك كأنما أصابت القلوب من فتكات الهم بحديد أسلحتها وشرافات دلت على همة الأمن بمبانيها وعلت حتى كأن الثريا عقدت على تراقيها وتجرى ماء ترق بمحواتها القلوب الجافية ولا عيب فيها الا النسيم الواشى والعين الصافية قد مرج الله تعالى بهما البحرين يلتقيان وأخرج منهما فى أعطاف الغصون اللؤلؤ والمرجان ولو أخذ المملوك فى وصف المحاسن المبدعة والاصول المتفرعة لكثير غصونها بأقلامه وأزهارها بنثاره ونظامه ولا بلغ معشارها ولا حدث بأخبارها ولكن ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كملا فجعلاها الله أول منازل نعيم مولانا المستمر وعمر ببقائه أرجاها التى ينعم الامل ويعتمرم بمنه وكرمه.

صلاح الدين الصفدى مضمنا:

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها  
بجامعها الزاهى البديع المشيد  
جرى للتهانى حسنه كل جامع  
وما قصبات السبق الالمعبد

وضعف الحال وضيقه على الناس ثم لما توفى عليه السلام بعث الصديق الجيوش قبل الشام وإلى العراق كما تقدم فى كتابنا هذا والله الحمد والمنة ففتح الله على المسلمين الشام بكمالها ومن ذلك مدينة دمشق باعمالها، كتب أمير الجيوش اذ ذاك وهو أبو عبيدة وقيل خالد بن الوليد لهم كتاب امان وأقروا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة كما ذكرنا وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التى كانوا يسمونها كنيسة مرتحيا بحكم ان البلد فتحه خالد من الباب الشرقى بالسيف وأخذت النصارى الامان من أبى عبيدة وهو على باب الجابية بالصلح فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف المسجد صلحا ونصفه الآخر عنوة فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقى فجعله أبو عبيدة مسجدا وكان قد صارت له امرة الشام فكان أول من صلى فى هذا المسجد أبو عبيدة رضي الله عنه ثم الصحابة بعده فى البقعة التى يقال لها محراب الصحابة ولكن لم يكن الجدار مفتوقا بمحراب محنى وإنما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة والظاهر ان الوليد هو الذى فتح المحارب فى الجدار القبلى وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد وهو باب المعبد الاعلى الذى كان من جهة القبلة مكان المحراب الكبير اليوم فتنصرف النصارى إلى جهة المغرب إلى كنيستهم ويأخذون المسلمون يمينه إلى مسجدهم ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة كتابهم ولا يضربوا بناقوسهم اجلالا للصحابة ومهابة وخوفا وقد بنى معاوية رضي الله عنه فى أيامه على الشام دارا للامارة قبلى المسجد الذى كان للصحابة وبنى فيها قبة خضراء فعرفت الدار بكمالها بهاء فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا ثم لم يزل الامر كما ذكرنا من سنة أربع عشرة إلى سنة ست وثمانين فى ذى القعدة منها وقد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك فى شوال منها فعزم على أخذ بقية الكنيسة واطاقتها إلى ما بأيدي المسلمين منها وجعل الجميع مسجدا واحدا وذلك لتأذى بعض المسلمين بسماع قراءة النصارى الانجيل ورفع أصواتهم فى صلواتهم فأحب أن يبعدهم عن المسلمين ويضيف ذلك المكان إلى هذا المسجد الجامع فطلب النصارى وسألهم أن يخرجوا عن هذا المكان ويعوضهم منه اقطاعات كثيرة عرضها عليهم وأن يقر لهم أربع كنائس لم تدخل فى العهدة وهى كنيسة



وفهمته أنت فإنه لوصمة عليك فلما وصل ذلك إلى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك واجتمع الناس عنده وكان فيهم الفرزدق الشاعر فقال أنا أجيبي يا أمير المؤمنين من كتاب الله قال وما هو ويحك قال قوله تعالى: ﴿فقهمنها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾ (١) فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جوابا لملك الروم ولما أراد الوليد بناء القبة التى فى وسط الروايات عن يمينها وشمالها كالاجنحة لها حفروا لاركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه عذبا زلالا ثم انهم وضعوا فيه جرار الكرم وبنوا فوقه بالحجارة فلما ارتفعت الاركان بنوا عليها القبة فسقطت فقال الوليد لبعض المهندسين أمر لك أن تبني لى هذه القبة فقال على أن تعطيني عهد الله وميثاقه أن لا يبنيها أحد غيرى ففعل فبنى الاركان ثم غلقها بالبواري وغاب سنة كاملة لا يدرى الوليد أين ذهب فلما كان بعد السنة حضر فهم الوليد به فأخذوه معه وروس الناس فكشف البواري عن الاركان فإذا هى قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الارض فقال له من هذا أبيت ثم بناها فانعقدت وقال بعضهم أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن المسجد فقال له المعمار انك لا تقدر على ذلك فضربه خمسين صوتا وقال ويلك أنا أعجز عن ذلك قال نعم قال فيينا ذلك فأمر فأحضر من الذهب ما سبك منه لبنة فإذا هى قد دخلها ألوف من الذهب فقال يا أمير المؤمنين أنا أريد من هذا كذا وكذا ألف لبنة فإن كان عندك ما يكفى ذلك عملناه فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق له خمسين ديناراً ولما سقف الوليد الجامع جعل لسقفه جملونات وباطنها مسطح مقرنص بالذهب فقال له بعض أهله أتعبت الناس بعدك فى تطيين هذا المسجد كل عام فأمر الوليد أن يجمع ما فى بلاده من الرصاص ليجمع عوض الطين ويكون أخف على السقف فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الاقاليم فعازوا فإذا عند امرأة منه قناطير مقنطرة فساوموها فيه فأبت أن تبيعه إلا بوزنه فضة فكتبوا إلى أمير المؤمنين بذلك فقال اشتروه منها ولو بزنته فلما بدا لها ذلك قالت أما إذا قلتم ذلك فهو صدقة لله تعالى يكون فى سقف هذا المسجد فكتبوا على ألواحها بطابع الله ويقال إنها كانت اسرائيلية وأنه كتب على الألواح التى أخذت منها الذى أعطتهم الاسرائيلية وقال محمد بن عائد سمعت المشايخ يقولون ما تم المسجد بدمشق الا باداء الامانة لقد كان يفضل عند الرجل من القرمة يعنون الفعلة الفللس ورأس المسمار فيجىء حتى يضعه فى الخزانة وقال بعض المشايخ بدمشق ليس بالجامع من

(١) الآية: ٧٩ من سورة الأنبياء.

الرخام شىء الا الرخامتان اللتان فى المقام من عرش بليقيس والباقي مرمر وقال بعضهم اشترى الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين العامودين الاخضرين اللذين تحت النسر من حره بن خالد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار وقال دحيم عن الوليد بن مسلم حدثنا مروان ابن جناح عن أبيه قال كان فى مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم وقال أبو قصى عن دحيم عن الوليد بن مسلم عن عمرو بن مهاجر الانصارى أنهم حسبوا ما أنفق على الكرمة التى فى قبلة المسجد فإذا هو سبعون ألف دينار وقال أبو قصى انفق فى مسجد دمشق أربعمائة صندوق فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، قلت وذلك خمسة آلاف ألف دينار وستمائة ألف دينار وفى رواية فى كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار.

قلت: فعلى هذا يكون المصروف فى عمارة الجامع الاموى أحد عشر ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار، والله أعلم.

قال أبو قصى وأتى الحرس إلى الوليد بن عبد الملك فقالوا يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون أنفق الوليد أموال بيت المال فى غير حقها فنودى فى الناس الصلاة جامعة فصعد المنبر وقال إنه بلغنى عنكم كذا وكذا ثم قال عمرو بن مهاجر قم فأحضر أموال بيت المال فحملت على البغال وبسطت على الانطباع تحت القبة وفرغ عليها المال ذهباً وفضة حتى كان الرجل لا يرى الآخر من الجانب الآخر وجىء بالقبايين وقبنت فإذا هى تكفى الناس ثلاث سنين مستقبلة وفى رواية ستة عشر سنة مستقبلة لو لم يدخل للناس فيه شىء بالكلية ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك ثم قال الخليفة يا أهل دمشق انكم تفتخرون على الناس بأربع بهوانكم ومائتكم وفاكهتكم وحماماتكم فأحسبت أن أزيدكم خامسة وهى هذا الجامع فحمدوا الله وانصرفوا شاكرين وذكروا أن أرضه كانت مفصصة كلها والرخام فى جدرانه إلى قامات وفوق ذلك كرمة عظيمة من ذهب وفوقها الفصوص المذهبة والخضر والحمر والزرق والبيض قد صور بها ملاط ولا يتخلل بينهما الشعر وطول الحجر منه خمسة أذرع فى سمك ذراعين ويقال إن بانيها جعل لها أبواباً على أزاج مبنية بالحجارة فى الأرض طول كل أزج عشرون ذراعاً كل باب من حجر واحد يدور بلولب إذا طبق لم يعلم أنه باب والأزج الشرقى فى ناحية الجنوب والأزج الغربى فى ناحية المغرب يدخل من كل باب منها إلى سبعة بيوت كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة وكلها مقفلة بأقفال وحذاء كل بيت صنم من ذهب مجوف احدى يديه

على فيه وفي جبهته كتابة بالقلم المسند اذا قرئت انفتح فوه فيوجد فيه مفتاح ذلك القفل فيفتح به والقبط تزعم أنها والهرم الصغير الملون قبور فالهرم الشرقى فيه سوندير الملك والهرم الغربى فيه أخوه هرجيب والهرم الملون قبر صاب بن هرمس واليه ينسبون على قول من زعم ذلك وهم يحجون إليها ويذبحون عندها الديكة ويزعمون أنهم يعرفون عند اضطرابها عند الذبح ما يريدون به من الامور المغيبة ولم تزل همم الملوك قاصرة عن أن تعرف ما هذين الهرمين إلى أن ولى المأمون وورد مصر وأمر بفتح واحد منها ففتح بعد عناء طويل وأنفق بسعاده المعينة له على تحصيل غرضه إلى أن فتح مكانا يسلك منه إلى الغرض المطلوب وهو زلاقة ضيقة من الحجارة الصوان المانع الذى لا يعمل فيه الحديد بين حاجزين ملتصقين فى الحائط قد نقرا فى الزلاقة لثلاثا تزلق وأسفل الزلاقة بئر عظيمة بعيدة القعر ويقال إن أسفل البئر ابوانا يدخل منه إلى مواضع كثيرة وبيوت ومخادع وعجائب وانتهى بهم الطريق إلى مواضع مربع فى وسطه حوض من رخام مغطى فلما أزيل عنه غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية قد أتت عليه العصور الخالية فأمر المأمون بالكف عما سواه.

رأى بعض الفضلاء هذه الاهرام فقال كل بناء أخاف عليه من الدهر الا هذا البناء فانى أخاف على الدهر منه.

ومما قيل فيه من الشعر قول الفقيه عمارة اليمنى:

خليلى ما تحت السماء أبنية تماثل فى اتقانها هرمى مصر

بناء يخاف الدهر منه وكلمما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

وبالقرب من الاهرام صنم على صورة وجه انسان تسميه العامة أبو الهول لعظمه ويقال

ان اسمه بالقبطية بلهونه ويقال بلهيب وتزعم القبط أنه طلسم للرمل لثلاثا يغلب على أرض

الجزيرة وعنده أحقاف من الرمال كأنها الجبال مما يلي الطين الابليز.

ومن العجائب منارة اسكندرية وهى مبنية بحجارة مهندسة مضية بالرصاص على

قناطر من زجاج والقناطر على ظهر سرطان من نحاس فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد

الدابة بحملها إلى سائر البيوت من داخلها ولليوت طاقات ينظر منها إلى البحر وبين أهل

التاريخ خلاف فيمن بناها فزعم قوم أنها من بناء الاسكندر بن فيلبس المقدونى وزعم

آخرون أنها من بناء دلو كاء ملكة مصر ويتال انه كان على جانبه الشرقى كتابة وأنها نقلت

فوجدت بنت هذه المنطرة قرثباء بنت مرسوس اليونانية لترصد الكواكب ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال قد أشار بسبابته اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك يدور معها حيثما دارت ومنها تمثال وجهه إلى البحر متى صار العدو منهم على نحو من ليلة سمع له صوت هائل تعلم به أهل المدينة طروق العدو ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة يرى منها قسطنطينية وبينهما عرض البحر وكلما جهز الروم جيشا روى فيها.

وحكى المسعودى أن هذه المنارة كانت فى وسط الاسكندرية وأنها تعد من بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالمة من ملوك اليونان بعد الاسكندرية لما كان بينهم وبين الروم من الحرب فى البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا وجعلوا فى أعاليها مرآة من الاحجار المشفة فيكشف بها مراكب العدو اذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها فاحتال ملك الروم لما انتفع به المسلمون فى مثل ذلك على الوليد بن عبد الملك بأن أنفذ خواصه ومعه جماعة إلى بعض ثغور الشام على أنه راغب فى الاسلام وأخرج كنوزا ودفائن كانت فى الشام ما حملة على أن صدقه أن تحت المنارة أموالا وأسلحة دفنها الاسكندر فجهز معه جماعة إلى الاسكندرية فهدم ثلث المنارة وأزال المرآة ثم فطن الناس أنها مكيدة منه واستشعر ذلك فهرب فى مركب كانت له معدة ثم بنى ما هدم بالحصن والآجر ثم قال المسعودى وطول هذه المنارة اليوم فى هذا الوقت الذى وضع فيه هذا الكتاب وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ثلاثون ذراعا وكان طولها قديما نحوا من أربعمائة ذراع وبنائها فى عصرنا ثلاثة أشكال فقريب من الثلث مربع مبنى بحجارة بيض ثم بعد ذلك مضمن الشكل مبنى بالآجر والحصن نحو نيف وستين ذراعا وأعلاها مدور الشكل وكان أحمد بن طولون قد بنى فى أعلاها قبة من الخشب ثم هدمت وبنى مكانها مسجدا فى أيام الملك الكامل صاحب مصر ثم أن وجهها البحرى تداعى وكاد أن ينتفض فرمم وأصلح وكذلك الرصيف وذلك فى أيام الملك الظاهر بيبرس رحمه الله.

قلت ذكرت هنا ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ومن خطه نقلت المرحوم الوزير فخر الدين

ابن مكانس فى صاحبه الشيخ سراج الدين القوصى السكندرى يداعبه:

يا ذا السراج اشترى ابرى فأتت به      أولى وذلك للأمر الذى وجب  
سكندرى وتدعى بالسراج وذا      مثل المنار إذا ما قام منتصبا

وأنشدنى من لفظه لنفسه سيدنا مولانا المقر المجدى فضل الله ولد المرحوم المشار إليه أولا أدام الله نعمته محاجيا وكتب إلى سيدنا ومولانا أوحده المتكلمين نادرة الدهر المقر الأشرف الامينى كاتب الاسرار الشريفة بدمشق المحروسة أسبغ الله ظلاله:

يا من سمي قدره نحو النجوم علا  
فأوقع الضد قسراً فى مهالكه  
ما بلدة أن تحاجى فى اسمها فطنا  
مصحفا قلت يشكو مكر مالكة  
فكتب إليه الجواب الجناب المشار إليه:

أحجية بديعة أن صحفوا  
خمس أجزاء لها على قدر  
وعكسوا باقيها وقدموا  
فإنما هي طفلة كقمر

قلت: هذه الطريقة غريبة جدا ووجه الحل فيها أن يأتي بالمرادف ثم يصحفه فيكون المقصود ومثاله فى قول المقر المجدى يشكو مكر مالكة فإن مرادف يشكو بيت ومرادف مكر كيد ومرادف مالكة ربه فيصير مجموع ذلك بيت كيد ربه فإذا صحفت هذه الكلمات تجدها سكندرية وهى البلدة المعمرى بها فافهمه وأما الثانية فقله فإنما هي طفلة كقمر فالمراد أن مرادف طفلة بنت ومرادف كقمر كيدر فيحصل من ذلك بنت كيدر ثم تضيف إلى ذلك معكوس هي وهويه فإذا صحفت ذلك جميعه وجدته سكندرية وهذا من المعمرى الغريب ولم يحلها أحد من متأدبى دمشق والقاهرة غير سيدنا ومولانا أفضى القضاة بدر الدين المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى أعز الله أحكامه وذلك بتاريخ سنة ست وتسعين وسبعمائة وأنا بالقاهرة المحروسة.

رجعنا إلى ما كنا بصدهه ومما قيل فى المنارة من الشعر قول الوجيه الدورى:

وشامية الأرجاء تهدي أخوا السرى  
لبست بها بردا من الأتس صافيا  
وقد طلبتني من ذراها بقية  
تخيلت أن البحر تحت غمامة  
ضياء إذا ما حندس الليل أظلما  
فكان بتذكار الاحبة معلما  
الأحظ فيها من صحابى أنجما  
وأنى قد خيمت فى كبد السما

وللقاضى الفاضل لوصفه لبناء بيت المقدس من الرخام الذى يطرد ماؤه ولا ينطرد للأوّه قد لطف الحديد فى تجريعه وتفنن فى توسيعه إلى أن صار الحديد الذى فيه بأس شديد كالذهب الذى فيه نعيم عتيد فما ترى الا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق وعمد كالاشجار لها من التبت أوراق.

وقال أبو عبادة البحرى يصف قصرا بناه المتوكل يسر من رأى وسماه الكامل:  
 غرف من مياذن فيه دنيا      يوجب الله فيه أجر الإمام  
 شوقنا إلى الجنان فزدنا      فى اجتناب الذنوب والآثام  
 وله يصف قصرا آخر بناه المتوكل وسماه الجعفرى:

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن      ليتم الا بالخليفة جعفر  
 ملك تبسوا خير دار أسست      فى خير بدو للأمام ومحضر  
 فى خيره مشرفة حصاها لؤلؤ      مبيضة واللبل ليس بمقمر  
 رفعت بمنخرق الرياح وجاوزت      ظل الغمام الصيب المستعبر

وهذان القصران من جملة قصور بناها المتوكل وهى بركوانا والعروس والبركة والجوسق والمختار والقريب والبديع والصبيح والمليح والقصر والبرج والمتوكلية والقلايا.

حكى المؤرخون أنه أنفق فى بنائها مائتى ألف ألف وأربعة وسبعين ألف درهم ومنها ذهب بصرف الوقت مع ما فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وعشرون ألف دينار وكان البرج من أحسنها وكانت فيه صور عظيمة من الذهب والفضة وبركة عظيمة غشى ظاهرها وباطنها بصفايح الفضة وجعل عليها شجرة ذهب فيها كل طائر يصوت ويصفر سماه طوبى بلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف وستمائة ألف دينار.

ومن المباني العظيمة جامع دمشق ذكر الشيخ عماد الدين بن كثير فى تاريخه البداية والنهاية وفى سنة ست وتسعين من الهجرة تكامل بناء الجامع الاموى بدمشق المحروسة على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان جزاه الله عن المسلمين خيرا وكان أصل موضع الجامع قديما معبداً بته اليونان والكلدانيون الذين كانوا يعمرن دمشق وهم وضعوها أول ما بنيت وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيزة وكانت أبواب دمشق سبعة وهى القمر الذى فى سماء الدنيا وعطارد فى السماء الثانية والزهرة فى الثالثة والشمس فى الرابعة والمريخ فى الخامسة والمشتري فى السادسة وزحل فى السابعة وكانوا قد صوروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلا للكوكب من هذه الكواكب السبعة وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصداً لذلك وكاز لهم عند كل باب عيد فى السنة وهؤلاء هم الذين وضعوا الارصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارناتها وبنوا دمشق

واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين وصرفوه أنهارا تجري إلى الأماكن المرتفعة والمنخفضة وسلكوا الماء إليها في أفنية الدور وبنوا هذا المعبد وكانوا يصلون إلى القطب الشمالي فكانت محاربهته تجاه الشمال وبابه يفتح إلى جهة القبلة خلف المحراب اليوم كما شاهدنا ذلك عيانا وهو باب حسن من الحجارة المنحوتة وعن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة إليه وكان غربى المعبد قصر منيف جدا تحمله هذه الأعمدة التي بباب البريد وشرقيه قصر حيزون داران يكونان لمن تملك دمشق قديما ويقال إنه كان مع المعبد ثلاث دور عظيمة يحيط بالجميع سور واحد وهى دار المطبخ ودار الخيل ودار كانت تكون مكان الخضر التي بناها معاوية.

قال الحافظ ابن عساكر فيما حكاه عن كتب بعض الأوائل أنهم مكثوا يأخذون الطالع لبناء هذه الأماكن ثمانى عشرة سنة وقد حفروا أساس الجدران حتى أتاهم الوقت الذى طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن المسجد لا يخرب أبدا ولا يخلو من العبادة، قال كعب الأحبار وان هذه الدار اذا بنيت لا تخلو من أن تكون دار التملك والسلطنة قال الشيخ أما المعبد فلم يخل من العبادة قال كعب الأحبار ولا يخلو حتى تقوم الساعة والمقصود ان اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرنا بدمشق مدداً طويلة تزيد على أربعة آلاف سنة حتى انه يقال ان أول من بنى جدران هذا الجامع الاربعة هود عليه السلام وقد كان هود قبل إبراهيم الخليل بمدة طويلة وقد ورد إبراهيم عليه السلام شمالى دمشق عند برزة وقاتل قوما من أعدائه فظفر بهم وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة وهذا المكان المنسوب اليه بها منصوص عليه فى الكتب المتقدمة وكانت دمشق اذ ذاك عامرة أهلة بمن فيها من اليونان وهم خصماء الخليل وقد ناظرهم الخليل فى غير موضع فى عبادتهم الكواكب كما قررنا ذلك فى التفسير وفى قصة إبراهيم الخليل عليه السلام والمقصود ان اليونان لم يزالوا يعمرن دمشق وبنون فيها وفى معاملاتها من حوران وغيرها البنايات الغربية العجيبة حتى كان بعد المسيح عليه السلام بمدة نحو من ثلاثمائة سنة فتصرت أهل الشام على يد قنطين بن قسطنطين الذى بنى المدينة المشهورة فى بلاد الروم وهو الذى وضع لهم القرايين ووضعت بئاركة النصارى له دينا مخترعا مركبا من أصل دين النصرانية ممزوجا بشيء من عبدة الاوثان وصلوا إلى المشرق وزادوا فى الصيام وأحلوا الخنزير وعلموا أولادهم الامانة الكبيرة فيما يزعمون وهى فى الحقيقة خيانة كبيرة وقد تكلمنا على ذلك فيما سلف وبيناه

وبنى لهم هذا الملك الذى تنسب إليه الطائفة الملكية منهم كنائس كثيرة بدمشق وغيرها حتى يقال انه بنى فى زمانه اثنتى عشر ألف كنيسة من ذلك كنيسة بنت نجم ومن ذلك قمامه بنتها أمة هيلانة الفندقانية والمقصود أنهم حولوا بناء هذا المعبد الذى هو بدمشق معظما عند اليونان فجعلوه كنيسة وبنوا له المذابح فى شرقية وسموها كنيسة مرتحبا ومنهم من يقول كنيسة يوحنا وبنوا بدمشق كنائس غيرها مستأنفة واستمر النصارى على دينهم هذا بدمشق وغيرها نحو ثلاثمائة سنة حتى بعث الله محمدا ﷺ وكان من شأنه ﷺ ما ذكرنا بعضه فى كتاب السيرة وقد بعث ﷺ إلى ملك الروم فى زمانه وهو قيصر ذلك الوقت واسمه هرقل يدعوه إلى الله عز وجل فكان من مراجعته ومخاطبته لابی سفيان صخر بن حرب ما تقدم ثم بعث ﷺ أمراءه الثلاثة: زيد بن حارثة، جعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة إلى البلقاء نحو الشام فبعث الروم اليهم جيشا كبيرا فقتلوا هؤلاء الثلاثة وجماعة ممن معهم فعزم ﷺ على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك ثم رجع ﷺ عامه ذلك لشدة الحر.

ابن سناء الملك من قصيدة صلاحية:

كل القلاع تروم السحب فى صعد	الا العواصم تبغى السحب فى صيب
لو رامها النجم لم يظفر بيغيته	ولو رماها بقوس الافق لم يصب
ملقى اذا عطشت والبرق أرسية	كواكب الدلو فى بثر من السحب
جليسة النجم فى أعلا مراتبه	وظالما غاب عنها وهى لم تغب

شهاب الدين ابن حجر:

أهوى الجلوس بمقعد الصدق الذى	فرشت به بسط الزهور وزخرفا
حفت به أيدي السعود وأبصرت	عينى به طير المسرة رفرفا

ذكر أبو عبد الله بكر بن عياش كاتب المنصور أبى يوسف يعقوب قال كان لأبى بكر محمد بن مجير وفادة على المنصور فى كل سنة فصادف المنصور فى احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان أحداثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراکش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتخفص لدخوله وكان جميع من بيباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوها إياه فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجربته الخير فيما جدد من

معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى إلى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجير  
فأنشد قصيدته التي أولها:

أعلمتني ألقى عصا السيار      في بلدة ليست بدار قرار  
واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها:

طورا تكون بمن حوته محيطة      فكأنها سوراً من الاسوار  
وتكون طوراً عنهم مخسبية      فكأنها ستر من الاستار  
وكأنما علمت مقادير الوري      فتصرفت لهم على مقدار  
فإذا أحست بالامام يزورها      في قومسه قامت إلى الزوار  
يبدو فنبدو ثم تخفى بعده      كتكون الهالات بالاقمار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها والتفت إلى الجراوى وكان يعلم قلة  
تسليمه لأبى بكر وكثرة غضبه منه فقال سلم له الجر ثم أنشده إذا لم تستطع شيئاً فدعه  
قال أبو عبد الله بن عياش فخرج أبو بكر بن مجير والشعراء يومئذ يلومونه ان لم تكن أول  
منشد لا تخفى أشعارهم وتستر أعوارهم.

السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على الأمدى:

وحصن قد أناف برأس هضب      منيف ذاهب في الجو سامى  
تنفس فى مرآة الافق حتى      كسا فولادها صدأ الغمام  
محيى الدين بن عبد الظاهر يصف الجامع الاموى فى ليلة نصف شعبان وإيقاده حيث  
لا تلمع الاعين مصباحا وتود أنها لا ترى لتلك الليالى صباحا اذ تمنطقت أركانه فى اللهب  
بمناطق الذهب وبدت أشعتها فى صفائه كما يبدو فى الكأس وحاشاه العجب لا سيما فى  
ليلة النصف التى كم رفرف عليها النعيم وكم خدمها الا من النسيم:

كم للناس فسيها لاح بدر      يروق العيين منظره الوسيم  
بدا وبدا الوقود فقلت بدر      لخدمته ترجلت النجوم

كم أضاء بوجهه ديجور وكم انعكست أشعة تلك الأضواء على وجهه المنير فكانت  
نورا على نور:

فى خـــــــسده للورى ربيع      ونصف شعبان فى فؤادى  
أو كما قال الآخر:

وحلت مناطق خصره فكأنه      شعبان كل حلاوة فى نصفه

من كلام الاخ الحبيب أبى بكر بن حجة وأوميت بعد ذلك إلى الجامع الاموى فإذا هو لأشتات المحاسن جامع وأتيته طالبا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت بأذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات الشحرية وتشوقت إلى النظم والنثر لما نظرت تلك الشذور الذهبية وأنست من جانب طوره نارا فرجع إلى ضياء حسى واندهشت لذلك الملك السليمانى وقد زهى بالبساط والكرسى وقلت هذا ملك فإز من وقف فى خدمته خائفا وشقى من لم يدس بساطه ويأتبه طائعا ومن الكلام الفاضلى قلعة تحسر الميون أن تتقضاها ويتوعر الامل أن يترقاها قد ضربت فوق الحبل جرائها ولبست لقبه النجوم ويحق فإنها ما برحت جيرانها وتطلعت للناظرين سحابة الا أنها عزت أن تكون السماء عنانها.



## الباب الثامن والأربعون

### في الحنين إلى الأوطان وتذكره بها من القطار

روى أن النبي ﷺ سمع صوتا فارتاع فقيل له في ذلك فقال ظننت أن ساكنا أزعج من منزله، وجاء أيضا حب الوطن من الايمان وقال ابن عباس رضي الله عنهما لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى أحد الرزق وكانت العرب إذا سافرت أخذت معها من تربة بلدها تستنشق ريحها وتطرحه في الماء إذا شربته وهكذا كان المتفلسف من البرامكة إذا سافر أخذ معه من تربة مولده في جراب يتداوى به ولما غزا اسفندبار بلاد الحرز اعتل بها فقيل له ما تشتهي قال شربة من دجلة وشميما من تراب اصطخر فأثى بعد أيام بماء وقبضة من تراب وقيل له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فتقه من علته.

القاضي الفاضل:

يا لله قل للنيل عنى انسى      لم أشف من ماء الفرات غليلا  
وسل الفؤاد فإنه لي شاهد      ان كان طرفي بالبكاء بخيلا

قال الاصمعي:

يا قلب كم خلفت ثم بنيت      وأظن صبرك أن تكون جميلا

دخلت البادية فنزلت على بعض الاعراب فقلت أفدني فقال اذا شئت ان تعرف وفاء الرجل وحسن عهده وكرم أخلاقه وطهارة مولده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى اخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه ولما أشرف الاسكندر على الموت أوصى أن يحمل في تابوت ذهب إلى بلد الروم حبا في وطنه ولما أدركت يوسف عليه السلام الوفاة أوصى أن يحمل إلى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه فلما بعث الله موسى عليه السلام وأهلك فرعون حمله إلى مقابرهم فقبره عليه السلام بأرض المقدس وروى أن أبان قدم على رسول الله ﷺ المدينة فقال له يا أبان كيف تركت مكة قال تركتهم وقد جلدوا وتركت الاذخر وقد أغدق وتركت الثمام وقد خاص فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ وقيل لاعرابي أتشتاق إلى وطنك قال كيف لا أتشتاق إلى رملة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها:

وكنا ألفناها ولم تك مأنفا      وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن  
كما تؤلف الارض التي لم يطب بها      هواء ولا ماء ولكنها وطن

آخر:

طيب الهواء ببغداد يؤرقنى  
شوقا اليها وان عاقت مقادير  
فكيف أصبر عنها اليوم اذ جمعت  
طيب الهواء بين ممدود ومقصود  
ذكرت بهذين البيتين ما أنشدنيه من لفظه لنفسه الوزير العلامة نخر الدين بن مكناس  
وهو من مخترعاته:

ان الهوايين يا معشوق قد عبثا  
بالروح تكفيك بالممدود قد تلفت  
والروح والجسم حوثيت بالمقصود فيك فنى  
بالروح والجسم فى سر وفى علن  
وقال الشيخ بدر الدين الدماميني:

أقول لمهجتى كم ذا ألقى  
أذكره بأشجانى فينسى  
من البلوى بظبى فيك قاسى  
فأفديه غزالا فى كناس  
أعرابى:

وتشكو إلى الدار فرقة أهلها  
سليمان المحاربى:

إذا لم تكن ليلى بنجد تغيرت  
آخر:

فما أحسن الدنيا وفى الدار خالد  
ذو الرمة:

وقفت على ريع لمية ناقبى  
وأستقيه حتى كاد مما أبته  
فما زلت أبكى عنده وأخطبه  
تكلمنى أحجاره وملاعبه  
بشار:

وقفت بها صحبى تطلب عراضها  
آخر:

منازل لم تنظر بها العين نظرة  
البحترى:

أرى بين ملتف الآراك منازل  
فكن مسعدا فيهن ان كنت عاذرا  
مواتل لو كانت مهاها مواتلا  
وسر مبعدا عنهن ان كنت عاذلا

الوائلى وهو أحسن ما قيل فيه):

سقيت ربوع الظاعنين فإنه

ولمؤلفه:

وقفنا بربع الحب والحب راحل

وألقت دموع العين فيه سائلا

إذا نفحة الاحباب منها تقسمت

تثير غرامى ساجعات غصونها

مرايع الافى مرايع لذاتى

قال ابن حمديس الصقلى:

ذكرت صقلية والاسى

فإن كنت أخرجت من الجنة

ولولا ملوحة ماء البكا

الكفيك لما فارق بغداد:

لهنى على بغداد من بلدة

كأننى عند فراقى لها

القاضى عبد الوهاب المالكى:

سلام على بغداد منى تحية

لعمرك ما فارقتها قاليا لها

ولكنها ضاقت على برحبها

فكانت كخجل كنت أهوى دنوه

وللعلامة ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب عند فراقه للانجلس فى واقعه

المشهورة:

أموطنى الذى أزعجت عنه

لئن أزعجت عنك بغير قصد قصد

وقال ابن الرومى:

بلد صحبت بها الشبية والصبى

فإذا تمثل فى الضمير رأيته

غنى لك عن ما العيون الهواطل

نحاول رجعهام لنا ونحاول

لها من عبارات الغرام دلائل

تطيب بها أسحارنا والاصائل

فمنها على الحالين هاجت بلايل

مطالع أقمارى بها والمنازل

يهيج للقلب تذكارها

فإنى أحدث أخبارى

حسبت دموعى أنهارها

كانت من الاسقام لى جنة

آدم لى فارق الجنة

وحق لها منى السلام المضاعف

وانى بشط جانبىها العارف

ولم تكن الاقدار ممن يساعف

وتأتى به أخلاقه فىخالف

ولم أرزى به ممال ولا دم

فقسبلى فارق الفردوس آدم

ولبست ثوب العيش وهو جديد

وعليه أغصان الشباب تميد

قال على بن عبد الكريم الصبى تأنى ابن الرومى بقصيدته التى مدح بها سليمان بن عبد الله بن ظاهر وقال انصفنى وقل الحق أيما أحسن قولى فى الوطن:

ولى وطن آليت أن لا أبيمه  
عهدت به شرح الشباب ونعمة  
وحبب أوطان الرجال اليهم  
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم  
وأن لا أرى غيرى له الدهر مالكا  
كنعمة قوم أصبحوا فى ظلالكا  
مآرب قضاها الشباب هنالكا  
عهدود الصبا فيها فجنوا لذلك  
أم قول الاعرابى:

أحب بلاد الله ما بين مدعج  
بلاد بها عشق الشباب تمائى  
إلى وسلمى أن يصوب غمامها  
وأول أرض مس جلدى ركامها  
فقلت بل قولك لأنه ذكر الموطن ومحبه وأنت ذكرت العلة فى ذلك.

وللشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة من رسالة كتبها إلى السيد زين الدين عمر الجعفرى خطيب جامع التوبة بدمشق وينهى بعده الذى أضرم به من شوقه الشهابى تارة وأخلى من زكائه لحجليزية مطاره وتركه ملقى فى الصهريج كأنه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة فلا بد والحالة هذه من آه على دمشق التى هى جنة من تاه وباهى وحيران جيرونها الى اغار داء لسان الحب سماها:

فما قلت ايه بعدها لمسامر  
من الناس الا قال قلبى آها  
غيره:

فيا وطنى ان فاتنى بك سالف  
أى والله طالما حن المملوك اليها وأنشد ودمعته كالمطر سلام الله يا مظر عليها:  
مطر من العبيرات خدى ارضه  
وقال الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا فسح الله فى أجله ونقلتهما من خطه:

خليلى أن وافيتما الشام ضحوة  
قفا واقراً عنى سلاما كتبتة  
وعايتما الشقراء والغوطة الخضرا  
بدمعى على مقرى ولا تنسيا مطرا  
يكتب أبياتى الرائية:

يا صاحبي إذا الثايبا أشرفت  
استنشقا ذاك النسيم فإنه  
ولمحتما منها ثغور أزاهر  
مما تحمل من شمائل هاجر

وقال الشيخ شرف الدين بن عنين:

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة  
وهل أرىنى بعدما شطت النوى  
دمشق فى شوق اليها مبرح  
بلاد بها الحصباء در وتربها  
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق  
وظلك يا مقسرى على ظليل  
ولى فى ذرى روض هناك مقيل  
وان ليج واش أو ألح عذول  
عبير وأنفاس الشمال شمول  
وصح نسيم الروض وهو جليل

ولما خرج الرشيد إلى أخذ أخته عليه معه فلما صارت بالمرج عملت شعرا وصاغت فيه لحنا من الرمل وكتبت الايات ليلا على بعض الفساطيط فى طريق الرشيد فلما دخل إلى مضرب الحرم بصر به فقرأه فاذا هو:

ومغترب بالمرج يشكو شجوه  
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه  
وقد غاب عنه المسعدون على الحب  
تنشق تستشفى برائحة القرب

فلما قرأه علم أنه من فعل عليه وإنها قد اشتاقت إلى العراق وإلى أهلها فأمر بردها. الوليد بن زيدون يتشوق إلى مكان يدعى بالزهراء وكان اجتماعه وولادة محبوبته:

إنى ذكرتك بالزهراء مشتاقا  
وللنسيم اعتلال فى أصائله  
والروض عن مائه الفصى مبتسم  
لا أسكن الله قلبا عن تذكركم  
لو شاء حملى نسيم الريح حين سرى  
فالأآن أحمد ما كنا بعد كم  
والافق طلق ومرأى الروض قد راقا  
كأنه رق لى فاعتل اشفاقا  
كما حللت عن اللبات أطواقا  
فلم يطر بجناح الشوق خفاقا  
وافاكم بفتى أضناه ما لاقا  
سلو تم وبقينا نحن عشاقا

وقال الشيخ مهذب الدين أبو الفرج عبد الله بن أسعد الموصلى الشافعى الدهان رحمه

الله يتشوق إلى دمشق المحروسة:

سقى دمشق وأياما مضت فيها  
من كل أدهم سهال له شية  
ولا يزال جنين النبات ترضعه  
فما قضى حبه قلبى لسربها  
ولا نسليت عن سلسال ربوتها  
مواطر السحب ساريا وغاديا  
صفراء يسترها طورا ويديها  
حوامل المزن فى أحشاء أرضها  
ولا قضى نحبه ودى لواديا  
ولا نسيت بينى جار جاريا

كأن أنهارها ماضى ظبا حشيت  
 وأهالها حين حلى الغيث عاطلها  
 وحاك فى الارض صوب المزن مخمله  
 ديباجة لم تدع حسنا مفوقها  
 ترنو اليك بعين النور ضاحكة  
 والدوح ربا لها ربا قد اكتملت  
 نشوى تغنى لها ورق الحمام على  
 صفا لها الشرب فاخضرت أسافلها  
 وصفق النهر والاغصان قد رقصت  
 كأنما رقصها أوهى قلائدها  
 وأعين الماء قد أجرت سواقىها  
 وقابل الغصن غصن مثله وشدت  
 فللحاظ وللإسماع ما اقترحت  
 إذا العزيمة عن فرط الغرام ثنت  
 ريم إذا جلبت حسنا لواحظه  
 جنابة طرفه المحور جانبها  
 تقبل الكأس خجلى كلما شرعت  
 اشتاق عيشى بها قدما فتذكرنى  
 ونحن فى جنة لا ذاق ساكنها  
 سماء دوح ترد الشمس صاخرة  
 ترى النجوم بها من كل ناحية  
 إذا الغصون هز زانها لنيل جنى  
 من كل صفراء مثل الماء يانعة  
 شهية الطعم تحلو عند أكلها  
 يا ليت شعرى على بعداء ذاكرتى  
 عندى أحاديث وجد بعد بعدهم  
 كم لى بها صاحب عندى له نعم

خناجرا من لجين فى حواشيه  
 مكللا واكتسى الاوراق عاريها  
 ينيرها بغواديه ويسديها  
 الا أناه وما أبقي مواشيه  
 اذ بات عين من الوسمى يبيها  
 شبابها حين ما شابت نواصيه  
 أوراقها ويد الانواء تسقيها  
 حتى صفا الظل فايضت أعاليها  
 فنقطته بدر من تراقبها  
 وخانها النظم فانتالت لأليها  
 والاعين النحل قد جارت سواقىها  
 أقمارها فأجابتها قماريها  
 من وجه شادنها أو صوت شاديه  
 قلبا تنى له غصن فيثبها  
 للنفس حتى يخديه فيحبيها  
 وآس عارضه المخضر آسيها  
 فى ماء فيه فقاسته بما فيها  
 أيامى السود بيضا فى لياليها  
 يؤسا ولا عرفت بأسا مغانيها  
 عنا وتبدى نجوما من نواحيها  
 ممدودة كنجوم الزهر أيديها  
 صارت كواكبها حصبا أراضيها  
 كأنها جمر نار فى تظيها  
 بهية اللون تجلى عند رائيها  
 عصابة لست طول الدهر ناسيها  
 أظل أجحدها والعين ترويه  
 كشييرة وإباد لا أؤديه

صباية منه تخفينى وأخفيها  
حتى رضيت سلاما فى حواشيتها  
يسمى على سابقات الخيل هانيها  
أخفى الكواكب نورا وهو عاليها  
عصابة قصرت عنى مساعيها  
بل ذاك عار على الدنيا وما فيها

فارقته غير مختار فصاحبني  
رضيت بالكتب بعد القرب فانقطعت  
ان يعلنى غير ذى فضل فلا عجب  
والماء يعلوه ألسداؤها رجل  
لو كان جد بحد ما تقدمنى  
ما فى خمولى من عار على أدبى

الاديب الفاضل الكامل صفوان بن ادريس المريسي يتشوق إلى مرسية وطنه:

فيشر عنى ماء عبرته نثرا  
فأقضيه دمع العين عن نقطة بحرا  
يقر بعين القطرات يشرب القطرا  
توفيه عينى من مدامعها تترا  
سجبة ماء البحر أن يروى الزهرا  
مخافة أن يحمى بزفرتى الحرا  
بآية ما يجرى من الجنة الصغرى  
ولولا توخى الصدق سميتها الكبرى  
فجعت بريش العزم كى ألزم الوكرا  
مجرتها نهراً وأنجمها زهرا  
وقد فضحت أزهار ساحتها الزهرا  
وزهر الربى ولدت آدابى الغرا  
تعلم نظام النثر من ههنا شعرا  
تعلمت حل الشعر تسكبه نثرا  
ولم أر روضاً غيره يقرؤ السحرا  
فملاً فاهها من أزاميره درا  
من الجرف الاعلى إلى السكة الغرا  
أغير اذا غازلتها أختها الاخرى  
وقدت لها أوراقها حلالا خضرا

لعل رسول البرق يغنم الاجرا  
معامة أربوبها غير مذنب  
ليسقى من تدمير قطرا محببا  
وتقرضه دون اللجين وإنما  
وما ذاك تقصير به غير أنه  
خليلى قوما فاحبسا طرق الصبا  
فإن الصباريح على كريمة  
خليلى أعنى أرض مرسية المنى  
ووكرى الذى منه درجت فليتنى  
وما روضة الخضراء قد مثلت بها  
بأبهج منها والخليج مجرة  
هنالك بين الغصن والقطر والصبأ  
إذا نظم الغصن الحيا قال خاطرى  
وان نثرت ريح الصبا زهر الربى  
فوائد أشجار هناك اقتبستها  
كأن هزيز الريح يمدح روضها  
أيا رتعات الحسن هل فيك نظرة  
فانظر من هذى لتلك كأننى  
هى الكاعب الحسنة تمم حسنها

وما عادة الحسناء ان تنقد المهر  
 اغاريدها تسترفص الغصن النظرا  
 ولكنه لا يستطيع بها نصرا  
 كصفحة سيف وسمها نبعة صفرا  
 بسطر لجين ضم من ذهب عشرا  
 لنهر تود الافق لو زاره فجرا  
 بكيما من رقعة ذلك الهرا  
 من الانس ما فيه سوى أنه مرا  
 فاحلت بساط البرق افراسها الثغرا  
 اذا ركبت حمرا يادينها الصفرا  
 سقتك دموعي إنها مزنة شكرا  
 نقضت امانيه فحليتها ذكرا  
 تود الثريا أن يكون لها نحرا  
 بقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا  
 لما فارقت عيني وجوههم الزهرا  
 لما بت استجلى فراقهم المرا  
 وهل تسجر العين أن تفقد السفرا  
 أراد بذلك الله أن أعستب الدهر  
 وما عادة المشفوف أن يحمد الهجرا  
 مرام بحد الركب في طيها شهرا  
 ولا خبرا منهم لقيت ولا خبرا  
 ولكن عراب لخيلا لا تحمل الزجرا  
 بحيث جعلت الليل في ضربه حبرا  
 وطرحا وتجميلا فأخرج لى صفرا  
 يطارحني كسرا أما يحسن الجبرا  
 فإن مع العسر الذي لم يبق يسرا

اذا خطبت أعطت دراهم زهرها  
 وقامت بعرس الأنس فينة أيكها  
 وقل في خليج بلبس الحوت درعه  
 اذا ما بدا فيها الهلال رأيت  
 وان لاح فيها البدر شبهت متنه  
 وفي جرفى روض هناك تجافيا  
 كأنهما خلان صفيا معا وقد  
 وكم بأبيات الحديد عشية  
 عيانا كأن الدهر عض بحينها  
 عليهن أجرى خليل دمعى بوجتى  
 أعهدى بالفرش المنعم دوحه  
 فكم فيك من يوم أغر محجل  
 على مذنب كالبحر من فرط حسنه  
 سقت أدمعى والقطر أيهما انبرى  
 واخوان صدق لو قصدت حقوقهم  
 ولو كنت أفضى حق نفسى ولم أكن  
 وما اخترت هذا البعد الا ضرورة  
 قضى الله أن تنأى بى الدار عنهم  
 ووالله لو نلت المنى ما حمدتها  
 أيانس باللذات قلبى ودونهم  
 فديتهم بانوا وضنو بكتبهم  
 ولولا علاهماتهم لعنيتهم  
 ضربت غبار البيد فى مهرق السرى  
 وحققت ذاك الضرب جمعا وعدة  
 كأن زمانى حاسب متعسف  
 ولست وان طاشت سهامى يانس

ولمؤلفه عفا الله عنه:

تذكرت أوطانى ويا حبذا الذكرى  
وأشجار وادبها وبهجة جنسكها  
وتجميد ذاك الماء وميل غصونه  
وما أحسن الميعاد ممن تحبه  
اذ الناس فى هرج ومرج بلهوهم  
ترى كل جزب لاهيا بسروره  
اذا أصبحوا هزوا الشمائل بالندا  
كـرام اذا ولوا وطار نداهم  
فآه على تلك العشايا وطيبها  
فيا عاشق المعشوق لا تبذلوه  
اذا زرع اللوان واخضر أرضه  
ويا من يجارى أو يضاهى بغيرها  
خليلى أحياء من ذكرت ومنزلى

لتلك القصور البيض والربوة الخضرا  
وقد نقرا الشجر ورفى دفه نقرا  
فهذا به كسر وهذا به سكرى  
بمقسمه الاسنى وليته القمرى  
وقلبى بمن أهواه فى بلدة أخرى  
وكل له شغل به قد غدا مغرى  
فينظر منه فوق أعطافهم درا  
وللبانس المسكين ييغى به الاجرا  
وآه على حلو الزمان الذى مرا  
عن المزة الفيحاء والجبهة الغرا  
فلا تذكروا مصر ولا تذكروا الاهرا  
تأمل فذا الميدان دونك والشقرا  
بعيشكما قولاً قفا نبك من ذكرى

ولمؤلفه أيضاً يرثى دمشق المظلومة ويصف ما جرى بها من التيار فى سنة ثلاث

وثمانمائة:

أجريت جمر الدمع من أجفانى  
وتلاعبت أهدابها بمدامعى  
وتوقدت نيران حزنى اذ رأيت  
لهفى على تلك البروج وحسنها  
لهفى على وادى دمشق ولطفه  
نزلوا ظلال الدوح فلا تسل  
سقطت غصون البان من قاماتها  
وشكا الحريق فؤادها لما رأيت  
جئاتها فى الماء منها أضرمت  
كانت معاصم نهرها فضبة  
ما ذاك الا تركهم ولجت بها

حزنا على الشقراء والميدان  
لعب الكمأة بأرؤس الفرسان  
تلك الربوع مواقد النيران  
حفت بهن طوارق الحدثان  
وتبدل الغزلان بالثيران  
ما حل بالأغصان والكثبان  
لما سمعن نواعق الغربان  
نور المنازل أبدلت بدخان  
فمجبت للجنات فى النيران  
والآن صرن كذائب العقبان  
فتخضبت منها بأحمر قان

كرهت جداولها حوافر خيلهم  
 خافت خدود الارض من أفعالهم  
 أذكيت نار الصدر يا ورقاؤها  
 تبكى على غصن وأندب قامة  
 واحسرتاه على دمشق وقولها  
 عاداني الدهر الخشون بمغله  
 فمساك تأخذ ثأرها من مغلهم  
 لو عاينت عيناك جامع تنكز  
 وتعطش المرحين من أورادها  
 لأنت جفونك بالدموع ملونا  
 قطرات جفن ترجمت عن حرقتي  
 أبني أمية أين عين وليدكم  
 شربوا الخمر بصحنه حتى انتشوا  
 لم يرحموا طفلا بكى فقلوبهم  
 قصوا جناح النسر بعد نهوضه  
 ألواحه أجرت دموعى أسطرا  
 إن أنكروا يوم الحساب فعالمهم  
 لهفى على كتب العلوم ودرسها  
 أعرونا لك أسوة بحماتنا  
 غابت بدور الحسن عن هالاتها  
 ناحت نواعير الرياض لفقدمهم  
 شتتهم أيدي سبايا دهرنا  
 حزني على الشهباء قبل حماتنا  
 لا تدع الأحزان يا شقراءنا  
 رعت كلاب المغل في غزلاتها  
 لهفى على تلك الشعور وطولها  
 لهفى عليك محاسنا لهنى عليك

فتسابت هربا كخيل رهان  
 فتلثمت بعوارض الريحان  
 وتأثرت بلواعج الأشجان  
 فجميعنا نبكى على الأغصان  
 سبحان من بالمغل قد أبلان  
 والعجم منه وقبلهم غازاني  
 بالحل ثالث سبعة وثمان  
 والبركتين بحسنها الفتان  
 وتهدم المحراب والايوان  
 دمعا حكى اللؤلؤ على المرجان  
 فكأتهن قلائد العقبان  
 والمغل تفتل في ذرى الأركان  
 ألقوا عرابدهم على النسوان  
 في الفتك صخر لا أبو سفيان  
 يا ليتته لو فاز بالطيران  
 كتبت على اللوحين من أجفاني  
 فشهدنا عثمان ذو القرآن  
 صارت معانيها بغير بيان  
 في ذا المصاب فأنتما أختان  
 فاستبدلت من غرها بهوان  
 فكأنها الافلاك في الدوران  
 وتلوت أي الجمع بالقرقان  
 هو أول وهى المحل الثاني  
 السبق للشهباء في الأحزان  
 وتحكمت في الحور والولدان  
 جرت بها الأعناق كالارسان  
 لك عرائسا لهنى عليك مغاني

لهفى عليك منازلًا ومنازها  
ان قال لحظى قال سيفى ضارب  
أدمشق آهاتى عليك كشييرة  
حسراتها لا تنقضى من خاطرى  
لى أنه لى حرقه لى لهفة  
أمنازل الاحباب كيف تبدلت  
ان لم أسل ماء العيون مجاريا  
لاته جفن الصب فى جريانه  
العين والانسان قد فقدا معا  
لم أدر من أبكى وأندب حسرة  
للجبهة الغراء أم خلخالها  
لا يحجر المشتاق عن تذكراها  
شوق بها قلبى أقل لك منشدا  
واذا أتيت بما جرى فى ربعاها  
ما كان أهنى العيش فى ساحاتها  
أسفى على أيامها لا تنقضى  
أيام لا ماء السرور مكدر  
ولقد وقفت على ربوع حباتى  
ولقد وقفت على الديار مناديا  
يا دار أين حباتى فأجابتنى  
حكم القضا فيهم ونفذ حكمه  
يا رب لم شتاتهم بمحمد  
ان لم نلذ فى أمرنا بجنابه  
أترى الاله مؤيدا سلطاننا  
يا رب فعل الذنب أصل بلاتنا  
واغسل بساء الامن وجه رجائنا  
واجمع على جسماننا أرواحها

ومقام فردوس وباب جنان  
أو قال طرفى قال حد سنان  
كالدمع فى جفن الكئيب العانى  
هى شغل أفكارى ونصب عيانى  
لى حسرة لى لوعة وكفانى  
تلك الربى بمقاتل الفرسان  
ماء الغمام بها فما أجفانى  
دعنى وشأنك يا غمام وشانى  
أبكيك يا عينى ويا انسانى  
للقصر للشرفين للميدان  
للمزة الفيحاء أم للوان  
يا حاجرى بالظلم والعدوان  
لك ان تشوقنى إلى الأوطان  
فعلى أن أبكى بدمع قسانى  
والدار دارى والزمان زمانى  
ما كسان أهنائها وما أهنائى  
أرعى نضير العيش بل يرعائى  
فندبتهن نواذب الاحزان  
بلسان مغترب وعبرة عانى  
عنها الحريق بالأسن النيران  
فتشتتوا فرقا بكل مكان  
سر الوجود وبهجة الاكوان  
فبمن يلوذ ويستجير الجانى  
حتى أقول وعشت بالسلطان  
فاصفح وجد للذنب بالغفران  
واصرف بفضلك حاضر الطغيان  
يا جامع الأرواح بالجسمان

تقى الدين السروجى يقول:

وفى رضيع النبت من ذاك الحمى  
سفح سفحت عليه دمعى فى ثرى  
وفى المثل لولا حب الوطن لخرّب بلد  
السوء الكريم يحن إلى جنبه كما يحن الاسد  
إلى غابه، وما أرق قول مزار بن هباش الطائى:

سقى الله أطلالا بالية الحمى  
منازل لو مرت بهن جنازتى  
لسان الدين بن الخطيب:

يا جنة فارقت من غرفاتها  
أسفى على ما ضاع من حظى بها  
إن أشرقت شمس شرقت بعبرتى  
حتى لقد علمت ساجعة الضحى  
وشهادة الاخلاص توجب رجعتى  
وله:

سلام على تلك المعاهد أنها  
ويأنسة العهد أنعمى فلطالما

أنشدنى صاحبنا الاعز الشيخ محمد الاندلسى الخياط رحمه الله تعالى قال أنشدنى  
الشيخ شمس الدين أبو عبد الله المشرقى رحمه الله:

اشتاق للغرب وأصبو الى  
يا صاحبى نحواى والليل قد  
لا تعجبا من ناظر ساهد  
القلب فى آثارها طائر

ورد على من سيدى وأخى الجناب الشهابى ابن حجر أعزه الله تعالى كتاب من مكة  
المشرفة إلى دمشق المحروسة وفى أثنائه من متجدداته:

فاعلان صبرى لا يشابه أسرارى  
فوا لهفى بعد الرحيل على الدارى  
أسر غرامى من عزول وحاسد  
بليت بمن لم يدر مقدار صبوتى

نقلت من كتاب فوات الوفيات تأليف صلاح الدين الكتيبى فى ترجمة طراد بن على بن عبد العزيز أبى فراس السلمى الدمشقى الكاتب المعروف بالبديع مات متولى مصر سنة أربع وعشرين وخمسمائة:

يا نسيم هب مسكاً عبقاً	هذه أنفاس ريا جلقاً
كف عنى والهوى ما زادنى	برد أنفاسك الا حرقاً
ليت شعرى نقضوا أحبابنا	يا حبيب النفس ذاك الموثقاً
يا رياح الشوق نحوهم	عارضاً من سحب عيني غدقاً
وانثرى عقد دموى طالما	كان منظوماً بأيام اللقاً

واشتهرت هذه الابيات وغنى بها المغنون، قال بعضهم: مررت يوماً بشوارع القاهرة وقد ظهرت جمال كثيرة حملها نفاح من الشام فعبقت روايح تلك الحمول فاكثر التلفت وكانت أمامى امرأة سائرة ففطنت لماذا داخلنى من الاعجاب الى تلك الرائحة فأومأت إلى وقالت هذه أنفاس ريا جلقاً.

ونقلت من مجموع بخط العلامة المؤرخ قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان تغمده الله برحمته قال النبى ﷺ لاصيل الخزعى يا أصيل كيف تركت مكة قال تركتها وقد أحجن ثمامها وأثمر سلمها وأغدق اذخرها فقال النبى ﷺ دع القلوب فى أماكنها.

تفسير ما فيه من الالفاظ الغريبة أحجن الثمام اذا خرجت حجته وهى خوصه والثمام نبت ضعيف له خوص وأثمر السلم اذا خرج والسلم شجر من الغضا الواحدة سلمة وأغدق الاذخر اذا ظهرت ثمرته والاذخر نبت، ونقلت من خط الحافظ اليعمورى كانت الامتعة الثمينة والذخائر النفيسة تأتى إلى مصر وتباع ولا ينظر إليها يوسف عليه السلام وإذا جاءت أحمال صوف من كنعان لا تحل الا بين يديه.

مرض عمار بن عباد حين ولى الرقة فما كاد ينجع فيه دواء فقال له طبيبه سيبه الهواء فبعث إلى بغداد فحمل الهواء فى جراب فكان يفتح كل يوم فى وجهه جراب الى أن برئ.



## الباب التاسع والأربعون

### في دارسكنت كثيرة الحشرات قليلة الخيد عديمة النبات

وأبلغ ما سمع فيها قول كمال الدين بن الاعمى:

دار سكنت بها أقل صفاتها	أن تكثر الحشرات من حشراتهما
الخير عنها نازح متباعد	والشردان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته	كم أعدم الاجفان طيب سناتها
وبنات تسعدها براغيث متى	غنت لها رقصت على نغماتها
وقص بتنقيط ولكن فاقته	قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد ع	ين الشمس ما طربى سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها	فيها وأين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز	أبصارنا عن حصر كيفياتها
تغشى العيون بمرها ومجيئها	ويصم سمع الخلد من أصواتها
وبها خنافس تطير نهارها	مع ليها ليست على عاداتها
شبهتها بقنافذ مطبوخة	نزع الطهارة نصحها شوكلاتها
شوكلاتها فاقت على سمر القنا	في لونها وتمامها ووثباتها
وبها من الجردان ما قد قصرت	عنه العتاق الجرد في حملاتها
وترى أبا غزوان منها هاربا	وأنا الحصين يروغ عن طرقاتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت	في أرضها وعلت على شرفاتها
لو شم أهل الحرب متن فسوها	أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وراذان واشكال لها	مما يفوت العين كنه ذواتها
متزاحم متراكب متحارب	متراكم في الارض مثل نباتها
وبها قراد لا اندمال لجرحها	لا يفعل المشراط مثل أدتها
أبدا تمص دمءنا فكأنها	حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليمانى ما	قد قل ذر الشمس عن ذراتها
لا يدخلون مساكننا بل يحطمو	ن جلودنا فالعفو من سطواتها

فنعوذ بالرحمن من نزغاتها  
ورق الحمام سجعن فى شجراتها  
بالابر للمسموم من لدغاتها  
فينا حمانا الله لدغ حماتها  
أطلعن أرؤسهن من طاقاتها  
ة ولا حياة لمن رأى حياتها  
لقاتها والموت فى لفتاتها  
والارض قد نسجت بيزاقاتنا  
والصيف لا ينفك عن صعقاتها  
وترايبها كالويل من خشياتها  
والآل يلمع فى ثرى عرصاتها  
وجهنم تعزى إلى لفحاتها  
دم أمانا حواء فى عرفاتها  
ورأيت مسطورا على عتباتها  
تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها  
يا رب نج الناس من آفاتنا  
تتفرق السكان من ساحاتها  
كذب الرواة فأين صدق رواتها  
للنفس اذ غلبت على شهواتها  
فيها وتنذر باختلاف لفاتها  
قأ للصباح تسح من عبراتها  
يا رازقا للوحش فى فلواتها  
أخرى هب لى الخلد فى خباتها  
يا جامع الارواح بعد شتاتها

ما راعنى شىء سوى وزغاتها  
سجعت على أوكارها فتظنها  
وبها زنابير تظن عقاريا  
وبها عقارب كالأقارب مرتعا  
فكأنما حيطانها كغرايل  
كيف السبيل إلى النجاة ولا نجاة  
السم فى نفثاتها والمكر فى  
منسوجة بالعنكبوت سماؤها  
ولقد رأينا فى الشتاء سماءها  
فضجيجها كالرعد فى جناتها  
واليوم عاكفة على أرجائها  
والنار جزؤ من تلهب حرها  
قد رمت من قبل أن يلقى لآ  
شاهدت مكتوبا على أرجائها  
لا تقربوا منها وخافوها ولا  
أبدا يقول الداخلون فناءها  
قالوا اذا ندب الغراب منازلنا  
وبدارنا ألفا غراب ناعق  
صبرا لعل الله يعقب راحة  
دارتبيت الجن تحرس نفسها  
كم بت فيها مفردا والعين شو  
وأقول يا رب السموات العلا  
أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى  
واجمع بمن أهواه شملى عاجلا

حكى الزمخشري فى ربيع الابرار أن رجلا من أهل الشام اطلع على جرد أخرج من  
جحره دنائير كثيرة فتركها وأخذ يلعب بها ثم أدخلها مكانها فقام الرجل وأخذ الدنائير فأقبل  
الجرد يثب ويضرب بنفسه الارض حتى مات.

وحكى الشريشي في شرح المقامات عن أبي محمد الحسن بن اسماعيل الضراب قال كنت قاعدا انسخ في ضوء السراج وبين يدي قدح فيه ماء وظرف فيه كعك وزبيب ولوز فجاءت فأرة وأخذت لوزة ومضت ثم عادت أخرى فبددت الماء الذي في القدح فعادت الفأرة فسكبت القدح عليها واشتغلت بشغلي ساعة فإذا قد جاءت فأرة أخرى فدارت حول القدح فسفسفت وبقيت ساعة على ذلك والفأرة الأخرى تسفسف من داخل فلم تجد حيلة في خلاصها فمضت وأتت بدينار فوضعت ووقفت فلم أرفع القدح ففعلت ذلك إلى أن أتت بسبع دنائير ووقفت ساعة فلم أحل. عن الفأرة فمضت وأتت بقرطاس فارغ فعلمت أنه لم يبق عندها شيء فخليت عنها.

قال الغندجيهي رويت هذه الحكاية عن أشياخ ثقة قيل ان الخصى من كل شيء أضعف من الفحل الا الجرذان فإن الخصى يحدث فيه شجاعة وجراءة ولا بدع في ذلك فإن الجرذان الكبار لا تدع الهر وبنات عرس الا قتلها فيبغى لمن في منزله شيء منه أنه يصطاد منه ذكرا يخصه ويتركه في البيت فإنه يأتي على بقية الجرذان بأسرها، وذكر الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة: قال أخبرني الشيخ شمس الدين بن خضر الدمشقي أحد كتاب المنسوب بدمشق سنة اثنين وخمسين وسبعمائة قال حللت مثقال ذهب لاجل الكتابة به فاتفق أني نزلت من البيت وتركته في الدواة بغير غطاء ثم رجعت إلى البيت ونظرت فلم أر شيئا من الذهب في الدواة فتعجبت غاية العجب فنظرت فإذا فأر في جانب البيت وعلى خرطومه أثر الذهب يلمع فعلمت أنه شربه فنصبت المصيدة وخرجت من البيت فما لبث أن وقع فيها فأخذت طاسة وجعلت فيها ماء وأمسكت بذنبه وجعلته يعوم في الطاسة وكلما أراد الخروج رددته بذنبه إلى أن شرب ماء كثيرا وكاد يموت فقبضت بذنبه ودليت رأسه إلى أسفل فجعل يستقي من حلقه الذهب مختلطا بالماء الذي شربه إلى أن لم يبق منه شيء فغسلت الذهب مرة ثانية ووزنته فلم يتقص غير قيراطين هكذا أخبرني أو كما قال.

وحكى الكواشي في تفسيره أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما ألقى في النار جعل كل حيوان يطفى عنه النار الا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار، وعن النبي ﷺ أنه أمر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على ابراهيم، وذكر الزمخشري عن ابن عباس أنه قال الوزغ يريد الشيطان يرسله ليفسد على الناس ملحهم ومن العجب أن الافعى لا ترد الماء ولا تريده واذا وجدت الخمر شربت منه حتى تسكر وكثية الافعوان أبو حيان وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة

وأرض حمص لا تعيش فيها العقارب وإذا طرحت فيها عقرب ماتت لساعتها، سمع غلام رجلا يقول أنا مثل العقرب أضر ولا أنفع فقال ما أقل عملك بل لعمرى إنها لتتفع إذا شق بطنها ثم شدت على موضع اللسعة وتجعل في جوف اناء فخار ويسد رأسه ويطين جانبه ويوضع في الستور فإذا صار رمادا يشفى به من به الحصاة مقدار نصف دائق فتفتت الحصاة وتلسع الافعى فيموت.

حكى) أن عقربا لسعت مفلوجا فذهب عنه الفالج، وشتم رجل الارضة فقال له بكر بن عبد الله المزني مه فهي التي أكلت الصحيفة التي تعاهد المشركون فيها على رسول الله ﷺ وبها تيقنت الجن أن «لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»<sup>(١)</sup> وقيل لها لاى شيء تأكلين كتب المشتغلين فقالت ما أكل الا كتب الذين لا يشتغلون وقال لقمان لابنه لا تكن الذرة أكيس منك تجمع في صيفها لشتائها النملة تفلق الحب أنصافا لتلا تبتت فتفسد والكزبرة تفلقها أرباعا لأنها من بين الحب ينبت نصفها إذا قربت العقرب من الولادة أكلت أولادها جلدها وخرقوه حتى يخرج وقد ماتت الام وقال الشاعر في ذلك:

وحاملة لا يكمل الدهر حملها      تموت وينمو حملها حين تعطب

لعاب الجراد سم لا يقع على شيء الا أخرقه خطب المأمون يوما فوقع الذباب على عينه فطرده فعاد مرارا حتى قطع عليه الخطبة فلما صلى الظهر أحضر أبا الهذيل فقال له لم خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبارة فقال صدقت وأجازه بمال، وقال الجاحظ في منافع الذباب إنه يحرق ويخلط بالكحل فإذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن ما يكون ولذا ترى المواشط تستعمله وتأمرون به العرائس وما أحسن قول عترة:

وخلى الذباب بها فليس بنازح      غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعاه بذراعها      قدح المكب على الزناد الاجدم

قيل هذا من التشبيهات العقم وقال الجاحظ وجدنا المعانى نقلت ويؤخذ بعضها من بعض الا قول عترة وخلى الذباب البيتين وزعموا أن رجلا من ولد حليلة ظئر رسول الله ﷺ كان أصيد خلق الله وأحذقهم بالتدريب وبلغ من حدقه أنه رى ذئبا يصطاد به الطباء والثعالب وسرق منه فرجع إليه من ثلاثين فرسخا وضرى أسدا حتى صار أهليا واصطاد به الحمر والبقر وعظام الوحش وضرى الزنابير حتى اصطاد بها الذباب قال الجاحظ من من

علم البعوضة أن وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاؤها وأنها متى طعنت في ذلك الجلد الغليظ الصلب نفذ خرطومها مع ضعفه على غير معاناة ولو أنك طعنت بمسلة شديدة المتن لانكسرت.

وقال التيفاشي ومما جربه الناس كافة لاجل البق الصابون فإنه إذا طلى به المواضع التي بها البق أى موضع كان من جدار أو سرير قتله ولم يعد إليه ما دام أثر الصابون فيه قال صاحب الفلاحة البنطية اعلم أن القطران من أعظم شيء يكرهه النمل فمتى أردت ألا يقرب النمل شيئاً فخط حول ذلك خطا من القطران مدورا فإن النمل لا يقربه وإن طليت به حول حجرة النمل هربن، صدق الحلزون إذا أحرق حتى يصير كلسا أبيض وذر على بيوت النمل هربن فإن أقام به مات جميعه وقال صاحب الفلاحة البنطية أيضاً حجر المغناطيس الجاذب للحديد إذا وضع على باب أجرة النمل لم يخرجن ويهرين إلى تخوم الارض قال وأهل بلادنا يجعلون في وسط الكدس من الحنطة وغيرها من الحبوب من حجر المغناطيس وغيرها لثلا يدنو منه النمل قال وإذا غطيت اناء فيه غسل أو غيره بصوف أبيض من كبش ولكن متفوشا لم يقربه النمل وكذلك إذا أدت الصوف حول الاء من أسفله لم يقربه النمل، القمح المسوس إذا وضع في بيت فيه بق فإن السوس يأتي عليه بمجموعه ولا يدع منه بقة واحدة وهذا صحيح مجرب والبنفسج إذا قطع قطعاً صغاراً وجعل عليه قليل عجين فان الفأر يأكله ولا تستطيع معدته أن تهضمه فيموت عن آخره وهذا مما جرب وصح عند معاشر الناس كافة.

قال الشيخ شهاب الدين بن فضل الله:

وناموس له قرص أليم      ونضوج له ومنه لنا نضوج  
ومن عجب تراه العيين أنا      مع الناموس يرتفع الضجيج

وقال الشيخ إبراهيم المعمار في البراغيث:

ان البراغيث اللئام      قسوا على فقلت مالى  
الا الخمور لا ختمت      وقرصونى قلت أبالى

ومن العجائب ما ذكره ابن بدرون في شرح قصيدة بنى الافطس عند ذكر الواثق وجلالته وهيته فإنه يحكى من هيبتهم له أنه لما ثقل في علته التي مات فيها خيل اليهم في بعض الاوقات وقد أغمى عليه أنه قضى فدنا منه تركى يقال له ايتاخ ليعلم هل مات أم لا

فلما دنا منه فتح عينيه ونظر إلى ابتاخ فرجع القهقري فانتشبت طرف سيفه بالباب فاندق وسقط ابتاخ على قفاه لما نظره هيبة له ورعبا داخله من نظره ليصفن العجائب أنه لم تمر ساعة من نظره إلى ابتاخ الا وقد مات فأخذ وجعل في بيت فما أقام به الا يسيرا فوجد قد أخرجت الفأرة عينيه فسبحان من لا يزول ملكه المنفرد بالبقاء لا إله الا هو العلي العظيم وعلى ذكر ابن بدرون فما أحسن قول الصحاح جمال الدين بن مطروح:

لك يا بدرون وجننه صار عنوان السعداء  
لا تخف نقصا ومحقا أنت بدر وزياده

وقريب من هذه الواقعة ما ذكره الثعالبي في لطائف المعارف أنه لما جرى برأس مروان ابن محمد إلى عبد الله بن علي أمر بعزله فجاءت هرة قلعت لسانه وجعلت تمضغه فقال عبد الله أو غيره لو لم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان في هذه لكفانا وكان مروان قد عرض بظهر الحيرة سبعين ألف عربي على سبعين ألف عربي ثم قال إذا انقطعت المدة لم تنفع العدة.

نقلت من الطالع السعيد في فضلاء الصعيد تأليف العلامة المحدث البار كمال الدين جعفر الادفوى في ترجمة تاج الدين الدسناوى محتد القوصى مولدا وداراً ووفاة محنة الدهر وفريضة العصر فقيه عالم فاضل محدث أديب شاعر كريم الاخلاق طيب الاصول والاعراق فمن نظمه ملغزا في نملة:

يا من اذا ما قاصد أم له	تم له منه الذي أم له
ومن حوى الفضلين فضل الندى	وفضل علم للهدى حصله
ما اسم رشيق القد حلو الجنى	ذو فطنة ممزوجة بالبله
الذى دقيق النخصر قد زانه	ردف له يهتز ما أثقله
أو انتمى يعزى لواد غدا	وارده مستعذبا منهله
حل به أسنى ملوك المورى	ومن غدا بالفضل والمعدله
ان قلت صف لى حسنه واقتصد	قلت مجيباً لك ما أجمله
أو قلت صف لى ملكه واقتصر	قلت أجل جل الذى كمله
أو قلت هل من مسترفند	قلت وللمسكين والارمله
تصحيف ما ألفزته مودع	فى النظم فافتح بالذكاء مقتفله
وعكسه أيضاً بلغت المنى	مستودع فيه فما المسأله

القول في طبائع الحيات: وإنما سميت حية لأنها تحوت أي اجتمعت ويطلق على الذكر والانثى يقال حية ذكر وحية أنثى وهي أصناف كثيرة لا تحصى كما لا تحصى أصناف السمك.

ذكرت بقوله حية وهو ما أشدني لنفسه من لفظه المقر المجدى فضل الله بن مكانس عفا الله عنه.

عاذلتى بعد أن توفيت      فى النوم أبصرتها الشقيه  
تلسعنى بالملام فيكم      كأنها فى الوجود حيه

رجع: وشرها الافاعى ومكنتها الرمال والجبال ويضرب المثل بها بأفاعى سجستان ومن التهويل فى أمرها ما حكاه ابن شرمه أن أنعى منها نهشت غلاما فى رجله فانصدعت جبهته ويحكى أن شبيب بن شبة دخل على المنصور فقال يا شبيب أدخلت سجستان فإنه بلغنى أنها محواة أى كثيرة الحيات قال نعم يا أمير المؤمنين قد دخلتها قال فصف لى أفاعيها فقال هى دقاق الاعناق صفار الأذنان مفلطحة الرءوس رقتش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف قال أرسطو وليست الافعى من الحيوان الذى يلد حيوانا مثله وان خرج من بطنها أولاد وإنما ذلك لتكسر البيض فتلويها وتجمعها فى بطنها فيتوهم من رأى ذلك أنها تلد وليس الامر كذلك ومن الافاعى ما يتساقط بأفواها فإذا أعطى الذكر الانثى وقع كالمغشى عليه فتعمد الانثى إلى موضع مذاكيره فتقطعها نهشا فيموت من ساعته فإذا بلغ بعضها لم يكن له مخرج لضيق مكان الولادة فيبقى فى بطنها حتى يخرج فيشقه ويخرجن وتموت الام من ساعتها فيكون طلبها للولد هلاكها وذكرها يسمى الافعوان يأتيها أيام الصراف فيصوت بها فتأتيه وبعض الحيات مستطيل أكدر اللون وأخضر وأسود وأبيض وأرقط وفى بعضها نمش وتخرج كل بيضة ثعبان على لونها ولم يعرف السبب فى اختلاف ذلك وأما داخله فشىء أسمنخ من الصديد وأقدر وهو فى جوفها منضد طولاً على خط واحد وليس للحيات سفاد معروف تنتهى إلى علمه وليس عند الناس فى ذلك الا الذى ترون من ملاقات الحيات والتواكل واحدة منهما على صاحبه حتى كأنهما لورج خيزران مفلوذ والحية مشقوقة اللسان ولذلك يظن بعض الناس أن لها لسانين وهى واسعة النحر ولها خطم وكذلك يفعل نابها ولو كان لرأس الحية عظم لكان أشد لعصها ولكن جلدا يطبق على عظمين مستطيلين وتوصف بالنهم والشره لأنها تبتلع الفراخ من غير

مضع كما يفعل الاسد ومن شأنها انها متى ابتلعت شيئا فيه عظم أتت شجرة أو حجراً شاخصا فتنتوى عليه انطواء شديدا فتحطم ذلك العظم حتى تصيره رفاتا ومن عاداتها إذا نهشت انقلبت فيتوهم أنها فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس الامر كذلك وإنما فى نابها عضل فإذا عضت استغرق ادخال الناب كله وهو أحجن يشبه بالبيض فإذا انقلبت كان أسهل لخروجه وألسلس لنزعه وفى طبعها أنها اذا لم تجد طعاما تعيش بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل وتبلغ الجهد من الجوع ولا تأكل الشئ الحى وربما بقيت أربعة أشهر فى الشتاء صابرة على الجوع لا تغتدى بشئ البتة وهى اذا هرمت استقرت فى بيتها وأقنعها النسيم ولم تشته الطعام ومن عجيب أمرها أنها لا تطلب الماء ولا تريده لغلبة الارضية عليها ولهذا تصبر عن الغذاء المدة الطويلة لأن حرارتها لا تسرع بتحليل مادتها لقللة الحرارة وغلظ المادة وهى لا تضبط نفسها على الشراب اذا شمته لما فى طبعها من الشوق إليه فهى اذا وجدته شربت منه حتى تسكر وربما كان السكر سبب حتفها لأنها إذا سكرت خدرت والذكر من الحيات لا يقيم فى الموضع الواحد وربما تقيم الانثى على بيضها بقدر ما تخرج فراخها وتقوى على المكسب ثم تخرج سائرة فتمتى وجدت حجرا دخلته واثقة بأن ذلك الساكن فيه بين أمرين إما أن يقيم فيصير طعاما لها واما أن يهرب فيصير الجحر لها ولهذا يضرب المثل بها فى الظلم فيقال أظلم من الحية وعين الحية لا تدور فى رأسها وكذلك عين الجراد كأنها مسمار مضروب وعينها ما تنطبق وان قلمت عادت وكذلك نابها ان قلع عاد بعد ثلاثة أيام وكذلك ذنبها ان قطع عاد وفى طبعها أنها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتطلبها وتعجب بها وباللبن ومتى ضربت بالقصب الفارسى ماتت وان ضربت بسوط قد مسه عرق الخيل ماتت وهى طويلة الذمء والذمء بطو خروج الروح بعد القتل وذلك أنها تذبح حتى تفرى أوداجها فتبقى أياما لا تموت ويقال أنها لا تموت حتف أنفها الا أن تقتل أو تصاد وتبقى فى جؤن الحوائثن تدلكها الايدى وتكره على الطعم فى غير أرضها إلى أن تموت أو تحملها السيول فى الشتاء والزمهرير فتموت اذا ضررت والحية تسليخ فى كل عام قشرا عن جلدها فى أول الربيع والخريف وتبتدى بالسليخ من عيونها ثم من رأسها ويتم سليخها فى يوم وليلة واذا هرمت وعجزت عن سليخه أدخلت نفسها بين عودين أو فى صدغ ضيق حتى يتسليخ تأتى إلى عين ماء فتغمس فيه فيشدد بذلك لحمها ويعود إلى قوته وشدته وليس فى الأرض شئ مثل جسم الحية الا والحية أقوى منه بدنا اضعافا ومن قوتها

أنها اذا دخلت صدرها فى جحر أو صدع لم يستطع أقوى الناس وقد قبض على ذنبها بكلتى يديه أن يخرجها لشدة اعتمادها وتعاون أجزائها وليست بذات قوائم لها أظفار ومخالب أو اظلاف تشبث بها وتعتمد عليها وربما انقطعت فى يد الجاذب لها وإنما لشدة فقر ظهرها فان لها ثلاثين ضلعا وذلك مشاهد فى صعودها وسعيها خلف الرجل الشديد الحصر وعند هربها منه وهى برية وتعيش فى البر بعد أن يطول مكثها فى الماء وصارت مائية وأصنافها كثيرة جدا وهذا القدر كاف فى وصفها.

القول على طبائع الفأر: يقولون جميع ما يقع عليه اسم الفأر فأر وهى أنواع: فأر البيت والربات والنخلد والبربوع وفأرة البيض وفأرة المسك، فأما فأرة البيت فصنفان: جردان وفأر وهما كالجواميس والبقر والبخت والغراب والفأر من الحيوان الذى جمع حاستى الشم والبصر وليس فى الحيوان أفسد منه، ليس يبقى على شىء جليل ولا حقير الا أهلكه وأتلفه ولا يقصر فعله عما فعلته ريح عاد ويكفيه ما يحكى عن سد مآرب ومن تدبيره فى الشىء يأكله يحسوه وهو أنه يأتى القارورة الضيقة الرأس فيحتال حتى يدخل طرف ذنبه فى عنقها وكلما ابتل بالدهن أخرجه وامتنعه حتى لا يدع فى القارورة شيئا ولقد حكى أن رجلا كان عنده جرة زيت فغاب عنها مدة ثم افتقدها فوجدها مملوءة حجارة وليس فيها من الزيت شىء فأدار فكره فى ذلك إلى أن الفيران كشفوها وشربوا منها إلى أن لم يبق أن تصل أفواهها إلى الشراب فدلّت أذنانها حتى لم تصل إلى الزيت فألقوا الحجارة شيئا بعد شىء فكان الحجر اذا وقع فى الحق طفا الزيت حتى فنى ولقد أرانى بعض الاصحاح ظرفا من زجاج كان فيه فستق مقشور قد نقبته وأكلن ما فيه وكل البيزور تأكل قلوبها وتترك قشورها وما أعجب من شىء كمجيبى من نوى الخرنوب التى لا تقدر الاضراس على كسره وهى تنقبه وتأكل قلبه وكذلك تفعل بالقرطم مع ملاسته، وفى طبعه النسيان فربما صيد مرات فيفلت ويعود وبه يضرب المثل فى السرقة والنسيان والحذر ويبلغ الفأر من تحرزه واحتياظه أن يسكن السقوف فربما فاجأه السنور وهو يريد أن يعبر إلى بيته والسنور فى الأرض وهو فى السقف ولو شاء أن يدخل بيته لم يكن للسنور عليه سبيل ويشير إليه السنور فى الأرض بيساره كالقائل له ارجع فإذا رجع أومى إليه بيمينه كالقائل له عد فيعود وإنما يطلب بذلك أن يعى أو يزلق ولا يفعل به ذلك ثلاثة مرات الا ليسقط فيشب عليه.

وحكى الجاحظ أن ناسا أنكروا أن يخلق الفأر فى أرحام إناثها من أصلاب ذكورها

ولكن من بعض الارض كطينة الفاطول فإن أهلها يزعمون أنهم رأوا الفأر لم يتم خلقه بعد وان عينيه فصان ثم ينتشان حتى يتم خلقها وتشتد حركتها، ذكر الجاحظ ذلك على طريق الاستبعاد، قال صاحب المنهاج وإنما رأيت ذلك عيانا اتفق أنى سافرت من الفيوم فمررت بقرية تسمى صفت واذا بفيران قد خرجوا من شقوق الارض كجراد منتشر كل واحد منها نصفه حيوان ونصفه الآخر طين لم تكمل خلقته وكذلك يتولد بمصر اذا انكشف ماء النيل عنها.

القول فى طبائع العقرب: وهذا الحيوان أصناف منه الحرارة والطيارة وما له ذنب كالحربة وماله ذنب معقف وفيها السود والخضر والحمرة والصفرة والكمدة وما له لون الرماد وما لونه لون اللهب وما له حمتان وأصحاب الكلام فى طبائع الحيوان يقولون العقرب مائة الطبائع ومن ذوات الدر وكثرة الولد تشبه السمك والضب وعامة هذا النوع اذا حملت الانثى منه يكون حثتها فى ولادتها لان اولادها اذا استوى خلقها اكلت بطنها وخرجت فتموت والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول أخبرنى من أتق به أنه رأى العقرب تلد من فيها مرتين وتحمل اولادها على ظهرها وهى قدر القمل كثير العدو والعقرب شر ما يكون إذا كانت حبلى ولها ثمانية أرجل ولها أظلاف مثل أظلاف الثور عيناها فى ظهرها وهى من الحيوانات التى لا تسبح ومن عجيب أمرها أنها لا تلسع الميت ولا المغشى عليه ولا القائم الا أن يتحرك شىء من بدنه فإنها عند ذلك تضربه وضربها له إنما هو خوفا فهى تدفع بنفسها بضربها وهى تأوى إلى الخنافس وتسالمها وتصادق من الحيات كل أسود صالح وربما لسعت الافعى فتموت وفيها من يلسع بعضه بعضا فتموت الملسوع ومن شأنها إذا لسعت الانسان فرت فرار مميء يخاف العقاب.

وقال الجاحظ والعقارب تستخرج من موتها بالجراد لأنها حريصة على أكله تمسك الجراد فى عود ثم تدخل بها فى مكانها فإذا عايتها العقرب تعلقت ومتى أدخل الكراث إليها وأخرج تبعته وما معها من جنسها ونوعها وهى اذا خرجت من بخشها فى طلب المطعم يكون لها نشاط وعزم تضرب كلما لقيته من حيوان أو نبات أو جماد وربما ضربت الطست والقمقم فتخرقه وتسيل مادة وربما نشبت فيه ابرتها وهذه الابرة منعوتة فيها السم والعقارب القاتلة تكون فى موضعين بشهر زور وعسكر مكرم وهى جرارات وهذه العقارب تلسع فتقتل وربما يتناثر اللحم من لسعته أو تعفن لحمه واسترخى ولا يدنو منه

أحد الا وهو يمسك أنفه مخافة أعدائه وهى فى غاية الصغر فان أكبر ما يوجد منها يكون قدر زنته دانقا واحداً والذي يوجد منها كبيراً يكون زنته ثلاث حبات وقد وزنت بشعيرة فرجحت الشعيرة عنها ذكر هذا صاحب كتاب النوار ومن ظرائف أمرها أنها مع صغرها وقتلتها ونزارتها تقتل الفيل والبعير بلسعها وينصيين عقارب قتالة يقال ان أصلها من شهر زور وإن بعض الملوك حاصر بها فأتى بالعقارب من شهر زور ورمى بها فى كيزان بالمجانيق إلى البلد فأعطوا القوم بأيديهم وما أظرف قول من قال وقد واعد امرأة ليأتيها فلما خرج من عندها ضربته عقرب فى طريقه فقال:

ولقد سررت مع الظلام لموعد	حصلته من غادر كذاب
فإذا على ظهر الطريق معدة	سوداء قد علمت أوان ذهابي
لا بارك الرحمن فيها عقرباً	دبابة دبت إلى دباب
وسمع خبره صاحب الدار فقال:	
ودار وأيام سكانها	تقيم الحدود بها العقرب
إذا غفل الناس عن ذنبهم	فان عقاربنا تضرب

القول فى طبائع النمل: ذهب ابن أبى الأشعث أنه لا يتزاوج ولا يتوالد ولا يتلاقح وإنما يسقط منه شيء حقير فى الأرض فينمو فيصير بيضاً ثم يتكون فيه وهو من الحيوان المحتال يتفرق فى طلب المعاش فإذا وجد شيئاً أنذر الباقيين فيجتنن ويحملن ونكل واحد يجتهد فى اصلاح العامة غير مختلس لشيء من الرزق دون صحبه ويقال إنما يفعل ذلك رؤساؤها ومن تحيله فى الرزق أنه ربما وضع بينه وبين ما يخاف عليه منه ما يحجزه عنه من ماء أو شعر فيتسلق فى الحائط ويمشى على جذع من السقف مسامتا لما حفظ ثم يلقى نفسه عليه وفى طبعه أنه يحتكر زمن الصيف لزمن الشتاء وله فى الاحتكار من الحيل ما أنه ما اذا احتكر ما يخاف نباته قسمه نصفين ما خلا الكسفرة فإنه يقسمها أربعاً لما ألهم أن كل نصف منها ينبت واذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الارض ونشره وأكثر ما يفعل ذلك فى القمر ويقال ان حياته ليست من قبل ماكله ولا قوامه وذلك أنه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام ولكنه مقطوع نصفين وإنما قوته اذا قطع الحب من استنشاق ريحه لا غير وذلك يغذوه ويكفيه وهو يشم ما ليس له ريح مما لو وضعه الانسان على أنفه لما وجد له ريحاً والكلام عليها طويل وهذا القدر كاف.

لبعض الشعراء فى البراغيث والبق والبعوض:

والليل فيه زيادة لا تنقص	تومى على ظهر الفراش منغص
وسرت على عجل فلا تتربص	من عاديات كالذئاب تدابت
مسترخصات منه ما لا يرخص	جعلت دمي خمرا تداوم شربها
والبق يشرب والبراغيث ترقص	فترى البعوض مغنيا برابة

أبو عامر بن شهيد يصفه: أسود زنجى وأهلى وحشى ليس بوان ولا رميل وكأنه جن لا يتحرى من ليل وشونيره أو نبتها غرره نقطة مداد أو سويداء قلب قراد شربه غب ومثيه وثب يسرى ليله ويكمن نهاره ولا يمنعه ستر يدرك بطعن مؤلم ويستحل دم كل مسلم مشاور للإساودة يجرد ذيله على الجبابرة يتكفن بأرفع الثياب ويهتك ستر كل حجاب ولا يحفل بيوآب برد مناهل العيش العذبة ويصل الاجراح الرطبة ولا يمنع منه أمير وهو أحقر من كل حقير سره ميثوث وعهد منكوث.

نقلت من كتاب الامتناع والمؤانسة لابي حيان التوحيدى أن نبات عرس إنما تلقح من أفواهما وتلد من آذانها ومن عادة هذا الجنس أنه يسرق ما وجد من حلى الذهب والفضة ويخبئه فى جحر وإن وجد أيضاً فى البيت حبوياً خلط بعضها ببعض.

النمل غمولى مواظب فإذا جمع الحب قطعه كيلاً نبت إذا أصابه الندى والبلبل ويخرجه ويسطه عند فم الجحر حتى إذا بيس أدخله فمن جرب طبائع النمل أدرك علم زمان المطر والصحو ومن أراد أن يهلك النمل فليدق الكبريت والحريق وليذره فى جحره ولا يولد من تزواج لكنه يخرج منه شىء صغير فيقع فى الأرض فيصير بيضاً ثم يتصور من البيض بالهيئة التى ترى .

الخنافس: إذا شمت ريح الورد ماتت وأجنحتها مدمجة لاصقة بها، البق والبعوض لا تناكح لهما وإنما تستحيل من عين الماء ووسخه وتنته ومن أخذ غصن العنب ووضع تحت سريره لم يقربه بق ولا بعوض ومن أراد أن لا يتأذى بالبراغيث فليحفر وسط البيت حفرة ويملاها بدم تيس فإن البراغيث تجتمع هناك وان وضع فى الحفرة ورق دفلى ماتت البراغيث، تم ما ذكره أبو حيان فى الامتناع ومنه قيل لذؤيب أنزعم أنك مفلس لا تقدر على قرض ولا جمع ولا خفالة وبينك عامر بالفأر فقال على بن أبى عتيق الطلاق الثلاث البتة ان كان يمنهم من التحول عنا الا أنهم يسرقون أطعمة الناس ويأكلونها فى بيتى لأمنهم فيه لأنه لا هراً هناك.

وعلى ذكر الفأر فما أحسن قول الشيخ أحمد الموال الشهير بالفأر أنشدنيها المرحوم

الفخرى بن مكائس:

قلبي صبا نحو بطحى رأيت ورق      لما رأى القاعد أخلفو عليها دق  
ومذ قطعها الصبي شقات قلت الحق      يا فار نلت المنى اعبر لهذا الشق

يتأذى بمن يتبذه بهذا اللتب فاتفق حضورهما عند الامير قشتم نائب السلطنة الشريفة  
يسلمان عليه حين قدم من سفره فأخضر لهما مشروباً على العادة فمسك فخر الدين الاناء  
وقال ذكروا أن شراب الليمون فى الاسفار يسكن الدم إذا فار فاحتد منه الفأر وقال كذبت  
عن من نقلت هذا فقال عن الفارابي فكان الشاهد أنكى من الزائد.

نقلت من تذكرة العلامة عز الدين الموصلى شيخنا رحمه الله وفقاً يوضع لفقد الذباب  
من البيت الذى يكون فيه وصورته ان يوضع يوم الخميس المعروف بخميس البيض قبل  
طلوع الشمس بعد صلاة الفجر ويكون واضعه قد صام أربعة أيام لا يفطر فيها على زفر ولا  
زهومة ثم يضعه على هذه الهيئة ويكون الوضع فى ورق لونه رصاصى تربيعاً بالمسطرة  
محرراً وهو هذا الوفق المبارك ان شاء الله تعالى:

هلك	الذباب	باذن الملك	القاهر القدير
٨٧٨	٦٧٢	٨٦٢	٨٧٣
٦٧١	٨٧٣	٧٢٨	٨٧
٨٣٧	٨٨	٦٧	٨٧٣

ناصر الدين بن التقيب:

ودار خراب بها قد نزل  
فلا فرق بين أنى أكو  
فوالله ما نمت فى أرضها  
ومفردت بالصفات القبا  
تشاورها هفوات النسب  
إذا ما قرأت اذا زلزلت  
وأخشى بها أن أقيم الصلا  
ت ولكن نزلت إلى السابعة  
ن بها أو أكون على القارعه  
ولا طلعت لى بها طالعه  
ح وماهى الا لها جامع  
بم فتصفى بلا أذن سامعه  
بها خفت أن تقرى الواقعه  
ة فتسجد حيطانها الراكعه

قال الشيخ شمس الدين بن الصائغ أنشدنى الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني قال  
حضرت منزل الشيخ جمال الدين بن نباتة فرأيت فيه نملا كثيرا فقلت:

ما لى أرى منزل المولى الأديب به نمل تجمع فى أرجائه زمرا  
نقال لا تعجبين من نمل منزله فالنمل من شأنها أن تتبع الشعرا

وعلى ذكر النمل ذكرت ما نقلته من خط الوداعى ما صورته دب شخص شاهد عدل  
يقال له النميلة فعمل فيه عز الدين بن رواحة:

عتبت على نميلة فى التعمدى وجراءته على ما لا يحل  
وقلت مقال انكار عليه تدب على العدول وأنت عدل  
فقال لقد عتبت على ظلما وهل للنمل غير الدب شغل

من المجرىبات اذا طهر النمل فى موضع أن يقرؤ عشر مرات فى نفس وأحدهم الغذاء  
والعشاء طويل فإنه يرحل بإذن الله.

السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على الأمدى فى الحية:  
وتخاله فى القيظ سوطا باليا ملقى وفى كانون دملج معصم  
وقد استدارت مقلتهاه بحمرة فيها تحاكي قطرتين من الدم  
وله فيه:

وهو حبل قل اذا ما امتد أو مثل خيط النهر مهما اضطربا  
سببا للموت وصالابه وكذلك الحبل يدعى سببا

من كتاب كتبه يحيى محى الدين بن عبد الظاهر إلى القاضي كمال الدين بن العطار  
كاتب الدرج السعيد: من منزله خبره اللصوص من كل صلد تزاحمت به مدارج السيول  
وغصت به حلوق الوحول وغدا شحيا فى صدور السهول قد جمعت الاقطار وجوه صفاته  
وفتحت الأيام والليالى ما لعله من حسن صفاته وأصبح مغائرا فى طرق الزروع كم حصل  
منه لها أذى ومحاجر كم أظرفت عيون الأرض منه على قذى كأن أسوده على الأرض كلب  
يؤذى الابصار وكم خد به استدار منه له أوحش عذار كم تجمعت فلذة فكانت ظلمات  
بعضها فوق بعض وينيت فى الفضاء فأحسن بها من نهود تبسو فى صدور الأرض تروع  
المراعى فى المراعى وتسمع بها تعاقع سهام المنايا فتندوا تراكيش للحيات والافاعى من  
كل أفعى تفترس افتراس الضيفم وتملس املاس الجدول وتنكمش انكماش السهم تفرع

رائيها فى المنام وإذا انقبضت صارت عروة وإذا انبسطت فهى حزام كم جنات الترائب فى أنيابها وكم لعبت بالارواح بلعابها ذات ألوان كالدينا بينما تروق اذا هى نزوع ولين معاطف كالايام وكأنما استدار بها اشراك المرقوع قد غدت للخيام أطنابا عوض الاطناب وإذا شاهد الاطباء علاماتها وامتدادها قالوا هذا الذى يقال له الموت من العلامات والاسباب كم قد نضجت العيون منها بأسود سالخ وكم أحرق سمها مهربا فى كوره لاهاجة بار الموت وهو له نافع ومن عجب أنها تمشى على بطنها ولا تأكل ما تفترس وتوقد فى الليالى المدلهمة عيونها نارا لا يجد عليها هدى طرق المقتبس.

القاضى فتح الدين بن الشهيد:

أقول لنمل العذار التى  
حمت غسل الريق ألحاظه  
على الخد دبت قفى تحملى  
إلى ابن نمل فلا تسلى  
بدر الدين يوسف الذهبى:

يا جمال الكتاب بل يا  
لى بيت صعب مجارية الفك  
حميد الذكر حقا ومن له العلياء  
ر وما أن تحمله البلغاء  
والضرب والقبض فى ذراه سواء  
جواز فيه التشعيب والاقواء  
زمير وللذباب غناء  
ك دليل أن ليس فيه بناء  
لا أراه من الخفيف فلم ذا  
للبراغيث فيه رقص وللبق  
عامل لا أراك فيه وهذا

منقول من الموجز لابن نفيس مما يطرد الهوام من البيت التبخير بأصل الرمان وقضبانه وأصل السوس والقننة والقرون والاضلاف والحوافر والشعر والحلتيت وورق الغار وحبه ورماد الصنوبر وخصوصا مع القننة والشونير والمركبات من هذه الحيوانات التى تهرب منها الحشرات إذا جعل فى البيت لتلغ أو طاووس أو قنفذ أو ابن عرس فان الهوام تفرع منها وتهرب وإن ظهرت قتلها وكذلك البيضايات والايائل.

طرد الحيات الكبريت والنوشادر بالخل يهربها والخردل يقتلها وإذا وضع على مسكنها هربت منه.

طرد العقارب الفجل المشدوخ وعصارتها إذا مسكت وورقه والباذروج وثفل الصائم والتبخير بالعقرب يهرب العقارب وكذلك الزرنيج إذا وضع والفجل المقطع إذا وضع على جحرها لم يجسر على الخروج منه.

طرد البراغيث إذا رش البيت بطبيخ الحنظل أو نقوعه تماوتت البراغيث وتهاريت وكذلك العليق والخرنوب ودم التيس إذا جعل فى حفرة آوت إليه البراغيث وكذلك يجتمع على خشبة طليت بلحم القنفذ ووسخ الكبريت والدفلى يهربها.

وطرد البق والبعوض التدخين بنشارة خشب الصنوبر أو القلقندس أو بالشونيز أو بمجموعهما وهو أجود بالأس اليابس أو بالكبريت أو باخشاء البقر أو بالحرمل أو بورق السرو أو جوزة ورش البيت بطبيخ هذه أو بطبيخ الترمس أو الدلب.

طرد ابن عرس يطردها ريح السداب.

طرد الفأر وقتلها: المرتك والحريق والبنج وأصل الفأر وهى تتداوى بالسباحة فى الماء فان لم تجدها ماتت والتراب الهالك وخبث الحديد وإذا سلخت الفأرة الذكر أو قطع ذنبها أو خصى وربط بخيط هرب الفأر الباقي والسلخ أقوى.

طرد النمل دخان النمل نفسه يطرده ويهرب.

طرد الذباب يقتلها الزرنينج وحده أو باللبن ودخانه ودخان الكندر وطبيخ الحريق

الاسود.

وطرد الزنانير بخار الكبريت والثوم.

طرد الخنافس دخان الدلب وورقه.

طرد الارضه: يطردها الهدهد إذا جعل فى البيت والتدخين بأعضائه وريشه.

طرد السوس: الاتشين والفوتنج وقشور الاترج وماء الحنظل الرطب.

طرد سام أبرص: الزعفران إذا جعل منه فى البيت هرب.

## الباب الخمسون

### في وصف الجنان وما فيهما من حور وولدان

عن أبي سعيد الخدري يرفعه أن الله جل ذكره لما حوط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس وغرسها ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فقال تعالى طوبى لك منزل الملوك وقال زيد بن أرقم قال رجل لرسول الله ﷺ تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون قال نعم والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب قال فان الذى يأكل تكون له الحاجة والجنة طيب لا خبث فيها قال عرق يفيض من أحدهم كرشح المسك فيضمر بطنه، دخل داود عليه السلام غارا من غيران بيت المقدس فوجد حزقيل يعبد ربه وقد يبس جلده على عظمه فسلم عليه فقال أسمع صوت شعبان ناعم فمن أنت فقال داود قال الذى له كذا وكذا امرأة وكذا وكذا أمة قال نعم وأنت فى هذه الشدة قال ما أنا فى شدة ولا أنت فى نعمة حتى ندخل الجنة، قال مالك بن دينار جنات النعيم بين جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل ومن يسكنها قال الذين هموا بالمعاصي فلما ذكروا عظمة الله راقبوه، وقال بعض العلماء فى السدس الاخير من الليل تفتح أبواب الجنة ألا ترى أن أرواح الرياحين تفوح فى ذلك الوقت، جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعث مكرمة قريش فقال ذهبت المكارم الا من التقوى يا بن أخى اشترت بها دارا فى الجنة أشهدك أنى جعلتها فى سبيل الله.

ولمؤلفه رحمه الله:

إذا رأيتم قبر خير الورى      والمنبر الزاهى واجلا له  
بشراكم الجنة هنيئتم      ومن يرى هذا فطوبى له

وأنا أبتهل بلسان التضرع والخضوع وأسأل لحظات الاعتراف والخشوع لمتصفحى كتابى هذا وأبوابه ومتأملى ألفاظه واعرابه الصفح عما يقفوا عليه من عشرات العبارات والمعانى والتجاوز عما وقع فيه من التقصير والتوانى فالمعترف بذنبه كمن لا ذنب له ومن لا يقبل العذر فالذنب له.

من رام أن يقبل البارى معاذره      فليقبلن مسرعا ممن له اعتذار

وليقتد بقوله تعالى: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ (١) لا سيما مع استغراق زمان أنا بنكدة منوط وليل ونهار أنا فيهما بطلب القوت مربوط واغزا في عجموة ظاهرة في البيان وعجمة غالبية في اللسان تمنع عن ادراك حقائق المرادات والجمع بين دقائق المعاني وحسن العبارات ولكتني مكره في ذلك لا بطل:

فان لم يكن نظم القصائد شيمنى وليس جدوى يعرب وايد  
فقد تسجع الورقاء وهي حمامة وقد تنطق الاوتار وهي جماد

ثم قل أن يخلص مصنف كتاب من الهفوة بل الهفوات وهيئات ثم هيئات أن ينجو الناظر أو المؤلف من العثرة بل العثرات خصوصا مع الممتحنين بل المتعنتين والحاسدين المفتيين ولكن قال رسول الله ﷺ: «من طلب عشرة أخيه ليهتكه طلب الله عشرته فهتكه».

لا تلتس من مساوى الناس ما ستروا فيهتك الله سترا من مساويكا  
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وأنا أقسم على جماعة متصحفيه أن يتأملوه وينظروا فيه بعين الرضا ويعبروا عنه بلسان الصفا والوفا فان تجدد فيه بعيدا قربه أو خطأ أصلحه وصوبه:

فان زل طرفى أو كبا فهو حلبة يزل بها الطرف المطهم جاريا  
ففعفوا جميلا عن خطاى فائنى أقول كما قد قال من كان شاكيا  
وعين الرضا عن كل عين كليلة كما أن عين المنحط تبدى المساويا

وبالله أستعين أولا وأخرا ظاهرا وباطنا والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

## فهرسه هو موضوعات الجزء الثاني منه كتاب مطالع البدور

الصفحة	الموضوع
٣١١	الباب السادس والعشرون: فى الحمام وما غزى مغزاه
٣١٢	فصل: فى الاستحمام ومنافع الحمام
٣٢٧	الباب السابع والعشرون: فى النار والطباخ والقدر
٣٣٥	الباب الثامن والعشرون: فى الاسماك واللحوم والجزور
٣٣٧	فصل: فى اللحوم
٣٣٨	فصل: كتب الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن مكائس... إلخ
٣٤١	الباب التاسع والعشرون: فيما تحتاج إليه الاطعمة من البقول فى السفرة
٣٤٣	فصل: البصل
٣٤٩	الباب الثلاثون: فى الخوان والمائدة وما فىهما من كلام مقبول
٣٥٧	الباب الحادى والثلاثون: فى الوكيرة والاطعمة المشتهاة
٣٦٦	فصل: فى الاطعمة المشهورة ومضارها ومنافعها
٣٧٣	فصل: فيما يشهى المآكل
	فصل: فى الطست والابريق والخلال والمحلب والاشنان والمنشفة وآداب
٣٧٧	غسل اليد وكيفية الاستعمال
٣٨٥	الباب الثانى والثلاثون: فى الماء وما جرى مجراه
٣٨٨	فصل: فى المحمود من المياه
٣٩٣	الباب الثالث والثلاثون: فى المشروب والحلواء
٤٠١	فصل: فى الاشربة
٤٠٥	الباب الرابع والثلاثون: فى بيت الخلاء المطلوب
٤٠٩	الباب الخامس والثلاثون: فى نبلاء الاطباء
٤٢٥	الباب السادس والثلاثون: فى الحساب والوزراء
٤٢٦	فصل: فيما ينبغى للوزير أن يأتيه
٤٢٦	فصل: فى لطائف كلام الوزراء
٤٢٩	فصل: فى لطائف هذا الباب
٤٣٣	الباب السابع والثلاثون: فى كتاب الانشاء

٤٣٣	.....	الفصل: الأول
٤٤٢	.....	الفصل: الثاني
٤٥١	.....	الباب الثامن والثلاثون: فى الهدايا والتحف النفيسة الاثمان
٤٥٧	.....	الباب التاسع والثلاثون: فى خواص الاحجار وكيانها فى المعادن
٤٧٧	.....	الباب الأربعون: فى خزائن السلاح والكنائن
٤٩١	.....	الباب الحادى والأربعون: فى الكتب وجمعها وفضل اتخاذها ونفعها
٤٩٩	.....	الباب الثانى والأربعون: فى الخيل والدواب ونفعها
٥٠٠	.....	فصل: فى العلامة الجامعة للنجابة فى الفرس
٥٢٧	.....	الباب الثالث والأربعون: فى مصائد الملوك وما فيها من نظم السلوك
		الباب الرابع والأربعون: فى حظائر الوحوش الجليلة المقدمار المتخذة لتزهم
٥٥٧	.....	الابصار
٥٦٩	.....	الباب الخامس والأربعون: فى الاسد النبل والزرافة والفيل
٥٧٩	.....	الباب السادس والأربعون: فى الحمام وما فى وصفها من بديع النظام
		الباب السابع والأربعون: فى الحصون والقصور والآثار وما قيل فيها من رائق
٥٨٣	.....	الاشعار
٥٩٥	.....	فصل: ابتداء عمارة مسجد دمشق
٦١١	.....	الباب الثامن والأربعون: فى الخين إلى الاوطان وتذكر من بها من القطان
		الباب التاسع والأربعون: فى دار سكنت كثيرة الحشرات قليلة الخير عديمة
٦٢٥	.....	النبات
٦٤١	.....	الباب الخمسون: فى وصف الجنان وما فيها من حور وولدان
٦٤٣	.....	فهرس الموضوعات

تمت فهرست الجزء الثانى من مطالع البدور